

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ آمَنُوا فِي هَجْرِهِمْ إِلَى اللَّهِ



ISBN 978-9922-9467-1-9



9 789922 946719

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ١٦٢٤ لسنة ٢٠٢٢

BP193.1.A2 G48 2022

الغريفي، عبد الحسين الخطيب - مؤلف.

الدنيا في نهج الامام علي عليه السلام / جمع وتحقيق عبد الحسين الخطيب الغريفي. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٢ / ١٤٤٣ للهجرة.

٥٧٩ صفحة ؛ ٢٤ سم.. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٠٣٢). (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ٢٠٩)، (سلسلة الكتب العلمية ، وحدة الدراسات العقدية ؛ ٢٥)

١. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة -- نهج البلاغة ٢. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة -- حديث ٣. البلاغة العربية ٤. الدنيا -- حديث أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة -- جهة مصدرة. ب. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

الدين يا في نهج الإمام علي عليه السلام

جهد وحقيق

السيد عبد الحسين العزيفي

إصدار

مؤسسة عالم نهج البلاغة

العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م



العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Inahj.org@gmail.com

موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ - ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠



الأهـلـاء

إليك يا سيّد الوصيّين

إليك يا سيّد الموحّدين

إليك يا إمام المتّقين

إليك يا يعسوب الدين

إليك يا أمير المؤمنين

أُقَدِّمُ عملي هذا لك سيّدي ومولاي راجياً من الله ومنك التفضّل بالقبول
والرضا والشفاعة عند الله يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلّا مَنْ أتى الله بقلبٍ
سليم.

مقدمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أُلْهِمَ، وَالشَّاءُ بِمَا قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ
نِعَمٍ ابْتَدَأَهَا، وَسُبُوحُ آلاءِ أَسْدَاها، وَتَمَامِ مَنَنِ الْإِلهَا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
خَيْرِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس
والتبيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية فحسب،
بل شمل غيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات
الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه
من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، كذا نجد
يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، غاية ما في
الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص
الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم
وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق
لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في
القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات العلمية
المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب
(عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة

الدراسات والبحوث) التي يتم عبرها طباعة هذه الكتب وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه بغية إيصال هذه العلوم إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهاال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقوقها المتعددة.

وما هذه الدراسة التي بين أيدينا إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين (عليه السلام) متخذاً من كلامه (عليه السلام) عن الدنيا عنواناً للدراسة، جمعاً وتحقيقاً، فقد وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) الدنيا بأدق الأوصاف، مبيناً ما فيها من ملذات وما يعقبها من حساب، راغباً عنها وعن ملذاتها زاهداً فيها، وهو الذي يقول: «يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكَ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتُ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتُ؟ لَا حَانَ حِينُكَ! هَيْهَات! غُرِّي غُرِّي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ، قَدْ طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا! فَعِيشُكَ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكَ يَسِيرٌ، وَأَمْلُكَ حَقِيرٌ»^(١). فجزى الله الباحث خير جزاء المحسنين، فنسأل الله أن يتولاه بواسع رحمته ويحشره مع جده أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه ليعز علينا أن لا يرى الباحث كتابه في الحياة الدنيا فقد أرسله إلى المؤسسة لغرض طباعته ونشره إلا أن الأجل سبقه إليه وبقي الأجر مكنونا في ميزان حسناته ورفيقاً له في رحلته لملاقاة ربه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

السيد نبيل الحسيني
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

(١) نهج البلاغة: ٤٨٠-٤٨١.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، ثمّ الصلاة والسلام على سيّد الخلق أجمعين سيّدنا ونبيّنا
أبي القاسم المصطفى محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين المعصومين، واللعن الدائم على
أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

وبعد، هنالك الكثير ممّن كتب عن نهج البلاغة شرحاً وتعليقاً وتحقيقاً، وما زال
هذا الكتاب منهلاً عذباً لرواد العلم والمعرفة، وعشاق الحقّ والحقيقة.

وبما أنّ كتاب نهج البلاغة مترامي الأطراف ومتشعب العلوم والفنون، ممّا أدّى إلى
كثرة الدراسات حوله، فترى من تناوله من الجانب اللغويّ، أو من الجانب البلاغيّ،
أو من الجانب الكلاميّ، أو من الجانب التاريخيّ، وهناك من حاول الجمع بين هذه
الجوانب كما فعله ابن أبي الحديد في شرحه، غير أنّ من الصعب الوقوف التامّ على
جميع هذه الشروح والدراسات وجردها، كما قال العلامة المرحوم السيّد عبد العزيز
الطباطبائيّ في «نهج البلاغة عبر القرون» الذي نشر منه حلقات في مجلّة تراثنا: لقد
حظي «نهج البلاغة» من أوّل يوم بعناية العلماء والأدباء، فجلب أنظارهم، واستقطب
جهودهم، فبادروا إلى روايته والتعليق عليه، فلم نرَ في تراثنا الخالد ما يوازيه في
كثرة المخطوطات القديمة، ولا ما يدانيه أو يبلغ نصف ذلك قيمة، وكذلك تناوله العلماء

٦ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

والأدباء بالشرح منذ القرن السادس الهجريّ وحتى يومنا هذا، بحيث يتعذر أو يتعسر إحصاء شروحه جميعها^(١).

ومنذ زمن ليس ببعيد وأنا مفكّرٌ بعمل يتعلّق بنهج البلاغة، فوقع اختياري على جمع ما ورد من لفظ «الدنيا» فيما ورد في نهج البلاغة من الخطب والكلام والكتب والرسائل والوصايا والعهود والحكم التي أدلى بها أمير المؤمنين عليه السلام، وشرحها. وقد اعتمدت في ذلك على أربع نسخ من نهج البلاغة وهي: نهج البلاغة لصبحي صالح، ونهج البلاغة للمحقّق الشيخ قيس بهجت العطّار، وشرح نهج البلاغة لكمال الدين بن ميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ، ونهج البلاغة للشيخ محمّد عبده، وقابلت النسخ الأربع وأثبت الاختلافات التي وردت فيها وثبّتها في هامش الكتاب. أمّا الشرح فقد اعتمدت على شرح ابن ميثم البحرانيّ وذلك لشمول هذا الشرح على ما ورد في نظر أهل البيت عليهم السلام، وقت بتخريج جميع الروايات الواردة فيه. وأخيراً خرّجت جميع الآيات القرآنيّة في النهج والشروحات، وعملت فهرساً لها، وفهرس للمصادر التي اعتمدت عليها، وفهرست موضوعات الكتاب، ومن الله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

جمع وتحقيق

الراجي شفاعه أمير المؤمنين عليه السلام

عبد الحسين الخطيب الغريفي

(١) مجلّة تراثنا العدد ٣٥، صفحة: ١٥٤.

الفصل الأول

الدنيا في خطب أمير المؤمنين عليه السلام

الدنيا في خطبة له ﷺ - المعروفة بالشقشقية والمقمصة - قال:

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ
الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى ... - إِلَى أَنْ يَقُولَ ﷺ فِي مَبَايِعَتِهِ ﷺ: - فَلَمَّا
نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَنْتُ طَائِفَةً وَمَرَقْتُ أُخْرَى، وَقَسَطَ ^(١) آخَرُونَ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا (اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ) ^(٢): ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ ^(٣)، بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ
الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرُجُهَا .. ^(٤).

شرح الألفاظ الغريبة:

تَقَمَّصَهَا: لبسها كالقميص.

(١) في نهج البلاغة للشيخ العطار: وفسق.

(٢) ما بين القوسين في نهج البلاغة لابن ميثم ونهج محمد عبده: كلام الله حيث يقول.

(٣) القصص: ٨٣.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٨ - ٥٠ / خطبة رقم ٣، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٥٦ - ٥٩ /

خطبة رقم ٣، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ١: ٢٤٩ - ٢٥٠ / خطبة رقم ٣، ونهج البلاغة لمحمد

عبده ١: ٣٤ - ٤١.

١٠ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

نَكَثَتْ طَائِفَةٌ: نَقَضَتْ عَهْدَهَا، وأراد بتلك الطائفة الناكثة أصحاب الجمل وطلحة والزبير خاصة.

وَمَرَقَتْ أُخْرَى: خَرَجَتْ: وفي المعنى الديني: فَسَقَتْ، وأراد بتلك الطائفة المارقة الخوارج أصحاب النهروان.

وَقَسَطَ آخَرُونَ: جَارُوا، وأراد بالجائرين أصحاب صفين.

وَحَلَيْتِ الدُّنْيَا: من حليت المرأة إذا تزيّنت مجلّيا.

وراقهم زُرْجُهَا: الزينة من وشي أو جوهر^(١).

شرح ابن ميثم البحراني:

قوله: «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق آخرون».

أراد بالناكثين طلحة والزبير؛ لأنّهما بايعاه ونقضا بيعته بخروجهما عليه، وكذلك من تبعهما ممّن بايعه، وبالمارقين: الخوارج، وبالقاسطين أو الفاسقين: أصحاب معاوية.

وهذه الأسماء سبقت من الرسول ﷺ إذ حكى في موضع آخر أنّه أخبره بأنّه سيقا تل الناكثين والمارقين والقاسطين بعده.

وإنّما خصّ الخوارج بالمروق؛ لأنّ المروق وهو مجاوزة السهم للرمية وخروجه منها، ولما كانت الخوارج أوّلاً منتظمين في سلك الحقّ إلّا أنّهم بالغوا بزعمهم في طلبه إلى أن تعدّوه وتجاوزوه، لاجرم حسن أن يستعار لهم لفظ المروق؛ لمكان المشابهة.

(١) شرح الألفاظ الغريبة لصبحي صالح: ٥٦٥ و ٥٦٧.

وقد أخبر الرسول ﷺ عنهم بهذا اللفظ إذ قال: يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية.

وأما تخصيص أهل الشام بالفاسقين؛ فلأن مفهوم الفسق أو القسط هو: الخروج عن سنن الحق، وقد كانوا كذلك بمخالفته ﷺ والخروج عن طاعته؛ فكان إطلاق أحد اللفظين عليهم لذلك.

قوله: «كأنهم لم يسمعوا الله يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾»^(١).

تنبيه لأذهان الطوائف الثلاثة المذكورة، ومن عساه يتخيّل أنّ الحق في سلوك مسالكهم على أنّ ما فعلوه من المخالفة عليه والقتال له؛ إنّما هو طلب للعلو، والمفاخرة في الدنيا المستلزم للسعي في الأرض بالفساد، وإعراض عن الدار الآخرة، وحسم لمادة إعدارهم، أن يقولوا يوم القيامة إنّنا كنّا عن هذا غافلين^(٢)، فيقولوا عند لقاء ربهم: لو سمعنا هذه الآية ووعيناها؛ لما ارتكبنا هذه الأفعال.

ويزعمون أنّ الحق في هذه المتصلة هو استثناء نقيض تاليها؛ لينتج لهم نقيض مقدّمها، وتقديره ﷺ لهذا العذر لهم، على سبيل التهمّ بهم، وأنّه لا عذر لهم في الحقيقة ممّا فعلوه.

ثمّ أراد ﷺ تكذيبهم في ذلك العذر على تقدير اعتذارهم به فأشار إلى مكذب النتيجة بوضع نقيضها مؤكّداً بالقسم البارّ، وإلى منع لزوم هذه المتصلة بقوله: «بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنّه حليت الدنيا في أعينهم».

(١) القصص: ٨٣.

(٢) اقتباس من الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

ونبه على أن وضع المقدم المذكورة في المتصلة لا يستلزم تأليها مطلقاً؛ بل استلزامه له موقوف على زوال مانع هو حاصل لهم الآن، وذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزینتها، وإعجابهم بها، وعلى تقدير حصول المانع المذكور؛ جاز أن يجتمع هذا المقدم مع نقيض التالي المذكور، وهو ارتكاب ما ارتكبه من الأفعال^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام تشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة، يقول في تهذيب الفقراء عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ^(٢) الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ ... - إلى أن يقول صلوات الله وسلامه عليه: - إِنَّ الْمَالَ وَالْبَتِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى^(٣) لِأَقْوَامٍ، فَأَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ، وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ..^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ١: ٢٦٥ - ٢٦٦ / ضمن شرح الخطبة رقم ٣.

(٢) في جميع النسخ كقطرات، والمثبت من نهج العطار.

(٣) كلمة (تعالى): ليست في نهج البلاغة للشيخ العطار.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٦٤ - ٦٥ / خطبة رقم ٢٣، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٧٨ /

خطبة رقم ٢٣، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٣ / خطبة رقم ٢٢، ونهج البلاغة للشيخ محمد

عبده ١: ٦٧ - ٦٨.

شرح الألفاظ الغريبة:

التعذير: مصدر عَذَّرَ تعذيراً، لم يثبت له عُذْر. يَكِلُهُ الله: يتركه، من وَكَلَ يَكِلُ، مثل وزن يزن^(١).

الشرح:

اعلم أنّ مدار هذا الفصل على تأديب الفقراء بترك الحسد ونحوه أولاً، وعلى تأديب الأغنياء بالشفقة على الفقراء ومواساتهم بالفضل من المال وتزهيدهم جمعه ثانياً.

فقوله: «أما بعد فإنّ الأمر ينزل...» إلى قوله: «أو نقصان»:

صدر الخطبة أورده ليبيّن عليه غرضه، وحاصله: الإشارة إلى أنّ كلّ ما يحدث من زيادة أو نقصان، ويتجدّد فيما يكون به صلاح حال الخلق في معاشهم ومعادهم من صحّة، أو مال، أو علم، أو جاه، أو أهل؛ فإنّه صادر عن القسمة الربانيّة المكتوبة بقلم القضاء الإلهيّ في اللوح المحفوظ، الذي هو خزانة كلّ شيء.

والمراد بالأمر حكم القدرة الإلهيّة على الممكنات بالوجود، وهو المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿كُنْ﴾^(٢) في قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ الآية^(٣)، وبنزوله: نسبة حصوله إلى كلّ نفس بما قُيِّم لها، وهي النسبة المسماة بالقدر في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾^(٤).

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٥٧٢.

(٢) النحل: ٤٠.

(٣) الآية نفسها.

(٤) الحجر: ٢١.

والمراد بالسماء: سماء الجود الإلهي، وبالأرض: عالم الكون والفساد على سبيل استعارة هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين.

ووجه الاستعارة في الموضوعين: مشاركة المعنيين المذكورين للسماء والأرض في معنيي علو الاستفال، كل بالنسبة إلى الآخر، وإنما لم تكن الحقيقة مرادة؛ لأن الأمر النازل ليس له جهة هي مبدأ نزوله، وإلا لكان الأمر في جهته، تعالى الله عن ذلك. ويحتمل أن يراد حقيقة السماء والأرض على معنى أن الحركات الفلكية لما كانت شرائط معدة يصدر بواسطتها ما يحدث في الأرض؛ كانت السماء مبادئ على بعض الوجوه لنزول الأمر.

فأما تشبيهه بقطر المطر فوجه التشبيه أن حصول الرزق والأهل، ونحوهما لكل نفس وقسمها منها مختلف بالزيادة والنقصان، كما أن قطر المطر بالقياس إلى كل واحدة من البقاع كذلك؛ وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس.

قوله: «إن المال والبنين حرث الدنيا..» إلى قوله: «لأقوال»:

أقول: لما بين - فيما سبق من التشبيه وغيره - أن تارك الرذائل المذكورة ونحوها المنتظر للحسن من الله فائز؛ أردف ذلك بالتنبيه على تحقير المقتنيات التي ينشأ منها التنافس، ومنها الرذائل المذكورة، فذكر أعظمها وأهمها عند الناس وهو المال والبنون، فإنهما أعظم الأسباب الموجبة لصلاح الحال في الحياة الدنيا، وأشرف القنيات الحاضرة، كما قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١)، وتبّه على تحقيرهما بالنسبة إلى العمل الصالح بكونهما من حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة.

(١) الكهف: ٤٦.

والمقدمة الأولى من هذا الاحتجاج صغرى ضمير تقدير كبراه: وحرث الدنيا حقير عند حرث الآخرة.

فينتج أنّ المال والبنين حقيران بالنسبة إلى حرث الآخرة. وقد ثبت في المقدمة الثانية: أنّ حرث الآخرة هو العمل الصالح. فإذن: المال والبنون حقيران بالنسبة إلى العمل الصالح.

أمّا المقدمة الأولى: فظاهرة؛ إذ لا حصول للمال والبنين في غير الدنيا. وأمّا بيان الثانية فمن وجهين:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(١)، وظاهر أنّه لا يريد قلة الكميّة، بل المراد حقارته بالنسبة إلى متاع الآخرة ولذتها. [الوجه] الثاني: أنّ حرث الدنيا من الأمور الفانية، وحرث الآخرة من الأمور الباقية الموجبة للسعادة الأبدية، والفانيات الطالحات ظاهرة الحقارة بالنسبة إلى الباقيات الصالحات، كما قال تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾^(٢).

ثمّ نبّه السامعين بقوله: وقد يجمعهما الله لأقوام؛ على وجوب الالتفات إلى الله تعالى والتوكّل عليه؛ وذلك أنّ الجمع بين حرث الدنيا والآخرة لما كان في طباع كلّ عاقل طلب تحصيله، وكان حصوله إنّما هو من الله دون غيره لمن يشاء من عباده. ذكر عليه السلام ذلك؛ ليفرغ الطالبون للسعادة إلى جهة تحصيلها وهو التقرب إلى الله بوجوه

(١) التوبة: ٣٨.

(٢) الكهف: ٤٦.

الوسائل، والإعراض عما لا يجدي طائلاً من الحسد ونحوه، ثم أكد ذلك الجذب بالتحذير مما حذره الله من نفسه، والأمر بالحشية الصادقة البريئة من التعذير المستلزمة لترك محارمه، ولزوم حدوده الجاذبة إلى الزهد الحقيقي، ثم أردف ذلك بالأمر بالعمل لله البريء من الرياء والسمعة، وهو إشارة إلى العبادة الخالصة لله، والمستلزمة لتطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة، وقد ثبت في علم السلوك إلى الله تعالى أن الزهد والعبادة كيف يوصلان إلى السعادة التامة الأبدية^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام وهو فصل من الخطبة التي أولها «الحمد لله غير مقنوط من رحمته، وفيه أحد عشر تنبيهاً»:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بَوْدَاعٍ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَ(٢) أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَغَدَا السَّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْعَايَةُ النَّارُ؛ أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَبِيتِهِ! أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ! أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ؛ فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ..(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٤ - ٩ / شرح الخطبة رقم ٢٢.

(٢) ما بين القوسين: ليس في نهج ابن ميثم ونهج محمد عبده.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٧١ / خطبة رقم ٢٨، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٨٧ - ٨٨ /

خطبة رقم ٢٨، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٣٩ - ٤٠ / خطبة رقم ٢٧، ونهج البلاغة

للشيخ محمد عبده ١: ٧٨ - ٧٩.

شرح الألفاظ الغريبة:

أَذَنْتُ: أَعْلَمْتُ. أَشْرَفْتُ بِاطِّلاعٍ: أَقْبَلْتُ عَلَيْنَا بَغْتَةً.

المِضْمَار: الموضع والزمن الذي تَضَمَّرَ فيه الخيل، وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن، ثم يقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل، ثم تُرَدُّ إلى القوت، والمدة أربعون يوماً، وقد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثاني، وإطلاقه على الأول لأنه مقدّمة للثاني وإلا فحقيقة التضمير إحدى الضمور وهو الهزال وخفة اللحم، وإنما يفعل ذلك بالخيال لتخفّ في الجري يوم السباق. السَّبَقَةُ - بالتحريك - الغاية التي يجب على السابق أن يصل إليها. المنيّة: الموت والأجل. البؤس - بالضم - اشتداد الحاجة وسوء الحالة^(١).

شرح ابن ميثم البحراني:

قال الشريف: أقول: لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا، ويضطرّ إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال، وقادحاً زناد الاتّعاظ والانزجار، ومن أعجبه قوله عليه السلام: «أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَعَدَا السَّبَاقَ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ» فإنّ فيه - مع فخامة اللفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق التمثيل، وواقع التشبيه - سرّاً عجبياً، ومعنى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام: «وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْغَايَةُ النَّارُ»، فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل: «السبقة النار»، كما قال: «والسبقة الجنة»؛ لأنّ الاستباق إنّما يكون إلى أمر محبوب، وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنة، وليس هذا المعنى موجوداً في النار، نعوذ بالله منها، فلم يجوز أن يقول:

(١) شرح الألفاظ الغريبة لصبحي صالح: ٥٧٥.

«السبقة النار»، بل قال: «الغاية النار»؛ لأنَّ الغاية ينتهي إليها من لا يسرّه الانتهاء إليها، ومن يسرّه ذلك، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾^(١) ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال: سبقتكم - بسكون الباء - إلى النار، فتأمل ذلك، فباطنه عجيب وغوره بعيد.

أقول: هذا الفصل من الخطبة التي أولها «الحمد لله غير مقنوط من رحمته» وسيجيء بعد، وإنما قدّمه الرضي عليها؛ لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب أنه لا يراعي التتالي والنسق في كلامه عليه السلام.

وقوله: «قد أدبرت» أي ولّى دبره؛ «وآذنت»: أي أعلمت، «وأشرفت»: أي اطلّعت، والمضمار: المدة التي يضمّر فيها الخيل للمسابقة، أي تعلّف حتّى تسمّن ثمّ تردّ إلى القوت، والمدة أربعون يوماً، وقد يطلق على الموضع الذي يضمّر فيه أيضاً، والسباق: مصدر مرادف للمسابقة، وهو أيضاً جمع سبقة كنطفة ونطاف، أو سبقة: كحجلة وحجال، أو سبق: كجمل وجمال، والثلاثة اسم لما يجعل للسابق من مال أو غرض.

واعلم أنّ هذا الفصل يشتمل على أحد عشر تنبيهاً:
الأوّل: على وجوب النفار عن الدنيا وعدم الركون إليها؛ وذلك بقوله: «ألا وإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع».

وأشار بإدبار الدنيا وإعلامها بالوداع إلى تقضي الأحوال الحاضرة بالنسبة إلى كلّ شخص من الناس، من صحّة وشبابٍ وجاهٍ ومالٍ وكلّ ما يكون سبباً لصلاح حال

(١) إبراهيم: ٣٠.

الإنسان، وأنَّ كلَّ ذلك في هذه الحياة الدنيا لدنوّها من الإنسان...
الثاني: التنبيه على الإقبال على الآخرة، والتيقُّظ للاستعداد لها بقوله: «ألا وإنَّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع».

ولما كانت الآخرة عبارة عن الدار الجامعة للأحوال التي يكون الناس عليها بعد الموت، من سعادة وشقاوة، وألم ولذة، وكأنَّ تقضي العمر مقرباً للوصول إلى تلك الدار، والحصول فيما يشتمل عليه من خيرٍ أو شرٍّ حسن إطلاق لفظ الإقبال عليها مجازاً، ثمَّ نزّلها لشرفها - على الدنيا في حال إقبالها - منزلة عالٍ عند سافل. فأُسند إليها لفظ الإشراف - ولأجل إحصاء الأعمال الدنيويّة فيها منزلة - عالم مطّلع، فأطلق عليها لفظ الاطلاع.

ويحتمل أن يكون إسناد الإشراف بكيفيّة الاطلاع إلى ربِّ الآخرة، وإنّما عبّر بالآخرة عنه تعظيماً لجلاله، كما يكتفى عن الرجل الفاضل بمجلسه وحضرته، ويكون كيفيّة الاطلاع قرينة ذلك.

الثالث: التنبيه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعدّ لأجله وهو السباق، وذكر ما يستبق إليه وهو غاية المقصّر المتخلف عن نداء الله، وذلك قوله: «ألا وإنَّ اليوم المضمار» إلى قوله: «والغاية النار» كُنّي باليوم عن مدّة عمر الإنسان الباقية له وأخبر بالمضمار عنها... وإنّما أطلق اسم المضمار على تلك المدّة لما بينها من المشابهة فإنَّ الإنسان في مدّة عمره يستعدّ بالتقوى ويرتاض بالأعمال الصالحة لتكميل قوّته، فيكون من السابقين إلى لقاء الله والمقرّبين في حضرته، كما يستعدّ الفرس بالتضمير لسبق مثله..^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٢: ٤٠ - ٤٨ / شرح الخطبة رقم ٢٧.

الدنيا في خطبة له عليه السلام، أولها: «الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرُ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ...»
إلى أن يقول عليه السلام:

وَأِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ^(١): اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ،
وَتَزَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْزُرُونَ^(٢) بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

تحزرون أنفسكم: تحفظونها من الهلاك الأبدي^(٤).

شرح ابن ميثم البحراني:

الحادي عشر: التنبيه على أخوف الأمور التي ينبغي أن تخاف لتجنب، وهو
الجمع بين اتباع الهوى، وطول الأمل.
وسيدكر عليه السلام هذا الكلام في موضع آخر مع ذكر علّة التحذير من هذين الأمرين،
وسنوضح معناه هناك.

وبكفي هاهنا أن يقال: إنما حذر منها عقيب التنبيه على الظعن والأمر باتخاذ الزاد؛
لكون الجمع بينهما مستلزماً للإعراض عن الآخرة، فيكون مستلزماً لعدم الظعن

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: عليكم اثنتان.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ العطار: تحزرون.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٧١ - ٧٢ / خطبة رقم ٢٨، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٨٨ /

خطبة رقم ٢٨، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٤٠ / خطبة رقم ٢٧، ونهج البلاغة للشيخ

محمد عبده ١: ٨٠.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة لصبحي صالح: ٥٧٥.

وعدم اتّخاذ الزاد، فخوّف منها ليجتنبا. فيحصل مع اجتنابها الإقبال على اتّخاذ الزاد والأهبة للظعن، ولذلك أردف التخويف منها بالأمر باتّخاذ الزاد، وفي قوله: «من الدنيا في الدنيا»، لطف فإنّ الزاد الموصّل إلى الله تعالى إمّا علم أو عمل، وكلاهما يحصلان من الدنيا.

أمّا العمل: فلا شكّ أنّه عبارة من حركاتٍ وسكناتٍ تستلزم هيئات مخصوصة إنّما تحصل بواسطة هذا البدن، وكلّ ذلك من الدنيا في الدنيا. وأمّا العلم: فلأنّ الاستكمال به إنّما يحصل بواسطة هذا البدن أيضاً: إمّا بواسطة الحواس الظاهرة والباطنة، أو بتفطّن النفس لمشاركات بين المحسوسات ومباينات بينها، وظاهر أنّ ذلك من الدنيا في الدنيا. وأشار بقوله: «ما تحرزون أنفسكم به غداً»: إلى أنّ كلّ زاد أعدّ به الإنسان نفسه للوصول إلى جوار الله؛ فقد تدرّع به من عذابه وحفظ به نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وقد اشتمل هذا الفصل على استدراجات لطيفة لانفعالات عن أوامر الله وزواجره، وإذا تأملت أسلوب كلامه عليه السلام، وراعت ما فيه: من فخامة الألفاظ، وجزالة المعاني المطابقة للبراهين العقلية، وحسن الاستعارات والتشبيهات ومواقعها، وصحّة ترتيب أجزائه، ووضع كلّ ما يناسب؛ وجدته لا يصدر إلّا عن علم لديّ وفيض ربانيّ، وأمّكنك حينئذٍ الفرق بين كلامه عليه السلام وكلام غيره والتمييز بينهما بسهولة. وبالله العصمة والتوفيق^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٢: ٤٨ - ٤٩ / شرح الخطبة رقم ٢٧.

الدنيا في خطبة له عليه السلام وفيها يصف زمانه بالجور، ويقسم الناس فيه خمسة أصناف، ثم يزهد في الدنيا. يقول عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي (دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ)^(١)،
يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا... - إلى أن يقول عليه السلام في أصناف المسيئين:
- وَالنَّاسُ^(٢) عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ:

مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ، وَكَالَالَةَ
حَدِّهِ، وَنَضِيزُ وَفَرِّهِ.

وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ^(٣)، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ
وَرَجْلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهَزُهُ، أَوْ مِقْنَبٍ
يَقُودُهُ، أَوْ مَنَبَرٍ يَفْرَعُهُ. وَلِبَسَسَ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ
ثَمَنًا، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضًا!

وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ
الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ
ثَوْبِهِ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى
الْمَعْصِيَةِ^(٤).

(١) ما بين القوسين في نهج البلاغة تحقيق الشيخ العطار: دهر عنود وزمن شديد.

(٢) في نهج الشيخ العطار وابن ميثم: فالناس.

(٣) في نهج الشيخ العطار: بسيفه.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٧٤ - ٧٥ / خطبة رقم ٣٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٩١ - ٩٣ /

شرح الألفاظ الغريبة:

عَنُودٍ: جائر؛ وكَنُودٍ: كفور؛ والمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ: الماضي في الأمور بقوّته؛ والمُجْلِبُ: المستعين على الأمر بالجمع؛ والرجل: جمع راجل، وطأَمَنَ من شخصِهِ: أي خَفَضَ، والإِسْمَ الطَّمَأْنِينَةَ: أشرط نفسه: هيأها وأَعَدَّها للشرِّ والفساد في الأرض؛ أَوْبَقَ دِينَهُ: أهلكه؛ الحطام: المال، وأصله ما تَكَثَّرَ من اليبس؛ يَنْتَهِرُهُ: يَغْتَنِمُهُ أو يَحْتَلِسُهُ؛ المِقْنَبُ: طائفة من الخيل مابين الثلاثين إلى الأربعين؛ فَرَعَ المنبر: - بالفاء - علاه^(١).

شرح ابن ميثم البحراني:

قال الشريف: أقول: هذه الخطبة ربّما نسبها من لا علم له إلى معاوية، وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا شك فيه، وأين الذهب من الرغام، والعذب من الأجاج؟ وقد دلّ على ذلك الدليل الحزّيت، ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ؛ فإنّه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين، وذكر من نسبها إلى معاوية، ثمّ قال: هي بكلام علي عليه السلام أشبه وبمذهبه - في تصنيف الناس، وبالإخبار عمّا هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقيّة والخوف - أليق.

قال: ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهّاد،

ومذاهب العبّاد؟!

قوله: «فالناس على أربعة أصناف...».

➤ خطبة ٣٢، ونهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٦٢ / خطبة رقم ٣١، ونهج البلاغة للشيخ محمّد

عبده ١: ٨٥ - ٨٧.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٥٧٦.

أقول: وجه هذه القسمة أنّ الناس: إمّا يريدون للدنيا، أو لله .
 والمريدون لها: إمّا قادرون عليها، أو غير قادرين؛ وغير قادرين: إمّا محتالين
 لها، أو محتالون؛ والمحتالون: إمّا أن يؤهّلوا نفوسهم للإمرة والمملك، أو لما هو دون
 ذلك، فهذه الأقسام خمسة مطابقة لما ذكره عليه السلام من الأوصاف الأربعة الذين عرضهم
 مع الصنف الخامس الذين أفردهم بالمدح.

فالصنف الأوّل: - فهم المريدون للدنيا القادرون عليها - : المشار إليه في القسم
 الثاني من قسمته بقوله: «ومنهم المصلت لسيفه، والمعلن بشرّه»، .. إلى قوله:
 «يفرعه»، والمقصود بهذا الصنف القادرون على الدنيا المطلقون لعنان الشهوة والغضب
 في تحصيل ما يتخيّل كما لا من القينات الديويّة.

فإصلاّت السيف كناية عن التغلّب، وتناول ما أمكن تناوله بالغلبة والقهر.
 وإعلان الشرّ: والمجاهرة بالظلم وغيره من رذائل الأخلاق.
 والإجلاب بالخيّل والرجل: كناية عن جمع أسباب الظلم والغلبة والاستعلاء على
 الغير.

وإشراط نفسه: تأهيلها وإعدادها للفساد في الأرض؛ وظاهر أنّ من كان كذلك
 فقد أوبق دينه وأفسده ..

وقوله: «ولبئس المتجر» إلى آخره:

تنبيه لهذا الصنف من الناس على خسرانهم في أفعالهم الشبيهة بالتجارة الخاسرة،
 فإنّ طالب الدنيا المحصّل لها - كيف ما اتفق - هالك في الآخرة، فهو كالبايع لها بما
 حصل له من دنيا، والمعتاض بما له عند الله من الأجر الجزيل لو أطاعه حطاماً تفنى
 عينه وتبقى تبعته؛ ولذلك استعار لفظ التجارة لها.

الصنف الثاني: - وهم المريدون لها غير القادرين عليها وغير المحتالين لها -: وهو المشار إليه بقوله: «منهم من لا يئنه من الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه وكلالة حدّه ونضيض وفره».

وكفى بقوله: كلالة حدّه، عن عدم صراحته في الأمور وضعفه عنها، وظاهر أنّ المريد للدنيا - المعرض عن الله - لو خلى عن الموانع المذكورة ووجد الدنيا لم يكن سعيه فيها إلا فساداً.

الصنف الثالث: - الغير القادرين على الدنيا مع احتياهم لها وإعداد أنفسهم لأمر دون الملك -: وهو المشار إليه بقوله: «ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا» إلى آخره:

وقوله: «يطلب الدنيا بعمل الآخرة»: إشارة إلى الحيلة للدنيا، كالرياء والسمعة.

وقوله: «ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا»: إشارة إلى أنّه مريد للدنيا فقط.

وقوله: «قد طامن من شخصه» إلى آخره:

تفصيل لكيفيّة الحيلة، فإنّ خضوع الإنسان وتطامن شخصه، والمقاربة بين خطوه، وتشمير ثوبه، وزخرفته لنفسه بما هو شعار الصالحين من عباد الله، وستر الله الذي حمى به أهل التقوى أن يردوا موارد الهلكة يقع من صنف من الناس؛ التماساً لدخولهم في عيون أهل الدنيا، وأرباب أهل القينات؛ ليسكنوا إليهم في الأمانات ونحوها، ويجعلون ذلك ذريعة لهم إلى ما أمّلوه من الدنيا الفانية، فيكونون قد اتخذوا ستر الله وظاهر دينه وسيلة إلى معصيته^(١).

(١) شرح النهج لابن ميثم البحراني ٢: ٦٣ - ٦٨ / شرح الخطبة رقم ٣١.

الدنيا في خطبة له في التزهد في الدنيا. يقول عليه السلام:

فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا (فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ)^(١) مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ، وَقَرَاظَةِ
الْجَلَمِ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ،
وَأَرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا
مِنْكُمْ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

الْحُثَالَةُ - بالضم - : القشارة وما لا خير فيه، وأصله ما يسقط من كل ذي قشر.
الْقَرْظُ - محرّكة - : ورق السلم أو ثمر السنط يدبغ به. الْجَلَمُ - بالتحريك - : مقراض
يُجْزُّ به الصوف، وقراضته: ما يسقط منه عند القرض والجز^(٣).

شرح ابن ميثم البحراني:

قوله: «فلتكن الدنيا في أعينكم» إلى آخره:
أمر للسامعين باستصغار الدنيا واحتقارها إلى حدّ لا يكون في أعينهم ما هو أحقر
منها، فإنّ حثالة القرظ وقراضة الجلم في غاية الحقارة.

(١) ما بين القوسين في نهج البلاغة تحقيق العطار: أصغر في أعينكم.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٧٦/ خطبة رقم ٣٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٩٤/ خطبة رقم

٣٢، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٦٣/ ضمن الخطبة رقم ٣١، ونهج البلاغة للشيخ محمد

عبده ١: ٨٨.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٥٧٧.

والمراد من هذا الأمر، وغايته: الترك لها، فإن استحقار الشيء واستصغاره يستتبع تركه والإعراض عنه.

ثم أمرهم بالاعتناء بالأُمم السابقة، فإن في الماضين عبرة لأولي الأبصار، ومحل الاعتبار: ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها، والمباهاة بكثرة قيناتها، ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت، وبقاء الحسرة والندامة للمستكثرين منها؛ حجباً حائلة بينهم وبين الوصول إلى حضرة جلال الله.

وتبهم بقوله: «قبل أن يتعظ بكم من بعدكم»: على أنهم مضطرون إلى مفارقة ما هم فيه وسيصيرون عبرة لغيرهم، وفائدة الأمر بالاعتناء أيضاً بالإعراض عنها، والإقلاع والاعتزال بها.

ثم لما أمرهم بهذه الأوامر التي ليست صريحة في الترك أردف ذلك بالأمر الصريح بالترك، فقال: «وارفضوها ذميمة»: أي اتركوا ما حاله الحقارة والذمامة.

ثم نبه بعده على ما يصلح علّة لتركها، وهو عدم دوام صحبتها وثباتها لمن كان أحبّ منهم لها: أي ولو دام سرورها ونعيمها لأحد لدام لأحبّ الخلق لها وأحرصهم على المحافظة عليها، فلما لم تدم لمن هو أشدّ حبّاً لها منكم؛ فبالأولى أن لا تدوم لكم، وإذا كان طباعها رفض كلّ محبّ؛ فالأحرى بذي المروّة اللبيب الترفع والإعراض عمّن لا تدوم صحبتته، ولا تصفو محبّته، وبالله التوفيق^(١).

(١) شرح النهج لابن ميثم البحراني ٢: ٧١/ شرح الخطبة رقم ٣١.

الدنيا في خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج، وفيها يتأفف بالناس وينصح لهم بطريق السداد. يقول عليه أفضل الصلاة والسلام:

أَفْ لَكُمْ لَقَدْ سَمِتُ عِتَابَكُمْ! أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
عَوْضًا؟ وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوِّكُمْ
دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي
سَكْرَةٍ يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ
فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ..^(١)

شرح الألفاظ الغريبة:

أَفْ لكم: كلمة تضجر واستقذار ومهانة؛ دوران الأعين: اضطرابها من الجزع؛
الغَمْرَةُ: الواحدة من الغمر وهو الستر، وغمرة الموت الشدة التي ينتهي إليها المحتضر؛
والذهول: النسيان والسهو؛ ويرتج عليكم: أي يُغلق، تقول: ارتج الباب أي أغلقه؛
والحوار: المخاطبة؛ وتعمهون: تتخبرون وتترددون^(٢).

شرح ابن ميثم البحراني:

أقول: روي أنه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج، وقد كان

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٧٨/ خطبة رقم ٣٤، وفي نهج البلاغة تحقيق الشيخ العطار: ٩٦/
خطبة رقم ٣٤، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٧٦/ خطبة رقم ٣٣، ونهج البلاغة لمحمد عبده
١: ٩٠ - ٩٢.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٥٧٧.

قام بالنهروان فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

أما بعد، فإن الله تعالى قد أحسن بنا نصرتكم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى
عدوكم من أهل الشام.

فقالوا له: قد نفدت نبالنا، وكلت سيوفنا، ارجع بنا إلى مضرنا لنصلح عدتنا،
ولعل أمير المؤمنين يزيد في عددنا من هلك منا؛ لنستعين به.

فأجابهم: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا
تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ...﴾ الآية^(١).

فتلكؤوا عليه، وقالوا: إن البرد شديد، فقال: إنهم يجدون البرد كما تجدون، أف
لكم، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ...﴾ الآية^(٢).

فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح في الناس، وطلبوا أن يرجع بهم إلى
الكوفة أياً ما، ثم يخرج بهم؛ فرجع بهم غير راضٍ، وأنزلهم نخيلة، وأمرهم أن يزمّلوا
معسكرهم، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم، ويقبلوا زيارة أهلهم، فلم يقبلوا وجعلوا
يتسلّلون ويدخلون الكوفة، حتى لم يبق معه إلا القليل منهم، فلما رأى ذلك دخل
الكوفة فخطب الناس، فقال:

أيها الناس، استعدّوا لقتال عدوّ في جهادهم القربة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده
قوم حيارى عن الحق لا ينصرونه، موزّعين بالجور والظلم لا يعدلون به...

واعلم أنّه عليه السلام لما أراد استنفارهم إلى الحرب - وكانوا كثيراً ما يتشاقلون عن
دعوته - استقبلهم بالتأنيف والتضجّر بما لا يرتضيه من أفعالهم.

(١) المائة: ٢١.

(٢) المائة: ٢٢.

وقوله: «لقد سئمت عتابكم»: تفسير لبعض ما تأفف منه.

وقوله: أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضاً، وبالدُّلَّ مِنَ الْعَرْزِ خَلْفاً:

استفهام على سبيل الإنكار عليهم يستلزم الحثَّ الجهاد، فإنَّ الجهاد لما كان مستلزماً لثواب الآخرة، ولعزة الجانب، وخوف الأعداء، والقعود عنه يستلزم في الأغلب السلامة في الدنيا، والبقاء فيها لكن مع طمع العدو فيهم، وذلتهم له؛ كانوا بقعودهم عنه كمن اعتاض الدنيا من الآخرة، واستخلف الدُّلَّ من العِزَّة، وذلك ممَّا لا يرضى به ذو عقل سليم؛ وعوضاً وخلفاً منصوبان على التمييز.

قوله: «إِذَا دَعَوْتَكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ» إلى قوله: «لَا تَعْقِلُونَ».

تبكيت لهم، وتوبيخ برذائل تعرض لهم عند دعائه لهم إلى الجهاد.

الأولى: بأنَّه تدور أعينهم حيرة وتردداً وخوفاً من أحد أمرين: إمَّا مخالفة دعوته، أو الإقدام على الموت، وفي كلا الأمرين خطر.

ثمَّ شَبَّهَ حالتهم تلك في دوران أعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت، الساهي فيها عن حاضر أحواله، المشغول بما يجده من الألم، ونحوه قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(١).

الثانية: أنَّه يرتج عليهم حوار، ويرتج: في موضع الحال، وتعمهون: عطف عليه، أي يرتج عليكم فتتحيرون.

ثمَّ شَبَّهَ حالهم عند دعائه إلى الجهاد تشبيهاً ثانياً بحال من اختلط عقله، أي أنَّهم في حيرتهم وترددهم في جوابه كمختلط العقل ما يفقه ما يقول^(٢).

(١) الأحزاب: ١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٢: ٧٧ - ٧٩ / شرح خطبة رقم ٣٣.

الدنيا في خطبة له، وفيها يحذّر من اتّباع الهوى وطول الأمل في الدنيا، يقول عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ - إلى أن يقول عليه السلام: - أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ أَصْطَبَّهَا صَابُهَا، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بُنُونٌ؛ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ ^(١) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ ^(٢) ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

طُولُ الْأَمَلِ: هو استفساح الأجل، والتسويق بالعمل؛ الحَذَاءُ - بالتشديد - : الماضية السريعة؛ الصُّبَابَةُ - بالضم - : البقية من الماء واللبن في الإناء؛ اصْطَبَّهَا صَابُهَا: كقولك: أبقاها مبقيا، أو تركها تاركها ^(٤).

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: لأبيه، والمثبت من نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ونهج البلاغة للمحقّق العطار ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٨٣ - ٨٤ / من كلام له عليه السلام رقم ٤٢، نهج البلاغة للشيخ العطار: ١٠٣ - ١٠٤ / خطبة رقم ٤٢، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١٠٦ - ١٠٧ / من كلام له رقم ٤١، ونهج محمد عبده ١: ١٠١ - ١٠٢، من كلام له عليه السلام.

(٣) ما ورد في نهج البلاغة لصبحي صالح وابن ميثم والشيخ محمد عبده فهو من كلام الإمام عليه السلام وفي نهج البلاغة للشيخ العطار: هو من خطب الإمام عليه السلام.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٥٨٠.

شرح نهج ابن ميثم البحراني :

المقصود بهذا الفصل النهي عن الهوى وطول الأمل في الدنيا؛ فإنها من أشد أسباب الهلاك، فكان الجلاء عنها من أشد أسباب النجاة، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾^(١) ثم التذكير بأمور الآخرة.

فاعلم أنّ الهوى: هو ميل النفس الأمّارة بالسوء إلى مقتضى طباعها من اللذات الدنيويّة إلى حدّ الخروج عن حدود الشريعة. وأما الأمل فقد سبق بيانه.

ولما كانت السعادة التامّة إنّما هي في مشاهدة حضرة الربوبيّة ومجاورة الملأ الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وكان اتباع النفس الأمّارة بالسوء في ميولها الطبيعية والانهماك في ملذّاتها الفانية أشدّ مهلك جاذب للإنسان عن قصد الحقّ، وصادّ له عن سلوك سبيله، وعن الترقّي في ملكوت السموات إلى حضيض جهنّم كما قال سيّد المرسلين ﷺ: ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متّبّع، وإعجاب المرء بنفسه^(٢)، وكما قال: حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة^(٣)، وقال: الدنيا والآخرة ضرّتان بقدر ما يقرب من إحداهما يبعد من الأخرى^(٤).

(١) النازعات: ٣٧ - ٤١.

(٢) الزهد: ٦٨ / حديث رقم ١٨٠، المحاسن ١: ٣ / حديث رقم ٦.

(٣) الكافي ٢: ٢٣٩ / ضمن الحديث رقم ٨، الخصال ١: ٢٥ / حديث رقم ٨٧.

(٤) عوالي اللئالي العزيزيّة ١: ٢٧٧ / حديث رقم ١٠٦.

لا جرم كان أخوف ما ينبغي أن يخاف من الأمور المهلكة: اتباع الهوى .
وأما الأمل: فراده به أيضاً الأمل لما لا ينبغي أن يمد الأمل فيه من المقتنيات
الفانية، وظاهر أن طول الأمل فيها يكون مطابقاً لاتباع الهوى، وبه يكون نسيان
الآخرة؛ لأن طول توقع الأمور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها، ودوام
ملاحظتها مستلزم لدوام إعراض النفس عن ملاحظة أحوال الآخرة، وهو مستعقب
لانمحاء ما تصوّر في الذهن منها؛ وذلك معنى النسيان لها، وبذلك يكون الهلاك
الأبدى والشقاء الأشق .

ولما كان عليه السلام هو المتولّي لإصلاح حال الخلق - في أمور معاشهم ومعادهم - كان
الاهتمام بصلاحتهم منوطاً بهتمّه العلية، فلا جرم نسب الخوف عليهم إلى نفسه .
قوله: «ألا وإن الدنيا قد ولّت» إلى قوله: «صائبها» .

أقول: الدنيا بالنسبة إلى كلّ شخص مفارقة له، وخفيفة سريعة الإجفال لم يبق
منها بالقياس إليه إلا اليسير، وإطلاق الصبابة هاهنا استعارة لبقيتها القليلة، والقلة
هي وجه تشبيهها بصبابة الإناء أيضاً .
وقوله: «ألا وإن الآخرة قد أقبلت»: .

لما نبّه على أن الدنيا سريعة الإجفال، أردف ذلك بالتنبيه على سرعة لحوق
الآخرة وإقبالها، وكلّ ذلك قطع للآمال الفانية، وردع عن اتباع الهوى .
ومن آثار الصالحين: إذا كان العمر في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى،
والموت هو دهليز الآخرة .

وقوله: «ولكلّ منها بنون» إلى قوله: «يوم القيامة»: .

من لطائف كلامه [عليه السلام]، فاستعار لفظ الأبناء للخلق بالنسبة إلى الدنيا والآخرة، ولفظ الأب لهما.

ووجه الاستعارة أنّ الإبن لما كان في شأنه الميل إلى والده ميلاً طبيعياً، أو بحسب تصوّر المنفعة منه، وكان الخلق منهم من يريد الدنيا، ومنهم من يريد الآخرة، ويميل كلّ منهما إلى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها ممّا يتوهمونه لذّة وخيراً، وما يحصل من طرف الآخرة للراغبين فيها من اللذّة والسعادة، أشبه كلّ بالنسبة إلى ما رغب فيه، واستفاد منه الخير الابن بالنسبة إلى الأب؛ فاستعير لفظه لتلك المشابهة.

ولمّا كان غرضه حثّ الخلق على السعي للآخرة، والميل إليها، والإعراض عن الدنيا؛ قال عليه السلام: فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا^(١)، ثم ذكر فائدة رأيه عليهم بأن يكونوا كذلك، وهي أنّ كلّ ولد سيلحق بأبّه يوم القيامة. وأشار إلى أنّ أبناء الآخرة والطالبين لها والعاملين لأجلها مقرّبون في الآخرة لا حقوق لمراتهم فيها، ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم ولهم ما يدعون نزلاً من غفور رحيم.

وأما أبناء الدنيا فإنّ نفوسهم لما كانت مستغرقة في محبّتها، وناسية لطرف الآخرة، ومعرضة عنها؛ لاجرم كانت يوم القيامة مغمورة في محبّة الباطل، مغلولة بسلاسل السيئات البدئية والملكات الرديئة المتمكّنة من جواهرها، فهي لتعلّقها بمحبّة الدنيا، حيث لا يتمكّن من محبوبها بمنزلة ولد لا تعلّق له ولا مسكّة إلّا بوالده، ولا إلف له إلّا هو، ولا أنس إلّا معه.

(١) فقه الرضا عليه السلام: ٣٧٠.

ثم حيل بينه وبينه مع شدة تعلقه به وشوقه إليه وأخذ إلى أضيق الأسجان، وبذل بالعزّ والهوان، فهو في أشدّ وله ويتم وأعظم حسرة وغمّ. وأما أبناء الآخرة: ففي حضانة أبيهم ونعيمه، قد زال عنهم بؤس الغربة، وشقاء اليتيم، وسوء الحزن.

فمن الواجب إذن تعرّف أحوال الوالدين، واتّباع أبّهما وأدومهما شفقة، وأعظمهما بركة، وما هي إلا الآخرة، فليكن ذو العقل من أبناء الآخرة، وليكن برّاً بوالده متوصلاً إليه بأقوى الأسباب وأمتنها. وقوله: «وإنّ اليوم عمل» إلى آخر:

كُنّ باليوم عن مدّة الحياة، وبغدٍ عمّا بعد الموت، وراعى المقابلة فقابل اليوم بالغد، والعمل بلا عمل، ولا حساب بالحساب.

واليوم: اسم إنّ، وعمل: قام مقام الخبر استعمالاً للمضاف إليه مقام المضاف: أي واليوم يوم العمل، ويحتمل أن يكون اسم إنّ: ضمير الشأن، واليوم عمل: جملة من مبتدأ وخبر هي خبرها، وكذلك قوله: وغداً حساب ولا عمل.

وصدق هذين الحكمين ظاهر، وفائدتهما التنبيه على وقته العمل وعدمه؛ ليبادروا إلى العمل، الذي به يكونون من أبناء الآخرة في وقت إمكانه قبل مجيء الغد، الذي هو وقت الحساب دون العمل، وبالله التوفيق^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٢: ١٠٧ - ١٠٩ / شرح كلامه عليه السلام رقم ٤١.

الدنيا في خطبة له وفيها يحمد الله ويذم الدنيا، فيقول عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوفٌ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلَا
مَأْيُوسٌ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلَا مُسْتَنَكِفٌ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ
مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ.
وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِي لَهَا أَلْفَنَاءٌ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلُوءٌ
خَضِرَةٌ^(١)، قَدْ عَجَلَتْ^(٢) لِلطَّالِبِ، وَالتَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ؛
فَارْتَحِلُوا مِنْهَا^(٣) بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، وَلَا تَسْأَلُوا
فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ^(٤).

شرح الألفاظ الغريبة:

مقنوط: ميؤوس، من القنوط وهو اليأس؛ مستنكف: الاستنكاف: الاستكبار؛
مُنِي لها الفناء: - ببناء الفعل للمجهول - أي قُدِّر لها؛ الجلاء: الخروج من الأوطان؛
التبست بقلب الناظر: اختلطت به محبة؛ البلاغ: ما يتبَّلع به، أي يُقْتَل به مدّة الحياة؛
الكفاف: ما يكفّك أي يمنعك عن سؤال غيرك، وهو مقدار القوت^(٥).

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: خضراء.

(٢) في نهج البلاغة للمحقّق الشيخ العطار: عَجَلَتْ.

(٣) في شرح نهج ابن ميثم ونهج محمد عبده: عَنْهَا.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٨٥/خطبة رقم ٤٥، وهي في نهج البلاغة، تحقيق الشيخ العطار:

١٠٦/خطبة رقم ٤٥، شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١١٧ - ١١٨/خطبة رقم ٤٤، نهج

البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ١٠٤ - ١٠٥.

(٥) شرح الألفاظ الغريبة: ٥٨٠.

شرح ابن ميثم البحراني:

اعلم أنه نبيه على استحقاق الله تعالى للحمد ودوامه باعتبار ملاحظة ستة أحوال:
 فأشار إلى الحالة الأولى بقوله: غير مقنوط من رحمته مقرراً لقوله تعالى:
 ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)، ولقوله: ﴿لَا تَيَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا
 يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾^(٢) وهذه الحال مما يشهد بإثباتها العقل
 إذ كان العبد عند أخذ العناية الإلهية بضبعيه يعلم استناد جميع الموجودات كليها
 وجزئها إلى مدبر حكيم، وأنه ليس إلا منها خالياً عن حكمة فيستليح من ذلك أن
 إيجاد له وأخذ العهد إليه بالعبادة ليس إلا لينجذب إلى موطنه الأصلي ومبدئه الأولي
 بالتوحيد المحقق والحمد المطلق عن نار أججت وجحيم سمرت، ﴿وَمَا خَلَقْتُ
 الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣)، فلا ييأس من روح الله عند نزول أمر واجب
 النزول به مما يعدّه شراً بل يكون برجائه أوثق وقلبه بشموله العناية له أعلق فإنه
 لا ييأس من روح الله إلا الذين عميت أبصار بصائرهم عن أسرار الله، فهم في
 طغيانهم يعمهون وأولئك هم الخاسرون.

وأشار إلى الحالة الثانية بقوله: «ولا مخلو من نعمته»، تقريراً لقوله تعالى: ﴿وَمَا
 بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ﴾^(٤) فيسوغ نعمته دائماً لآثار قدرته التي استلزم طبايعها الحاجة
 إليه فوجب لها فيض جوده فاستلزم ذلك وجوب تصريحها بلسان حالها ومقالها

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) يوسف: ٨٧.

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) النحل: ٥٣.

بالثناء المطلق عليه ودوام الشكر له، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١).

وأشار إلى الحالة الثالثة بقوله: «ولا ما يوس من مغفرته» تقريراً لقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ...﴾ الآية^(٢)، وهي شهادة بشمول ستره وجميل عفوه وغفره لمن جذبت بعقله أيدي شياطينه لتحطه إلى مهاوي الهلاك فعجز عن مقاومتها بعد أن كانت له مسكة بجانب الله فضعفت تلك المسكة عن أن تكون منجاة له حال مجاذبته لهواه وإن كان ذلك الغفران متفاوتاً بحسب قوة تلك المسكة وضعفها، والعقل ممّا يؤيد ذلك ويحكم بصحة هذه الشهادة فإنّ كلّ ذي علاقة بجانب الله سيخلص من العقاب وإن بعد خلاصه على ما نطق به البرهان في موضعه، وذلك يستلزم الاعتراف بالإحسان ودوام الثناء والحمد. ثمّ أشار إلى الرابعة بقوله: «ولا مستنكف عن عبادته» تقريراً لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(٣) وقوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ...﴾ الآية^(٤) وكونه تعالى غير مستنكف عن عبادته شاهد عظيم على كمال عظمته وأنه المستحق للعبادة دون ما عداه إذ هو المجتمع للكمال المطلق فلا جهة نقصان فيه إليها يشار فيكون سبباً للاستنكاف والاستكبار، وغير، مع محال السلوك الثلاثة بعدها منصوبات على الحال.

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) في شرح نهج ابن ميثم: (لا يستنكفون من عبادته ولا يستكبرون) والصحيح هو المثبت في المتن. الأنبياء: ١٩.

(٤) النساء: ١٧٢.

وقوله: «الذي لا تبرح فيه رحمة ولا تفقد له نعمة»:

اعتباران آخران يستلزمان في ملاحظتهما وجوب شكره تعالى.

ونبّه بقوله: «لا تبرح»: على دوام رحمة الله لعباده، وقوله: «لا تفقد له نعمة»،

كقوله: «ولا مخلوّ من نعمته».

ثم أعقب ذلك بالتنبيه على معائب الدنيا؛ للتنفير عنها، فذكر وجوب الفناء لها، ثم

حذّر بذكر العيب الأكبر لها الذي ترغب - مع ذكره وملاحظته - من له أدنى بصيرة

عن الركون إليها ومحبة قيناتها، وهو مفارقتها الواجبة والجلاء عنها.

ثم أردف ذلك بذكر جهتين من جهات الميل إليها:

إحديهما: منسوبة إلى القوّة الذائقة، وهي حلاوتها، والأخرى: إلى القوّة الباصرة

وهي خضرتها.

وإطلاق لفظيها مجاز كنى به عن جهات الميل إليها، من باب إطلاق لفظ الجزء

على الكل.

وإيراده لهُذين الوصفين - اللذين هما وصفا مدح في معرض ذمّها - كتقدير

اعتراض على ذمّها؛ لغرض أن يجيب عنه، ولهذا عقّب ذكرهما بما يصلح جواباً، وبيّنه

على ما يصرف عن الميل إليها من هاتين الجهتين، وهو كونها معجّلة للطالب؛ إذ كان

من شأن المعجّل أن ينتفع به في حال تعجّبه دون ما بعده، خصوصاً في حقّ من

أحبّ ذلك المعجّل، ولم يلتفت إلى ما سواه.

والدنيا كذلك كما أشار إليه بقوله: «والتبست بقلب الناظر» وإنّما خصّ الناظر

لتقدّم ذكر الخضرة، التي هي من حظّ النظر، فن عجلت له منحه والتبست بقلبه

وكان لا بدّ من مفارقتها لم ينتفع بما بعدها، بل بقي في عذاب الفراق منكوساً، وفي

ظلمة الوحشة محبوساً، وإليه أشار التنزيل الإلهي: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾^(١). ثم لما نبّه على معائبها أمر بالارتحال عنها ولم يأمر به مطلقاً، بل لابدّ معه من استصحاب أحسن الأزواد؛ إذ كانت الطريق المأمور بسلوكها في غاية الوعارة مع طولها وقصر المدّة التي يتخذ فيها الزاد، فلا ينفع إذن إلّا الزاد الأقوى الأبقى الذي لا يتطرّق إليه فناء.

ولا تفهمنّ - أعدك الله لإفاضة رحمته - من هذا الارتحال الحسيّ الحاصل لك من بعضها إلى بعض، ولا من الزاد المأكول الحيوانيّ فإنّ أحسن ما يحضرنا منه ربّما كان منهياً عنه، بل المأمور به ارتحال آخر يتبيّن من تصوّر سلوك طريق الآخرة.

فإنّك لما علمت أنّ الغاية من التكاليف البشريّة هي الوصول إلى حضرة الله ومشاهدة جلال كبريائه، علمت من ذلك أنّ الطريق إلى هذا المطلوب هي آثار جوده وشواهد آلائه، وأنّ القاطع لمراحل تلك الطريق ومنازلها هو قدم عقلك مقتدياً بأعلامها الواضحة، كلّما نزل منها منزلاً أعدّته المعرفة به؛ لاستلاحة أعلام منزل آخر أعلى وأكرم منه كما قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾^(٢) إلى أن يستقرّ ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٣).

وإذا تصوّرت معنى الارتحال - وقد علمت أنّ لكلّ ارتحال وسفر زاد - أعلمت أنّ أكرم الزاد وأحسنه في هذا الطريق ليس إلّا التقوى والأعمال الصالحة، التي هي غذاء

(١) الإسراء: ١٨.

(٢) الانشقاق: ١٩.

(٣) القمر: ٥٥.

للعقول ومادّة حياتها، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(١)، وأشار بقوله: «ما بحضرتكم»: إلى ما يمكننا أن نأتي به من الأعمال الصالحة في حياتنا الدنيا، ثمّ عقب الأمر باتخاذ الزاد بالنهي عن طلب الزيادة على ما يقوم به صورة البدن من متاع الدنيا؛ إذ كان البدن بمنزلة مركوب تقطع به النفس مراحل طريقها، فالزيادة على المحتاج إليه ممّا يحوج الراكب إلى الاهتمام به والعناية بحفظه المستلزم لمحبتّه، وكلّ ذلك مثقل للظهر، ومشغل عن الجهة المقصودة، وذلك معنى قوله: «ولا تسألوا منها فوق الكفاف، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ»، ولا تمدّن أعينكم فيها إلى ما متّع المترفون؛ فتقصروا في الرحيل وتشغلوا بطلب مثل ما شاهدتم، وبالله التوفيق^(٢).

الدنيا في خطبة له في التزهيد في الدنيا، قال عليه السلام:

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَآذَنْتْ بِانْقِضَاءِ^(٣)، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَدَّاءَ، فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو^(٤) بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَ مِنْهَا^(٥) مَا كَانَ حُلُوءًا، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفُوءًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةٍ

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٢: ١١٨ - ١٢١ / شرح الخطبة رقم ٤٤.

(٣) في شرح نهج ابن ميثم البحراني ونهج الشيخ محمد عبده: (بوداع) بدل (بانقضاء).

(٤) في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده: (وتحدر) بدل (وتحدو).

(٥) في نهج البلاغة لصبحي صالح: (فيها) بدل (منها).

الْأِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةً كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَرَّزَهَا الصَّدَيَانُ لَمْ
يَنْتَفِعْ، فَأَزْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ، الْمَقْدُورِ عَلَى
أَهْلِهَا الزَّوَالِ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ
الْأَمَدُ..^(١)

شرح الألفاظ الغريبة:

أذنت: أعلمت؛ تنكر معروفها؛ خفي وجهها؛ حذاء: ماضية، سريعة، وقد سبق
تفسيرها، وفي رواية «جذاء» - بالجيم - أي مقطوعة الدرّ والخبر؛ تحفزهم: تدفعهم
وتسوقهم؛ تحذو: - بالواو بعد الدال - تسوقهم بالموت إلى الهلاك؛ أمر الشيء: صار
مُراً؛ كدر كدراً: - كفرح فرحاً - وكدر - بالضم - كظرف، كدورة: تفكر وتغير لونه
واختلط بما لا يستساغ هو معه؛ السملة: - محرّكة - بقيه الماء في الحوض؛ والأداوة:
المطهرة، وهي إناء الماء الذي يُنظّهر به؛ المقلّة: - بالفتح - حصة يضعها المسافرون في
إناء، ثم يصبّون الماء فيه ليغمرها، فيتناول كلّ منهم مقدار ما غمره. يفعلون ذلك إذا
قلّ الماء، وأرادوا قسمته بالسوية؛ التمرّز: الامتصاص قليلاً قليلاً؛ والصديان:
العطشان؛ لم ينفع: لم يؤز؛ أزمعوا الرحيل: أي أعزموا عليه، يقال: أزمع الأمر،
ولا يقال أزمع عليه؛ المقدور: المكتوب^(٢).

(١) نهج البلاغة لصبيحي صالح: ٨٩/خطبة رقم ٥٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ١١١/خطبة
رقم ٥٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٢: ١٣٧/خطبة رقم ٥١، ونهج البلاغة لمحمد عبده: ١:
١١٠ - ١١١.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٥٨١.

شرح ابن ميثم البحراني:

اعلم أن مدار هذا الفصل على أمور ثلاثة:

أحدهما: التنفير عن الدنيا، والتحذير منها، والنهي عن تأميلها، والأمر بالرحيل عنها.

الثاني: التنبيه على عظيم ثواب الله، وما ينبغي أن يرجى منه ويلتفت إليه. ويقصد بالرحيل بالنسبة إلى ما الناس فيه مما يتوهم خيراً في الدنيا، ثم على عظيم عقابه وما ينبغي أن يخاف منه.

الثالث: التنبيه على عظمة نعم الله على الخلق، وأنه لا يمكن جزاءها بأبلغ المساعي وأكثر الاجتهاد.

أما الأول: فأشار بقوله: «ألا وإن الدنيا قد تصرّمت...» إلى قوله: «فيها الأمد». وقد علمت أن تصرّمها: هو تقضي أحوالها الحاضرة شيئاً فشيئاً بالنسبة إلى من وجد فيها في كلّ حين، وأنّ إذنها بالانقضاء: هو إعلامها بلسان حالها لأذهان المعتبرين أنّها لا تبقى لأحد.

فأما تنكّر معروفها فعنائه: تغييره وتبدّله، ومثاله أن الإنسان إذا أصاب لذّة من لذّات الدنيا - كصحّة أو أمنٍ أو جاهٍ ونحوه - أنس إليه وتوهم بقاءه له؛ وكان ذلك معروفها الذي أسدته إليه وعرفه وألفه منها، ثمّ إنّه عن قليل يزول ويتبدّل بضدّه، فيصير بعد أن كان معروفاً مجهولاً، وتكون الدنيا كصديق تنكّر في صداقته ومزجها بعداوته.

وقوله: «وأدبرت حدّاء»: أي ولّت حال ما لا تعلّق لأحد بشيء منها مسرعة، واستعار لفظ الإِدبار لانتقال خيراتها عمّن انتقلت عنه بموته أو غير ذلك من وجوه

زوالها، ملاحظة لشبهها بملك أعرض عن بعض رعيته برفده وماله وبرّه.

قوله: «فهني تحفز بالفناء سكّانها وتحذو بالموت جيرانها».

استعار لها وصفي السائق والحادي استعارة بالكناية.

ووجه المشابهة: كونهم قاطعين لمُدّة العمر بالفناء والموت فهني مصاحبته لهم بذلك، كما يصحب السائق والحادي للإبل بالسوق والحذاء، وإن أُريد بالحفز الطعن فيكون قد تجوَّز بنسبته إلى البلاء؛ ملاحظة لشبه مصائب الدنيا بالرماح، وكذلك استعار لفظ الفناء والموت لآلة السوق والحذاء، ونزّلها منزلة الحقيقة.

ووجه المشابهة كون الموت هو السبب في انتقال الإنسان إلى دار الآخرة، كما أنّ الصوت والوسط - مثلاً للذين هما آلتا الحذاء والسوق - هما اللذان بهما يحصل انتقال الإبل من موضع إلى موضع.

وقوله: «وقد أمرّ منها ما كان حلوّاً، وكدر منها ما كان صفوّاً».

كقوله: «وتتكرّ معروفها»: أي إنّ الأمور التي تقع لذيدة فيها ويجدها الإنسان في بعض أوقاته صافية حلوّة خالية من كدورات الأمراض ومرارة التنغيص بالعوارض الكريهة، هي في معرض التغيّر والتبدّل بالمرارة والكدر فما من شخص يخاطبه بما ذكر إلّا ويصدق عليه أنّه قد عرضت له من تلك اللذات ما استعقب صفوها كدراً، وحلاوتها مرارة إمّا من شباب يتبدّل بكبرٍ، أو غنى بفقرٍ، أو عزّ بذلٍّ، أو صحّة بسقمٍ. وقوله: «فلم يبق منها إلّا سملة...» إلى قوله: «لم ينفع».

تقليل وتحقير لما بقي منها لكلّ شخص شخص من الناس فإنّ بقائها له على حسب بقائه فيها، وبقاء كلّ شخص فيها يسير ووقته قصير.

واستعار لفظ السملة لبقيتها، وشبهاً ببقية الماء في الإداوة، وبجرعة المقلّة.

ووجه الشبه: ما أشار بقوله: «لو تمزّزها الصديان لم ينقع»: أي كما أنّ العطشان الواحد لبقية الإداوة والجرعة لو تمصصها لم ينقع عطشه، كذلك طالب الدنيا المتعطّش إليها الواحد لبقية عمره ولليسير من الاستمتاع فيه بلذات الدنيا لا يشفي ذلك غليله، ولا يسكن عطشه منها؛ فالأولى إذن تعويد النفس بالفطام عن شهواتها.

وقوله: «فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار»:

أمر لهم بعد تحقيرها والتنفير عنها بالإجماع وتصميم العزم على الرحيل عنها بالالتفات إلى الله، والإقبال على قطع عقبات الطريق إليه، وهو الرحيل الحقّ عن الدنيا.

وقوله: «المقدور على أهلها الزوال»:

تذكير بما لا بدّ من مفارقتها لتخفّ الرغبة فيها، ثمّ أعقب ذلك بالنهي عن متابعة الأمل في لذاتها فإنّه ينسي الآخرة، كما سبقت الإشارة إليه، وذكر لفظ المغالبة تذكيراً بالأنفة، واستشارة للحمية من نفوسهم، ثمّ بالنهي عن توهم طول مدّة الحياة، واستبعاد الغاية التي هي الموت، فإنّ ذلك يقسي القلب، فيورث الغفلة عن ذكر الله، كما قال تعالى: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ^(١).

وأما الثاني: فهو التنبيه على عظيم ثواب الله وعقابه.

فاعلم أنّه لما حقرّ الدنيا وحذّر منها وأمر بالارتحال عنها؛ أشار بعد ذلك إلى ما ينبغي أن يعظّم ويلتفت إليه ويرجى ويخشى، وهو ثواب الله وعقابه، فأشار إلى تعظيمها بتحقيق الأسباب والوسائل التي يعتمد عليها العباد، وهي غايات جهدهم بالنسبة إلى ما ينبغي أن يرجى من ثوابه ويخشى من عقابه، وتلك الأسباب من شدة

٤٦ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

الحنين والوله إلى الله، والدعاء المستمر والتضرع المشبه بتبتل الرهبان، هذا في طريق العبادة. وإنما خص التشبيه بمبتلي الرهبان؛ لشهرتهم بشدة التضرع، وكذلك الخروج إلى الله من الأموال والأولاد، وهو أشد الزهد..^(١).

الدنيا في خطبة له في التزهد، قال عليه أفضل الصلاة والسلام:

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ ... - إلى أن يقول عليه السلام في نعم الله: -
وَتَأَلَّلَهُ^(٢) لَوْ أَنْمَأَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْمِيَاءً، وَسَلَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ
إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا^(٣)، ثُمَّ عَمَّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، مَا
جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ - وَلَوْ لَمْ تُنْفِقُوا شَيْئًا مِنْ جَهْدِكُمْ - أَنْعَمَهُ
عَلَيْكُمْ أَلْعِظَامَ وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ^(٤).

شرح الألفاظ الغريبة:

انمأئت انمياثاً: ذابت ذوباناً^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٢: ١٣٨ - ١٤١ / شرح الخطبة رقم ٥١.

(٢) في شرح نهج ابن أبي عمير البحراني ونهج الشيخ محمد عبده: (والله) بدل (وتأللله).

(٣) في نهج المحقق الشيخ العطار: (دماء) بدل (دماً).

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٨٩ - ٩٠ / ضمن الخطبة رقم ٥٢، وفي نهج الشيخ العطار: ١١١ -

١١٢ / ضمن الخطبة رقم ٥٢، وشرح نهج ابن أبي عمير ٢: ١٣٨ / خطبة رقم ٥١، ونهج محمد عبده

١: ١١١.

(٥) شرح الألفاظ الغريبة: ٥٨٢.

شرح ابن ميثم البحراني:

وأما الثالث: وهو التنبيه على عظيم نعمة الله تعالى على العباد، فنبّه عليه أن كلّ ما أتوا به من الأعمال التي بذلوا جهدهم فيها في طاعة الله - وما عساه يمكنهم أن يأتوا به منها - فهو قاصر عن مجازاته نعمه العظام، وقد سبق بيان ذلك، ورُتب المطلوب في صورة شرطية متصلة أيضاً مقدّمها مركّب من أمور:

أحدها: قوله: «لو انمائت قلوبكم»: أي ذابت خوفاً منه ووجداً منه، وكُنّي بذلك عن أقصى حال الخائف الراجي لربه في عبادته.

الثاني: قوله: «وسالت عيونكم دماً» وهو كالأول.

الثالث: قوله: «ثم عمّرت في الدنيا ما الدنيا باقية»: أي مدّة بقاء الدنيا.

وتاليها: قوله: «وما جزت أعمالكم...» إلى آخره: وأنعمه: منصوب مفعول جزت؛ وهده في محلّ النصب عطفاً عليه، وإنّما أفرد الهدى بالذكر وإن كان من الأنعم لشرفه؛ إذ هو الغاية المطلوبة من العبد بكلّ نعمة أُفيضت عليه، فإنّه لم يخلق ولم يفيض عليه أنواع النعم الإلهيّة إلّا لتأهّل قلبه، ويستعدّ نفسه لقبول صورة الهدى من واهبها، فيمشي بها في ظلمات الجهل إلى ربه، ويجوز بها عقبات صراطه المستقيم، وأكّد ملازمة هذه المتّصلة بالقسم البارّ، وكذلك المتّصلة السابقة، وفائدة هذا التنبيه بعث الخلق على الشكر، وتوفير الدواعي على الاجتهاد في الإخلاص لله؛ حياءً من مقابلة عظيم إنعامه بالتقصير في شكره والتشاغل بغيره. وبالله التوفيق^(١).

(١) شرح نهج ابن ميثم البحراني ٢: ١٤١ - ١٤٢ / شرح الخطبة رقم ٥١.

الدنيا في خطبة له عليه السلام يحذر من فتنة الدنيا، قال عليه السلام:

أَلَا وَ^(١) إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ
كَانَ لَهَا، أَبْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ
وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا
فِيهِ؛ فَإِنَّهَا ^(٢) عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفْيٍ الظِّلُّ بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى
قَلَصَ، وَزَائِدًا حَتَّى نَقَصَ ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

بيننا: أصله بين بمعنى التوسط فأشبع الفتحة فحدثت ألف، وقد تزداد ما فيقال
بيننا والمعنى واحد، وتحقيق الظرفية هنا أَنَّ الظِّلَّ دائر بين السبوغ والتقلص والزيادة
والنقصان، وقلص الظل: نقص أو انقبض؛ سابغاً: ممتداً ساتراً للأرض ^(٤).

شرح ابن ميثم البحراني:

الغرض من هذا الفصل: التحذير من الدنيا، والتنبيه على وجوب لزوم أوامر الله
فيها، وأشار إلى ذلك في أوصاف لها:

(١) (الواو) ليست في نهج صبحي صالح.

(٢) في نهج الشيخ العطار: (وَأَنَّهَا) بدل (فَائِنَهَا).

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٩٤/خطبة رقم ٦٣، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ١١٨/خطبة
رقم ٦٢، وشرح نهج ابن ميثم ٢: ١٥٨/خطبة رقم ٦٠، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١:
١١٨.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة في صبحي صالح: ٥٨٣، وشرح ابن ميثم البحراني ٢: ١٥٨.

الأول: كونه «لا يسلم منها إلا فيها»، وتحقيق ذلك: أنه لا دار إلا الدنيا والآخرة، وقد علمت أن أسباب السلامة هي الزهد والعبادة وسائر أجزاء الرياضة، وشيء منها لا يمكن في الآخرة، بل كلها أعمال متعلقة بالبدن؛ فإذن لا يتحقق ما يلزمها من السلامة من الدنيا إلا في الدنيا.

الثاني: كونها «لا ينجي بشيء كان لها».

وفيه إيحاء إلى ذم الرياء في الأقوال والأفعال، وتحذير من كل عمل وقول قصد به الدنيا فإن شيئاً من ذلك لا حظ له في استلزام النجاة في الآخرة، بل ربما كان سبباً للهلاك فيها لما أن الاشتغال بمهمات الدنيا منسٍ للآخرة.

الثالث: كونها قد «ابتلي الناس بها فتنة».

وفتنة منصوب بالمفعول له، ويحتمل أن يكون مصدراً سد مسد الحال، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(١). ولنبحث عن معنى الابتلاء بالدنيا وكونها فتنة.

اعلم أنه ليس المراد أن الله تعالى لا يعلم ما يؤول إليه أحوال العباد وما يكون منهم بعد خلقهم وابتلائهم بالدنيا؛ فإنه تعالى هو العالم بما كان وما يكون قبل كونه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٣)، بل الكشف عن حقيقة الابتلاء

(١) الأنبياء: ٣٥.

(٢) النمل: ٧٥.

(٣) الحديد: ٢٢، وفي شرح الخطبة جاءت الآية هكذا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ...﴾.

أنه لما كان الإنسان إنما يكون إنساناً بما خُلِقَ فيه من القوى الشهويّة والغضبيّة وما يتبعها، وكان لهذه القوى ميول طبيعيّة إلى حاضِر اللذات الدنيويّة فهي مشتهياتها ولا ابتهاج لها إلّا بها، ولا حظّ لها من غيرها، وكانت النفوس الإنسانيّة مخالطة لهذه القوى وهي آلاتها، ولا وجه لها في تصرّفاتِها غالب الأحوال إلّا هي، وكانت تلك القوى في أكثر الخلق جاذبة لنفوسها إلى مشتهياتها الطبيعيّة بالطبع، وكانت تلك النفوس في أكثر الناس منقادّة لقواها، معرضة عن الآخرة، مشغولة بحاضر ما وجدته من لذات الدنيا عن تصوّر ماورائها، ثمّ مع ذلك كان المطلوب منها ما يضاف ذلك وهو ترك حاضِر الدنيا، ومنازعة هذه القوى في مشتهياتها، وجذبها عن التوجّه بكليّتها إليها؛ لمتابعة النفس في التفاتها عن ذلك إلى أمر لا يتصوّر في الدنيا إلّا بالأوصاف الخياليّة كما هو وظيفة الأنبياء عليهم السلام مع الخلق، كانت إرادته تعالى لذلك الالتفات مع ما هم فيه من منازعة الهوى، فإن أطاعوه هلكوا وإن عصوه نجوا صورة امتحان.

فأشبه ذلك ما يعتمدُه أحدنا عند عبده إذا أراد مثلاً اختبار صبره ومحنته له فوهب له جميع ما يشتهيه، ثمّ كلفه مع ذلك بتكاليف شاقّة لا يتمكّن من فعلها إلّا بالتفاته من مشتهاه وتنغيصه عليه، فلا جرم صدقت صورة الابتلاء والاختبار من الله في الوجود، وكذلك ظهر معنى كونها فتنة، فإنّ الفتنة الامتحان والاختبار، وإن قدّرناها حالاً فهي بمعنى الضلال، ويعود إلى جذبها للنفوس إلى حاضِر لذاتها عن سنن الحقّ.

الرابع: كونهم «ما أخذوه منها أخرجوا منه وحوسبوا عليه»، وهو تنبيه على وجوب قصد الآخرة بما يؤخذ من الدنيا ويتصرّف فيه، وتنفير أن يجعل المأخوذ منها لمجرد التمتع بها بذكر وصفين:

أحدهما: وجوب مفارقة المأخوذ منها والإخراج منه.
والثاني: الحساب عليه في الآخرة^(١)... الخ.

الدنيا في خطبة له في المبادرة إلى صالح الأعمال، قال عليه السلام:

وَاتَّقُوا^(٢) اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَابْتَاعُوا
مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ،
وَأَسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَلَكُمْ، وَكُونُوا قَوْمًا صَاحِبِ بِهِمْ
فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا؛ فَإِنَّ
اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(٣) لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَمَا بَيْنَ
أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ^(٤)...

شرح الألفاظ الغريبة:

بادروا آجالكم بأعمالكم: أي سابقوها وعاجلوها بها؛ ابتاعوا: اشتروا ما يبقى
من النعم الأبدي، بما يفني من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية؛ الترحل: الانتقال
والمراد هنا لازمه، وهو: إعداد الزاد الذي لا بد منه للرحيل؛ جدد بكم: أي حشتم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٢: ١٥٨ - ١٦٠ / شرح الخطبة رقم ٦٠.

(٢) في نهج البلاغة لصبحي صالح: (فاتقوا) بدل (واتقوا).

(٣) كلمة (سبحانه) ليست في نهج الشيخ العطار.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٩٥ / خطبة رقم ٦٤، ونهج العطار: ١١٩ / خطبه رقم ٦٣، وشرح

نهج البلاغة لابن أبي عمير ٢: ١٦١ / خطبة رقم ٦١، ونهج محمد عبده ١: ١١٨ - ١٢٠.

وَأُزْعِجْتُمْ إِلَى الرِّحِيلِ؛ أَظَلَّكُمْ: قرب منكم من كأنَّ له ظلاً قد ألقاه عليكم؛ سدى: مهملين^(١).

شرح ابن ميثم البحراني:

حاصل هذه الموعظة: التنفير من الدنيا، والترغيب في الآخرة وما يكون وسيلة إلى نعيمها، والترهّب بما يكون سبباً للشقاء فيها.

فقوله: «واتقوا الله...» إلى قوله: «بأعمالكم»:

فيه تنبيه على وجوب لزوم الأعمال الصالحة، وحثّ عليها بالأمر بمسابقة الآجال وعلى توقّع سرعة الأجل وإخطاره بالبال، وهو من الجواذب القويّة إلى الله تعالى. ونسب المسابقة إلى الآجال ملاحظة لشبهها بالمراهن، إذ كان لحوقها حائلاً بينهم وبين الأعمال الصالحة الشبيهة بما يسبق عليه من رهن.

فقوله: «وابتاعوا ما بقي..» إلى قوله: «عنكم»:

إشارة إلى لزوم الزهد في الدنيا، والتخلّي عن متاعها الفاني، وأن يشتري به ما يبقى من متاع الآخرة؛ وقد عرفت غير مرّة إطلاق لفظ البيع هنا، وقيد المشتري بما يبقى، والثمن بما يزول؛ ليكون المشتري أحبّ إلى النفوس لبقائه.

وقوله: «وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ»:

أمر بالترحيل، وهو قطع منزل منزل من منازل السفر إلى الله تعالى في مراتب السلوك لطريقه.

ونبّه على وجوب الترحّل بقوله: «قد جُدَّ بكم»: أي في السير إلى آجالكم بقوة،

(١) شرح الألفاظ الغريبة لصبحي صالح: ٥٨٢.

الفصل الأول: الدنيا في خطب أمير المؤمنين عليه السلام ٥٣

وذلك الجدّ يعود إلى سرعة توارد الأسباب التي تعدّ المزاج للفساد وتقوّبه إلى الآخرة؛ ملاحظة لشبهها بسائق الإبل ونحوها.

وقوله: «واستعدّوا للموت فقد أظلكم»:

الاستعداد له هو باستكمال النفوس كماها الذي ينبغي؛ حتّى لا يبق للموت عندها كثير وقع، بل يكون محبوباً؛ لكونه وسيلة إلى المحبوب، وهو لقاء الله والسعادة الباقية في حضرة الملائكة الأعلى.

ونبّه بقوله: «فقد أظلكم» على قرب، واستلزم ذلك تشبيهه بالسحاب والطيور، فاستعير له وصف الإِظلال.

وقوله: «وكونوا قوماً صيحين فانتبهوا»:

تنبيه لهم على الالتفات إلى منادى الله، وهو لسان الشريعة، والانتباه بندائه من مراقب الطبيعة.

وقوله: «وعلموا...» إلى قوله: «سدى»:

تنبيه لهم على أنّ الدنيا ليست بدار لهم ليلتفتوا عن الركون إليها ويتوقّعوا الإخراج منها.

ثمّ أمرهم بالاستبدال بها ليدكروا أنّ هناك عوضاً منها يجب أن يلتفت إليه، وهو الدار الآخرة.

ونبّه بقوله: «فإنّ الله لم يخلقكم عبثاً...» إلى آخره: على وجوب العمل لذلك البذل، فإنّهم لم يخلقوا إلّا لأمرٍ وراء ما هم فيه.

وقوله: «ما بين أحدكم...» إلى قوله: «ينزل به»:

تعيين لما خلقوا له ووعدوا بالوصول إليه، وأنّه لا حایل بينهم وبينه إلّا الموت.

قال بعض الشارحين: وهذا الكلام مما يصلح متمسكاً للحكماء في تفسيرهم للجنة والنار، فإنهم لما قالوا: إن الجنة تعود إلى المعارف الإلهية ولوازمها، والنار تعود إلى حب الدنيا والميل إلى مشتهياتها، وتمكّن الهيئات الرديئة في جوهر النفس وعشقها بعد المفارقة لما لا يتمكن من العود إليه، كمن نقل عن مجاورة معشوقه والالتذاذ به إلى موضع ظلمي شديد الظلمة مع عدم تمكنه من العود إليه، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ﴾ الآية^(١)، وكان إدراك لذة المعرفة التامة، وإدراك ألم النار بالمعنى أمراً يتحقق حال مفارقة هذا للبدن؛ إذ كان الإنسان في عالم الشهادة في إدراكه لما حصل في نفسه وتمكّن من الهيئات كعضو مفلوج غطّي خدره على ألمه فإذا أزال الخدر أحسّ بالألم فكذلك النفس بعد الموت تدرك ماها من لذة أو ألم كما هو لزوال الشواغل البدنية عنها.

قلت: وهذا الكلام أيضاً ظاهر على مذهب المتكلمين إذ جاء في الخبر أن العبد يكشف له الموت عما يستحقّه من جنة أو نار ثمّ يؤجّل ذلك إلى قيام القيامة الكبرى^(٢).

الدنيا في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وتسمّى بالغراء، يقول في مطلعها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِحٌ كُلَّ غَنِيمَةٍ
وَفَضْلٍ، وَكَاشِفٌ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ - إلى أن يقول عليه أفضل

(١) المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٢: ١٦٢ - ١٦٤ / شرح الخطبة رقم ٦١.

الصلاة والسلام متنفراً من الدنيا: - فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنَقٌ مَشْرُبُهَا، رَدْعٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا. غُرُورٌ حَائِلٌ، وَضَوْءٌ أَفِلٌ، وَظَلٌّ زَائِلٌ، وَسَنَادٌ مَائِلٌ حَتَّى إِذَا أَنْسَ نَافِرُهَا، وَأَطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَيِّتَةِ، قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةَ الْمَرْجِعِ، وَمُعَايِنَةَ الْمَحَلِّ وَثَوَابِ الْعَمَلِ، وَكَذَلِكَ أَخْلَفَ بِعَقَبِ السَّلَفِ^(١)، لَا تُقْلَعُ الْمَيِّتَةُ اخْتِرَاماً، وَلَا يَرْعَوِي أَلْبَاقُونَ اجْتِرَاماً، وَيَحْتَذُونَ مِثَالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ، وَصَيُورِ الْفَنَاءِ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

عَلَا بِجَوْلِهِ: عزّ وارتفع عن جميع ما سواه، لقوّته المستعلية بسلطة الإيجاد على كلّ قوّة؛ دَنَا بِطَوْلِهِ: أيّ إنّه مع علوّه سبحانه وارتفاعه في عظّمته دنا وقرب من خلقه بطَوْلِهِ: أيّ عطائه وإحسانه؛ الْأَزْلُ: - بالفتح - الضيق والشدة؛ رَنَقٌ: - كفرح - كدِرٌ؛ رَدْعٌ: كثير الطين والوحل؛ المشرع: مورد الشاربة للشرب؛ يُونِقُ: يُعْجِبُ؛ يُوبِقُ: يُهْلِكُ؛ حَائِلٌ: اسم فاعل من حال، إذا تحوّل وانتقل؛ وضوءٌ أَفِلٌ: غائب لا يلبث أن يظهر حتّى يغيب؛ السَّنَادُ: - بالكسر - ما يستند إليه أو دعامة يُسْنَدُ بها السقف؛

(١) في شرح نهج ابن ميثم البحراني ونهج الشيخ محمد عبده (يَعْقُبُ السَّلَفُ).

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٠٧ - ١٠٨ / خطبة رقم ٨٣، وفي نهج البلاغة للمحقّق الشيخ العطار: ١٣٤ - ١٣٦ / خطبة رقم ٨٢، وفي نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٢٣٠ - ٢٣٥ / خطبة رقم ٨٠، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ١٤٣ - ١٤٦.

اطمأنّ ناكرها: - اسم فاعل من نَكَرَ الشيء، من باب علم - أي جهله فأنكره؛ قَصَّ الفرس وغيره يقمص - من بابي ضرب ونصر - قَصّاً وقصاً: أي استنّ، وهو أن يرفع يديه وبطرحهما معاً؛ قَنَصَتْ بأخْبُلِها: اصطادت بشباكها وحبالها؛ أَقْصَدَتْ: قَتَلَتْ مكانها من غير تأخير؛ أَغْلَقَتْ به: رَبَطَتْ بَعُنْقِهِ؛ أَوْهَقَ المنيّة: جمع وَهَقَ: - بالتحريك أو بفتح فسكون - كما يقال نهر ونهر، أي حبال الموت؛ ضَنُك المَضْجَع: ضيق المَرْقَد، والمراد القبر؛ مُعَايِنَةُ المَحَلِّ: مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم؛ تَوَابِ العَمَل: جزاؤه الأعمّ من شقاء وسعادة؛ المَخْلَفُ: المتأخرون؛ السَّلَفُ: المتقدمون؛ بَعَقَبَ: - بياء الجرّ وسكون القاف - بمعنى بعد، وأصله جري الفرس بعد جريه، يقال: لهذا الفرس عقب حسن؛ لا تُقْلِعُ المنيّةُ اخْتِراماً: أي لا تكفّ المنيّة عن احترامها، أي استئصالها للأحياء؛ لا يرعوي الباؤون: أي لا يرجعون ولا يكفّون؛ اجْتِراماً: افتعال من الجرم، أي اقتراف السيئات؛ يَحْتَدُونَ مثلاً: أي يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم، ويقتدون بهم؛ يَمْضُونَ أَرْسَالاً: جمع رَسَلَ - بالتحريك - وهو القطيع من الإبل والغنم والخيول؛ صَيَّور الأمر: - كَتَّور - مصيرُه وما يؤول إليه^(١).

شرح نهج ابن ميثم البحراني:

مدار هذا الفصل على التنفير عن الدنيا بذكر معايها وما يؤول إليه، وذكر لها أوصافاً:

الأول: كونها «رنق مشربها»، وهو كناية عن كدر لذاتها بشوائب المصائب من الهموم والأحزان، والأعراض والأمراض.

(١) شرح الألفاظ الغريبة لصبحي صالح: ٥٨٨ - ٥٩٠.

الثاني: كونها «ردغ مشرعا»، ومشرعا: محلّ الشروع في تناولها والورود في استعمالها، وكونه ردغاً: وصف للطريق المحسوس استعير له، ووجه المشابهة: كون طريق الإنسان في استعمال الدنيا والتصرّف فيها ذات مزالق ومزال أقدام تهوي به إلى جهنّم لا يثبت فيها إلّا قدم عقل قد هجر في ضبط قواه، وقهر سطوة شياطينه، كما أنّ الطريق ذات الوحل كذلك، وهو من لطائف إشاراتهِ عليه السلام.

الثالث: كونها «يُونُقُ منظرها، ويوبق مخبرها»: وهو إشارة إلى إعجابها لذوي الغفلة بزينتها الحاضرة، مع هلاكهم باختبارها، وذوقهم لحلاوتها، وغرض الالتذاذ بها.

الرابع: كونها «غروراً حائلاً»: - يروى بفتح الغين وضمّها - ومعنى الأول ذات غرور: أي تغرّ الخلق بزخارفها فيتوهّمون بقاءها ثمّ تنتقل عنهم وتحوّل، ومن روى بالضمّ جعلها نفسها غروراً: والغرور يطلق على ما يغترّ به حقيقة عرفيّة.

الخامس: كونها «ضوءاً آفلاً»: استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين، يقال: على فلان ضوء: أي له منظر حسن، أو لما ظهر لهم من وجوه مسالكها فاهتدوا به إلى تحصيلها ومداخلها ومخارجها؛ وعلى التقديرين فهو ضوء آفل لا يدوم، ولفظ الأفل أيضاً مستعار.

السادس: «وظلٌّ زائلٌ»: استعار لفظ الظلّ لما يأوي إليه الإنسان من نعيمها، فيستظلّ به من حرارة بؤسها، وظاهر كونه زائلاً.

السابع: كونه «سناداً مائلاً»: استعارة أيضاً للفظ السناد فيما يعتمد الغافلون عليه

من قيناتها وخيراتها التي لا أصل لها ولا ثبات، بل هي ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(١)، وذكر الميل ترشيح للاستعارة.

الثامن: كونها تغرّ الناس بضوءها وظلّها وبهجة منظرها إلى غاية أن يستأنس بها من كان بعقله نافرّاً عنها، ويطمئنّ إليها من كان بمقتضى فطرته منكرّاً لها، حتّى إذا كان ذلك منه طوعاً لها فعلت به أفعال العدوّ الخدوع، ونسب إليها من الأفعال أموراً:

أحدها: «قَصَصَهَا بِالْأَرْجُلِ»: واستعار لفظ القمص؛ لامتناعها على الإنسان حين حضور أجله، كأنّها تدفعه برجليها مؤلّية عنه كما تفعل الدابة، ورشّح بذكر الأجل، وإنّما جمع لاعتبار اليدين مع الرجلين، وذكره بلفظ الرجلين لأنّ القمص إليها أنسب. الثاني: «قَنَصَهَا لَهُ بِأُخْبِلِهَا»: وهو كناية عن تمكّن حبال محبّتها، والهيئات الرديئة المكتسبة منها في عنق نفسه؛ كناية بالمستعار.

الثالث: كونها «أَقْصَدَتْ لَهُ بِأَسْهَمِهَا»: واستعار لفظ الأسهم للأمراض وأسباب الموت، وإقصاها كناية عن إصابتها بالمستعار لأوصاف الرامي تنزيلاً للدنيا منزلته. الرابع: كونها «أَعْقَلَتْهُ حِبَالَ الْمَنِيَّةِ»: وحبالها استعارة لما تجذب به إلى الموت من سائر أسبابه أيضاً، وكذلك لفظ القائد استعارة كنى بها عن انسياق المريض في حبال مرضه الحاصل فيها إلى الأمور المذكور من ضنك المضطجع، وهو القبر ووحشة المرجع، وهو إشارة إلى ما تجده النفوس الجاهلة عند رجوعها من وحشة فراق ما كان محبوباً لها في الدنيا، وما كانت الفتنة من مال وأهل وولد، وهي استعارات لأوصاف الصائد تنزيلاً للدنيا منزلته.

(١) إبراهيم: ٢٦.

«وَمُعَايَنَةُ الْمَحَلِّ»: أي مشاهدة الآخرة التي هي محلّ الجزاء، «وثواب العمل»: أي جزاءه من خيرٍ أو شرٍّ^(١).

الدنيا في خطبة له تسمّى الغراء، قال عليه السلام:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ - إلى أن يقول صلوات
الله عليه في صفة خلق الإنسان: - أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ
الْأَرْحَامِ، وَشَغَفِ الْأَسْتَارِ؛ نُطْفَةً دِهَاقًا، وَعَلَقَةً مِحَاقًا، وَجَنِينًا
وَرَاضِعًا، وَوَلِيدًا وَيَافِعًا، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا، وَلِسَانًا لَا فِظًا،
(وَبَصَرًا لَا حِظًا)^(٢)، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا، وَيُقَصِّرَ^(٣) مُزْدَجِرًا، حَتَّى إِذَا
قَامَ أَعْتَدَالُهُ، وَأَسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا، وَخَبِطَ سَادِرًا،
مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحًا سَعْيًا لِدُنْيَاهُ، فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ،
وَبَدَوَاتِ أَرْبِهِ، لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً، فَمَاتَ فِي
فِتْنَتِهِ غَرِيرًا، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا^(٤)، لَمْ يُفِدْ عِوَضًا،
وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا^(٥)...

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٢٣٦ - ٢٣٧ / في شرح الخطبة رقم ٨٠.

(٢) مابين القوسين ليس في شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني، ونهج محمد عبده.

(٣) في نهج البلاغة تحقيق الشيخ العطار: وَيُقَصِّرَ.

(٤) وفيه: أسيرًا.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٠٧ - ١١٣ / خطبة رقم ٨٣، ونهج البلاغة للعطار: ١٣٤ - ١٤٣ /

خطبة رقم ٨٢، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٢٣٠ - ٢٦٠ / خطبة رقم ٨٢، ونهج محمد

عبده: ١٤٣ - ١٥٧.

شرح الألفاظ الغريبة :

شُغِفُ الأستار: جمع شَغاف، مثل سَحَابٍ وَسُحُبٍ، وهو في الأصل غلاف القلب، استعارة للمَشِيْمَةِ؛ دِهَاقًا: متتابعًا، دهقها صَبَّها بقوة، وقد فسر الدهاق بالملتئة، أي ممتلئة من جرائيم الحياة؛ عَلَقَةً مُحَاقًا: أي خَفِيَ فيها وَحِقَ كُلُّ شَكْلِ وصورة؛ الجَنِين: الولد بعد تصويره مادام في بطن أمه؛ اليافع: الغلام رَاهِقَ العشرين؛ استوى مثاله: أي بلغت قامته حدًّا ما قُدِّرَ لها من النماء؛ خَبَطَ سادِرًا: خَبَطَ البعيرُ، إذا ضرب بيديه الأرض لا يَتَوَقَّى شيئًا، والسادر: المتحير والذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع؛ مَتَحَ الماء: نزعه وهو في أعلى البئر، والماتح الذي ينزل البئر إذا قلَّ ماؤها فيملاً الدلو؛ والغَرُبُ: الدلو؛ الكَدْح: شدة السعي؛ بَدَوَات رَأْيِهِ: جمع بَدَأَ وهي ما بدا من الرأي، أي ذاهبًا فيما يبدو له من رغائبه؛ ولا يَخْتَسِبُ رَزِيَّةً: أي لا يظنُّها، ولا يفكر في وقوعها؛ لا يَخْشَعُ من التَّقِيَّة: أي الخوف من الله تعالى؛ غَرِيرًا: - بِرَأْيَيْنِ مهملتين - أي مغرورًا؛ عَاشَ فِي هَفُوتِهِ... إلى آخره: عاش في أخطائه وخطيئاته الناشئة عن الخطأ في تقدير العواقب؛ لَمْ يُفِدْ: أي لم يستفد ثوابًا ولم يكتسب^(١).

شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني :

أقول: اعلم أنَّ مدار هذا الفصل على وصف حال الإنسان من مبدأ عمره بالنقصان، وبيان نعم الله بترديده في أطوار الخلقة، وتبكيته بمقابلة نعمه بالكفر والغفلة في متابعة الشيطان، وتذكيره بما يكون غايته من حياة الدنيا، وهو الموت، وما يتبعه من أحوال الميِّت بين أهله وأقاربه، وحالهم معه، وما يكون بعد الموت من

(١) شرح الألفاظ الغريبة لصبحي صالح: ٥٩٤.

العذاب في القبر والسؤال والحساب وسائر ما ينفر طبعه منه، ويوجب له الالتفات إلى إصلاح معاده وتذكير مبدئه؛ لعله يتذكر أو يخشى.

وفي تفصيل هذا الفصل نكت:

الأولى: أم للاستفهام، وهو استفهام في معرض التقرير للإنسان وأمره باعتبار حال نفسه، ودلالة خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها. وكأنَّ أم معادلة لهمزة الاستفهام قبلها.

والتقدير: أليس فيما أظهره الله لكم من عجائب مصنوعاته عبرة؟ أم هذا الإنسان وتقلبه في أطوار خلقته وحالاته إلى يوم نشوره؟ كقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١)، وفي بعض نسخ [النهج] أو هذا، بدل [أم هذا] والمعنى واحد. اعلم أنَّ في ملاحظة خلقه الإنسان وما جمع فيها من لطائف الأسرار عبرة تامة، حتى كان عالماً مختصراً، كما أومأنا إليه قبل، وسيأتي.

الثانية: قيل: أول أحوال تكوّن الإنسان زبدية المني، وانتفاخ يظهر فيه فينمو به، وأول ما يتكوّن فيه وعاء الروح بفعل الملك المصور، ثم تحدث ريج من قبل الطبيعة فتثقب ثقباً أمام فوهات العروق بحيث إذا تخلّقت محسوسة صارت عروفاً، ثم يبسط النطفة في أقطارها، وتحدث في الغشاء ثقباً موازية لثقب العروق التي في الرحم يفتح عند الحيض، ويحصل لجميعها مجاري في الغشاء المذكور يؤدي إلى مجرى واحد نافذ إلى عمق النطفة مؤدياً إلى باطنه الدم في عرقين أو عرق، والنفس في عرقين. فإذا تخلّقت هذه المجاري امتصّت النطفة حينئذٍ الغذاء من فوهات تلك العروق،

(١) الذاريات: ٢١.

ونفذ في الصفاق دم يستحيل عن قريب إلى جوهر المتي، وحدث لها خطوط لها مبادئ دموية، ونقطة أولى هي القلب.

ثم لا تزال الدموية تزداد في النطفة حتى تصير علقه، وتكون مثل الرغبة في الأكثر لستة أيام، وابتداء الخطوط الحمر والنطقة بعد ثلاثة أيام أخرى.

ثم بعد ستة أيام وهو الخامس عشر من حين العلوق، تنفذ الدموية في الجميع فتصير علقه، وبعد ذلك باثني عشر يوماً تصير لحماً وتتميز قطعة لحم المضغة وتتميز الأعضاء الرئيسة، وتمتد رطوبة النخاع.

ثم بعد تسعة أيام ينفصل الرأس عن المنكبين، والأطراف عن الضلوع والبطن؛ تميزاً يحس به في بعضهم، ويخفى في بعض حتى يحس به بعد أربعة أيام أخرى تمام الأربعين فيصير جنيناً، وقد يتم ذلك في ثلاثين يوماً، وقد يتم في خمس وأربعين يوماً. وقيل: العدل في ذلك خمسة وثلاثون يوماً فيتحرك في سبعين يوماً، ويولد في مائتين وعشرة أيام وذلك سبعة أشهر، وإذا كان الأكثر لخمسة وأربعين يوماً فتتحرك في تسعين يوماً، ويولد في مائتين وسبعين يوماً، وذلك تسعة أشهر.

فهذه إشارة إلى تنقله في ظلمات الرحم بتدبير الملك المقتدر وواسطة الملك المصور، ولو كشف الغطاء لرأينا هذا التخطيط والتصوير يظهر عليه شيئاً فشيئاً، مع أننا لا نرى المصور ولا آله، فسبحان المقتدر على ما يشاء.

الثالثة: إنما وصف العلقه بالمحاق؛ لأنها لم تفض عليها بعد صورة شخص الإنسان فهي بعد منمحة.

الرابعة: الولد مادام يرضع فهو رضيع، وبعده وليد، فإذا ارتفع قيل: يافع، فإذا

طرّ شاربه فهو غلام، فإذا أدرك فهو رجلٌ، وللرجوليّة ثلاثة حدود: الشباب وهو إلى تمام النّمّ، وبعده الكهولة، وبعدها الشيخوخة.

الخامسة: ذكر الحفظ للقلب واللفظ للسان، واللمحظ للبصر؛ بيان لفوائدها، ثمّ ذكر غاية تلك الفوائد ومقصودها، وهو أن يفهم الإنسان.

مُعْتَبَرًا: أي يستنبط من شواهد آلاء الله دلائل وحدانيّته وسائر نعوت جلاله، ويعبّر فيها إلى استكمال الفضائل النفسانيّة.

«ويقتصر مزدجرًا»: أي يكفّ عبّا لا ينبغي من موبات الأيّام وعن الخوض فيما لا يعنيه مزدجرًا عنها.

السادسة: قوله: «حَتَّىٰ إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَأَسْتَوَىٰ مِثَالُهُ نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا...» إلى آخر الأوصاف، ربّما يعترض فيقال: إنّ كثيراً من الناس لا يكون بهذه الصفة وحينئذٍ لا تصدق عليهم هذه الأحكام.

فجوابه: أنّ إشارته عليه السلام إلى الإنسان - المطلق الذي هو في قوّة البعض - لا الإنسان العامّ، وذلك أنّ الأوصاف المذكورة إذا صدقت على المطلق فقد صدقت على بعض الناس، وذلك البعض هم العصاة المرادون بهذه الأوصاف، والتوبيخ بها لهم؛ وفيه تنبيه للباقيين على وجوب دوام شكر الله، والبقاء على امتثال أوامره ونواهيه.

السابعة: «مَاتِحًا فِي غَرْبٍ هَوَاهُ»: لما استعار لفظ الغرب لهواه الذي يملأ به صحائف أعماله من المآثم، كما يملأ ذو الغرب غربه من الماء؛ رشّح تلك الاستعارة بذكر المتح. الثامنة: المنصوبات العشرون: نُطْفَةٌ، وَعَلَقَةٌ وَجَنِينًا، وَرَاضِعًا، وَوَلِيدًا، وَيَافِعًا، وَمُعْتَبَرًا، وَمُزْدَجِرًا، وَمُسْتَكْبِرًا، وَسَادِرًا، وَمَاتِحًا، وَكَادِحًا، وَغَرِيرًا، وَمُبْلِسًا،

وَمُنْقَاداً وَسَلِساً، وَرَجِيعَ وَصَبٍ، وَنَضْوَ سَقَمٍ، وَنَحْيَاً: كُلُّهَا أحوال، والعامل في كلِّ حال ما يليه من الأفعال.

وَسَعْيَاً: إمّا مفعول به والعامل: كادِحاً، أو مصدر استغنى عن ذكر فعله.
وَيَسِيرَاً: صفة ظرف محذوف أُقيمت مقامه: أي زماناً يسيراً، وروي: أسيراً، فعلى هذا يكون حالاً.

وَجَزَعَاً، وَقَلَقَاً، وَتَقَيَّةً: مفعول له، واستعار أسيراً للعاصي، على الرواية الثانية، ووجه المشابهة: إنّ صاحب الزلّة يقوده هواه إلى هوانه، كما يقاد الأسير إلى ما يكره.
التاسعة: «لَمْ يُفِدْ عَوْضَاً»: أي لم يستفد في الدنيا عوضاً ممّا يفوته منها في الآخرة، والعوض الذي ضيَّعه هو الكمالات التي خلق ليستفيدها وفرضت عليه من الطاعات ولم يقضها من العلوم والأخلاق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في بيان صفات المتّقين... وظنّ الخاطي بالدنيا، يقول عليه أفضل الصلاة والسلام:

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى
نَفْسِهِ، فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ، وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ - إلى أن يقول صلوات
الله عليه في ظنّ الخاطي في الدنيا: - حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا
مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا،
وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا، وَلَا سَيْفُهَا، كَذَبَ الظَّانُّ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٢: ٢٦١ - ٢٦٣ / ضمن شرح الخطبة رقم ٨٠.

لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ
يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

استشعر: لبس الشعار، وهو ما يلي البدن من اللباس؛ وَتَجَلَّبَبَ: لبس الجلباب وهو ما يكون فوق جميع الثياب، وقد سبق تفسيرها؛ مَعْقُولَةٌ على بَنِي أُمَيَّةٍ: مقصورة عليهم، مسخرة لهم، كأَتَمَّ شَدَّوْهَا بعقال كالناقة؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا: أي لبسها؛ جَجَّةٌ: - بفتح الميم - مصدر مرّة من جَجَّ الشراب من فيه إذا رَمَى به؛ والبرهة: المدة من الزمان؛ ولفظ كذا: ألقاه من فيه^(٢).

شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني:

هذا الكلام من فصل يذكر فيه حال بني أُمَيَّةٍ وطول مدّتهم وبلاء الخلق بهم.
فقوله: «يَظُنُّ الظَّانُّ...» إلى قوله: «سَيُفْهَى»: غاية من غايات طول عناء الناس معهم، واستعار للدنيا أوصافاً:
أحدها: كونها مَعْقُولَةٌ: ووجه الاستعارة: ملاحظة شبهها بالناقة في كونها محبوسة في أيديهم، كما تحبس الناقة بالعقال.
الثاني: كونها ذات «دَرٍّ تَمْنَحُهُمْ إِيَّاهُ»: ووجه الاستعارة: أيضاً تشبيهها بالناقة في

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١١٨ - ١٢٠ / ضمن الخطبة رقم ٨٧، وهي في نهج البلاغة للمحقق الشيخ العطار: ١٥٤ / ضمن الخطبة رقم ٨٦، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٢: ٣٠٤ / ضمن الخطبة رقم ٨٤، نهج البلاغة لمحمد عبده ١: ١٦٩.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة لصبحي صالح ٥٩٧ - ٥٩٨، وشرح النهج لابن ميثم ٢: ٣٠٤.

كون ما فيها من فوائدها وخيرها مهية لهم ومصوبة عليهم، كما تبذل الناقة درها حالها.

الثالث: كونها «تُوردهم صفوها»: ونسبة الإيراد إليها مجاز، وتجاوز بالسوط والسيف فيما فيه الأمة معهم من العذاب والقتل ونحوه استعمالاً للفظ السبب في المسبب.

وقوله: «وَكَذَبَ الظَّانُّ لِدَلِيلِهِ...» إلى آخره: رد لما عساه يظن من ذلك بتحقيق ما حصلوا عليه من الأمر ولذتهم به وتحقير مدته، واستعار لذلك لفظ «الحجة» وكفى بكونها مطعومة لهم عن تلذذهم بها مدة إمرتهم، وبكونها ملفوظة عن زوال الإمرة عنهم.

وأكد ذلك الزوال بقوله: «جُمْلَةً»: أي بكليتها، وهي كناية بالمستعار تشبيهاً لها باللقمة التي لا يمكن إساعتها، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في وصف الدنيا قبل بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، يقول عليه أفضل الصلاة والسلام في مطلعها:

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ،
وَاعْتِزَامِ مِنَ الْفِتَنِ، وَأَنْتِشَارِ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظُّ مِنَ الْحُرُوبِ،
وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ أَصْفَرَارٍ مِنْ
وَرَقِهَا، وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَأَغْوَرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٢: ٣٠٤ - ٣٠٥، شرح خطبة رقم ٨٤.

مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لَأَهْلِهَا،
عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا. ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ،
وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

الفترة: ما بين زمان الرسالة؛ الهجعة: النومة؛ اعتزام: من قولهم: اعتزم الفرس،
إذا مرّ جامحاً؛ تَلَطَّ: أي تَلَهَّب؛ اغوارار الماء: ذهابه؛ متجهمة: من تجهّمه: أي استقبله
بوجه كريه؛ ثَمَرُهَا الفتنة: أي ليست لها نتيجة سوى التّن؛ الجيفة: إشارة إلى أكل
العرب للميتة من شدّة الاضطراب؛ الشّعار من الثياب: ما يلي البدن؛ الدثار: فوق
الشّعار^(٢).

شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني:

صورة هذا الفصل تذكيرهم بنعمة الله تعالى التي نفت ما كانوا فيه من بؤس، وهي
بعثة الرسول ﷺ وما استلزمه من الخيرات؛ ليعتبروا فيشكروا ويخلصوا التوجّه إلى
الله تعالى، فأشار أولاً إلى النعمة المذكورة، ثمّ أردفها بالأحوال المذمومة التي تبدّلت
بتلك النعمة الجسيمة، وعدّها منها أموراً:

أحدها: «الفترة من الرسل»: وظاهر أنّ خلوّ الزمان عن رسول فيه يستلزم

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٢١ - ١٢٢ / خطبة رقم ٨٩، وفي نهج البلاغة للمحقّق الشيخ

العطّار: ١٥٥ - ١٥٦ / خطبة رقم ٨٨، شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٣٠٩ / خطبة رقم ٨٦،

نهج البلاغة للشيخ محمد عبده: ١٧٠ - ١٧١.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة لصبحي صالح: ٥٩٨، وشرح النهج لابن ميثم ٢: ٣١٠.

وجود الشرور ووقوع الهرج والمرج، وتلك أحوال مذمومة يلحق ذلك الزمان بها من الذم بمقدار ما يلحق زمان الرسول ﷺ من المدح.

الثاني: «طول الهجعة من الأمم»: وكُنِيَ بالهجعة عن الغفلة في أمر المعاد وسائر المصالح التي ينبغي.

الثالث: «الاعتزام من الفتن»: أمّا على الرواية الأولى: فنسبة العزم إلى الفتن مجاز كُنِيَ به عن وقوعها بين الخلق المشبه لقصدتها إيّاهم.

وعلى الرواية الثانية: أي على كثرة من الفتن.

وعلى الرواية الثالثة: فالمعنى أنّ الفتن لما كانت غير واقعة على قانون شرعيّ، ولا نظام مصلحيّ، ولذلك سُمّيت فتنة؛ لاجرم أشبهت المعترض في الطريق من الحيوان الماشي على غير استقامة، ولذلك استعير لها لفظ الاعتراض.

الرابع: «وعلى انتشار من الأمور»: أي تفرّق أمور الخلق وأحوالهم وجريان أفعالهم على غير قانون عدليّ.

الخامس: «التلظّي من الحروب»: وقد سبق تشبيه الحرب بالنار؛ فلذلك أسند إليها التلظّي على سبيل الاستعارة، وكُنِيَ بها عن هيجانها ووجودها بينهم زمان الفترة.

السادس: «والدنيا كاسفة»: والواو للحال: أي كاسف نورها، ونور الدنيا كناية عن وجود الأنبياء، وما يأتون به من الشرائع، وما ينتج عنهم من الأولياء والعلماء كناية بالمستعار.

ووجه المشابهة: ما يستلزم النور ووجود الأنبياء والشرائع من الاهتداء بهما،

ورشّح تلك الاستعارة بذكر الكسوف، وعبر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظة لشبهها بالشمس.

السابع: «ظاهرة الغرور»: أي كلّ قد اغترّ بها وانهمك في مشتيتها وخدعته بخوادعها.

الثامن: كونه «أرسل على حين إصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، واغورار من ماءها»: استعار لفظ الثمرة والورق لمتاعها وزينتها، ولفظ الإصفرار لتغيّر تلك الزينة عن العرب في ذلك الوقت، وعدم طلاوة عيشهم إذن وخشونة مطاعمهم، كما يذهب حسن الشجرة بإصفرار ورقها فلا يتلذذ بالنظر إليها.

وعنى بالإياس من ثمرها: انقطاع آمال العرب إذن من الملك والدولة وما يستلزمه من الحصول على طيبات الدنيا.

وكذلك استعار لفظ الماء لموادّ متاع الدنيا وطرق لذاتها، ولفظ الاغورار لعدم تلك الموادّ من ضعف التجارات والمكاسب، وعدم التملك للأمصّار وكلّ ذلك لعدم النظام العدليّ بينهم وكلّها استعارات بالكناية.

ووجه الاستعارة الأولى: أنّ الورق كما أنّه زينة للشجره وبه كمالها، كذلك لذات الدنيا وحياة الدنيا وزينتها.

ووجه الثانية: أنّ الثمر كما أنّه مقصود الشجرة غالباً وغايتها، كذلك متاع الدنيا والانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها لأكثر الخلق.

ووجه الثالثة: أنّ الماء كما أنّه مادّة الشجر وبه حياتها وقيامها في الوجود، كذلك مولود تلك اللذات هي المكاسب والتجارات والصناعات، وقد كانت العرب خالية من ذلك، ووجوه باقي الاستعارات ظاهرة.

التاسع: «دُرُوسُ أَعْلَامِ الْهُدَى»: وكُنِّي بأعلام الهدى عن أئمة الدين، وكتبه التي بها يهتدي لسلوك سبيل الله، وبدروسها عن موت أولئك وعدمهم، كناية بالمستعار كما سبق.

العاشر: «ظُهُورُ أَعْلَامِ الرَّدَى» وهم أئمة الضلال الداعين إلى النار. الحادي عشر: كون الدنيا «مُنْجَهْمَةً لِأَهْلِهَا، عَابِسَةً فِي وَجْهِ طُلَّابِهَا»: وكُنِّي بذلك عن عدم صفائها، فإن طيب العيش في الدنيا إنما يكون مع وجود نظام العدل والتصفية بين أهلها وعدم التظالم، وذلك في زمان الفترة مفقود بين العرب، وهو كناية بالمستعار.

ووجه المشابهة: ما يلزمه المستعار عنه وله من عدم تحصيل المطلوب معها. الثاني عشر: كون «ثَمَرِهَا الْفِتْنَةُ»: أي غاية سعيهم فيها على خبط في ظلمات جهلهم، إنما هو الفتنة: أي الضلال عن سبيل الله والتهيه في ظلمات الباطل. وغاية كل شيء هو مقصود فتشبه الثمرة التي هي مقصود الشجرة؛ فلذلك استعير لها لفظها. الثالث عشر: «وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ»: يحتمل أن يكون لفظ الجيفة هنا مستعاراً لطعام الدنيا ولذاتها.

ووجه المشابهة: أنه لما كانت الجيفة عبارة عما أنتن وتغيّرت رائحته من جثة حيوان ونحوها فخبث مأكله ونفر الطبع عنه، كذلك طعام الدنيا ولذاتها في زمان الفترة أكثر ما يكون من النهب والغارة والسرقة ونحوهما مما يخبث تناوله شرعاً وينفر العقل منه وتآباه كرائم الأخلاق؛ فأشبه ما يحصل من متاعها إذن الجيفة في خبثها وسوء مطعمها، وإن كان أحد الخبيثين عقلياً والآخر حسياً فاستعير لفظها له. ويحتمل أن يَكُنِّي بالجيفة عما كانوا يأكلون في الجاهلية من الحيوان غير مذكّي

وهو ما حرّمه القرآن الكريم من ذلك في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ﴾^(١): أي المذبذبة بالخشب حتى تموت ويبقى الدم فيها فيكون أطيب كما زعم المجوس، والمتردّية: أي التي تردّت من علوّ فماتت.

فإنّ كلّ ذلك إذا مات فكثيراً ما يتعفن ويؤكل؛ فيصدق أنّ طعامهم كان الجيفة.

الرابع عشر: كون «شعارها الخوف».

الخامس عشر: كون «دثارها السيف»: استعار لفظي الشعار للخوف والدار للسيف.

ووجه الاستعارة الأولى: أنّ الخوف وإن كان من العوارض القلبية إلا أنّه كثيراً ما يستتبع اضطراب البدن وانفعاله بالرعدة، فيكون شاملاً له شمول ما يتّخذ الإنسان شعاراً.

ووجه الثانية: أنّ الدثار والسيف يشتركان في مباشرة المدّثر والمضروب من فوقهما^(٢).

الدنيا في خطبة له وفيها ينبّه أمير المؤمنين عليه السلام على فضله وعلمه، ويبين فتنة بني أميّة، قال عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ^(٣)، أَيُّهَا النَّاسُ، فَأَنَا^(٤) فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ

(١) المائة: ٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٢: ٣١٠ - ٣١٣ / شرح خطبة رقم ٨٦.

(٣) في نهج البلاغة لصبحي صالح، زيادة: (حمّد الله والثناء عليه).

(٤) في نهج صبحي صالح: (فأنا).

لِيَجْتَرِيَّ^(١) عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غِيْهَبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا، فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِثَّةً وَتُضِلُّ مِثَّةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاقِعِهَا، وَقَائِدِهَا، وَسَائِقِهَا، وَمُنَاقِحِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا، وَمَنْ^(٢) يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا، وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ^(٣) كَرَائِيهِ الْأُمُورِ وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ لِأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَقَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ، وَذَلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ، وَشَمَرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقًا، تَسْتَطِيلُونَ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ^(٤).

شرح الألفاظ الغريبة:

فَقَاتَهَا: قَلَعْتُهَا، تمثيل لتغلبه عليها؛ الغَيْهَبُ: الظلمة، وموجها: شمولها وامتدادها، الكَلْبُ: - محرّكة - داء معروف يصيب الكلاب، فكلّ من عضّته أُصيب به فَجُنَّ ومات إن لم يُبادر بالدواء؛ نَاعِقُهَا: الداعي إليها، مَنْ نَعَقَ بغنمه صاح بها لتجتمع؛

(١) في نهج ابن ميثم البحراني: (لِيَجْرُو) وفي نهج محمد عبده (لِيَجْرَأ).

(٢) (من): ليس في نهج ابن ميثم ومحمد عبده.

(٣) (بكم): ليس في نهج الشيخ العطار.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٣٧/خطبة رقم ٩٣، وهي في نهج البلاغة تحقيق الشيخ العطار:

١٧٩/خطبة رقم ٩٢، وشرح نهج ابن ميثم البحراني ٢: ٣٨٧ - ٣٨٨/خطبة رقم ٩٠، ونهج

الشيخ محمد عبده: ١٩٩.

المُنَاخ: - بضم الميم - محلّ البروك؛ الكرائه: جمع كريمة؛ الحوازب: جمع حازب، وهو الأمر الشديد، حَزَبُهُ الأمر إذا أصابه واشتدّ عليه؛ فَلَّصَتْ: - بتشديد اللام - تَمَادَتْ واستمرت^(١).

شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني:

مقصود هذا الفصل: التنبيه على فضيلته وشرف وقته به، وعلى رذيلة بني أمية بذكر فتنهم وما يكون منهم، ليشتدّ النفار عنهم، وتقوى الرغبة إليه من وجهين: أحدهما: بإخباره عما سيكون.

والثاني: بذكر الشرور من غيره.

فقوله: «فَأَنَا فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ»: إشارة إلى فتنة أهل البصرة وغيرها، واستعار لها لفظ العين، وإنما خصّ العين؛ لأنها أشرف عضو في الوجه، وبها تصرف الشخص وحركته، ورشح الاستعارة بذكر الفقهاء، وكفى به عن زوال فتنهم بسيفه.

وقوله: «وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي»: أي إنّ الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال أهل القبلة ويخافون من ذلك الحرج والإثم، ولا يعلمون كيفية قتالهم، هل يتبعون مدبرهم، وهل يجهزون على جريحهم، وهل تسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم إذا بغوا أم لا؟ حتى أقدم عليه على فتنهم ففقا عينها فسكنت بعد هياجها، ومبدء ذلك حرب عائشة.

وقد صرح عليه السلام بذلك في ألفاظ أخرى فقال: «أَمَّا بَعْدُ، فَأَنَا فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٠٧ - ٦٠٨.

شَرَقِيهَا وَغَرْبِيهَا وَمُنَافِقَهَا وَمَارِقَهَا لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا غَيْرِي، وَلَوْ لَمْ أَكُنْ لَمَّا قُوتِلَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ وَلَا صِفِّينَ وَلَا أَصْحَابُ النَّهْرِ».

ويحتمل أن يكون المراد فقأت عين أهل الفتنة فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ويكون فقاؤه لعيونهم كناية عن قتلهم.

وروي أَنَّ من المتوقِّفين عن الحرب الأحنف بن قيس، وجماعة معه. وكُنِيَ بِتَمَوُّجٍ غَيْبِيهَا عن انتشار ظلمات الشبهة عن تلك الفتن في أذهان الناس، فجعلوا أَنَّ خلاف طلحة وخروج عائشة كان حقاً أو باطلاً، فكان ذلك سبباً لاضطرابهم وقتالهم وقتلهم.

وكذلك كُنِيَ بِاشْتِدَادِ كَلْبِهَا عن شدة ما وقع منها من الشرور، وكلب أهلها وحرصهم على القتل والقتال: كناية بالمستعار في موضعين. وقوله: «فَأَسْأَلُونِي...» إلى قوله: «وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً».

تعرّض للأسئلة عما سيكون، ولم يكن ليجترئ على ذلك أحد غيره من بين سائر الصحابة والتابعين، ولو ادّعى غير ذلك لكذبه العيان وفضحه الامتحان.

وروي أَنَّ قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال: سلوني عما شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً وهو إذن غلام حدث السنّ، فقال: سلوه عن نملة سليمان، أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسأله فانقطع، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقبل له: بم عرفت ذلك؟ فقال: من كتاب الله وهو قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾^(١) ولو كان ذكراً لقال: قال نمل، وذلك أَنَّ النملة تقع على الذكر والأنثى كالحمامة والشاة، وإنما يميّز بينهما بعلامة التأنيث. فانظر إلى هذا المعجب بنفسه؟! كيف انقطع عن سؤال يمكن الفطن أن يجيب عنه

بأدنى سعي، فكيف به إذا سُئل عن الأمور المستقبلية التي لا يتنزَّها من عالم الغيب إلا من أيد بقوة إلهية تكشف لنور بصيرته معها حجب الأسرار؟! وقد بيَّنا فيما سبق وجه تمكُّنه من الإخبار عما سيكون وكيفيته ذلك.

وأراد بالساعة القيامة، واستعار أوصاف الإبل ورعاتها وأصحابها - من الناعق والقائد والساق والمناخ والركاب والرحال - للفئة المهدية والضالة ومن يهديهم ويضلُّهم، ملاحظة لشبههم بالإبل في الاجتماع والانقياد لقائد وداعي، وضمير في أهلها يعود إلى الفئة.

وقوله: «وَلَوْ قَدْ قَقَذْتُمْ نِي...» إلى قوله: «الْمَسْئُولِينَ»:

«كَرَائِهِ الْأُمُورِ»: ما يكرهون منها.

«وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ»: ما يصيبهم من الأمور العظيمة المهمة.

«وَإِطْرَاقُ السَّائِلِينَ» لحيرتهم في عواقب تلك الخطوب، وما يكون منها، وكيفيته

الخلاص.

«وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ»: أي اجبنوا عن ردّ الجواب؛ لجهلهم بعواقبها وما

يُسالون عنه منها.

وقوله: «كذلك»:

إشارة في أطراق السائلين وفشل المسؤولين.

وقوله: «إِذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ»: تفسير لكرائه الأمور النازلة بهم، واستعار لفظ

التقليص والتشمير عن ساق الحرب.

ووجه الاستعارة: تشبيهها بالمجدد في الأمر الساعي فيه، وكما أنه إذا أراد أن يتوجّه

قلص ثيابه وشمرها عن ساقه لئلا تعوفه، وتهياً وأجمع عليه، كذلك الحرب في كونها

٧٦ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

مجتمعة عن النزول بهم واللحوق لهم، والواو في قوله: وضافت للعطف على شمرت، وموضع تستطيلون: النصب على الحال.

وقوله: «حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ».

أي الذين يسلمون بني أمية في دينهم، وأعمارهم ويفتح الله لهم بهلاكهم وزوال دولتهم^(١).

**الدنيا في خطبة له وفيها ينبّه أمير المؤمنين عليه السلام على فضله وعلمه
ويبين فتنة بني أمية، قال عليه السلام:**

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَأَنَا فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: -
نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ^(٢)، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يَفَرِّجُهَا
اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ: بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا، وَيَسُوقُهُمْ
عُنْفًا، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا
يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ - بِالْذُّنْيَا وَمَا فِيهَا -
لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَامًا وَاحِدًا، وَلَوْ قَدَرَ جَزْرٍ جَزُورٍ، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا
أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٢: ٣٨٩ - ٣٩١ / شرح خطبة رقم ٩٠.

(٢) في نهج البلاغة للمحقق الشيخ العطار: (بمنجاة) بدل (بمنجاة).

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٣٧ - ١٣٨ / خطبة رقم ٩٣، وهي في نهج البلاغة للمحقق الشيخ العطار: ١٧٩ - ١٨١ / خطبة رقم ٩٢، ونهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٢: ٣٨٨ - ٣٨٩ / ضمن الخطبة رقم ٩٠، ونهج البلاغة لمحمد عبده: ٢٠٠ - ٢٠١.

شرح الألفاظ الغريبة:

الأديم: الجلد، وتفريجه: سلخه؛ يسوئهم خسفاً: يؤليهم ذلاً؛ مضبرة: مملوءة إلى أصبارها - جمع صبر - بالضم والكسر - بمعنى الحرف: أي إلى رأسها؛ من أخلس البعير: إذا ألبسه الحلس - بكسر الحاء - وهو كساء يوضع على ظهره تحت البردعة، أي لا يكسوهم إلا خوفاً؛ الجزور: الناقة المجزورة^(١).

شرح ابن ميثم البحراني:

قوله: «نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ»:

أي إنّنا ناجون من آثامها والدخول فيها والدعوة إلى مثلها، وليس المراد أنّنا سالمون من أذاهم غير داعين فيها إلى الحقّ بشهادة دعوة الحسين عليه السلام إلى نفسه وقتله وأولاده وهتك ذرّيته.

ويحتمل أن يريد أنّنا بمنجاة من آثامها ولسنا فيها بدعاة مطلقاً، والحسين عليه السلام لم يكن داعياً منبعثاً من نفسه للدعوة، وإنّما كان مدعوّاً إلى القيام من أهل الكوفة ومجيباً لهم.

وقوله: «ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ...» إلى قوله: «إِلَّا الْخَوْفَ»:

إشارة إلى زوال دولتهم بظهور بني العباس عليهم وقلعهم واستئصالهم وتبّعهم لآثارهم وحصول الفرّج منهم لبقية الأبرار من عباد الله المقصودين بإذاهم كما يفرّج الجلد: أي يشقّ عباً فيه، ولقد أولاهم بنوا العباس من الذلّ والهوان، وأذاقوهم كأس العذاب طعوماً مختلفة، وأروهم عيان الموت ألواناً شتى كما هو مذكور في كتب التاريخ.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٠٨.

ولفظ الكأس، والتصبير، والعطية مستعار، وكذلك لفظ التحليس.
 ووجه المشابهة: جعلهم الخوف شعاراً لهم كما أن حلس البعير كذلك.
 وقوله: «حَتَّى تَوَدُّ قُرَيْشٌ...» إلى آخره:
 إشارة إلى غاية الفرقة المتغلبة من قريش على هذا الأمر: أي أن حالهم في التراذل
 والضعف عن محاربتهم ينتهي إلى أن يحبوا رؤيته مقاماً واحداً مع أنه أبغض الخلق
 إليهم؛ ليقبل منهم حينئذٍ ما يطلب اليوم بغضه من نصرتهم له، وتتباعهم لأمره،
 وانقيادهم لهده، ويمنعونه إتياءه.
 وكفى عن قصر ذلك المقام المتمنى له بمقدار زمان جزر الجزور، وصدقه عليه السلام في هذا
 الخبر ظاهر؛ فإن أرباب السير نقلوا أن مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية قال يوم
 الزاب - حين شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ماراً به في صف
 خراسان - : لوددت أن علي بن أبي طالب تحت هذه الرايات بدلاً من هذا الفتى،
 والقصة مشهورة، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في التزهيد من الدنيا يقول في مطلعها:

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ،
 وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ.
 عِبَادَ اللَّهِ، أَوْصِيكُمْ بِالرَّفْضِ^(٢) لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٢: ٣٩٣ - ٣٩٤ / شرح خطبة رقم ٩٠.

(٢) ما بين القوسين في نهج الشيخ العطار: أوصيكم عباد الله بالرفض.

لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَّةَ لِجَسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ
قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي
إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا، حَتَّى يَبْلُغَهَا، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ
بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ، (وَطَالِبٌ حَتِثُ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا
حَتَّى يُفَارِقَهَا) ^(١) فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا،
وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجَزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا
وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا
إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَاءُهَا وَبُؤْسُهَا إِلَى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى
آئِنَتِهَا، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ.

أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ ^(٢)، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ
تَبَصُّرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ
مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ؟ وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا يَتَّقُونَ؟ أَوَلَسْتُمْ
تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا (يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ) ^(٣) عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى:
فَمَيِّتٌ يُبْكِي، وَآخِرٌ يُعْزِي، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى، وَعَائِدٌ يَعُودُ،

(١) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: وطالب حثيث من الموت يحدوه ومزعج في الدنيا حتى يفارقها رغماً.

وفي نهج الشيخ العطار: وطالب حثيث من الموت يحدوه حتى يفارقها.

(٢) (مزدجر): ليس في نهج صبحي صالح ونهج العطار.

(٣) ما بين القوسين في نهج الشيخ العطار: يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ.

وَأَخْرَ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ
وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي...^(١)!

شرح الألفاظ الغريبة:

السفر: - بفتح فسكون - جماعة المسافرين؛ أمّوا: قصدوا؛ المجري إلى الغاية: يريد
الذي يجري فرسه إلى غاية معلومة، أي مقدار من الجزي يلزمه حتى يصل إلى
غايته؛ يحدّوه: يسوقه؛ نفاد: فناء؛ مُزْدَجَر: مصدر ميمي من اَزْدَجَرَ، ومعناه
الارتداع والانزجار؛ بنفسه يجود: من جاد بنفسه إذا قارب أن يقضي نحبّه، كأنّه
يسخو بها ويُسلمها إلى خالقها^(٢).

شرح نهج ابن ميثم البحراني:

قوله: «نَحْمَدُهُ...» إلى قوله: «فِي الْأَبْدَانِ»:
خصّص الحمد بما كان؛ لأنّ الشكر على النعمة مترتب على وقوعها، والاستعانة
على ما يكون؛ لأنّ طلب العون على أمر هو بصدد أن يفعل.
ثمّ سأل العافية في الأديان كما سألها في الأبدان؛ لأنّها سقماً هو في الحقيقة أشدّ.
وقيل لأعرابي: ما تشتكى؟ قال: ذنوبي، فقيل: ما تشتهي؟ قال: الجنة، فقيل:
أفلا ندعو لك طبيباً؟ فقال: الطبيب أمرضني.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٤٤ - ١٤٥ / خطبة رقم ٩٩، وفي نهج الشيخ الطّار: ١٨٩ -

١٩١ / خطبة رقم ٩٨، وفي شرح نهج ابن ميثم البحراني ٣: ٢ - ٣ / خطبة رقم ٩٦، وفي نهج

الشيخ محمّد عبده: ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦١٠.

وسمعت عفيرة العابدة البصريّة^(١) رجلاً يقول: ما أشدّ العمى على من كان بصيراً! فقالت: يا عبد الله! غَفَلْتَ من مرض الذنوب واهتممت بمرض الأجساد، وعمى القلب عن الله أشدّ.

والمعافاة فيها بإمداد العناية الإلهيّة ببقائها سليمة وبتداركها للمذنبين بجذبهم إلى التوبة.

ثمّ أردف ذلك بالرأي الصالح والوصيّة الناصحة برفض الدنيا، ونفّر عنها بذكر معائب:

أحدها: تركها لهم على كلّ حال وإن لم يحبّوا تركها، ومن أكبر المصالح ترك محبوب لا بدّ من مفارقتها تركاً باستدراج النفس واستغفالها؛ كي لا يقدها مفارقتها دفعةً مع تمكّن محبّته عن جوهرها فيبقى كمن نقل من معشوقه إلى موضع ظلميّ شديد الظلمة.

الثاني: كونها مبلية لأجسامهم وإن أحبّوا تجديدها، وإبلائها بالأمراض والهزم، ومن شأن الموزي أن يجتنب لا أن يحبّ إصلاحه.

ثمّ أردف ذلك بتمثيلهم في الكون بها، فمثّلهم بالسفر ومثّلها بسبيل هم سالكوه، ومن سلك سبيلاً فكأنّهم قطعوه، فالمشبه هم باعتبار سرعة سيرهم وقرب الآخرة منهم وقطع منازل الأعمار، والمشبّه به قاطع ذلك السبيل: أي من سلك سبيلاً أشبه في سرعة سيره من قطعه، ثمّ لما كان لا بدّ لكلّ طريق سلك من غاية يقصد، فمن سلك سبيلاً فكأنّهم بلغوا تلك الغاية: أي أشبهوا في قرب وصولها من بلغها وهو تخويف بالموت وما بعده، وتحقير لمّة البقاء في الدنيا والمقام فيها.

(١) عفيرة بنت الوليد البصريّة العابدة، كانت طويلة الحزن كثيرة البكاء، توفيت سنة ١٨١هـ.

وأكد ذلك بقوله: «وَمَا عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا»: أي إجراؤه إليها بسير سريع، وفي بعض النسخ: وكم عسى، والتقدير وكم يرجو الذي يجري إلى غاية من إجراءاته إليها حتى يبلغها؛ وهو استفهام في معنى التحقير لما يرجوه من مدّة المجري، وهي مدّة الحياة الدنيا، ومفعول المجري محذوف والتقدير: المجري مركوبه. ولما لم يكن الغرض إلا ذكر الإجراء لا جرم حذف المفعول، وقد يجيء لازماً.

وكذلك قوله: «وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَغْدُوهُ...» إلى قوله: «يُفَارِقُهَا»: أي وما يرجى ويؤمل أن يكون من ذلك البقاء، وكان هنا تامة، وهو في الموضعين استفهام على سبيل التحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا، والإنكار على المؤمل الراجي له، وعنى بالطالب الحثيث: الموت، وأسند إليه الطلب مجازاً، واستعار له لفظ الحدو، وقد علمت هذه الاستعارة، وكفى بذلك الحدو عما يتوهم من سوق أسباب الموت للبدن إليه.

وقوله: «وَلَا تَنَافَسُوا...» إلى قوله: «إِلَى فَنَاءٍ»:

نهى عن اعتبار شيء من أحوالها: خيرها وشرّها، فمن خيرها عزّها وفخرها وزينتها ونعيمها، ونهى عن المنافسة فيه والإعجاب به، وأمّا شرّها فضرّائها وشدائدّها، ونهى عن الجزع منها، وعلّل وجوب الانتهاء عما نهى عنه بانقطاعه وزواله وما كان من شأنه الزوال والانقطاع فمن الواجب أن لا يتنافس فيه ولا يعجب به وإن عدّ نافعا، وأن لا يجزع من وجوده وإن عدّ ضاراً.

وقوله: «أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ...» إلى قوله: «لَا يَبْقُونَ»:

تذكّرة لهم بآثار السابقين لهم والماضين من آبائهم على سبيل استفهام عن حصول

العبرة لهم بهم استفهام إنكار عليهم أن لا يستفيدوا من ذلك عبرة على تقدير أنهم عقلاء، كما يزعمون ذلك.

ثم تنبيه لهم على وجه الاعتبار والاتعاظ وهو عدم رجوع الماضي منهم وعدم بقاء الباقي؛ فإن ذلك محل العبرة.

ثم تنبيه لهم على ما يرون من أحوال أهل الدنيا المختلفة؛ ليستدلوا على عدم بقائها باختلاف أحوالها وعلى أنها لا تصلح قراراً، فأهلها بين ميت يُبكي، وآخر يُعزّي، وآخر صريع مُبتلى بالأمراض والأسقام، وآخر يعود مشغول الخاطر به، وآخر في المعاوقة والاحتضار، والسالم من تلك الأمور طالب للدنيا والموت من ورائه طالب له، غافل عما يُراد به وليس الله بغافل عنه، ثم لا بد له أن يمضي على أثر من مضى وإن طال بقاءه، وما في ما يمضي مصدرية، وإنما قدّم الميت في أقسام أهل الدنيا؛ لأن ذكره أشد موعظة، واستعار لفظ الجود للمحتضر.

ووجه المشابهة: أنه يسمح بنفسه ويسلمها كما يسلم الجواد ما يعطيه من مال^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في التزهيد في الدنيا أيضاً، قال عليه السلام:

(أَيُّهَا النَّاسُ)^(٢) أَنْظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا،
الصَّادِفِينَ عَنْهَا؛ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّائِي السَّاكِنَ،
وَتَفْجَعُ الْمُتَرَفَّ الْآمِنَ؛ لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَذْبَرَ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٣: ٣ - ٥ / في شرح الخطبة رقم ٩٦.

(٢) جملة (أيها الناس) اثبتت من نهج صبحي صالح، بقرينة ما بعد.

وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيَسْتَنْظِرَ. سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ،
وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلَا يَغُرَّتْكُمْ كَثْرَةُ مَا
يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.
رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ
مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا
قَلِيلٍ لَمْ يَزُلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ
قَرِيبٌ دَانَ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

الصادفين: المُعْرِضِينَ؛ الثاوي: المقيم، المُتَرَفِّعُ: - بفتح الراء - المتروك يصنع ما
يشاء لا يُمْنَعُ؛ مَشُوبٌ: مخلوط؛ الجَلَدُ: الصلابة والقوّة؛ الوهن: - بسكون الهاء
وتحريكها - الضعف^(٢).

شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني:

حاصل الفصل: تزهيد الدنيا والتحذير منها، فأمرهم أن ينظروا إليها نظر
الزاهدين فيها المعرضين عنها أمرٌ لهم بتركها واحتقارها، إلا بمقدار الضرورة إلى ما
تقوم به الضرورة، ثم أردفه بذكر معائبها المنقّرة.
فالأول: إزالتها للمقيم بها المطمئن إليها عمّا ركن إليه منها.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٤٨ - ١٤٩ / خطبة رقم ١٠٣ ونهج البلاغة للمحقّق الشيخ
العطّار: ١٩٥ - ١٩٦ / خطبة رقم ١٠٢ وفي شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٣: ١٧ / خطبة
رقم ١٠٠، وفي نهج الشيخ محمّد عبده ١: ٢١٣ - ٢١٤.
(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦١٢.

الثاني: فجيعتها للمترف المتنعّم بها، الذي خدعته بأمانيها حتّى أمن فيها بسلب ما ركن إليه وأمن عليه.

الثالث: كونها لا يرجع ما تولّى منها فأدبر من شباب، وصحّة، ومال وعمر ونحوه.

الرابع: كونها لا يدري ما هو آتٍ من مصائبها فينتظر ويحترز منه.
الخامس: شوب سرورها بالحزن؛ إذ كان سرورها لا يعدم في كلّ أوانٍ فوت مطلوب أو فقد محبوب.

السادس: انتهاء قوّة أهلها وجلّدهم إلى الضعف، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾^(١).

وزهد بعض الصالحين في الدنيا فقال: عيش مشوب بسقم منساق إلى هرم مختوم بعدم، مستعقب بندم هل يجوز التنافس فيه؟!
ثمّ نهى عن الاغترار بكثرة ما يعجبهم منها، وعلّل حسن ذلك الانتهاء بقلّة ما يصحبهم منها، فإنّ المنافسة إنّما ينبغي أن يكون باقياً للإنسان حيث كان كان. وأشار بقليل ما يصحبهم منها إلى الكفن ونحوه.

ثمّ دعا لمن تفكّر فأفاده فكره عبدة: أي انتقال ذهن إلى ما هو الحقّ من وجوب ترك الدنيا والعمل للآخرة، إفادة ذلك الانتقال إدراكاً للحقّ ومشاهدة ببصر البصيرة له.

ثمّ أردفه بتشبيه وجود متاع الدنيا الحاضر بعدمه؛ تنبيهاً على سرعة لحوق عدمه بوجوده، فكأنّ وجوده شبيه بأن لم يكن لسرعة زواله، وكذلك تشبيه عدم الآخرة

٨٦ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

الآن وما يلحق فيها من الثواب والعقاب بوجودها الدائم: أي كأنها لسرعة وجودها ولحوقها لم تنزل موجودة.

ونبه بقوله: «وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ»: على انقضاء مدد الأعمار؛ لكونها معدودة الأيام والساعات والأنفاس.

وقوله: «وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ»:

في صورة الضرب الأول من الشكل الأول، ونتيجته: فكل متوقع قريب دان، والإشارة به إلى الموت وما بعده^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في صفات الرسول الكريم ﷺ قائلاً فيها:

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، شَهِيدًا وَبَشِيرًا
وَنَذِيرًا، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، وَأَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ
شَيْمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيَمَةً - إِلَى أَنْ يَقُولَ ﷺ فِي بَنِي أُمِّيَّةَ: -
فَمَا أَحْلَوْتُ (لَكُمْ الدُّنْيَا)^(٢)، فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ
أَخْلَافِهَا، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا، فَلِقَاءً
وَضِيئُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ،
وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا - وَاللَّهِ - ظِلًّا مَمْدُوداً
إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٣: ١٧ - ١٨ / شرح الخطبة رقم ١٠٠.

(٢) ما بين القوسين في نهج الشيخ العطار: الدُّنْيَا لَكُمْ.

مَبْسُوطَةً، وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةً، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ
مُسَلَّطَةً، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةً.

أَلَا إِنَّ^(١) لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا، وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا
كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا
يَقُوتُهُ مَنْ هَرَبَ.

فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمِّيَّةَ، عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفَنَهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ
وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ، أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ!
أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبْلَهُ..^(٢)

شرح الألفاظ الغريبة:

الشَّيْمَةُ: الخُلُقُ؛ الدَّيْمَةُ: - بكسر الدال - المطر، يدوم في سكون، والمُسْتَمَطَّرُ:
- بفتح الطاء - من يُطَلَّبُ منه المطر؛ الأخْلَاف: جمع خَلْف - بكسر الخاء وسكون
اللام - حَمَلَةٌ ضَرَعَ الناقَةَ؛ الخِطَام: - ككتاب - ما يوضع في أنف البعير لِيُقَادَ به؛
الْوَضِين: بِطَانُ عَرِيضٍ مَنْسُوجٍ من سُيُورٍ أو شعر يكون للرحل كالحِزَامِ للسرَّج؛
السُّدْرُ: - بالكسر، شجر النبق، والمخضود: المقطوع شوكه؛ شاغرة: خالية^(٣).

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: وإن.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٥١/خطبة رقم ١٠٥، ونهج البلاغة للمحقق الشيخ العطار:

١٩٩ - ٢٠٠/خطبة رقم ١٠٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٣: ٢٢ - ٢٣/خطبة

رقم ١٠٢، وفي نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢١٦ - ٢١٧.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦١٢.

شرح ابن ميثم البحراني:

قوله: «حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ...» إلى قوله: «مِنْ بَعْدِهِ». افتخار به ﷺ، ومدح له بالقوة في الدين، وتوبيخ لجمع الدنيا ومحبيها بعده، وهو غاية لفصل سابق كأنه ذكر فيه ما كانوا عليه من سوء الحال والقشف والفقر، ومن عليهم بذكر هذه الغاية الحسنة لتلك الأحوال، ووصفه بأوصاف: أحدها: كونه «شهيداً»: أي على الخلق بأعمالهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾^(١)، وقد عرفت كيفية هذه الشهادة.

الثاني: «وَبَشِيرًا لِلْخَلْقِ»: بما أعد لهم من الثواب العظيم.
الثالث: «وَنَذِيرًا لَهُمْ»: بما أعد للعصاة من العذاب الأليم، وينتظم هذه الأوصاف قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢)، والثلاثة أحوال.
الرابع: «خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً»: ولما علمت أن الأفضلية إنما هي بالأعمال الصالحة والتسديد لسلوك سبيل الله، وكان هو ﷺ منذ صباه وطفولته أفضل الخلق في لزوم ذلك القدم لاجرم كان خير الناس طفلاً.

الخامس: «وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً»: ولما كانت النجابة مستلزمة لكرم الخصال والتقاط الفضائل وتتبعها، وكان هو ﷺ في كهولته ودعوته منبع كل فضيلة؛ لا جرم كان أنجبهم كهلاً. وطفلاً، وكهلاً: منصوبان على الحال أيضاً.

(١) النساء: ٤١.

(٢) الفتح: ٨.

السادس: كونه «أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً»: ولما كان صلى الله عليه وآله متمم مكارم الأخلاق الطاهرة، وكلّ خلق عدل فنه مكتسب؛ لا جرم كان أظهر الشيمة وأكرم الخلق.

السابع: «أَجْوَدَ الْمُسْتَمَطَّرِينَ دِيمَةً»: استعار له وصف السحاب المرجو منه نزول الديمة وهي المطر الذي لا رعد فيه ولا برق، ورشح بلفظ الديمة وكثي بذلك عن غاية جوده وكرمه، وقد كان صلى الله عليه وآله إذا أمسى آوى إلى البيت فلا يجد فيه شيئاً من فضة أو ذهب إلا تصدّق به ولم يبت في بيته منه شيء، وشيمة وديمة، تميزان.

وقوله: «فَمَا أَحْلَوْلْتُ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَاتِهَا...» إلى قوله: «مِنْ بَعْدِهِ»: الخطاب لبني أمية ونحوهم، وتبكيك لهم بتطعمهم لذة الدنيا وابتهاجهم بها وتمكّنهم منها بعد الرسول صلى الله عليه وآله وتذكير لهم بمخالفتهم لسنّته في ذلك. واستعار لفظ الأخلاق، وكثي به عن وجوه مكاسب الدنيا ولذاتها، ورشح تلك الاستعارة بذكر الرضاع، وكثي به عن تناولها ملاحظة لتشبيهها بالناقة.

وقوله: «وَصَادَقْتُمُوهَا...» إلى قوله: «غَيْرَ مَوْجُودٍ»:

استعار لها لفظ الخطام والوضين، ورشحها بالقلق والجولان، وكثي بذلك من مصادفتهم للعالم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله غير منظومة الحال، ولا مضبوطة على ما ينبغي لضعف ولايتها عن إصلاح حالها، كما أنّ الناقة قلقة الحزام، وجائلة الخطام غير منظومة الآلة، ولا مضبوطة الحالة، فهي بمعرض أن تمشي وتنصرف على غير استقامة، فهلك راعيها.

ثم ذكر رذيلة القوم، فشبه حرامها بالسدر المخضود معهم.

ووجه الشبه أنّ نواهي الله ووعيداته على فعل المحرمات تجري مجرى الشوك للسدر في كونها مانعة منه، كما يمنع شوك السدر جانبه من تناول ثمرته، ولما كان بعض

الأُمَّة قد طرح اعتبار النواهي والوعيد جانباً عن نفسه، وفعل ما حرم عليه؛ جرى ذلك عنده مجرى تناوله للسدر الخالي عن الشوك في استسهاله تناوله وإقدامه عليه. وكون «حَلَّهَا بَعِيداً غَيْرَ مُؤْجِدٍ»: أي بين أولئك المشار إليهم، «وجائلاً وقلقاً» حالان.

قوله: «وَصَادَفْتُمُوهَا وَاللَّهُ...» إلى قوله: «مَعْدُودٍ»:

استعار لفظ الظل لها ورشح بالممدود، وكفى بذلك عن زوالها بعد حينٍ تهديداً لهم به، ثم استعار لفظ الشاغرة للأرض، وكفى به عن خلوها لهم، يقال: بقي الأمر الفلاني شاغراً برجله إذا لم يكن له طلب ولا حامٍ يحميه، وكفى ببسط أيديهم فيها: عن قدرتهم على التصرف، وأراد بالقادة بالخلفاء، وبسلطة سيوفهم على القادة جرأتهم وحكمهم عليهم، وبقبض سيوف القادة عدم تمكّنهم منهم.

وقوله: «أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ نَائِراً...» إلى قوله: «مَنْ هَرَبَ»:

تهديد بالله لبني أمية، وتخويف بأخذه وعقابه، وهاتان الكلمتان ظاهرتا الصدق؛ فإنّه تعالى هو الثائر لكل دم معصوم، والطالب به إن عدم طلبه أو ضعف، ولما كان دم مثلهم عليهم السلام وسائر الصحابة - ممن عصم الله دمه ومنع منه وحرّمه - يجري مجرى الحقّ الثابت المتعارف لله في كونه يطلب به ولا يهمله وهو الحاكم المطلق؛ لاجرم استعار لفظ الثائر، وإنّما قال: كالحاكم؛ لأنّ إطلاق لفظ الحقّ لله تعالى به ليس بحقيقة، إذ الحقّ من شأنه أن ينتفع بأخذه ويتضرّر بتركه، والباري منزّه عن ذلك، لكن لما جرى ذلك الدم مجرى الحقّ له تعالى وكان هو الآخذ به؛ أشبه الحاكم ممّا في استيفاء الحقّ.

ووصفه تعالى بأنّه لا يعجزه مطلوب ولا يفوته هارب في معرض التهديد لهم بأخذه وقوّته.

ثم أردف ذلك بالقسم البارّ مخاطباً لبني أميّة: «لَتَعْرِفَنَهَا»: أي الدنيا وإمرتها في يد غيرهم من أعدائهم، وذلك ظاهر الصدق بانتقالها إلى بني عبّاس.

ثم شرع بعده في التنبيه على الفكر في تحصيل السعادة الباقية والخير الدائم، وعلى قبول الوعظ والتذكّر، فأشار إلى أنّه أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفه، وأسمع الأسماع ما وعى التذكير فقبله، وأراد بطرف البصر، العقل، وسمعه استعارة، أو حسّ البصر والسمع على معنى أنّ أفضل إِبصار البصر وسماع السمع ما عاد على المبصر والسامع بالفائدة المطلوبة منهما، وهي تحصيل الكمالات النفسانيّة من العلوم والأخلاق.

ولمّا قدّم ذلك أمام مقصوده أيّه بالناس بعده إلى قبول قوله والاستصباح بنوره، واستعار لنفسه لفظ المصباح، ورشّح بذكر الشعلة والاستصباح، واستعار لفظ العين، ورشّح بذكر الصفو والترويق والمتح.

ووجه الاستعارة الأولى: كونه مقتدى به كالمصباح.

ووجه الثانية: كون المستفاد منه مادّة الحياة الأبدية كما أنّ ماء العين مادّة الحياة الدنيويّة، وكُنّي بترويقها من الكدر عن رسوخه فيما علم بحيث لا يتطرّق إليه فيه شبهة تكدر يقينه، وهو أمر لهم بالاهتداء به وأخذ العلوم والأخلاق عنه.

ثمّ لما أمر بأخذهما عنه أردفه بالنهي عن الجهل والركون إليه، ثمّ عن الانقياد للأهواء الباطلة المخرجة عن كرائم الأخلاق إلى رذائلها، وعن حقّ المصالح إلى باطلها^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانيّ ٣: ٢٤ - ٢٧ / شرح الخطبة رقم ١٠٢.

الدنيا في خطبة له في بيان قدرة الله، قال عليه السلام:

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ^(١) لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْرَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَالَيْهِ مُنْقَلَبُهُ - إلى أن يقول عليه أفضل الصلاة والسلام - سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ! سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ! (وَمَا أَصْغَرَ عِظَمَهُ)^(٢) فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ! وَمَا أَحَقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ! وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمٍ^(٣) الْآخِرَةِ^(٤)!

شرح نهج ابن ميثم البحراني:

هذا الفصل من أشرف الفصول المشتملة على توحيد الله وتنزيهه وإجلاله وتعظيمه، وفيه اعتبارات ثبوتية وسلبية: أمّا الثبوتية فعشرة: الأول: «خُشُوعُ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ»: والخشوع مراده هنا بحسب الاشتراك اللفظي

-
- (١) في شرح نهج ابن ميثم البحراني والشيخ محمد عبده: (خَاضِعٌ) بدل (خَاشِعٌ).
 (٢) مابين القوسين في نهج صبحي صالح: وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ؛ وفي نهج المحقق الشيخ العطار: وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَهُ.
 (٣) في نهج ابن ميثم البحراني ونهج الشيخ محمد عبده: (نِعِيم) بدل (نِعَم).
 (٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٥٨ - ١٥٩ / خطبة رقم ١٠٩، ونهج المحقق الشيخ العطار: ٢٠٩ - ٢١٠ / خطبة رقم ١٠٨، وشرح نهج ابن ميثم البحراني ٣: ٤٩ - ٥٠ / خطبة رقم ١٠٦، وفي نهج الشيخ محمد عبده ١: ٢٢٧ - ٢٢٨.

إذ الخشوع من الناس يعود إلى نظامهم وخضوعهم لله، ومن الملائكة دؤوبهم في عبادتهم ملاحظة لعظمته، ومن سائر الممكنات انفعالها عن قدرته وخضوعها في رِقِّ الإمكان والحاجة إليه، والمشارك وإن كان لا يستعمل في جميع مفهوماته حقيقة، فقد بيَّنَّا أنه يجوز استعماله مجازاً فيها بحسب القرينة، وهي هنا إضافته إلى كلِّ شيء أو لأنَّه في قوَّة المتعَدِّد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ^(١) فكأنَّه قال: الملك خاشع له والبشر خاشع له، وهذا الاعتبار يستلزم وصفه تعالى باعتبارين. أحدهما: كونه عظيماً؛ والثاني: كونه غنيّاً.

أمَّا العظيم فينقسم إلى ما يكبر حاله في النفس، ولكن يتصوَّر أن يحيط بكماله العقول ويقف على كنه حقيقته، وإلى ما يمكن أن يحيط به بعض العقول وإن فات أكثرها، وهذان القسمان إنما يطلق عليهما لفظ العظمة بالإضافة، وقياس كلِّ إلى مادونه فيما هو عظيم فيه.

وإلى ما لا يتصوَّر أن يحيط به العقل أصلاً، وذلك هو العظيم المطلق الذي جاوز حدود العقول أن يقف على صفات كماله ونعوت جلاله، وليس هو إلاَّ الله تعالى. وأمَّا الغني فسنذكره.

الثاني: «قِيَامُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ»: واعلم أنَّ جميع الممكنات إمَّا جواهر، أو أعراض، وليس شيء منها يقوم بذاته في الوجود.

أمَّا الأعراض: فظاهر لظهور حاجتها إلى المحلِّ الجوهريّ.

وأمَّا الجواهر: فلأنَّ قوامها في الوجود إنما يكون بقيام عللها، وتنتهي إلى الفاعل الأوَّل جلَّت عظمته، فهو إذن الفاعل المطلق الذي به قوام كلِّ موجود في الوجود.

(١) الأحزاب: ٥٦.

وإذ ثبت أنه تعالى غنيّ عن كلّ شيء في كلّ شيء، وثبت أنّ به قوام كلّ شيء ثبت أنه القيوم المطلق؛ إذ مفهوم القيوم: هو القائم بذاته المقيم لغيره، فكان هذا الاعتبار مستلزماً لهذا الوصف.

الثالث: كونه تعالى «غنيّ كلّ فقيرٍ»: ويجب أن يحمل الفقر على ما هو أعمّ من الفقر المتعارف، وهو مطلق الحاجة ليعمّ التجديد، كما أنّ الغنى هو سلب مطلق الحاجة، وإذ ثبت أنّ كلّ ممكن فهو مفتقر في طرفيه، منته في سلسلة الحاجة إليه، وأنه تعالى المقيم له في الوجود؛ ثبت أنه تعالى رافع حاجة كلّ موجود، بل كلّ ممكن، وهو المراد بكونه غنيّ له، وأطلق عليه تعالى لفظ الغني وإن كان الغنى به مجازاً إطلاقاً لاسم السبب على المسبّب.

الرابع: كونه «عزّ كلّ ذليلٍ»: وقد سبق أنّ معنى العزيز: هو الخطير الذي يقلّ وجود مثله، ويشتدّ الحاجة، ويصعب الوصول إليه، فما اجتمعت فيه هذه المفهومات الثلاثة سميّ عزيزاً، وسبق أيضاً أنّ هذه المفهومات مقولة بالزيادة والنقصان على ما تصدق عليه، وأنه ليس الكمال في واحد منها إلاّ الله سبحانه.

ويقابله الذليل، وثبت أنه تعالى عزّ كلّ موجود؛ لأنّ كلّ موجود سواء إنّما يتحقّق فيه هذه المفهومات الثلاثة منه سبحانه الناظم لسلسلة الوجود، والواضع لكلّ من الموجودات في رتبته من النظام الكلّي، فنه عزّ كلّ موجود، وكلّ موجود ذليل في رقّ الإمكان والحاجة إليه في إفاضة المفهومات الثلاثة عليه؛ فهو إذن عزّ كلّ ذليل وإطلاق لفظ العزّ عليه كإطلاق لفظ الغنى.

الخامس: «وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ»: القوّة تطلق على كمال القدرة وعلى شدّة الممانعة والدفع، ويقابلها الضعف، وهما مقولان بالزيادة والنقصان على من يطلقان عليه، وإذ

ثبت أنه تعالى مستند جميع الموجودات، والمفيض على كل قابل ما يستعد له ويستحقه، فهو المعطي لكل ضعيف عادم القوة من نفسه كماله وقوته، فنه قوة كل ضعيف بالمعنيين المذكورين لها.

وروي أن الحسن قال: واعجباً لنبي الله لوط عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(١)، أترأه أراد ركناً أشد من الله تعالى^(٢). وإطلاق لفظ القوة عليه كإطلاق لفظ الغنى أيضاً.

السادس: كونه «مَفْزَعٌ كُلُّ مَلْهُوفٍ»: أي إليه ملجأ كل مضطر في ضرورته حال حزن أو خوف أو ظلم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾^(٣)، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا﴾^(٤) فكل مفزع وملجأ غيره فلمضطر لا لكل مضطر، ومجاز لا حقيقة، وإضافي لا حقيقي، وهذا الاعتبار يستلزم كمال القدرة لله لشهادة فطرة ذي الضرورة بنسبة جميع أحوال وجوده إلى وجوده، ويستلزم كمال العلم، لشهادة فطرته باطلاعه على ضرورته، وكذلك كونه سمياً وبصيراً، وخالقاً، ومجيباً للدعوات، وقيوماً ونحوها من الاعتبارات.

السابع: كونه «مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ».

الثامن: «وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ»: وهما إشارتان إلى وصفي السميع العليم، ولما كان السميع يعود إلى العالم بالمسموعات استلزم الوصفان إحاطته بما أظهر العبد

(١) هود: ٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ١٩٥.

(٣) النحل: ٥٣.

(٤) الإسراء: ٦٧.

وأبداه، وما أسرّه وأخفاه في حالتي نطقه وسكوته، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

إلى أن يقول ابن ميثم البحراني في شرحه للخطبة:

وقوله: «سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ...» إلى آخره:

تنزيه وتقديس الله تعالى عن أحكام الأوهام على صفاته بشبهية مدركاتها، وتعجب في معرض التمجيد من عظم ما يشاهد من مخلوقاته، كأطباق الأفلاك والعناصر وما يتركب عنها.

ثم من حقارة هذه العظمة بالقياس إلى ما تعتبره العقول من مقدوراته وما يمكن في كمال قدرته من الممكنات الغير المتناهية، وظاهر أن نسبة الموجود إلى الممكن في العظم والكثرة يستلزم حقارته وصغره، ثم من هول ما وصلت إليه العقول من عظمة ملكوته، ثم من حقارته بالقياس إلى ما غاب عنها وحجبت عن إدراكه بأستار القدرة، وحجب العزة من الملاء الأعلى وسكان حظائر القدس، وحال العالم العلوي. ثم من سبوغ نعمة الله تعالى على عباده في الدنيا وحقارة تلك النعم بالقياس إلى النعمة التي أعدّها لهم في الآخرة، وظاهر أن نعم الدنيا إذا اعتبرت إلى نعم الآخرة في الدوام والكثرة والشرف بالقياس إليها في غاية الحقارة. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام يبين فيها عصيان الخلق:

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً! بِحُسْنِ بِلَايِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَاراً، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً: مَشْرَباً، وَمَطْعَماً، وَأَزْوَاجاً،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٣: ٥٠ - ٥٧ / شرح خطبة رقم ١٠٦.

وَحَدَمًا، وَقُصُورًا، وَأَنْهَارًا، وَزُرُوعًا، وَثِمَارًا، ثُمَّ أَرْسَلَتْ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلَا فِيهَا رَغَبَتْ إِلَيْهِ رَغْبُوا، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقَتْ إِلَيْهِ اشْتَأَفُوا، أَقْبَلُوا^(١) عَلَى جِيفَةٍ قَدْ أَفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَأَصْطَلَحُوا عَلَى حَبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَغْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَاحِحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتْ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا، لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغُرَّةِ - حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، فَغَيَّرَ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ، وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

البلاء يكون نعمة ويكون نقمة، ويتعين الأول بإضافة الحسن إليه أي ما عبدوك

(١) في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده: (أجابوا) بدل (أقبلوا).

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٥٩ - ١٦٠ / خطبة رقم ١٠٩، وفي نهج البلاغة للمحقق الشيخ

العطّار: ٢١١ - ٢١٢ / خطبة رقم ١٠٨، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٣: ٥٩ - ٦٠ /

خطبة رقم ١٠٦، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢٢٨ - ٢٢٩.

إلا شكراً لنعمتك عليهم؛ المأدبة: - بضم الدال وفتحها - ما يصنع من الطعام للمدعوين في عرس ونحوه، والمراد منها هنا نعيم الجنة؛ أعشاه: أعماه؛ على الغرة: - بكسر الغين - بغتة وعلى غفلة^(١).

شرح نهج ابن ميثم البحراني:

في هذا الفصل نكت:

الأولى: أن خالقاً ومعبوداً حالان انتصبا عما في سبحانك من معنى الفعل، أي أسبحك خالقاً ومعبوداً، وأشار بذلك إلى وجوب تنزيهه في هذين الاعتبارين: أعني اعتبار كونه خالقاً للخلق، ومعبوداً لهم عن الشركاء والأنداد، فإنه لما تفرّد بالإبداع والخلق، واستحقّ بذلك التفرّد بعبادة الكلّ له وجب تنزيهه عن مساوٍ له في الاعتبارين.

الثانية: قوله: «مُحْسِنٌ بِلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَاراً»: الجار والمجرور متعلق بخلقت، ولفظ الدار مستعار للإسلام، ولفظ المأدبة للجنة، والداعي هو الرسول ﷺ، وقد جمعها الخبر في بعض أمثاله ﷺ: إن الله جعل الإسلام داراً والجنة مأدبةً والداعي إليها محمداً.

ووجه الاستعارة الأولى: أن الإسلام يجمع أهله ويحميهم كالدار.

ووجه الثانية: أن الجنة مجتمع الشهوات ومنتجع اللذات كالمأدبة.

ويحتمل أن يريد بالدار الآخرة باعتبار كونها مجمعاً ومستقراً، والمأدبة فيها الجنة،

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦١٥.

والمنصوبات الثمانية مميزات لتلك المأدبة، وظاهر أن وجود الإسلام والجنة والدعوة إليها بلاء حسن من الله لخلقه، وقد عرفت معنى ابتلائه تعالى .
وقال بعض الشارحين: إن قوله: «بِحُسْنِ بَلَائِكَ» متعلق «بسبحانك» أو «بمعبود»، وهو بعيد .

الثالثة: قوله: «فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا...» إلى قوله: «بِوَاعِظٍ»: شرح لحال العصاة الذين لم يجيبوا داعي الله، وبيان لعيوبهم، وغرقهم في حبّ الباطل من الدنيا .
وفائدته: أمّا للمتقين اللّازمين لأوامر الله المحييين لدعوته: فتنفيرهم عن الركون إلى هؤلاء، والوقوع فيما وقعوا فيه .
وأما هؤلاء فتنبههم من مراقب غفلاتهم بتذكيرهم عيوبهم لعلهم يرجعون، واستعار لفظ الجيفة للدنيا .

ووجه المشابهة أن لذات الدنيا وقيناتها في نظر العقلاء واعتبار الصالحين منفور عنها، ومهروب منها، ومستقرة كالجيفة، وإلى ذلك أشار الواصف لها:
وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهَا كِلَابٌ هُمُومٌ اجْتَذَبُوهَا
فَإِنْ تَجَنَّبَهَا كُنْتَ سَلَامًا لِأَهْلِهَا وَإِنْ تَجَنَّبَهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا
ويمكن أخذ معنى البيت الثاني في وجه الاستعارة المذكورة .

وكذلك استعار لفظ الافتضاح للاشتهار باقتنائها وجمعها، والخروج بها عن شعائر الصالحين .

ووجه الاستعارة أنه لما كان الإقبال على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الله من أعظم الكبائر والمساوئ في نظر الشارع والسالكين لطريق الله، وكان الافتضاح عبارة

١٠٠ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

عن انكشاف المساوي المتعارف قبورها؛ لا جرم أشبه الاشتهار بجمعها وانكشاف الحرص عليها الافتضاح، ويمكن أن يصدق الافتضاح هاهنا حقيقة.

وكنى بأكلها عن جمعها، وتحوز بلفظ الاصطلاح في التوافق على محبتها إطلاقاً لاسم الملزوم على لازمه؛ فإن الإصلاح عبارة عن التراضي بعد التغاضب، ويلزمه الاتفاق على الأحوال.

وقوله: «وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ»: كبرى قياس دلّ على صغراه، وقوله: «وَأَصْطَلَحُوا عَلَى حَبِّهَا»: لأن الاصطلاح على محبة الشيء يستلزم شدة محبته، وهو معنى العشق:

ونتيجه: أنّ المذكورين في معرض الذمّ قد أعشت الدنيا أبصارهم وأمراضت قلوبهم، واستعار لفظ البصر لنور البصيرة ملاحظة لشبه المعقول بالمحسوس، ولفظ العشاء، لظلمة الجهل؛ ملاحظة للشبه بالظلمة العارضة للعين بالليل، وإسناد الإعشاء إلى الدنيا يحتمل أن يكون حقيقة لما يستلزمه حبها من الجهل والغفلة عن أحوال الآخرة، ويحتمل أن يريد بالبصر حقيقته، ويكون لفظ العشاء مستعاراً؛ لعدم استفادتهم بأبصارهم عبرة تصرفهم عن حبّ الدنيا إلى ملاحظة أحوال الآخرة، ويؤيده قوله: «فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ».

وكنى بعدم صحتها عما يلزم العين غير الصحيحة من عدم الانتفاع بها في تحصيل الفائدة، وكذلك استعار لفظ المرض للداء الأكبر، وهو الجهل، استعارة لفظ المحسوس للمعقول.

وقوله: «فَهُوَ يَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ»:

وكُنّي بذلك عن عدم إفادتها عبرةً من المواعظ والزواجر الإلهية كما سبق، وكذلك استعار لفظ التخريق لتفرّق عقله في مهمّات الدنيا ومطالبها.

ووجه الاستعارة: أنّ العقل إذا استعمل فيما خُلِقَ لأجله - من اتّخاذ الزاد ليوم المعاد، واقتباس العلم والحكمة من تصفّح جزئيات الدنيا، والاستدلال منها على وجود الصانع وما ينبغي له، ونحو ذلك ممّا هو كماله المستعدّ في الآخرة - فإنّه يكون منتظماً منتفعاً به.

وأما إن استعمل فيما لا ينبغي - من جميع متفرّقات الدنيا، وتوزيع الهمة في تحصيل جزئياتها وضبطها حتّى يكون أبداً في الحزن والأسف على فوات ما فات، وفي الخوف من زوال ما يحصل، وفي الهمة والحرص على جمع ما لم يحصل بعد - فإنّه يكون كالثوب المحرّق الذي لا ينتفع به صاحبه، ونحوه قول الرسول ﷺ: من جعل الدنيا أكبر همّه فرق الله عليه همّه، وجعل فقره بين عينيه^(١)، الحديث. ونسبة ذلك التخريق إلى الشهوات ظاهرة؛ إذ كان زمام عقله بيد شهوته، فهي تفرّقه وتمزّقه على حسب تصرّفات وميولها إلى أنواع المشتبهات.

وكذلك استعار لفظ الإماتة لقلبه.

ووجه المشابهة: خروجه عن الانتفاع به الانتفاع الحقيقيّ الباقي كالميت، والضمير في قوله: «عَلَيْهَا» يعود إلى الدنيا: أي وولّيت الدنيا على نفسها.

وكُنّي بالتولّ عن شدّة المحبّة لها، وأطلقه مجازاً تسمية للشيء بما هو من غاياته، وكذلك استعار لفظ العبد له؛ لكونه محبّها والمتجرّد لتحصيلها متصرّفاً بحسب

(١) انظر حلية الأولياء ١٠: ٢٤٧، المعجم الوسيط للطبراني ٥: ٥/٣١٩، مجمع الزوائد ١٠: ٢٤٧.

تصريفها؛ ودائراً في حركاته حيث دارت، فإن كانت في يده أقبل عليها بالعمارة والحفظ، وإن زالت عنه أنصب إلى تحصيلها وخدمة من كانت في يده لغرضها، فهو في ذلك كالعبد لها بل أخس حالاً كما قال عليه السلام في موضع آخر: عبد الشهوة أذل من عبد الرق^(١). إذا الباعث لعبد الرق على الخدمة والانقياد قد يكون قسرياً، والباعث لعبد الشهوة طبعي، وشتان ما بينهما.

الرابعة: قوله: «وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغِرَّةِ»: فالواو في قوله: وهو للحال، وهو شروع في وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد له ولما وراءه من أحوال الآخرة، وكيفية قبض الموت لأرواحهم من مبدأ نزوله بهم.. إلى آخره وكيفية أحوالهم مع أهلهم وإخوانهم معه، وهو وصف لا مزيد على وضوحه وبلاغته. وفائدته: تذكير العصاة بأهوال الموت، وتنبيههم من غفلتهم في الباطل بذلك على وجوب العمل له، وتثبيت للسالكين إلى الله على ما هم عليه. ومراده بقوله: «مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ»: لا الموت فإنه معلوم لكل أحد، بل تفصيل سكراته وأهواله.

«وَمَا كَانُوا يَأْمُنُونَ»: إشارة إلى الموت وما بعده، فإن الغافل حال انهماك في لذات الدنيا لا يعرض له خوف الموت، بل يكون في تلك الحال آمناً منه.

وقوله: «فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ»: أي ليس ذلك ممّا يمكن استقصائه بوصف، بل غايته التمثيل، كما ورد في التوراة: أن مثل الموت كمثل شجرة شوك أدرجت في بدن ابن آدم فتعلقت كل شوكه بعرق وعصب ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى.

(١) غرر الحكم ٢: ١٣/٤٠.

واستعار لفظ الولوج لما يتصور من فراق الحياة لعضو عضو، فأشبه ذلك دخول جسم في جسم آخر.

وكذلك استعار لفظ العبء للآثام التي تحملها النفس، ورشح بذكر الظهر استعارة لفظ المحسوس للمعقول^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام منها في ذكر زهد النبي صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام:

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، (وَأَهْوَنَ بِهَا)^(٢) وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَّاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ اخْتِقَارًا، (فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا)^(٣) بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ^(٤)، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَامًا. بَلَغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا، (وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّرًا)^{(٥)(٦)}.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٦١ - ٦٤ / في شرح الخطبة رقم ١٠٦.

(٢) في نهج ابن ميثم: (وأهونها) بدل (وأهون بها).

(٣) في شرح نهج ابن ميثم ومحمد عبده: (فأعرض عنها) بدل (فأعرض عن الدنيا).

(٤) في نهج الشيخ العطار: (من نفسه) بدل (عن نفسه).

(٥) جملة (وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّرًا): ليس في نهج الشيخ العطار وابن ميثم ومحمد عبده.

(٦) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٦٢ / ضمن الخطبة رقم ١٠٩، نهج البلاغة للمحقق الشيخ

العطار: ٢١٥ / ضمن الخطبة رقم ١٠٨، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٧١ / ضمن الخطبة

رقم ١٠٦، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢٣٢.

شرح الألفاظ الغريبة:

زَوَاهَا: قَبَضَهَا؛ الرِّيش: اللباس الفاخر؛ مُعْذِرًا: مَبِينًا لِلَّهِ حُجَّةً تقوم مقام العذر في عقابهم إن خالفوا أمره^(١).

شرح نهج ابن ميثم البحراني:

الفصل اقتصاص لحال الرسول ﷺ وأوصافه الحميدة ليبي عليها مباح نفسه بعد.

فتحقيقه للدنيا وتصغيرها وتهوينها: إشارة إلى ما كان يجذب الخلق به عنها من ذكر مدامها وتعدد معانيها.

«وإهوانه بها»: إشارة إلى زهده فيها.

وعلمه بإزاء الله إِيَّاهَا عنه اختياراً: إشارة إلى أَنَّ زهده فيها كان عن علم منه باختيار الله له ذلك وتسبب أسبابه، وهو وجه مصلحته؛ ليستعد نفسه بذلك لكمال النبوة، والقيام بأعباء الخلافة الأرضية، وبسطها لغيره احتقاراً لها.

وقد عرفت معنى الاختيار من الله لخلق غير مرة، فكان إعراضه عنها بقلبه، إماتة ذكرها عن نفسه، ومحبتته لأن تغيب زينتها عن عينه؛ لئلا يتخذ منها ريشاً ولا يرجو فيها مقاماً: جذباً للعناية الإلهية له عن الالتفات إلى الالتقاط إلى الكمالات المعلومه له، وعن أن ينحط لمحبتتها عن مقامه الذي قضت العناية الإلهية بنظام العالم بسببه.

ثم أعقب ذلك بذكر ثلاثة أحوال هي ثمره النبوة، التي هي ثمرة الزهد المشار إليه، وهي: تبليغ رسالة ربه إعداراً إلى خلقه أن يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦١٦.

غَافِلِينَ ﴿١﴾، والنصح لهم إنذاراً بالعذاب الأليم في عاقبة الإعراض عن الله، ودعائه إلى الجنة مبشراً لمن سلك سبيل الله ونهجه المستقيم بما أعدَّ له فيها من النعيم المقيم ﴿٢﴾.

الدنيا في خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا قائلاً عليه أفضل الصلاة والسلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَحذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلُوَّةٌ خَصِرَةٌ، حُقَّتْ
بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ
بِالْأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلَا تُؤْمَنُ
فَجَعَتُهَا. غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ
غَوَّالَةٌ، لَا تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ - إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا
وَالرِّضَاءِ بِهَا - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) ﴿٣﴾:
﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ
هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ ﴿٤﴾.
لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا (أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ) ﴿٥﴾، وَلَمْ
يَلْقَ فِي سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا؛ وَلَمْ تَطْلُ

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٣: ٧١ - ٧٢ / شرح الخطبة رقم ١٠٦.

(٣) في نهج البلاغة لصبحي صالح ونهج محمد عبده: تعالى سبحانه.

(٤) الكهف: ٤٥.

(٥) ما بين القوسين في نهج ابن أبي عمير: أعقبها عبرة.

فِيهَا دِيْمَةٌ رَخَاءٍ إِلَّا هَتَنْتَ عَلَيْهِ مُرْتَهُ بَلَاءٍ! وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ
لَهُ مُنْتَصِرَةٌ أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا أَعْدُوذَبٌ
وَأَحْلَوْلَى، أَمَرَ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى!

لَا يَنَالُ أَمْرُؤُ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا!
وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ!
غَرَارَةٌ، غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ، فَا نٍ مَنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ
مِنْ أَرْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى.

مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْتَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ! وَمَنْ اسْتَكْتَرَ مِنْهَا اسْتَكْتَرَ مِمَّا
يُوبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ.

كَمْ مِنْ وَائِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي
أُبْهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا! سُلْطَانُهَا
دَوْلٌ، وَعَيْشُهَا رَنَقٌ، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ، وَحُلُوهَا صَبْرٌ، وَغِذَاؤُهَا
سِمَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ! حَيْثُهَا بَعْرَضٌ^(١) مُوتٍ، وَصَحِيحُهَا
بَعْرَضٌ^(٢) سُقْمٍ! مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا
مَنْكُوبٌ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ!

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى آثَارًا،
وَأَبْعَدَ آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْتَفَ جُنُودًا، تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ

(١) في شرح نهج ابن ميثم ومحمد عبده: بَعْرَضٌ.

(٢) في شرح نهج ابن ميثم ومحمد عبده: بَعْرَضٌ.

تَعْبُدُ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ، ثُمَّ طَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ.

فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ؟ أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنْتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَاحِشِ، وَأَوْهَنْتَهُمْ^(١) بِالْقَوَارِعِ، وَضَعَعَتْهُمْ بِالتَّوَائِبِ، وَعَقَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاحِرِ، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمُنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا، حَتَّى^(٢) طَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ.

وَالْهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّعْبَ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ! أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا! فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَطَاعِعُونَ عَنْهَا، وَاتَّعَظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا ﴿مَنْ أَشَدُّ مِمَّا قُوَّةً﴾^(٤)، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ^(٥)، فَلَا يُدْعَوْنَ

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: وَأَوْهَنْتَهُمْ.

(٢) في نهج البلاغة لصبحي صالح ونهج البلاغة للعطار: حين.

(٣) (الواو): ليست في نهج الشيخ العطار.

(٤) فصلت: ١٥.

(٥) كلمة (الأجداث): ليست في نهج البلاغة للشيخ العطار.

ضَيْفَانًا، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ،
وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا، وَلَا يَمْنَعُونَ
ضَيْمًا، وَلَا يُبَالُونَ مَنَدَبَةً، إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا
لَمْ يَقْنَطُوا، جَمِيعٌ وَهُمْ أَحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ
لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ
أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ،
وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، أَسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا، وَبِالسَّعَةِ
ضَيْقًا، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالتُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاوَوْهَا كَمَا فَارَقُوهَا،
حُفَاءَ عُرَاءَةٍ، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالْدَّارِ
الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(١): ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢) (٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

الحبرة: - بالفتح - السرور والنعمة؛ حائلة: متغيرة؛ نافذة: فانية؛ بائدة: هالكة؛
عَوَالَةٌ: مُهْلِكَةٌ؛ الهَشِيم: النبت اليابس المكسّر؛ العُبْرَة: - بالفتح - الدمعة قبل أن

(١) جملة (وتعالى): ليست في نهج البلاغة للشيخ العطار.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٦٤ - ١٦٧ / خطبة رقم ١١١، وفي نهج البلاغة للمحقق الشيخ
العطار: ٢١٧ - ٢٢١ / خطبة رقم ١١٠، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٣: ٨٣ - ٨٥ /
خطبة رقم ١٠٨، ونهج الشيخ محمد عبده ١: ٢٣٤ - ٢٣٨.

تفيض؛ كَتَى «بالطن»: عن الإقبال؛ كَتَى «بالظهر»: عن الإدبار؛ الطَّل: المطر الخفيف، وطلته السماء: أمطرته مطراً قليلاً؛ الديمة: مطر يدوم في سكون، لا رعد ولا برق معه؛ الرخاء: السعة؛ هتنت المُنْزَن: انصبَّت؛ أُوْبَى: صار كثير الوباء، والوباء هو المعروف بالريح الأصفر؛ الغَضارة: النعمة والسعة؛ الرَّغَب: - بالتحريك - الرغبة والمرغوب؛ أَرْهَقَتْهُ التعب: ألحَقَتْهُ به؛ القوادم: جمع قادمة، الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدّم جناح الطائر، وهي القوادم، والعُشْر التي تحتها هي الحَوَافِي؛ يُوبِقُهُ: يُهْلِكُهُ؛ أُبْهَةِ: - بضم فتشديد - عَظَمَةَ؛ النَّخْوَةَ: - بفتح النون - الافتخار؛ دُوْل: - بضم - الدال وفتح الواو المشددة - المتحوّل؛ رَنَق: - بفتح فكسر - كَدِر؛ أُجَاج: شديد الملوحة؛ الصَّير: - كَكَتِف - عَصَاة شجر مُرّ؛ سَمَام: جمع سم، مثلث السين وهو من المواد ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه؛ رِمَام: جمع رُمّة - بالضم - وهي القطعة البالية من الحبل؛ مَوْفُورُهَا: ما كثر منها، مصاب بالنكبة، وهي المصيبة أي في مَعْرِض لذلك؛ مَخْرُوب: من حَرَبَهُ حَرْباً - بالتحريك - إذا سلب ماله؛ ظَهَرَ قَاطِع: راحلة تركب لقطع الطريق؛ الفِدْيَةُ: الفداء؛ أَرْهَقَتْهُمْ: غَشِيَتْهُمْ، القوادح: جمع قادح، وهو أكال - كزُكام - يقع في الشجر والأسنان؛ أَوْهَقَتْهُمْ: جعلتهم في الوَهَق - بفتح الهاء - وهو حبل كالطُّول؛ والقوارع: المِحَن والدواهي؛ ضَعَعَتْهُمْ: ذَلَّلَتْهُمْ؛ عَفَّرَتْهُمْ: كَبَتْهُمْ على مَنَاحِرِهِمْ في العَفَر، وهو التراب؛ المَنَاسِم: جمع مَنَسَم، وهو مقدّم خُفّ البعير، أو الخُفّ نفسه؛ دَانَ لها: خضع؛ أخلد لها: ركن إليها؛ السَّغَب: - بالتحريك - الجوع؛ الضَّنْكَ: الضَّيق؛ لا يَدْعُونَ رُكْبَاناً: لا يقال لهم رُكْبَان: جمع راكب، لأنّ الراكب من يكون مختاراً، وله التصرّف في مركوبه؛ الأَجْدَاث: القبور؛ الصَّفِيح: وجهه كلّ شيء عريض، والمراد وجه الأرض؛ الأَجْنَانُ: جمع جَنَّ

١١٠ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

- بالتحريك - وهو القبر؛ الرّفات: العظام المندقّة المحطومة؛ جيّدوا: - بالبناء للمجهول - مُطِروا؛ لا يخشى فجّعهم: لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر^(١).

شرح ابن ميثم:

اعلم أنّ مدار هذا الفصل على التحذير من الدنيا والتنفير عنها بذكر معايها وفيه نكت:

فالأوّل: استعار لفظ الحلاوة والخضرة المتعلّقين بحسّي الذوق والبصر؛ لما يروق النفس منها وتلذّد.

ووجه المشابهة المشاركة في الالتذاذ به، وإنّما خصّ متعلّق هذين الحسنيين لأكثرية تأديتها إلى النفس والالتذاذ بواسطتها دون سائر الحواس.

الثانية: وصف الدنيا بكونها محفوفة بالشهوات.

وفي الخبر: حقّت الجنة بالمكاره، وحقّت النار بالشهوات^(٢).

قال أصحاب المعاني: وفي ذلك تنبيه على أنّ النار هي الدنيا، ومحبتها بعد المفارقة هو سبب عذابها.

قلت: إنّ ذلك غير مفهوم من كلامه عليه السلام.

وأما معنى الخبر فجاز أن يراد فيه: النار المعقولة فيكون قريباً ممّا قالوا، وجاز أن يراد: بالنار المحسوسة؛ ويكون المعنى على التقديرين: أنّ النار إنّما تدخل بالانهاك في مشتهيات الدنيا ولذاتها والخروج في استعمالها عمّا ينبغي إلى ما لا ينبغي، فكأنّها لذلك محفوفة ومحاطة بالشهوات لا يدخل إليها إلّا منها.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦١٦ - ٦١٧.

(٢) المجازات النبويّة: ٧١٦/٣٨٧، روضة الواعظين ٢: ١٣٢٨/٣٥٨.

وأراد بالعاجلة: اللذات الحاضرة التي مالت القلوب إلى الحياة الدنيا بسببها فأشبهت المرآة المتحبة بما لها وجمالها؛ فاستعير لها لفظ التحبب. وكذلك قوله: راقى بالقليل: أي أعجبت بزینتها القليلة بالنسبة إلى متاع الآخرة كمیة وكيفية.

وكذلك تجليها بالآمال الكاذبة المنقطعة وبزینتها مما هو في الأمر غرور وباطل؛ فإنه لولا الغرور والغفلة عن عاقبتها لما زانت في عيون طالبيها. الثالثة: استعار لها أوصاف المحتالة الخدوع؛ وهي كونها غرارة وغوالة: أي كثيرة الاستغفال لأهلها والخداع لهم.

ووصف السبع العقور؛ لكونها أكالة لهم. وكنى بالأولين عن كونها كالمخداع في كونها سبباً لغفلتهم عما خلقوا لأجله بالاشتغال بها والانهمك في لذاتها، وبالأكالة عن كونها كالسبع في إفنائهم بالموت وطحنهم تحت التراب.

الرابعة: معنى قوله: «لَا تَعْدُوا...» إلى قوله: «مُقْتَدِرًا»: أن غاية صفاتها للراغبين فيها والراضين بها، وموافقها لهم لا يتجاوز المثل، وهو: أن تزهر في عيونهم وتروقه محاسنها، ثم عن قليل تزول عنهم فكأنها لم تكن، كما هو معنى المثل المضروب لها في القرآن الكريم: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا...﴾ الآية^(١).

الخامسة: كنى بالعبارة عن الحزن المعاقب للسرور، وتخصيصه البطن بالسراء، والظهر بالضراء، ويحتمل أمرين:

(١) الكهف: ٤٥.

أحدهما: أن يريد بطن المِجَنّ وظهره؛ وذلك من العادة في حال الحرب أن يلقى الإنسان ظهر المِجَنّ، وفي حال السلم أن يلقى المِجَنّ بطنه ظاهراً، فجرى المثل به في المتنكرين والمخاصمين بعد سلم، فقل: قَلَبَ لَهُ ظَهَرَ المِجَنّ، كما قال علي عليه السلام لابن عباس في بعض كتبه إليه: قَلَبْتَ لَابِنِ عَمَّكَ ظَهَرَ المِجَنّ^(١)، فكذلك استعمل هاهنا لقائها للمرء ببطنها في إقبالها عليه، ولقاءه منها ظهراً في إدبارها عنه ومحاربتها له.

الثاني: يحتمل أن يريد بطنها وظهرها؛ وذلك أن العادة فيمن يلقى صاحبه بالبشر والسرور أن يلقاها بوجهه وبطنه، وفيمن يلقاه بالتنكير والإدبار أن يلقى بظهره مؤلياً عنه، فاستعير ذلك للدنيا وعبر به عن إقبالها وإدبارها.

السادسة: وإِنَّمَا خَصَّ أَمْنَهَا بِالْجَنَاحِ، لأنَّ الجناح محلّ التغيّر بسرعة فنبتّه به على سرعة تغيّر أَمْنَهَا، وإِنَّمَا خَصَّ الخوف القوادم من الجناح؛ لأنَّ القوادم هي رأس الجناح، وهي الأصل في سرعة حركته وتغيّره، وهو في مساق ذمّها والتخويف منها، فحسن ذلك التخصيص، ومراده: أنّه وإن حصل فيها أمن فهو في محلّ التغيّر السريع، والخوف إليه أسرع، لتخصيصه بالقوادم.

السابعة: «لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى»: استثنى ما هو المقصود من خلق الدنيا وأشار إلى وجود هذا النوع فيها، وهو التقوى الموصل إلى الله سبحانه، وإنّما كان من أزواد الدنيا؛ لأنّه لا يمكن تحصيله إلّا فيها، وقد سبقت الإشارة إليه في قوله: فَتَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا.

وظاهر أنّه لا خير فيما عداه من أزوادها، لفنائته ومضرّته في الآخرة.

(١) مجمع الأمثال ٢: ٤٩٠ / شرح المثل رقم ٢٨٦٩.

الثامنة: «مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ»: أي من الزهد فيها، وقد عرفت كيفية الأمان من عذاب الله.

«وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبِقُهُ»: وهو ملكات السوء المحاصلة عن حبّ قيناتها وملذّاتها الفانية الموجبة للهلاك بعد مفارقتها وزوالها.

التاسعة: استعار لفظ العذب والحلو لذّاتها، ولفظي الأجاج - وهو المالح - والصبر لما يشوب لذّاتها من الكدر بالأمراض والتغيّرات.

ووجه الاستعارات: الاشتراك في الالتذاذ والإيلام.

العاشرة: استعار لفظ الغذاء، وكثي به عن لذّاتها أيضاً، ولفظ السّمام له.

ووجه الاستعارة: ما يستعقب الانهك في لذّاتها من الهلاك في الآخرة كما يستعقبه شرب السمّ، والسّمام: جمع سمّ.

ثمّ أعقب التحذير منها بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ثمّ كان أطول أعماراً وأشدّ بأساً من تغيّراتها وتكرّراتها لهم، مع شدّة محبّتهم وتعبدّهم لها.

والسؤال على سبيل الإنكار عن دوام سرورها لهم، وحسن صحبتها إليّاهم، وصرّح بعده بالإنكار بقوله: «بَلْ أَزْهَقْتَهُم بِالْفَوَادِحِ»، واستعار لها لفظ الإزهاق، والتّضعُض، والتّعفير، والوطء، وإعانة رَيْبِ الْمَنُونِ عَلَيْهِم، وأسند إليها أفعال الأحياء؛ ملاحظة تشبّوها بالمرأة المتزيّنة لخداع الرجال عن أنفسهم وأموالهم ونحو ذلك.

الحادية عشر: لما فرغ من ذمّها والتنفير عنها بتعديد مذامّها استفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن إثارة لها بهذا المذاق، واطمينانهم إليها وحرصهم عليها.

ثمّ عاد إلى ذمّها مجملاً بقوله: «بِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهْمَهَا»: أي لمن اعتقد

بصحتها وأثمها مقصودة بالذات فركن إليها، فإنها بذلك الاعتبار مذمومة في حقّه، إذ كانت سبب هلاكه في الآخرة.

فأما المّتهم لها بالخديعة والغرور، فإنّه يكون فيها على وجل منها عاملاً لما بعدها، فكانت محمودّة له؛ إذ كانت سبب سعادته في الآخرة.

ثمّ شرع في الأمر بالعمل على وفق العلم بمفارقتها؛ وذلك أنّ ترك العمل للآخرة إنّما يكون للاشتغال بالدنيا، فالعالم بضرورة مفارقتها له وما أعدّ لتارك العمل من العذاب الأليم إذا تّبّه على تلك الحال، كان ذلك صارفاً له عنها ومستلزماً للعمل لغيرها.

وأكد التنبيه على مفارقتها بالتذكّر بأحوال المفارقين لها بعد مفارقتها المضادة للأحوال المعتادة للأحياء التي ألفوها واستراحوا إليها؛ إذ كان من عادتهم إذا حملوا أن يسمّوا ركبناً، وإذا نزلوا أن يسمّوا ضيفاناً، وإذا تجاوروا أن يجيبوا داعيهم ويمنعوا عنه الضيم، وأن يفرحوا إن جادهم الغيث، ويقنطوا إن قحطوا منه، وأن يتزاوروا في التداني ويحلموا عند وجود الأضغان، ويجهلوا عند قيام الأحقاد، ويخشوا ويرجوا، فسلبت عنهم تلك الصفات وعرفوا بأضداد تلك السمات.

الثانية عشر: «فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا»: أي أشبه مجيئهم إليها ووجودهم فيها وخروجهم منها يوم مفارقتهم لها.

ووجه الشبه كونهم حُفَاءَ عُرَاةٍ، وهو كناية عن النفر منها، ودلّ على ذلك استشهاد بالآية الكريمة.

وموضوع قوله: «قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا»: النصب على الحال، كما انتصب حُفَاءَ عُرَاةٍ، والعامل فارقوها، ولا يقدر مثله بعد جاؤوها وإن قدر مثل الحالين السابقين.

قال الإمام الوبري رحمه الله عليه: فراقهم من الدنيا إن خلقوا منها، ومحيئهم إليها أن دفنوا فيها، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾^(١).

ثم قلت: وكان الحامل لهذا الإمام على هذا التأويل أنه لو كان مراده بمحيئهم إليها هو دخولهم فيها حين الولادة - مع أنه في ظاهر الأمر هو المشبه ومفارقتهم هي المشبه به - لانعكس الغرض؛ إذ المقصود تشبيه المفارقة بالمحيي وذلك يستلزم كون المشبه هو المفارقة والمشبه به هو المحيي.

لكن ينبغي أن يعلم أن المشابهة إذا حصلت بين الشيئين في نفس الأمر جاز أن يجعل أحدهما أصلاً والآخر فرعاً، وجاز أن يقصد أصل المساواة بينهما من دون ذلك، فحمله هنا على الوجه الثاني أولى من التعسف الذي ذكره.

فأما الآية فإن «من» فيها لبيان الجنس، فلا تدل على المفارقة والانفعال، وبالله التوفيق^(٢).

وقال أيضاً عليه السلام في خطبة أخرى في ذم الدنيا:

أَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنَزِلُ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نَجْعَةٍ،
قَدْ تَزَيَّيْتُ بُعْرُورَهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارٌ^(٣) هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا،
فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتُهَا بِمَوْتِهَا،

(١) غافر: ٦٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٣: ٨٦ - ٨٩ / شرح الخطبة رقم ١٠٨.

(٣) كلمة (دار): ليست في شرح نهج ابن ميثم ونهج محمد عبده؛ وهي في نهج صبحي صالح: (دارها).

وَحُلُّوْهَا بِمُرَّهَا، لَمْ يُصْنِفْهَا اللَّهُ تَعَالَى ^(١) لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضَنْ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ، خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ، وَجَمْعُهَا يَنْقُذُ، وَمُلْكُهَا يُسْلِبُ، وَعَامِرُهَا يُخْرِبُ، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وَعُمْرٍ يَقْنِي فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ؟! أَجْعَلُوا مَا أَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، وَأَسْأَلُوهُ مِنْ آدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ.

إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرَحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا.

قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْأَمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذِلُونَ ^(٢) وَلَا تَوَادُّونَ.

مَا بِالْكُمُ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ ^(٣)، وَلَا يَحْزُنُكُمُ

(١) كلمة (تعالى): ليست في نهج الشيخ العطار.

(٢) في شرح نهج ابن ميثم ونهج محمد عبده: (تبادلون) بدل (تبادلون).

(٣) في شرح نهج ابن ميثم ونهج محمد عبده: (تملكونه) بدل (تدركونه).

الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقْلَقُكُمْ^(١) أَلَيْسَ مِنَ الدُّنْيَا
يَقُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا
زُويَ مِنْهَا عَنْكُمْ؟! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ
عَلَيْكُمْ.

وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةً
أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ.

قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينَ
أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ، صَنِيعَ^(٢) مَنْ قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَخْرَزَ
رَضَى سَيِّدِهِ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

الْقُلْعَةُ: - بضم القاف وسكون اللام - ليست بمستوطنه؛ التُّجْعَةُ: - بضم النون -
طلب الكلاء في موضعه، أي ليست محط الرحال ولا مبلغ الآمال؛ عَتِيدٌ: حاضر؛
اغْتَبِطُوا: بالبناء للمجهول، غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق؛ زُويَ: من زَوَاه إذا
نَحَاه؛ عَبَّرَ بِاللُّعْقَةِ: عن الإقرار باللسان مع ركون القلب إلى مخالفته^(٤).

(١) في شرح نهج ابن ميثم ونهج محمد عبده: (وَيُقْلَقُكُمْ) بتشديد الدال وكسرها.

(٢) في شرح نهج ابن ميثم: (صَنِيعٌ)، وفي نهج محمد عبده: (صَنِيعٌ).

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٦٧ - ١٦٨ / خطبة رقم ١١٣، وهي في نهج البلاغة للشيخ
العطّار: ٢٢٢ / خطبة رقم ١١٢، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم: ٣: ٩٢ - ٩٣ / خطبة رقم ١١٠،
ونهج البلاغة لمحمد عبده ١: ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٦١٧.

شرح ابن ميثم البحراني :

في هذا الفصل نكت :

الأولى : التحذير من الدنيا والاستدراج إلى تركها بذكر معايها، وذلك من أول الفصل إلى قوله : «انْقِطَاعَ السَّيْرِ» .

فأشار أولاً : إلى أنها لا تصلح للاستيطان وطلب الكلاء، وكفى به عما ينبغي أن يطلب من الخيرات الباقية، التي هي محل الأمن والسرور الدائم .

وثانياً : إلى أن زينتها سبب لاستغفالها الخلق ؛ والاعتزاز بها سبب لاستحسانها .

فإن قلت : فقد جعل الزينة سبباً للغرور، والغرور سبباً للزينة، وذلك دور .

قلت : إنما جعل الزينة سبباً للاستغرار، والغرور سبباً لاستحسانها وعدم التنبّه

لمعائبها، فلا دور .

وثالثاً : إنها «هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا» : أي لم تكن العناية الإلهية إليها بالذات فلم تكن

خيراً محضاً، بل كان كلّ ما فيها ممّا يعدّ مشوباً بشرّ يقابله، وذلك بحسب الممكن فيها

وزهادة خيرها بالنسبة إلى خير الآخرة .

الثانية : التأديب بأوامر :

أحدها : أن يجعلوا فرائض الله عليهم من جملة ما يطلبونه منه، والغرض

أن تصير محبوبة لهم كمحبّتهم لما يسألونه من مال وغيره فيواظبوا على العمل

بها .

الثاني : أن يسألوه أداء حقّه عنهم، وذلك بالإعانة والتوفيق والإعداد لذلك، كما

سألهم أداء حقّه، والغرض أيضاً أن يصير الأداء مهماً لهم محبوباً إليهم، ونحوه في

الدعاء المأثور: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي مِنْ نَفْسِي مَا لَا أَمْلُكُهُ إِلَّا بِكَ فَأَعْطِنِي مِنْهَا مَا يُرْضِيكَ عَنِّي»^(١).

الثالث: أَنْ يُسْمِعُوا دَاعِيَ الْمَوْتِ أَذَانَهُمْ: أي يقصدون سماع كل لفظ يخوف الموت وأهواله، وذلك بالجلوس مجالس الذكر ومحاضرة الزاهدين في الدنيا، وفائدة ذكر الموت تنغيص اللذات الدنيوية كما قال عليه السلام: أكثروا ذكر هادم اللذات^(٢).

الثالثة: شرح حال الزاهدين في الدنيا ليهتدي من عساه أن ينجذب إلى الله إلى كيفية طريقتهم فيقتدى بهم. فذكر لهم أوصافاً:

الأول: إنهم تبكي قلوبهم وإن ضحكوا؛ وذلك إشارة إلى دوام حزنهم لملاحظتهم الخوف من الله، فإن ضحكوا مع ذلك فمعاملة مع الخلق.

الثاني: إنهم يشتد حزنهم وإن فرحوا، وهو قريب مما قبله.

الثالث: أنه قد يكثر لبعضهم متاع الحياة الدنيا ولكنهم يتمردون على أنفسهم فيتركون الالتفات إليها بالزينة وطاعتها فيما تدعوهم إليه من متاع الحياة الدنيا المحاضرة وإن غبطهم غيرهم بما قسم لهم من رزق.

الرابعة: تعنيف السامعين على ما هم عليه من الأحوال المضرة في الآخرة، وذلك بالغفلة عن ذكر الأجل واستحضارهم للآمال الكاذبة وغيرها من الأحوال المذكورة، إلى آخر الفصل.

ومحَلّ - «تُدْرِكُونَهُ وَتُخْرِمُونَهُ وَيَقُوتُكُمْ»: النصب على الحال.

(١) كنز العمال ٢: ٥١١٠/٦٩٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٢٥/٧٥، دعوات الراوندي: ٢٣٨.

«وَقَلَّةٌ صَبْرَكُمْ»: عطف على وجوهكم: أي حتّى يتبيّن ذلك القلق في وجوهكم وفي قلّة صبركم عما غيّب عنكم منها.

وقوله: «وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ...» إلى آخره.

أي ما يمنع أحدكم من لقاء أخيه لعيبه ولائته عليه إلاّ الخوف منه أن يلقاه بمثله لمشاركته إيّاه فيه، كما صرح به في قوله: «تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ...» إلى آخره.

واستعار لفظ اللّعة لما ينطق به من شعار الإسلام والدين، كالشهادتين ونحوهما من دون ثبات ذلك في القلب ورسوخه والعمل على وفقه.

«وَصَنِيعٌ»: نصب على المصدر: أي صنعتم صنيعاً مثل صنيع من أحرز رضا سيّده بقضاء ما أمره به.

ووجه التشبيه: الاشتراك في الترك والإعراض عن العمل، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له وفيها مواعظ للناس، قال عليه السلام:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ أَلْوَصِلِ أَلْحَمْدَ بِالنَّعَمِ، وَالنَّعَمَ بِالشُّكْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى
آلَائِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ
الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السَّرَّاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا
أَخَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ
مُعَادِرٍ، وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِّنْ عَايِنِ الْغُيُوبِ، وَوَقَفَ عَلَى
الْمَوْعُودِ، إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشُّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ، وَنَشْهَدُ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ٩٤ - ٩٥ / شرح الخطبة رقم ١١٠.

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ
مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَتَقَلُّ مِيزَانُ تَرْفَعَانِ عَنْهُ^(١).

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ^(٢)؛
زَادٌ مُبْلَغٌ، وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاَهَا خَيْرٌ
وَاعٍ، فَاسْمَعِ دَاعِيَهَا، وَفَارِزَ وَاعِيَهَا.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلَزَمَتْ
قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَشْهَرَتْ لِيَا لِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ،
فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ، وَالرَّيَّ بِالظُّلْمِ؛ وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ
فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظَّوَا الْأَجَلَ.

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغَيْرٍ وَعِبرٍ: فَمِنْ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ
مُوتِرٌ^(٣) قَوْسُهُ، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤَسِّيُ جِرَاحُهُ، يَرْمِي
الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، وَالتَّاجِيَ بِالْعَطَبِ، أَكِلٌ
لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ، وَمِنْ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا
لَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ، لَا مَالًا حَمَلَ،
وَلَا بَنَاءً نَقَلَ!

وَمِنْ غَيْرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا،

(١) في نهج البلاغة للشيخ العطار: مِنْهُ.

(٢) في شرح نهج ابن ميثم ونهج محمد عبده: (الْمَعَادُ) بدل (الْمَعَادُ) وفي المورد الثاني: (وَمَعَادُ).

(٣) في نهج ابن ميثم ومحمد عبده: (مُوتِرٌ) بتشديد التاء المكسورة.

لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ، وَبُؤْسًا نَزَلَ.
وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ،
فَلَا أَمَلٌ يُدْرِكُ وَلَا مَوْتٌ يُتْرَكُ.
فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَغَرَّ^(١) سُرُورَهَا! وَأَظْمَأَ رِيَّهَا! وَأَضْحَى فَيْئَهَا!
لَا جَاءَ يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ.
فَسُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِ بِهِ، وَأَبْعَدَ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.
إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ
الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ،
وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ
الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ.
وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ
مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا: فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ
خَاسِرٍ! إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَمَا أُحِلَّ
لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُّوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا
اتَّسَعَ^(٢) ..

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: (أَغَرَّ) بدل من (أَغَرَّ).

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٦٩ - ١٧٠ / خطبة رقم ١١٤، وفي نهج البلاغة تحقيق الشيخ
العطّار: ٢٢٤ - ٢٢٦ / خطبة رقم ١١٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير البحراني ٩٥ - ٩٧ /
خطبة رقم ١١١، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢٤٠ - ٢٤٣.

شرح الألفاظ الغريبة:

البِطَاءُ: - بكسر الباء - جمع بطيئة؛ السَّراع: جمع السريعة؛ غير مُعَادِرٍ: غير تارك شيئاً إلا أحاط به؛ وَعَاها: حَفِظَهَا وَفَهَمَهَا؛ حَمَى الشيء: منعه، أي منعهم إرتكاب محرماته؛ الهَوَاجِر: جمع هاجرة، شدة حرِّ النهار، وقد أَظْمِنَتْ هذه الهواجر بالصيام؛ النَّصَب: التعب؛ الدهر مُوتِرٌ قَوْسَه: شَبَّهَ بِن أوتر قوسه ليرمي بها أبناءه؛ تُؤْسِي: تُداوي، من أَسَوْتُ الجراح، داويته؛ لا يَنْقَعُ: لا يَشْتَفِي من العطش بالشرب^(١).

الشرح:

في الخطبة لطائف:

الأولى: أنه صدر الخطبة بحمد الله تعالى باعتبارين:

أحدهما: وصله حمد حامديه بإفاضة نعمه عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَسِنُ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢)، وسره أن العبد يستعدّ بشكر النعمة.

الثاني: وصله النعم التي يفيضها على عباده بإفاضة الاعتراف بها على أسرار قلوبهم، وقد علمت أن الاعتراف بالنعم هي حقيقة الشكر؛ فظهر إذن معنى وصله النعم بالشكر، وأن الشكر والتوفيق له نِعَمٌ أُخْرَى كما سبقت الإشارة إليه في الخطبة الأولى.

ويحتمل أن يريد الشكر منه تعالى لعباده الشاكرين كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦١٧ - ٦١٨.

(٢) إبراهيم: ٧.

شَاكِرٌ عَلِيمٌ»^(١) وظاهر أنَّ وصله نعمه بشكره في نهاية التفضّل والإنعام، فإنّ الإحسان المتعارف يستتبع الشكر من المحسن إليه، فأما من المحسن فذلك تفضّل آخر ورتبة أعلى.

الثانية: أنّه تَبَّه بتسويته بين حمده على النعماء وحمده على البلاء تنبيهاً منه على وجوب ذلك لأنّ النعمة قد تكون بلاءً من الله، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(٢) والبلاء منه أيضاً نعمة يستحقّ به الثواب الآجل، وسبب النعمة نعمة، وبهذا الاعتبار يجب الشكر على البلاء أيضاً كما يجب على النعماء؛ إذ الكلّ نعمة. الثالثة: تَبَّه على وجوب استعانته تعالى على النفوس، وذكر ما لأجله الاستعانة عليها، وهو كونها بطاءً عمّا أُمرت به من سائر التكاليف؛ وذلك لحاجة النفوس إلى مقاومة الطبيعة سراعاً إلى ما نهيت عنه من المعاصي، وذلك لموافقته مقتضى الطبيعة. الرابعة: تَبَّه على وجوب طلب المغفرة من الله لكلّ ذنب صغيرٍ أو كبيرٍ ممّا أحاط به علمه، وأحصاه كتابه المبين ولو حُفُّ المحفوظ - جبرئيل الأمين - علماً أحاط بكلّ شيء وكتاباً غير مغادر لشيء.

الخامسة: إنّما خَصَّ إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود، أي وقف على ما وُعدّ به المتّقون بعين الكشف؛ لكونه أقوى درجات الإيمان، فإنّ من الإيمان ما يكون بحسب التقليد، ومنه ما يكون بحسب البرهان وهو علم اليقين، وأقوى منه الإيمان بحسب الكشف والمشاهدة وهو عين اليقين، وذلك هو الإيمان الخالص فيه، وبحسب الإخلاص فيه يكون نفي الشرك، وبحسب يقينه يعني اعتقاد أنّ الأمر كذا مع اعتقاد

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) الأنبياء: ٣٥.

أنه لا يمكن أن يكون إلا كذا يكون نفي الشكّ، وقد علمت أنه عليه السلام من أهل هذه المرتبة.

السادسة: كون الشهادتين تصعدان القول وترفعان العمل؛ وذلك أنّ إخلاص الشهادتين أصل لقبول الأقوال والأعمال الصالحة لا يصعد إلى الله قول وعمل لا تكونان أصلاً له، وأشار إلى ذلك بقوله: «لا يَخِفُّ مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانُ تَرْفَعَانِ مِنْهُ».

وقد أشرنا إلى معنى الوزن فيما سبق وسنزيده بياناً إن شاء الله تعالى.

السابعة: أراد بكون تقوى الله هي الزاد: أنها الزاد المبلّغ، وأنّ بها المعاد: أي المعاد المنجح، وذلك أوردهما تفسيراً.

الثامنة: أراد بأسمع داعٍ: أشدّ الداعين إسماعاً وتبليغاً، وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأراد بخير واعي المسارعين إلى داعي الله الذين هم أفضل القوابل الإنسانية.

التاسعة: وصف ما يستلزم تقوى الله من الآثار في أولياء الله، ووصف الليالي بالسهر، والهواجر بالظلم؛ لكونهما ظرفين، فالليالي لقيام الصلاة والنهار للصوم؛ فكان مجازاً من باب إطلاق صفة المظروف على الظرف، وهو كقولهم: نهاره صائم وليله قائم.

وأخذهم الراحة: أي في الآخرة.

بالنصب: أي بتعب الأبدان من القيام.

والريّ من عين تسمّى سبيلاً بالاستعداد بظلم الصيام.

والفاء في فبادروا، ولاحظوا للتعليل؛ فإنّ استقراب الأجل مستلزم للعمل له ولما بعده، وكذلك تكذيب الأمل وانقطاعه ملازم لملاحظة الأجل.

العاشرة: ذكر مدام الدنيا إجمالاً، وهو كونها دار فناء وعناء، وغيرٍ وعبرٍ، ثم أعقب ذلك الإجماع بتفصيل كل جملة، وذلك إلى قوله: «وَلَا مُؤَمِّلٌ يُتْرَكُ»، واستعار لفظ الإيتار لإيتار الدهر، ورشح بذكر القوس.

ووجه الاستعارة: إنَّ الدهر كما يرمي بمصائبه المستندة إلى القضاء الإلهي الذي لا يتغير كما يرمي الرامي الذي لا يخطئ، وكذلك استعار لفظ الجراح لنوائب الدهر لاشتراكهما في الإيلام، ورشح بذكر عدم مداواة.

وكذلك استعار له لفظ الآكل والشارب عديدي الشيع والري.

ووجه المشابهة: كونه يأتي على الخلق فيفنيهم كما يأتي الآكل والشارب المذكوران على الطعام والشراب فيفنيانها.

وأراد بالمرحوم الذي يرى مغبوطاً أهل المسكنة والفقر، الذي يتبدل فقرهم بالغنى فيغبطون، وبالمغبوط الذي يرى مرحوماً: أهل الغنى المتبدلين به فقراً بحسب تصاريف الدهر فيصيروا في محل الرحمة.

وقوله: «لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ»: أي عن المغبوطين، وَبُؤْساً نَزَلَ بِهِمْ.

الحادية عشر: نسب الغرور إلى سرورها والظماً إلى ربها والضحى إلى فيئها، وأتى بلفظ التعجب، وكفى بربها عن استتمام لذاتها، وفيئها عن الركون إلى قنيتها والاعتداد عليها.

ووجه هذه النسب أنَّ سرورها وفيئها هي الصوارف عن العمل للآخرة، والملفتات عن الإقبال على الله؛ فكان سرورها أقوى سبب للغرور بها، وربها وفيئها أقوى الأسباب لظلمتهم فيها من شراء الأبرار وأوجب لأبراره إلى حرّ المجحيم، فل هذه النسبة جازت إضافة الغرور والظلم والضحى إلى سرورها وربها وفيئها.

وقوله: «لَا جَاءَ يُرَدُّ»: أي من آفات الدهر، كالموت والقتل ونحوهما.

«وَلَا مَاضٍ يُرْتَدُّ»: أي من الأموات، والفائت من الفنيات.

الثانية عشر: قوله: «إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ...» إلى قوله: «سَمَاعُهُ»: يحتمل أن يريد الشر والخير المطلقين، ويكون ذلك للمبالغة؛ إذ يقال للأمر الشريف والشديد: هذا أشد من الشديد، وأجود من الجيد.

ويحتمل أن يريد شر الدنيا وخيرها؛ فإن أعظم شر في الدنيا مستحقر في عقاب الله، وأعظم خير فيها مستحقر بالنسبة إلى ثواب الله.

ثم أكد ذلك بأعظمية أحوال الآخرة بالنسبة إلى أحوال الدنيا، ومصدق كلامه عليه السلام: «إِنَّ أَكْبَرَ شَرِّ يَتَصَوَّرُهُ الْإِنْسَانُ بِالسَّمْعِ وَيَسْتَهْوِلُهُ وَيَسْتَنْكَرُهُ مَنْ يَفْعَلُهُ صَوْرَةُ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ، فَإِذَا وَقَعَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَشَاهَدَهَا وَاضْطَرَّ إِلَى الْمَخَاصِمِ وَالْمَحَارِبِ سَهْلَ عَلَيْهِ مَا كَانَ يَسْتَصْعِبُهُ مِنْهَا، وَهَانَ فِي عَيْنِهِ ذَلِكَ الْوَقْعُ وَالْخَوْفُ.

وكذلك لا يزال الإنسان يتخوف المثل بين يدي الملوك، ويتصور عظمته وبطشهم إلى أن يصل إلى مجالسهم، فإنه يجد من نفسه زوال ذلك الخوف؛ فكانت مشاهدة ما كان يتصوره شراً عظيماً أهون عنده من وصفه والسماع له، وكذلك حال الخير، فإن الإنسان لا يزال يحرص على تحصيل الدرهم والدينار وغيرهما من سائر مطالب الدنيا، ويكون قلبه مشغولاً بتحصيله، فرحاً بانتظار وصوله، فإذا وصل إليه هان عليه؛ وهو أمر وجداني.

وأما أحوال الآخرة، فالذي يسمعه من شرورها وخيراتها إنما يلاحظها بالنسبة إلى خيرات الدنيا وشرورها، وربما كانت في اعتبار أكثر الخلق أهون من خيرات الدنيا وشرورها؛ لقرب الخلق من المحسوس، وقرب الدنيا منهم، وذوقهم لها دون

الآخرة - مع قيام البرهان العقليّ على ضعف الأحوال الحاضرة من خير وشرّ بالقياس إلى أحوال الآخرة - فلذلك كان عيان أحوالها أعظم من سماعها. وإذا كانت الحال كذلك، فينبغي أن يكتفى من العيان بالسمع، ومن الغيب بالخبر؛ حيث لا يمكن الاطلاع على الغيب ومشاهدة العيان لتلك الأحوال في هذا العالم. ثمّ نبّه على أفضليّة الآخرة بأنّ ما زاد فيها ممّا يقرب إلى الله تعالى، فإن استلزم نقصان الدنيا من بذل مال أو جاه خير من العكس.

وبيان هذه الخيريّة: كون خيرات الدنيا في معرض الزوال مشوبة بالأوجاع والأوجال (الأحوال - خ)، وكون تلك الباقية على كلّ حال مع كونها في نهاية الكمال.

وضرب المثل بالأكثرية المنقوص من الدنيا الرابع في الآخرة، وهم أولياء الله وأحبّائه الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة، وبأكثرية المزيد الخاسر ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١).

ثمّ أكّد الحثّ على سلوك طريق الآخرة ببيان اتّساعها بالنسبة إلى طريق الدنيا. فقال: «إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ»، وذلك ظاهر فإنّ كبائر ما نهينا عنه خمس:

القتل، وفي الحلم والعفو والصبر - التي هي من أشرف الأخلاق الحمودة - سعة عنه.

(١) التوبة: ٣٤.

ثمّ الظلم، وفي العدل والاقتصار - على تناول الأمور المباحة التي هي أكثر وأوسع - سعة عنه .

ثمّ الكذب الذي هو رأس النفاق - وعليه يبتنى خراب العالم، وفي المعارض والصدق الذي هو بضده في عمارة العالم - مندوحة عنه .
ثمّ الزنا، ولا شك أنّ في سائر وجوه النكاحات - مع كثرتها وسلامتها عن المفسدات اللازمة - سعة عنه .

ثمّ شرب الخمر التي هي أمّ الخبائث ومنشأ كثير من الفساد، وفي تركها إلى ما يقارب أفعالها - التي تدعى كونها محمودة من سائر الأشربة وغيرها - معدل عنها وسعة .

وكذلك قوله: «وَمَا أَحَلَّ لَكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ»؛ فإنّ الواجب والمندوب، والمباح والمكروه يصدق على جميعها اسم الحلال، وهي أكثر من الحرام الذي هو قسم واحد من الأحكام .

ثمّ لما تنبّه على وجه المصلحة في ترك المنهيّ والمحرم أردف ذلك بالأمر بتركها؛ لأنّ العقل إذا لاحظ طريقاً مخوفاً واحداً بين طرق كثيرة آمنة اقتضى العدول عن المخوفاً لضرورته^(١) .

الدنيا في خطبة له عليه السلام في ذكر المكايل والموازن، قال عليه السلام:

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ - وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا - أَثَوِيَاءُ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ٩٨ - ١٠٢ / شرح الخطبة رقم ١١١ .

مُوجِّلُونَ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضُونَ، أَجَلٌ مَنْقُوصٌ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ،
قَرَبٌ دَائِبٌ مُضَيَّعٌ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ، وَ^(١) قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي
زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا، وَالشَّرُّ^(٢) فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا،
وَالشَّيْطَانُ^(٣) فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا، فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ
عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمَكَّتْ فَرِسَتُهُ.

إِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ^(٤) تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا
يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، أَوْ بِخِيَلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ
بِحَقِّ اللَّهِ وَفِرًا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَانَ بِأُذُنِهِ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقِرًا!
أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ؟! وَأَيْنَ^(٥) أَخْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ؟!
وَأَيْنَ الْمُتَوَرَّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، وَالْمُسْتَزْهَوُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟!
أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ
الْمُنْغَصَّةِ، وَهَلْ خُلِقْتُمْ^(٦) إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي بِذِمَّتِهِمُ الشَّفَتَانِ؛
أَسْتَصْغَارًا لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ؟! فَ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾^(٧)، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرَ مُعَيَّرٍ، وَلَا زَاجِرَ مُزْدَجِرٍّ،

(١) (الواو): ليست في نهج المحقق الشيخ العطار.

(٢) في نهج البلاغة لصبحي صالح: ولا الشر.

(٣) في نهج البلاغة لصبحي صالح: ولا الشيطان.

(٤) في، شرح نهج البلاغة لابن ميثم والشيخ محمد عبده: وهل.

(٥) كلمة (أين) ليست في نهج البلاغة لابن ميثم والشيخ محمد عبده.

(٦) في نهج البلاغة للمحقق الشيخ العطار: خُلِقْتُمْ.

(٧) البقرة: ١٥٦.

أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ
أَوْلِيَاءِهِ عِنْدَهُ؟ هَيْهَاتَ! لَا يُخَدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ
مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ.

لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ
الْعَامِلِينَ بِهِ ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

أَثْوِيَاءٌ: جمع ثَوِيٍّ - كَفَعِيٍّ - وهو الضيف؛ الدَائِبُ: المداوم في العمل؛ الكادح:
الساعي لنفسه بجهد ومشقة، والمراد: من يقصر سعيه على جمع حطام الدنيا؛ أمكنت
الفريسة: أي سهلت وتيسرت؛ الحثالة: - بضم الحاء - الرديء من كل شيء، والمراد
قَزَمَ الناس وصغراء النفوس؛ الوقر: الصمم ^(٢).

الشرح:

قد نَقَرَ عليه السلام عن الدنيا بذكر عدّة من معانيها:
أحدها: كونهم فيها ضيفاناً، واستعار لهم لفظ الضيف، وكذلك لما يأمّلون منها.
ووجه الاستعارة: مشابهتهم للضيف في تأجيل الإقامة وانقطاع وقته وقرب
رحيله، ومؤجّلون: ترشيح للاستعارة.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٨٧/خطبة رقم ١٢٩، نهج البلاغة للمحقّق الشيخ العطار:
٢٤٩/خطبة رقم ١٢٩، نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٤١-١٤٢ وفيه (ومن كلام له عليه السلام)، ونهج
البلاغة للشيخ محمّد عبده ١: ٢٦٤ - ٢٦٦.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٢٣، والألفاظ الغريبة في شرح نهج ابن ميثم ٣: ١٤٢.

الثانية: كونهم مدينون فيها، واستعار لفظ المدين باعتبار وجوب الفرائض المطلوبة منهم، وعهد الله المأخوذ عليهم أن يرجعوا إليه طاهرين عن نجس الملحددين، ورشح بذكر المقتضين؛ لما أن شأن المدين أن يقتضي فيه الدين.

ثم لما ذكر كونهم مؤجلين ومدينين كرر ذكر الأجل بوصف النقصان، ولا شك في نقصان ما لا يبقى، وذكر العمل - الذي خالصه وصالحه هو الدين المقتضي منهم - بوصف كونهم محفوظاً عليهم؛ ليجذب بنقصان الأجل إلى العمل، وبمحفظ العمل إلى إصلاحه والإخلاص فيه.

وأجل وعمل: خبران حذف مبتدئهما، أي أجلكم أجل منقوص، وعملكم عمل محفوظ.

ونبه بقوله: «فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيِّعٍ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٍ»: أن العمل وإن قصد فيه الصلاح أيضاً إلا أنه قد يقع على وجه الغلط، فيحصل بذلك انحراف عن الدين وضلال عن الحق، فيضيع العمل ويخسر الكدح، كدأب الخوارج ونحوهم، فربما دخل الكادح في قوله تعالى: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً^(١)، وذلك ككدح أهل الكتاب ونحوهم.

وقوله: «وَقَدْ أَصْبَحْتُمُ...» إلى قوله: «إِقْبَالاً».

شكاية للزمان وذم له، وهو كقوله: «إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَنِ كُنُودٍ، وَدَهْرٍ عَنُودٍ»؛ وذلك لأخذ الزمان في البعد عن وقت ظهور الشريعة وطراوتها وجرأة الناس على هتك الدين وارتكاب مناهي الله.

(١) الكهف: ١٠٣.

وكذلك طمع الشيطان في هلاكهم، أي في هلاك دينهم الذي يكون غايته هلاكهم في الآخرة.

وأشار إلى أن ذلك الوقت هو أَوَّانُ قُوَّةِ عُدَّتِهِ، وَعُمُومِ مَكِيدَتِهِ، وإمكان عَمَلِهِ، فما ظَنُّكَ بزماننا هذا وما بعده؟!

واستعار لفظ الفريسة لمطاوعي الشيطان والمنفعلين عنه.

ووجه الاستعارة: بلوغه منهم مراده، وتصريفه لهم لغاية هلاكهم، كالأسد مع فريسته.

وقوله: «إِضْرِبْ بِطَرْفِكَ...» إلى قوله: «وَقُرْأً».

شرح لما أجمله أولاً من ازدياد إقبال الشر وإدبار الخير، وكفر الغني تركه وإعراضه عن شكر نعم الله سبحانه عليه.

وقوله: «بِحَقِّ اللَّهِ»: متعلق بالبخل، أي أن البخيل يقصد ببخله - بحق الله على مستحقه - توفير المال والزيادة فيه.

وقوله: «أَيْنَ خِيَارُكُمْ...» إلى قوله: «مَذَاهِبِهِمْ»:

سؤال من باب تجاهل العارف؛ تنبيهاً لهم على ما صاروا إليه من الفناء وفراق الدنيا، وعلى أنه لم يبق فيهم من أولى الأعمال الصالحة أحد لعلهم يرجعون إلى لزوم الأعمال الصالحة.

وأراد بالأحرار: الكرماء؛ والمتورعون في مكاسبيهم: الملازمون للأعمال الجميلة فيها من التقوى والمسألة وإخراج حقوق الله تعالى؛ والمتترهون في مذاهبهم: الممتنعون عن ولوج أبواب المحارم والشبهات في مسالكهم وحركاتهم.

وقوله: «أَلَيْسَ...» إلى قوله: «الْمُنْغَصَّة»:

سؤال على سبيل التقرير، لما تبههم عليه من فراق الدنيا ودناءتها بالنسبة إلى عظيم ثواب الآخرة، وتنغيصها بالآلام ونحوها، حتى قال بعض الحكماء: إن كل لذة في الدنيا فإنما هي خلاص من ألم.

وقوله: «وَهَلْ خُلِقْتُمْ...» إلى قوله: «عَنْ ذِكْرِهِمْ»:

سؤال على سبيل التقرير لما ذكر أيضاً، واستعار لفظ الحثالة لرعاع الناس وهمجهم.

وقوله: «لَا تَلْتَقِي بِذِمَّتِهِمُ الشَّفَتَانِ»: أي إنهم أحقر من أن يشتغل الإنسان بذيهم. وانتصب استِصْغَاراً وَذَهَاباً على المفعول له؛ وحسن اقتباس القرآن هاهنا؛ لما أن هذه الحال التي الناس عليها من فقد خيارهم وبقاء شرارهم مصيبة لحقتهم، ومن آداب الله للصابرين على نزول المصائب أن يسلّموا أنفسهم وأحوالهم إليه، فيقولوا عندها: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، كما قال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ...﴾ الآية^(١).

ثم حكم على سبيل التوجّع والأسف بظهور الفساد، وبنفي المنكر المغيّر للفساد المزدر عنه؛ تنبيهها لهم على أنهم وإن كان فيهم من ينكر ويزجر إلا أنه لا يغيّر ما ينكره ولا يزدجر عن مثله؛ وذلك من قبائح الأعمال والرياء فيها.

وقوله: «أَفْهَذَا»: أي بأعمالكم هذه المدخولة وبتقصيركم.

ومجاور الله: الوصول إليه والمقام معه في جنّته، التي هي مقام الطهارة عن نجاسات الهيئات البدنية، ومقام تنزيه ذات الله تعالى وطهارتها عن اتّخاذ الشركاء والأنداد، وهو استفهام على سبيل الإنكار؛ ولذلك عقبه بقوله: «هَيَّاتَ...» إلى آخره.

ولما كان ذلك يجري مجرى الزهد الظاهر مع النفاق في الباطن، أعني أعمالهم المدخولة من إنكار المنكر وارتكابهم؛ تبهم على أن فعلهم كخداع الله عن جنته. وصرح بأن الله لا يُخدع؛ لعلمه بالسرائر، وأنه لا تنال مرضاته إلا بطاعته، أي الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة.

ثم ختم بلعن الآمرين بالمعروف مع تركهم للعمل به، والناهين عن المنكر المرتكبين له؛ لأنهم منافقون مُغرّون بذلك لمن يقتدي بهم، والنفاق مستلزم اللعن والبعد عن رحمة الله. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام يعظ فيها ويزهد في الدنيا، ومنها في عظة الناس، قال عليه السلام:

فَإِنَّهُ وَاللَّهِ أَلَجِدُ لَا أَلْعَبُ، وَآلَحَقُّ لَا أَلْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا أَلْمَوْتُ
أَسْمَعُ^(٢) دَاعِيَهُ، وَأَعْجَلَ حَادِيَهُ، فَلَا يَغُرَّتْكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ
نَفْسِكَ، فَقَدْ^(٣) رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ أَلْمَالَ، وَحَذَرَ
أَلْإِقْلَالَ، وَأَمِنَ أَلْعَوَاقِبَ - طُولَ أَمَلٍ، وَأَسْتَبْعَادَ أَجَلٍ - كَيْفَ نَزَلَ
بِهِ أَلْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطْنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولًا عَلَى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ١٤٢ - ١٤٤ / في شرح من كلام له عليه السلام في ذكر المكايل والموازن.

(٢) في شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: قد أسمع.

(٣) في نهج البلاغة لصبيح صالح: وقد.

أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالُ، حَمَلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ،
وَأَمْسَاكَ بِلَا تَامِلٍ .

أَمَّا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ^(١) بَعِيدًا، وَيَنْتُون مَشِيدًا، وَيَجْمَعُونَ
كَثِيرًا! كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا، وَمَا جَمَعُوا بُورًا، وَصَارَتْ
أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَا فِي حَسَنَةٍ
يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ! فَمَنْ أَشَعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ^(٢)
بَرَزَ مَهَلَهُ، وَفَازَ عَمَلُهُ.

فَاهْتَبِلُوا هَبْلَهَا، وَأَعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ
دَارَ مَقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَزُودُوا^(٣) مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى
دَارِ الْقَرَارِ، فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ، وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ
لِلزِّيَالِ^(٤).

شرح الألفاظ الغريبة:

الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ: أي إن الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كل حيٍّ، فلا حيٍّ إلا
وهو يعلم أنه يموت؛ أَعْجَلَ حَادِيهِ: أي إن الحادي قد أَعْجَلَ المدبرين عن تدبيرهم،

(١) في شرح نهج البلاغة لابن ميثم: يُؤْمَلُونَ.

(٢) في نهج الشيخ محمد عبده: (رَبَّهْ) بدل (قَلْبَهُ).

(٣) في نهج الشيخ محمد عبده: لتزودوا عملها.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٨٩ - ١٩٠ / خطبة رقم ١٣٢، وفي نهج البلاغة للمحقق الشيخ
العطّار: ٢٥٢ - ٢٥٤ / خطبة رقم ١٣٢؛ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٥٠ - ١٥١ / ضمن
كلام له عليه السلام رقم ١٣١؛ ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢٦٨ - ٢٦٩.

وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم؛ برَّزَ الرجل على أقرانه: أي فاقهم، والمهل: التقدّم في الخير، أي فاق تقدّمه إلى الخير على تقدّم غيره؛ اهتَبَلَ الصيد: طلبه، والضمير في هَبَلَهَا للتقوى لا للدنيا؛ أي اغنموا خير التقوى؛ الوَفَزَ: - بتسكين الفاء وفتحها - العَجَلَة، وجمعه أَوْفاز، أي كونوا منها على استعجال؛ الظهور: يراد بها هنا ظهور المطايا؛ الرِّيَال: الفراق^(١).

الشرح:

قوله: «فَلَا يَغُرَّنْكَ...» إلى قوله: «وَأَمِنْ الْعَوَاقِبَ»:

أي فلا تُغُرِّنَكَ من نفسك الأمارة بالسوء وسوستها واستغفها لك عن ملاحظة الموت برؤية سواد الناس: أي كثرتهم؛ إذ كثيراً ما يرى الإنسان الميِّت محمولاً فيتداركه من ذلك رقة وروعة، ثم يعاوده الوسواس الخناس ويأمره باعتبار كثرة المشيعين له من الناس، وأن يجعل نفسه من الأحياء الكثيرين بملاحظة شبابه وصحته، ويأمره باعتبار أسباب موت ذلك الميِّت من القتل وسائر الأمراض، وباعتبار زوال تلك الأسباب في حق نفسه. وبالجملية فيبيد في اعتباره الموت بكل حيلة؛ فنهى السامعين عن الانخداع للنفس بهذه الخديعة، وأسند الغرور إلى سواد الناس؛ لأنّه مادّته.

ثمّ تبهم بقوله: «وَقَدْ رَأَيْتَ...» إلى قوله: «يَسْتَعْبُونَ»: على كذب تلك الخديعة مشاهدة، والواو في قوله: «وَقَدْ»؛ واو الحال، ومن في قوله: «مَنْ جَمَعَ»: بدل البعض

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٢٤.

من الكلّ من قوله: «مَنْ كَانَ قَبْلَكَ»، والمعنى أنّه كما نزل بأولئك الموت وأزعجهم عن أوطانهم، فكذلك أنتم.

وقوله: «طُولَ أَمَلٍ»: نصب على المفعول له، أي فعلوا ذلك لأجل طول الأمل، ويحتمل أن يكون مصدرًا سدّ مسدّد الحال، ويحتمل أن يكون ظرفاً والعامل: أَمِنْ، وقيل: هو بدل من قوله: «مَنْ كَانَ قَبْلَكَ»، أي رأيت طول أمل من كان قبلك، ويروى: بطول أمل.

و«أَعْوَادُ الْمَنَآيَا»: النعوش. و«يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ»: أي يسلمه الحاملون له بعضهم إلى بعض، والخطاب بالكاف لنوع المخاطب، أو لشخص على طريقة قولهم: إِيَّاكَ أعني واسمعي يا جارة.

وقوله: «أَمَّا رَأَيْتُمْ؟! استفهام على سبيل التقرير، وإنّما كانوا لا يستطيعون زيادة في حسنة ولا استعتاباً من سيئة؛ لأنّ محلّ الأعمال هي الدنيا دون ما بعدها. وقوله: «فَمَنْ أَشَعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ»: أي من اتقى تقوى حقيقة برزت تؤدته: أي ظهرت عليه آثار الرحمة الإلهية في السكينة والوقار، والحلم والأناة عن التسرع إلى مطالب الدنيا، وعلمت راحته في الآخرة، وفاز عمله فيها بالجزاء الأوفى.

ثمّ أمرهم بإحكام التقوى: أي أن تتقوا الله تقوى حقيقية؛ فإنّها التي يستحقّ بها الثواب الدائم، وأن يعملوا للجنة عملها التي تستحقّ به.

ثمّ تبهّمهم على وجوب العمل للجنة بالتصريح بما لأجله خلقت الدنيا، وأنّها لم تخلق دار إقامة، بل طريقاً يعبر بها إلى الآخرة، كما يعبر المسافرون، ويتزوّد منها الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة، وأمرهم أن يكونوا فيها على سرعة في قطع عقباتها،

وعجل في الارتحال عنها؛ لأنَّ التَّائِي فيها يستلزم الالتفات إلى لذاتها والغفلة عن المقصد الحقّ.

واستعار لفظ الظهور: وهي الركوب لمطايا الآخرة، وهي الأعمال الصالحة وتقريبها للزيال هو العناية الإلهية بالأعمال المقرّبة إلى الآخرة، المستلزمة للبعد عن الدنيا والإعراض عنها، ومفارقتها^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في عظمة الله تعالى، يقول عليه السلام:

وَأَنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْمَتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُونَ^(٢) مَقَالِيدَهَا، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ
الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيِّرَانَ الْمُضَيَّةَ،
وَأَتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ أَلْيَانَةً^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

مقاليدها: جمع مقلاد، وهو المفتاح؛ قَدَحَتْ: اشتعلت^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٥١ - ١٥٢ / شرح كلام له عليه السلام رقم ١٣١. وقد أوردها ابن

ميثم في قسم من كلامه عليه السلام.

(٢) في نهج الشيخ محمد عبده: وَالْأَرْضِينَ.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٩١ / خطبة رقم ١٣٣، وفي نهج البلاغة تحقيق الشيخ العطار:

٢٥٤ / خطبة رقم ١٣٣، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٥٢ - ١٥٣ / خطبة رقم ١٣٢، ونهج

البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٢٤.

الشرح:

هذا الفصل يشتمل على تمجيد الله سبحانه، وإظهار عظمة سلطانه، فاتقياد الدنيا والآخرة له بأزمته: دخولها ذلّ الإيمان والحاجة إليه.

وقوله: «وَقَدْ فَتَّ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا».

كقوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) قال ابن عباس ومقاتل: المراد: بمفاتيح السماوات والأرض الرزق والرحمة^(٢).

وقال الليث: القلاد: الخزانة، ومقاليد السماوات والأرض خزائنها^(٣).

وأقول: لفظ القذف مجاز في تسليمها وانقيادها بزمam الحاجة والإيمان إلى قدرته، مع جميع ما هي سبب في وجوده في هذا العالم ممّا هو رزق ورحمة للخلق، وكذلك لفظ المفاتيح على رأي ابن عباس استعارة للأسباب المُعدّة للأرزاق والرحمة، وتلك الأسباب كحركات السماوات واتّصالات بعض الكواكب ببعض، وكاستعدادات الأرض للنبات وغيره.

ووجه الاستعارة: إنّ هذه الأسباب بإعدادها الموادّ الأرضيّة تفتح بها خزائن الجود الإلهي كما تفتح الأبواب المحسوسة بمفاتيحها، وكلّها مسلّمة إلى حكمه وجريانها بمشيئته.

وعلى قول الليث فلفظ الخزائن استعارة في موادّها واستعداداتها.

(١) الزمر: ٦٣.

(٢) مجمع البيان ٨: ٤٥٧.

(٣) تهذيب اللغة ٩: ٣٢ (مادة: قلد).

ووجه الاستعارة: إنّ تلك الموادّ والاستعدادات تكون فيها بالقوّة والفعل جميع المحدثات من الأرزاق وغيرها، كما تكون في خزائن ما يحتاج إليه. وسجود الأشجار الناضرة له بالغدوّ والآصال: خضوعها وذّلّها تحت قدرته، وحاجتها إلى جوده.

ونسب قدح النيران إليها؛ لما أتمّها السبب المادّي وإن كان القدح حقيقة في فعال السبب الفاعليّ القريب، وجعل ذلك له تعالى؛ لأنّه الفاعل الأوّل. وقوله: «وَأَتَتْ...» إلى آخره:

فأراد بكلماته: أوامره وأحكام قدرته المعبر عنها بقوله: «كُنْ»، وإطلاق الكلمات عليها استعارة وجهها نفوذ تلك الأحكام في المحكومات، كنفوذ الأوامر القوليّة في المأمورات.

وأراد بإتيان الثمار: دخولها طوعاً في الوجود المعبر عنه بقوله تعالى: «فَيَكُونُ»^(١). وبالله التوفيق والعصمة^(٢).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في وصف الدنيا بمنتهى بصر الأعمى والبصير، فقال صلوات الله عليه:

وَأِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً،
وَالْبَصِيرُ يَنْقُذُهَا^(٣) بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالْبَصِيرُ

(١) البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧ و ٥٩، النحل: ٤٠، مريم: ٣٥، يس: ٨٢، غافر: ٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٥٣ - ١٥٤ / شرح الخطبة رقم ١٣٢.

(٣) في شرح نهج البلاغة لابن ميثم والشيخ محمد عبده: (يُنْقِذُهَا).

مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ ، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ،
وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ^(١) .

شرح الألفاظ الغريبة :

أقول: الشاخص: الداهل والمسافر، والشاخص أيضاً الذي يرفع بصره إلى الشيء ويمدّه إليه^(٢) .

الشرح :

هذا الفصل مع قلّة ألفاظه يشتمل على لطائف:
فالأوّل: أنّ الدنيا منتهى بصر الأعْمى شيئاً، واستعار لفظ الأعْمى للجاهل،
كقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ ﴾^(٣) .

ووجه الاستعارة: إنّ الجاهل لا يدرك بعين بصيرته الحقّ كما لا يدرك الأعْمى من
المبصرات.

وأشار بقوله: «لَا يُبْصِرُ مِنْ وَرَائِهَا شَيْئاً»: إلى جهله بأحوال الموت وما بعده من
سعادة الآخرة وشقاوتها.

فإن قلت: إنّّه أثبت للأعْمى العمى، وأثبت أنّه يبصر الدنيا، وذلك نوع مناقضة؟!

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٩١ - ١٩٢ / خطبة رقم ١٣٣، وفي نهج البلاغة للمحقّق الشيخ
العطّار: ٢٥٥ / خطبة رقم ١٣٣، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٥٥ / ضمن الخطبة رقم
١٣٢، ونهج البلاغة للشيخ محمّد عبده ١: ٢٧٠.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة في شرح نهج ابن ميثم ٣: ١٥٥.

(٣) الحجّ: ٤٦.

قلت: إنّه لما أراد بالأعمى أعمى البصيرة - وهو الجاهل استعارة - لم يكن في إثبات البصر الحسيّ له، ونظر الدنيا به مناقضة.

ويحتمل أن يريد ببصره أيضاً: بصر بصيرته استعارة، وظاهر أنّ منتهى بصر بصيرة الجاهل التصرف في أحوال الدنيا، وكيفية تحصيلها، والتمتع بها دون أن يفيد عبرة لما ورائها من أحوال الآخرة.

الثانية: قوله: «وَالْبَصِيرُ يُنْفِذُهَا بَصَرُهُ»: استعارة لفظ البصير للعالم، ونفوذ بصره: كناية عن إدراكه ما وراء الدنيا من أحوال الآخرة، وعلمه أنّها دار القرار.

الثالثة: قوله: «فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ»: أي راحل مسافر قد جعلها طريقاً له إلى الآخرة.

«وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ»: أي متطّلع إليها بعين بصيرته ووهمه، وإن كان أعمى عن مصالحة الحقيقة وعن آفات وطرقها المخوفة، وفي هذه الكلمة - مع التي قبلها - من أقسام البديع التجنيس التامّ والمطابقة بين الأعمى والبصير.

الرابعة: قوله: «وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ»: أي بالتقوى والأعمال الصالحة في سفره إلى الله تعالى.

«وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ»: أي متّخذ للذاتها وقيناتها زاداً له في قطعها مدّة عمره، قد جعل ذلك هو الزاد الحقيقي والكمال الذي ينبغي له، وهي في البديع كالتّي قبلها. وبالله التوفيق^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٥٦ / شرح الخطبة رقم ١٣٢.

الدنيا في خطبة له عليه السلام في فناء الدنيا مخاطباً الناس فيها قائلاً:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَظِلُ فِيهِ الْمَنَايَا،
مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ ^(١) شَرَقُ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ ^(٢) غَصَصٌ! لَا تَتَأَلَوْنَ مِنْهَا
نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ ^(٣) إِلَّا
بِهَدْمٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ ^(٤) إِلَّا بِنِفَادٍ مَا
قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ
جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ ^(٥) لَهُ جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا
وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ، وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا
بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ ^(٦).

شرح الألفاظ الغريبة:

تَنْتَظِلُ فِيهِ: تترامى إليه؛ يَخْلُقُ: يَبْلَى؛ الغرض: الهدف ^(٧).

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح ونهج محمد عبده: (جُرْعَةٍ) بدل (جُرْعَةٍ).

(٢) في نهج البلاغة للشيخ العطار: (أَكْلَةٍ) بدل (أَكْلَةٍ).

(٣) في نهج البلاغة للشيخ العطار: (عُمُرِهِ) بدل (عُمُرِهِ).

(٤) في نهج البلاغة للشيخ العطار: (أَكْلِهِ) بدل (أَكْلِهِ).

(٥) في نهج البلاغة للشيخ العطار: يُخْلَقُ، وفي نهج محمد عبده: يُخْلَقُ، وفي شرح نهج ابن ميثم:
يُخْلَقُ.

(٦) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٠٢/الخطبة رقم ١٤٥، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٢٦٨/

خطبة رقم ١٤٥، وشرح النهج لابن ميثم ٣: ١٩١/الخطبة رقم ١٤٤، ونهج البلاغة لمحمد عبده

١: ٢٨٢.

(٧) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٢٦، والألفاظ الغريبة في شرح نهج ابن ميثم ٣: ١٩١.

الشرح:

غرض هذا الفصل ذم الدنيا وتقييحها بذكر معائبها لتخفف الرغبات فيها وتنصرف إلى ماورائها من الأمور الباقية، فاستعار لهم لفظ الغرض، ووجه الاستعارة: كونهم مقصودين بسهام المنية من سائر الأمراض والأغراض كما يقصد الغرض بالسهم، وأسند الانتضال إلى المنايا مجازاً لأن القاصد لهم بالأمراض هو فاعلها بهم، فكان المجاز هاهنا في الأفراد والتركيب.

ثم كُتِيَ بالجرعة والأكلة عن لذات الدنيا، وبالشرق والغصص عما في كل منها من شوب الكدورات اللازمة لها طبعاً من الأمراض والمخاوف وسائر المنغصات لها. وقوله: «لَا تَنَالُونَ نِعْمَةً إِلَّا يَفِرَاقُ أُخْرَى»:

فيه لطف: وهو إشارة إلى أن كل نوع من نعمة فائتها يتجدد شخص منها ويلتذ به بعد مفارقة مثله، كلذة اللقمة مثلاً: فائتها تستدعي فوت اللذة بأختها السابقة، وكذلك لذة ملبوس شخصي أو مركوب شخصي، وسائر ما يعدّ نعماً دنيوية ملتذاً بها فائتها إنما تحصل بعد مفارقة ما سبق من أمثالها بل وأعم من ذلك، فإن الإنسان لا يتهيأ له الجمع بين الملاذّ الجسمانية في وقت واحد بل ولا اثنين منها فإنه حال ما يكون آكلاً، لا يكون مجامعاً، أو حال ما هو في لذة الأكل لا يكون يلتذ بمشروب، وحال ما يكون جالساً على فراشه الوثير لا يكون راكباً للنزهة، ونحو ذلك. وبالجملية لا يكون مشغولاً بنوع من الملاذّ الجسمانية إلا وهو تارك لغيره. وما استلزم مفارقة نعمة أخرى لا يعدّ في الحقيقة نعمة ملتذاً بها.

وكذلك قوله: «وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ...» إلى قوله: «أَجَلِهِ»: لأن السرور بالبقاء إلى يوم معين لا يصل إليه إلا بعد انقضاء ما قبله من الأيام المحسوسة من عمره،

فإذا هدم من عمره يوماً فيكون لذته في الحقيقة ببقائه مستلزماً لقربه من الموت. وما استلزم القرب من الموت فلا لذة فيه عند الاعتبار.

وكذلك قوله: «وَلَا تُجَدِّدْ لَهُ زِيَادَةً فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ»: أي من رزقه المعلوم أنه رزقه، وهو ما وصل إلى جوفه مثلاً، فإن ما لم يصل جاز أن يكون رزقاً لغيره.

وقد علمت أن الإنسان لا يأكل لقمة حتى يفي ما قبلها، فهو إذن لا يتجدد له زيادة في أكله إلا بنفاد رزقه السابق، وما استلزم نفاذ الرزق، لم يكن لذيذاً في الحقيقة، وروى: أكله.

ويحتمل أن يريد أنه إذا تجددت له جهة رزق فتوجه فيها طالباً له، كان ذلك التوجه مستلزماً لانصرافه عما قبلها من الجهات وانقطاع رزقه من جهتها، واللفظ مهمل يصدق ولو في بعض الناس فلا تجب الكليّة.

وكذلك قوله: «وَلَا يَحْيِي لَهُ أَثَرٌ، إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ»: وأراد بالآثر الذكر أو الفعل، فإن ما كان يعرف به الإنسان في وقت ما من فعل محمود أو مذموم أو ذكر حسن أو قبيح ويحيى له بين الناس يموت منه ما كان معروفاً به قبله من الآثار وينسى.

وكذلك لا يتجدد له جديد من زيادات بدنه ونقصانه وأوقاته إلا بعد أن يخلق له جديد يتحلل بدنه ومعاقبة شيخوخته بشبابه ومستقبل أوقاته لسالفها.

وكذلك لا تقوم له نابتة إلا بعد أن تسقط منه محصودة، واستعار لفظ النابتة لمن ينشأ من أولاده وأقربائه، ولفظ المحصودة لمن يموت من آبائه وأهله.

ولذلك قال: «وَقَدْ مَضَتْ أَصُولٌ - يعني الآباء - وَخُنُ فُرُوعُهَا».

ثمّ استفهم على سبيل التعجّب عن بقاء الفرع بعد ذهاب أصله، وقد صرّح أبو العتاهية بهذا المعنى حيث قال:

كلّ حياة إلى ممات وكلّ ذي جدّة يحول
كيف بقاء الفروع يوماً وذوّب قبلها الأصول^(١)

الدنيا في خطبة له عليه السلام يومي فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال، يقول فيها عليه السلام:

وَأَخَذُوا^(٢) يَمِيناً وَشِمَالاً: ظَعْنًا^(٣) فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرَكَأَ
لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ - إلى أن يقول عليه السلام في الضلال: - وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ
لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ، حَتَّى إِذَا أَخْلَوْ لِقَاحَ
الْأَجَلِ، وَاسْتَرَحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَأَشَالُوا عَنْ لِقَاحِ^(٤) حَرْبِهِمْ،
لَمْ يَمُتُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَغْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي
الْحَقِّ، حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ أَنْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ، حَمَلُوا
بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَأَعْظَمِهِمْ.
حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى
الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمْ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ، وَوَصَلُوا

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٩١ - ١٩٣ في شرح الخطبة رقم ١٤٤.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده: (وَأَخَذَ) بدل (وَأَخَذُوا).

(٣) في شرح نهج البلاغة لابن ميثم ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده: (ظَعْنًا) بدل (ظَعْنًا).

(٤) في نهج البلاغة للمحقّق الشيخ العطار ونهج الشيخ محمد عبده: (لِقَاحِ) بدل (لِقَاحِ).

غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ
عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ؛ مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ،
وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا
فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا
رَاكِبٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

الغَيْرِ: - بكسر ففتح - أحداث الدهر ونوائبه؛ اخْلَوْلَقَ الْأَجَلَ: من قولهم:
اخْلَوْلَقَ السحاب، إذا استوى وصار خليقاً أن يطر، والمراد أن الأجل يشرف على
الانقضاء؛ أَشَالَتِ النَّاقَةُ ذَبَّهَا: رفعته أي رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلحقوا حروبهم
على غيرهم، أي يسعروها عليهم؛ حملوا بصائرهم على أسيافهم: من ألطف أنواع
التمثيل، يريد أشهروا عقيدتهم داعين إليها غيرهم؛ الولائج: - جمع وليجة - وهي
البطانة وخاصة الرجل من أهله وعشيرته، ويراد بها دخائل المكر والخديعة؛
الغَمْرَةُ: الشدة؛ ماروا: تحرّكوا واضطربوا^(٢).

الشرح:

هذا الفصل يستدعي كلاماً منقطعاً قبله لم يذكره الرضي رضوان الله عليه،
قد وصف فيه فئة ضالة قد استولت وملكت وأملى لها الله سبحانه.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٠٨ - ٢٠٩ / خطبة رقم ١٥٠، ونهج البلاغة للمحقق الشيخ
العطّار: ٢٧٦ - ٢٧٨ / خطبة رقم ١٥٠، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٣ - ٢١٣ - ٢١٦ / خطبة
رقم ١٤٩، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢٨٨ - ٢٩٠.
(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٢٧ - ٦٢٨.

وقوله: «وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ»: كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٢).

وقوله: «حَتَّى إِذَا أَخْلَوَلَقَ الْأَجَلُ»: أي صار خلقاً، وهو كناية عن بلوغهم غاية مدتهم المكتوبة بقلم القضاء الإلهي في اللوح المحفوظ.

وقوله: «وَاسْتَرَا حَقُّهُمْ إِلَى الْفِتَنِ»: إشارة إلى من يعتزل الوقائع التي ستقع في آخر الزمان في شيعه الحق وأنصاره.

ويستريح إليها: أي يجد في اشتغال القوم بعضهم ببعض راحة له في الانقطاع والعزلة والخنمول، واشتياهم عن لقاح حربهم: رفعهم لأنفسهم عن تهيجها، واستعار لفظ اللقاح بفتح اللام لإثارة الحرب ملاحظة لشبهها بالناقة.

وقوله: «لَمْ يَمُتُوا»: جواب قوله: «حَتَّى إِذَا أَخْلَوَلَقَ»، والضمي في يَمُتُوا، قال بعض الشارحين: إنه عائد إلى العارفين الذين تقدّم ذكرهم في الفصل السابق يقول: حتى إذا ألقى هؤلاء السلم إلى هذه الفئة الضالّة، وعجزوا واستراحوا من منابذتهم إلى فتنهم تقيّة منهم، أنهض الله أولئك الذين خصّهم بحكمته، وأطلعهم على أسرار العلوم فنهضوا، ولم يَمُتُوا على الله تعالى بالصبر في طاعته.

وفي رواية: بالنصر: أي بنصرهم له، ولم يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم في طلب الحق، حتى إذا وافق القدر الذي هو وارد القضاء وتفصيله انقطاع مدّة هذه الفئة وارتفاع ما كان شمل الخلق من بلائهم حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على أسيافهم،

(١) آل عمران: ١٧٨.

(٢) الإسراء: ١٦.

وفيه معنى لطيف يريد أنهم أظهروا عقائد قلوبهم للناس ، وكشفوها وجردوها مع تجريد سيوفهم ، فكأنهم حملوا على سيوفهم فتري في غاية الجلاء والظهور كما ترى السيوف المجردة .

ومنهم من قال : أراد بالبصائر جمع بصيرة : وهي الدم فكأنه أراد طلبوا ثارهم والدماء التي سفكتها تلك الفتنة ، فكانت تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على أسيافهم المجردة للحرب ، وأشار بواعظهم إلى الإمام القائم .

وأقول : يحتمل أن يريد بالضمير في يمتنوا وما بعده القوم الذين استراحوا إلى الفتنة واشتالوا عن لقاح الحرب ، وذلك أنهم لم يفعلوا ذلك إلا لأنه لم يؤذن لهم في القيام حين استراحتهم وإلقائهم السلم لهذه الفتنة ، ولم يتمكنوا من مقاومتهم لعدم قيام القائم بالأمر ، فكانوا حين مسالمتهم صابرين على مضض من ألم المنكر الذي يشاهدونه غير مستعظمين لبذل أنفسهم في نصرة الحق ، لو ظهر من يكون لهم ظهر يلجأون إليه حتى إذا ورد القضاء الإلهي بانقطاع مدة بلاء هذه الفتنة ، وظهور من يقوم بنصر الحق ودعا إليه حمل هؤلاء بصائرهم على أسيافهم وقاموا لرّبهم بأمر من يقوم فيهم واعظاً ومخوفاً وداعياً ، وهذا الحمل يرجّحه عود الضمير إلى الأقرب وهم القوم .

وقوله : «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ...» إلى آخره .

هذا الفصل منقطع عما قبله ، لأنّ صريحه ذكر غاية الاقتصاص حال حياة الرسول ﷺ ، وحال الناس قبله وبعده ومعه ، وليس في الكلام المتقدّم شيء من ذلك ، اللهم إلا أن يحمل من طال الأمد بهم في الكلام المتقدّم على من كان أهل الضلال قبل الإسلام ، حتى إذا اخلوق أجلهم واستراح قوم منهم إلى الفتن والوقائع بالنهب والغارة .

«وَاشْتَالُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ»: أي أعدّوا أنفسهم لها كما تعدّ الناقة نفسها بشول ذنبها للقاحها: أي برفعه، وتسمّى شائلاً، ويكون الضمير في قوله: «لَمْ يَمُتُوا» راجعاً إلى ذكر سبق للصحابة في هذه الخطبة حين قام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيهم وبهم للحرب فلم يموتوا على الله بصبرهم معه وفي نصرة الحقّ، ولم يستعظموا بذل أنفسهم له حتّى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء بدولة الجاهليّة والكفر حمل هؤلاء الذين لم يموتوا على الله بنصرهم بصائرهم: أي ما كانوا يخفونه من الإسلام في أوّله على سيوفهم: أي كشفوا عقائدهم كما سبق القول فيه، أو دمائمهم وثاراتهم من الكفّار، ودانوا لربّهم بأمر واعظهم وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وحينئذٍ يصلح قوله: «حتّى إذا قبض الله رسوله» غاية لذلك الكلام على هذا التأويل.

وقوله: «رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ...» إلى آخره.

أمّا على المذاهب الإماميّة: فإشارة إلى عدول الصحابة بالخلافة عنه وعن أهل بيته عليهم السلام إلى الخلفاء الثلاثة.

وأمّا على مذهب من صحّ إمامة الخلفاء الثلاثة، فيحتمل أن يريد بالقوم الراجعين على الأعقاب من خرج عليه في زمن خلافته من الصحابة كمعاوية وطلحة والزبير وغيرهم، وزعموا أنّ غيره أحقّ بها منه ومن أولاده.

والرجوع على الأعقاب كناية عن الرجوع عمّا كانوا عليه من الانقياد للشيعة وأوامر الله ورسوله ووصيّته بأهل بيته عليهم السلام، وغيلة السبل لهم كناية عن اشتباه طرق الباطل بالحقّ واستراق طرق الباطل لهم وإهلاكها إياهم، وهي الشبه المستلزمة للآراء الفاسدة كما يقال في العرف: أخذته الطرق إلى مضيق، وهي مجاز في المفرد والمركب:

أما في المفرد: فلأن سلوكهم لسبيل الباطل لما كان من غير علم منهم بكونه باطلاً
ناسب الغيلة فأطلق عليها لفظها.

وأما في المركب: فلأن إسناد الغيلة إلى السبيل ليس حقيقة، إذ الغيلة من فعل
العقلاء، واتكأهم على الولايج اعتماد كل من رأى منهم رأياً فاسداً على أهله
وخواصه في نصرة ذلك الرأي.

«وَوَصَّلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ»: أي غير الرسول ﷺ وترك المضاف إليه للعلم به.
وكذلك «هَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمُودَّتِهِ»: ولزومه يريد أهل البيت عليهم السلام أيضاً
، وظاهر كونهم سبباً لمن اهتدى بهم في الوصول إلى الله سبحانه كما قال
الرسول ﷺ: خَلَفْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كتاب الله وعترتي أهل بيتي حبلان ممدودان من
السماء إلى الأرض لم يفترقا حتى يردا عليّ الحوض^(١).

فاستعار لهم لفظ الحبل، والسبب في اللغة الحبل وأمرهم بمودته كما في قوله تعالى:
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢).

وقوله: «وَنَقَلُوا أَلْبَنَاءَ عَنْ رِصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ»:

إشارة إلى العدول بأمر الخلافة عنه وعن أهل بيته عليهم السلام إلى غيرهم، وصلة غير
الرحم خروج عن فضيلة العدالة إلى رذيلة الظلم، وعدم مودة أولي القربى رذيلة
التفريط من تلك الفضيلة الداخلة تحت العقّة، وكذلك نقل البناء عن موضعه دخول
في رذيلة الظلم.

(١) نهج الحق وكشف الصدق: ٢٢٦. باختلاف في بعض ألفاظه؛ وهناك ألفاظ أخرى لهذا الحديث.

(٢) الشورى: ٢٣.

ثم وصفهم وصفاً إجمالياً بكونهم معادن كل خطيئة: أي إنهم مستعدون لفعل كل خطيئة، ومهيئون لها، فهم مظانها، ولفظ المعادن استعارة. وكذلك «أَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ»، واستعار لفظ الأبواب لهم باعتبار أن كل من دخل في غمرة جهالة أو شبهة يثير بها فتنة، واستعان بهم فتحوا له ذلك الباب وساعدوه وحسنوا له رأيه فكأنهم بذلك أبواب له إلى مراده الباطل يدخل منها. وقوله: «فَدَّ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ»: أي ترددوا في أمرهم فهم حائرون لا يعرفون جهة الحق فيقصدونه.

«وَذَهَلُوا»: أي غابت أذهانهم في «سَكْرَةٍ» الجهل فهم «عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ» وطريقته، وإنما نكر السنة لأنه يريد بها مشابهتهم في بعض طرائقهم، وآل فرعون أتباعه.

وقوله: «مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا...» إلى آخره.

تفصيل لهم باعتبار كونهم على سنة من آل فرعون فمنهم المنقطع إلى الدنيا المنهمك في لذاتها المكب على تحصيلها، ومنهم المفارق للدين المبين له وإن لم يكن له دنيا، والمنفصلة مانعة الخلو بالنسبة إلى المشار إليهم.

ويحتمل أن يريد مانعة الجمع، ويشير بمفارق الدين إلى من ليس براكن إلى الدنيا ككثير ممن يدعي الزهد مع كونه جاهلاً بالطريق فتراه ينفر من الدنيا ويحسب أنه على شيء مع أن جهله بكيفية سلوك سبيل الله يقوده يميناً وشمالاً عنها، وبالله التوفيق^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ٢١٦ - ٢٢٠ / شرح الخطبة رقم ١٤٩.

الدنيا في خطبة له عليه السلام في عظة الناس:

... إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، لَا قِيًّا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ^(١) يَتَّبِعْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يَعْرِ^(٢) بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بَدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بَوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ، أَعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ أَلْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبْهِهِ.

إِنَّ أَلْبَهَائِمَ هُمُّهَا بَطُونُهَا، وَإِنَّ السَّبَاعَ هُمُّهَا أَلْعُدَّانُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّ النِّسَاءَ هُمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ، (إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ ذَاكِرُونَ)^(٣) (٤).

(١) (لم): ليس في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده.

(٢) في نهج العطار ونهج محمد عبده: (يَعْرِ) بدل (يُعْرِ).

(٣) مابين القوسين أثبتناه من نهج البلاغة تحقيق الشيخ العطار.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢١٣ - ٢١٥ / خطبة رقم ١٥٣، ونهج البلاغة للمحقق الشيخ

العطار: ٢٨٣ - ٢٨٥ / خطبة رقم ١٥٣، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم: ٣: ٢٤٠ - ٢٤٤ / خطبة

رقم ١٥٢، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢٩٦ - ٢٩٧.

شرح الألفاظ الغريبة:

يَعْرَهُ: يَعْيبُهُ وِيلَطَّخَهُ؛ يستنجح: يطلب نجاح حاجته؛ مُسْتَكِينُونَ: خاضعون^(١).

الشرح:

اسم إنَّ أنه لا ينفع، والضمير في أنه ضمير الشأن، وفاعل ينفع أن يخرج، ولاقياً نصب على الحال، وأراد أن من جملة نصوص الله سبحانه التي هي في محكم كتابه العزيز التي باعتقادها والعمل على وفقها يثيب ويرضى، وبتركها يعاقب ويسخط أنه لا ينفع عبداً خروجه من الدنيا لاقياً ربه بأحد الخصال المذكورة وإن أجهد نفسه في العمل وأخلص فيه:

أحدها: الشرك بالله تعالى، وقد سبق منّا بيان درجات الشرك، وبقدر قوّته وضعفه يكون قوّة العقاب وضعفه، والنصّ الدالّ على مضرتّه المستلزم لعدم نفعه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(٢).

وقوله: «فَمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ»: يفهم منه أنه أراد الشرك بالرياء في العبادة لا اتّخاذ إله ثان، وهذه الآية تلحق النفس تارة من غلبة الجهل عليها واستيلاء الغفلة وترك النظر في المعرفة والتوحيد، وتارة من غلبة الشهوة كما تلحق نفس المرآي بعبادته لطلب الدنيا.

الثانية: أن يشفي غيظه بهلاك نفس، وفي نسخة نفسه، ونفس أعمّ وذلك الهلاك تارة في الدنيا كما يستلزمه السعي بالنميّة إلى الملوك ونحوه، وتارة في الآخرة

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٢٩.

(٢) النساء: ٤٨.

باكتساب الآثام المستلزم لشفاء الغيظ، والنص في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾^(١) الآية، وهذه الآفة تلحقها بواسطة القوة الغضبية.

الثالثة: أن يقرّ بأمر فعله غيره: أي يتم على غيره بأمر فعله ذلك الغير فيستلزمه إهلاكه وأذاه فيدخل فيمن يسعى في الأرض فساداً، والنص عليه قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾^(٢) الآية.

وروى الشارحين يعزّ بالعين المهملة. قال: ومعناه أن يقذف غيره بأمر قد فعله هو فيكون غيره منصوباً مفعولاً به، والعامل يعزّ يقال عزّره يعزّره عزراً: أي غابه ولحظه (لطفه خل) فعلى هذا يكون داخلاً في جملة الفاسقين والكاذبين والمؤذنين للمؤمنين بغير ما اكتسبوا. وهذه الآفة تلحق النفس بشركة من الشهوة والغضب.

الرابعة: أن «يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ»: كشاهد الزور لغاية يصل إليها، والمرتشي في الحكم والقضاء.

الخامسة: أن «يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمِشَى فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ»: أي يلقي كلاً من الصديقين مثلاً بغير ما يلقي به الآخر ليفرق بينهما أو بين العدووين ليضري بينهما، وبالجملة: أن يقول بلسانه ما ليس في قلبه فيدخل في زمرة المنافقين، ووعيد المنافقين في القرآن ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٣) ومطابقة ذلك

(١) النساء: ٩٣.

(٢) المائدة: ٣٣.

(٣) النساء: ١٤٥.

من العقل أن من انتقش لوح نفسه بهيئات السوء ولم يحجها بالتوبة الحقه فهو من أصحاب النار.

وقوله: «أَعْقِلْ ذَلِكَ»: أي اعقل ما أضرب به ذلك من المثل، واحمل عليه ما يشبهه فإن المثل دليل على شبهه وذلك المثل قوله: «إن البهائم...» إلى قوله: «والفساد فيها». فقوله: «إن البهائم همها بطونها»: إشارة إلى أن الإنسان المتبع لشهوته بمنزلة البهيمة في اتباع قوته الشهوية، والاهتمام بالطعام والشراب دون المطالب الحقيقية. وقوله: «إن السباع همها العدوان على غيرها»: إشارة إلى أن متبع القوة الغضبية بمنزلة السبع في اتباعها ومحنة الانتقام والغلبة على الغير.

وقوله: «وإن النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها»: إشارة إلى أن النساء متبعة للقوتين: الشهوية ولها كان همهن زينة الحياة الدنيا، والغضبية ولها كان همهن الفساد في الدنيا فالتابع لشهوته وغضبه لاحق بالنساء في ذلك.

ثم لما حصر متابع الشر في قوتي الشهوة والغضب ذكر المؤمنين بصفات ثلاث: - كل منها يستلزم كسر تينك القوتين - وهي الاستكانة لله والخضوع له، ثم الإشفاق من غضب، ثم الخوف من عقابه، والظاهر كون كل واحد من هذه الصفات جاذباً لهم عن طرف الإفراط في القوتين والخروج عن حد العدل فيها، وغاية هذا المثل التنفير عن طاعة الشهوة والغضب بالتنبيه على أن الخارج فيها عن حد العدل إلى ما لا ينبغي إما أن يشبه البهيمة أو السبع أو المرأة، وكل منها مما يرغب العاقل عنه، وهو الذي أمر بعقليته فانظر إلى ما اشتمل عليه هذا الكلام من الإشارة اللطيفة التي يشهد عليه عليه السلام بمشاهدة الحق كما هو، وإذا اعتبرت ذلك وأمثاله من الحكم البالغة ونظرت إلى أنه عليه السلام لم يرجع فيه إلى مطالعة كتاب أو استفادة بحث علمت أنه فيض رباني بواسطة إعداد سيد البشر والأستاذ المرشد عليه السلام.

قال الشارح الفاضل عبد الحميد بن أبي الحديد عليه السلام: إنما رمز بباطن هذا الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل لأنهم صاولوا أن يشفوا غيظهم بإهلاكه وإهلاك غيره من المسلمين وعيروه عليه السلام بأمرهم فعلوه، وهو التأليف على عثمان وحصره واستنجدوا حوائجهم إلى أهل البصرة بإظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لأنهم بايعوه وأظهروا الرضا به. ثم نكثوا من وجه آخر فجعل ذنوبهم هذه بمنزلة الشرك في أنها لا تغفر إلا بالتوبة. قال: وهذا معنى قوله: «أَعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبْهِهِ». وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام يحث بها الناس على التقوى:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ، وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ ... - إلى أن يقول عليه السلام - عِبَادَ اللَّهِ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِفْوَةٌ لَزِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ، قَدْ دَلَلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَأُمِرْتُمْ بِالظَّنِّ، وَحُثِّتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَقُوفٍ، لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ^(٢).

أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٤٤ - ٢٤٧ / شرح الخطبة رقم ١٥٢.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ العطار: فَقَدْ.

(٣) في نهج البلاغة لصبحي صالح: بِالْمَسِيرِ.

عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبَقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ!
 عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرُكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَى
 عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ^(١).
 عِبَادَ اللَّهِ، أَحْذَرُوا يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ
 الزَّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ.
 أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُونًا مِنْ
 جَوَارِحِكُمْ، وَحُقَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ،
 لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا يُكْنِتُكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ دُو
 رَتَاجٍ، وَإِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.
 يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقًا بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ
 مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَالَهُ
 مِنْ بَيْتٍ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمُقَرَّدِ غُرْبَةٍ! وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ
 قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ
 زَاخَتْ عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ، وَأَضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ الْعِلَلُ، وَأَسْتَحَقَّتْ
 بِكُمْ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا
 بِالْعَبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغَيْرِ، وَأَنْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ^(٢).

(١) في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده: رُغِبَ.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٢١ - ٢٢٣ / خطبة رقم ١٥٧، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٢٩٣

- ٢٩٥ / خطبة رقم ١٥٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٣: ٢٦٦ - ٢٦٨ / خطبة رقم ١٥٦،

ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٠٥ - ٣٠٧.

شرح الألفاظ الغريبة:

أيام الفناء: يريد أيام الدنيا؛ الظعن: المأمور به هاهنا السير إلى السعادة بالأعمال الصالحة، وهذا ما حثنا الله عليه؛ تبعته: ما يتعلّق به من حقّ الغير فيه؛ الرصد: الرقيب، ويريد به هنا رقيب الذمّة وواعظ السر؛ الرّتاح: - ككتاب - الباب العظيم إذا كان محكم الغلق؛ منزل وحدته: هو القبر؛ الصيحة: هنا الصيحة الثانية، لقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً﴾^(١)؛ زاحت: بعدت وانكشفت^(٢).

الشرح:

إنّ الإنسان إذا حصل على كمال القوّة النظرية باليقين وعلى كمال القوّة العملية بالتقوى بلغ الغاية القصوى من الكمال الإنسانيّ، ثمّ عبّ بتحذير السامعين من الله تعالى في أعزّ الأنفس عليهم وأحبّها إليهم، وفي الكلام إشارة إلى أنّ للإنسان نفوساً متعدّدة وهي باعتبار مطمئنّة، وأمارّة بالسوء، ولوامة. وباعتبار عاقلة، وشهوية، وغضبيّة. والإشارة إلى الثلاث الأخيرة. وأعزّها النفس العاقلة، إذ هي الباقية بعد الموت، ولها الثواب وعليها العقاب، وفيها الوصيّة، وغاية هذا التحذير حفظ كلّ نفسه ممّا يوبقها في الآخرة، وذلك بالاستقامة على سبيل الله. ولذلك قال: «فقد أوضح لكم سبيل الحقّ وأبان طريقه»، وروي وأنار طريقه: أي بالآيات والنذر، ثمّ نبّه على غايته سبيل الحقّ وسبيل الباطل بقوله: «فشقوة لازمة أو سعادة دائمة». ثمّ عاد إلى الحثّ على اتّخاذ الزاد بعد أن ذكر التقوى تنبيهاً على أنّ الزاد هو التقوى كما قال

(١) يس: ٢٩.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٣١.

تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(١) وأيام البقاء الحال التي بعد الموت، ودلالاتهم على الزاد في الآية التي دلهم الله تعالى بها عليه وأمرهم بالظعن كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾^(٢) الآية، وقوله: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(٣) وبالجملته فكل أمر بالإعراض عن الدنيا والتنفير عنها فهو مستلزم للحث على الظعن والأمر بالمسير عن الدنيا بالقلوب؛ لأن الظعن هنا هو قطع درجات المعارف والأعمال في سبيل الله وصراطه المستقيم والمسير فيها، ويحتمل أن يريد بالحث على المسير حث الليل والنهار بتعاقبها على الأعمال فهما سابقان حثيثان عنيان فيجب التنبيه لسوقهما على اتخاذ الزاد لما يسوقان إليه.

وقوله: «وإنما أنتم كركب...» إلى آخره: فوجه التشبيه ظاهر فالإنسان هو النفس، والمطايا هي الأبدان والتقوى النفسانية، والطريق هي العالم الحسي والعقلي، والسير الذي ذكره قبل الموت هو تصرف النفس في العالمين لتحصيل الكمالات المسعدة وهي الزاد لغاية السعادة الباقية، وأمّا السير الثاني الذي هو وقوف ينتظرون ولا يدرون متى يؤمرون به فهو الرحيل إلى الآخرة في دار الدنيا وطرح البدن وقطع عقبات الموت والقبور إذ الإنسان لا يعرف وقت ذلك، وحينئذ يتبين لك من سر هذا الكلام أن قوله: «وأمرتم بالظعن» مع قوله: «لا تدرون متى تؤمرون بالسير»، غير متنافيين كما ظنه بعضهم، ثم أخذ في ترهيد الدنيا والتنفير عنها بذكر أن الإنسان غير

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) آل عمران: ١٣٣.

(٣) الذاريات: ٥٠.

مخلوق لها بل لغيرها ومقتضى العقل أن يعمل الإنسان لما خلق له، وفي تزهد المال بتذكير سلبه عن قليل بالموت وبقاء الحساب عليه وتبعاته من عقارب الهيئات المحاصلة بسبب محبته وجمعه والتصرف الخارج عن العدل فيه لا سعة لمقتنيه.

ثم عقّب بالترغيب في «وعد الله بأنه ليس منه مترك»: أي ليس منه عوض وبدل في النفاسة بالتنفير عما نهى الله عنه بكونه لا مرغّب فيه: أي ليس فيه مصلحة ينبغي أن يجعلها العاقل غاية مقصودة له. إذ هو تعالى أعلم بالمصالح فلا يليق بمجوده أن ينهي العبد عما فيه مصلحة راجحة.

ثم عقّب بالتحذير من يوم الوعيد ووصفه بالصفات التي باعتبارها يجب الخوف منه والعمل له وهي فحص الأعمال فيه ونقاش الحساب عليه كقوله تعالى: ﴿وَلْتَسْأَلْنِ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

وظهور الزلزال، كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾^(٢).

وشيب الأطفال، كقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾^(٣).

واعلم أن هذه الصفات في يوم القيامة ظاهرة في الشريعة، وقد سلّط التأويل عليها بعض من تحذلق فقال: أمّا الفحص عن الأعمال فيرجع إلى إحاطة اللوح المحفوظ بها وظهورها للنفس عند مفارقتها للبدن أو إلى انتقاش النفوس بها كما تقدّم شرحه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾^(٤) الآية.

(١) النحل: ٩٣.

(٢) الزلزلة: ١.

(٣) المزمل: ١٧.

(٤) آل عمران: ٣٠.

وأما ظهور الزلزال فيحتمل أن يريد التغير الذي لا بد منه والاضطراب العارض للبدن عند مفارقة النفس والتشويش لها أيضاً على ما تقدم من الإشارة إلى أن الدنيا هي مقبرة النفوس وأحداثها.

وأما مشيب الأطفال فكثيراً ما يكتفى بذلك عن غاية الشدة، يقال: هذا أمر تشيب فيه النواصي، وتهرم فيه الأطفال إذا كان صعباً. ولا أصعب على النفس في حالة المفارقة وما بعدها.

ثم عقب بالتحذير من المعاصي بالتنبيه على الرصد القريب الملازم، وأشار بالرصد إلى الجوارح كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِيَجْزِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾^(٢) الآية، والشهادة هنا بلسان الحال والنطق به فإن كل عضو لما كان مباشراً لفعل من الأفعال كان حضور ذلك العضو وما صدر عنه في علم الله تعالى بمنزلة الشهادة القولية بين يديه وأكد في الدلالة، وأشار بحفاظ الصدق إلى الكرام الكاتبين، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الخطبة الأولى، وظاهر كونهم لا يستتر منهم ساتر.

ثم بالتحذير بقرب غد، وكتفى به عن وقت الموت، ثم ببلوغ منزل الوحدة، وكتفى به عن القبر، ووصفه بالأوصاف الموحشة المنقّرة المستلزمة للعمل لحلوله ولما بعده.

ثم بالصيحة وهي الصيحة الثانية: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ

(١) النور: ٢٤.

(٢) فصلت: ٢١.

لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿١﴾، والنفخة الثانية: ﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٢﴾.

ثم بالقيامة الكبرى والبروز لفصل القضاء وهو حال استحقاق كل نفس ما لا بد لها منه من دوام عذاب أو دوام نعيم بحكم القضاء الإلهي، وذلك بعد زوال الهيئات الباطلة الممكنة الزوال من النفوس التي لها استكمال ما ولحوقها بعالمها واضمحلال العلل الباطلة للنفوس واستحقاق الحقائق بالخلق ورجوع كل امرئ إلى ثمره ما قدم. ثم عاد إلى الموعظة الجامعة الكلية فأمر بالانتعاظ بالعبر وكل ما يفيد تنبيهاً على أحوال الآخرة فهو عبرة، وبالاعتبار بالغير وهي جمع غيرة فعلة من التغير واعتبارها طريق الانتعاظ والانزجار.

ثم بالانتفاع بالنذر جمع نذير وهو أعم من الإنسان بل كل أمر أفاد تخويفاً بأحوال الآخرة فهو نذير والانتفاع به حصول الخوف عنه. وبالله التوفيق (٣).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في كيف يكون الرجاء:

منها: يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ! مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، (وَكُلُّ رَجَاءٍ) (٤) - إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ تَعَالَى - فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وَكُلُّ

(١) يس: ٥٣.

(٢) الزمر: ٦٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٧٠ - ٢٧٣ / شرح الخطبة رقم ١٥٦.

(٤) ما بين القوسين: ليس في شرح نهج البلاغة لابن ميثم، والشيخ محمد عبده.

خَوْفٍ مُّحَقَّقٍ، إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ، يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ،
وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ! فَمَا
بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصِّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ؟ أَتَخَافُ أَنْ
تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا؟
وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عَيْبِهِ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا
يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ^(١)
ضِمَارًا وَوَعْدًا، وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا
فِي قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

المدخول: المغشوش غير الخالص، أو هو: المغيب الناقص لا يترتب عليه عمل؛
الخوف المحقق: هو الثابت الذي يبعث على العبد عن الخوف والهرب منه؛ الخوف
المعلول: هو ما لم يثبت في النفس ولم يخاطب القلب، وإنما هو عارض في الخيال يزيله
أدنى الشواغل، فهو كالأوهام لا قرار لها، ومعلول: من علَّه يُعلِّله إذا شربه مرة بعد
أخرى؛ الضمار: - ككتاب - ما لا يرجى من الوعود والديون^(٣).

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: (خالقه) بدل (خالقهم).

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٢٤ - ٢٢٦ / خطبة رقم ١٦٠، ونهج البلاغة للمحقق الشيخ

العطّار: ٢٩٧ - ٢٩٩ / خطبة رقم ١٦٠، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٧٨ - ٢٧٩ / ضمن

الخطبة رقم ١٥٩، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣١٠ - ٣١١.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٣١ - ٦٣٢.

الشرح:

مساق الكلام يقتضي ذم من يدّعي رجاء الله ولا يعمل له وتنبيه أن رجاءه ليس بخالص بتكذيبه وبيان تقصيره في العمل.

فقوله: «يدّعي بزعمه أنه يرجو الله»: ذكر صورة الدعوى الحالية أو المقالية.
وقوله: «كذب والعظيم»: لردّ لتلك الدعوى مؤكّداً بالقسم البارّ، وإنما قال:
والعظيم دون الله لأنّ ذكر العظمة هنا أنسب للرجاء.

وقوله: «ما باله...» إلى قوله: «عرف رجاءه في عمله»: قياس في الشكل الثاني
بين فيه أنه غير راج. وتلخيصه أنّ هذا المدّعي للرجاء غير راج، ومراده الرجاء التامّ
الذي يجتهد في العمل له ولذلك قال: «إلا رجاء الله فإنّه مدخول» فنّبّه بأنّ فيه دخلاً
على وجوده إلاّ أنّه غير خالص، وبيان الدليل أنّ كلّ من رجا أمراً من سلطان أو
غيره فإنّه يخدمه بخدمته التامة ويبالغ في طلب رضاه ويكون عمله له بقدر قوّة
رجائه له وخلصه، ويرى هذا المدّعي للرجاء غير عامل فيستدلّ بتقصيره في
الأعمال الدينية على عدم رجائه الخالص في الله.

وكذلك قوله: «وكلّ خوف محقق إلاّ خوف الله فإنّه معلول»: توبيخ للسامعين في
رجاء الله تعالى مع تقصيرهم في الأعمال الدينية، وتقدير الاستثناء الأوّل مع المستثنى
منه: وكلّ رجاء لراج يعرف في عمله أي يعرف خلوص رجائه فيما يرجوه إلاّ رجاء
الراجي لله فإنّه غير خالص.

وروي: وكلّ رجاء إلاّ رجاء الله فإنّه مدخول، والتقدير: وكلّ رجاء محقق أو
خالص، لتطابق الكليتين على مساق واحد، وينبّه على الإضمار في الكليّة الأولى قوله
في الثانية محقق، فإنّه تفسير المضمّر هناك.

وقوله: «يرجو الله في الكبير...» إلى قوله: «يعطي الرب»: في قوة قياس ضمير صغراه قوله: «يرجو...» إلى قوله: «الصغير»: وتقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فينبغي أن يعطي الله الذي هو ربّه من رجائه والعمل له ما لا يعطي المخلوقين والذين هم عباده، والصغرى مسلّمة، فإنّ الحسّ يشهد بأكثريّة أعمال الخلق لما يرجوه بعضهم من بعض بالنسبة إلى أعمالهم لما يرجونه من الله تعالى.

وأما الكبرى فبيانها أنّ المقرّر في الفطر أنّ المرجو الكبير يستدعي ما يناسبه ممّا هو وسيلة إليه كميّة وكيفيّة.

وقوله: «فيعطي العبد ما لا يعطي الرب»: نقض للكبرى.

وقوله: «فما بال الله...» إلى قوله: «لعباده»: توبيخ وتشنيع على من يخالف العمل بالنتيجة المذكورة.

وقوله: «أتخاف..» إلى قوله: «موضعاً»: استفسار عن علّة التفسير المذكورة في الرجاء لله والعمل له بالنسبة إلى رجاء العباد والعمل لهم استفساراً على سبيل الإنكار وتقريعاً على ما عساه يدّعي من إحدى العلّتين المذكورتين وهما خوف الكذب في رجاء الله أو ظنّه غير أهل للرجاء. والأمر الأوّل خطأ عظيم لزم عن التقصير في معرفة الله؛ والثاني كفر صراح، وأنما خصّص هاتين العلّتين بالنكر لأنّهما المشهورتان في عدم رجاء الخلق بعضهم لبعض أو ضعفه، وانتفاؤهما في حقّ الله تعالى ظاهر فإنّه تعالى الغيّ المطلق الذي لا بخل فيه ولا منع من جهته فإنّ العبد إذا استعدّ بقوة الرجاء له والعمل لما يرجوه منه وحببت إفاضة الجود عليه ما يرجوه فلا يكذب رجاءه وهو الله تعالى الموضع التامّ له.

وقوله: «وكذلك إن هو خاف...» إلى قوله: «يعطي ربّه»: قياس ضمير استثنائي بين فيه قصور خوف الخائف من الله بالنسبة إلى خوفه من بعض عبيده، والضمير في عبيده لله، وفي خوفه للخائف، ويحتمل عوده إلى العبد، والملازمة في الشرطيّة ظاهرة، وكبرى القياس استثناء غير المقدّم لينتج عين التالي.

وقوله: «فجعل...» إلى قوله: «وعداً»: توبيخ وتشنيع على من لزمه ذلك الاحتجاج وأنه من القبيح المشهور المذكور أن يجعل الإنسان خوفه من عبد مثله نقداً حاضراً وخوفه من خالقه وعداً غير حاضر.

وقوله: «وكذلك من عظمت الدنيا...» إلى آخره: إشارة إلى علّة إثارة الناس للحياة الدنيا على ما عند الله ممّا وعد به وانقطاعهم إليها وصيرورتهم عبيداً لها، وذكر جزء العلّة القريبة وهي عظمت الدنيا في أعينهم، وتما هذه العلّة حقارة ما تصوّروه من الوعد الأخرى بالنسبة إلى الدنيا، وعلّة هذه العلّة ميلهم للذات العاجلة كما هي، وغيوبة الذات الموعودة وتصورها الضعيف بحسب الوصف، الذي غايته أن يوجب في أذهانهم مشابهة ما وعدوا به لما حضر لهم الآن، فلذلك كانت العاجلة أعظم في نفوسهم وأكبر وقعاً في قلوبهم، ولذلك آثروها وانقطعوا إليها فاستعبدتهم، وغاية هذا التوبيخ التنفير من الدنيا والمجذب عنها إلى الرغبة فيما وعد الله، ولذلك عقّب بالتنبيه على ترك الدنيا من الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين الذين هم القدوة للخلق وإعراضهم عنها^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٨٢ - ٢٨٤ / شرح الخطبة رقم ١٥٩.

ومنها يقول عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وآله:

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَافٍ لَكَ فِي
الْأُسْوَةِ ^(١) وَدَلِيلٌ لَكَ ^(٢) عَلَى ذِمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا
وَمَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا،
وَقُطِمَ عَنْ رِضَاعِهَا، وَزُويَ عَنْ زَخَارِفِهَا ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

الأسوة: القدوة؛ الأكناف: الجوانب؛ زُويَ: قبض ^(٤).

الشرح:

الرسول صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء والمرسلين الذين هم القدوة للخلق وإعراضهم عنها،
وعلى كونهم محلّ الأسوة الكافية لهم في ذلك وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ^(٥) الآية، والدليل التام على ذمّها وعيبها وكثرة مساوئها
ومخازيها. وأشار بقوله: «إذ قبضت عنه أطرافها»: إلى مقدّمة من مقدّمات الدليل

(١) في نهج البلاغة للمحقّق الشيخ العطار: الإِسْوَة - بالكسر - وليس بالضّمّ - .

(٢) في نهج البلاغة للمحقّق الشيخ العطار والشيخ محمّد عبده: (ذَلِكَ) بدل (لَكَ).

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٢٦ / ضمن الخطبة رقم ١٦٠، ونهج البلاغة للمحقّق الشيخ

العطار: ٢٩٩ - ٣٠٠ / ضمن الخطبة رقم ١٦٠، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٧٩ / ضمن

الخطبة رقم ١٥٩، ونهج البلاغة للشيخ محمّد عبده ١: ٣١١.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٣٢.

(٥) الأحزاب: ٢١.

على حقارتها وخبثها وذلك إلى قوله: «وخادمه يده»، وقبض أطرافها عنه كفاية في منعها عنه بالكلفة لعدم استعدادها لقبوله إياها، وتوطئة جوانبها لغيره كناية عن إعطائه إياها وتذليلها له كالمملوك، واستعار لفظ «الفطم» لمنعه منها، وكذلك لفظ «الرضاع» لها ملاحظة لمسابتها للأُم وله بالابن، ووجه المشابهة ظاهر^(١).

ومنها يقول عليه السلام في الرسول الأعظم ﷺ:

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَظْهَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً^(٢) لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى - وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَضِ لِأَثَرِهِ - قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(٣) أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(٤)، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٨٤ / شرح الخطبة رقم ١٥٩.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ العطار: إِسْوَةٌ - بالكسر - .

(٣) (سبحانه): ليست في نهج البلاغة للشيخ العطار.

(٤) (ورسوله) ليس في نهج البلاغة للشيخ العطار، وكذا في الموضع التالي.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٢٧ - ٢٢٨ / ضمن الخطبة رقم ١٦٠، ونهج البلاغة للمحقق

الشيخ العطار: ٣٠١ / ضمن الخطبة رقم ١٦٠، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٨٠ / ضمن

الخطبة رقم ١٥٩، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣١٢ - ٣١٣.

شرح الألفاظ الغريبة:

تأس: أي اقتد؛ القضم: الأكل بأطراف الأسنان، كأنه لم يتناول إلا على أطراف أسنانه، ولم يملأ منها فمه؛ أهضم: من الهضم: وهو خض البطن، أي خلوها وانطباقتها من الجوع؛ الكشح: ما بين الخاصرة إلى الصلع الخلفي؛ أخمصهم: أخلاهم؛ المحادة: المخالفة في عناد^(١).

الشرح:

لما وصف حالهم [الأنبياء] عاد إلى الأمر بالتأسي بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم المأمورون بوجوب الاقتداء به مطلقاً وفيه الأسوة الكافية لمن تأسى به ولأنه أقرب عهداً ممن سبق، وحث على التأسي به يكون المتأسي به المقتص لأثره أحب العباد إلى الله، وذلك من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٢)، ثم عاد إلى اقتصاص من حاله صلى الله عليه وآله وسلم في ترك الدنيا والاقتصار منها على قدر الضرورة ليتبين ما يكون فيه التأسي به، وكفى عن ذلك بقضيمها، ثم كفى عن عدم التفاته لها بعدم إعادتها طرفه، وعن كونه أقل الناس شبعاً فيها والتفاتاً إلى مأكليها ومشربيها بكونه أخمصهم خاصرة وبطناً.

روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: أنه كان إذا اشتد جوعه يربط حجراً على بطنه ويسميه المشبع مع ملكه قطعة واسعة من الدنيا^(٣).

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٣٢.

(٢) آل عمران: ٣١.

(٣) شرح أصول الكافي ٨: ٣٨٠.

وروي: أنه ما شبع آل محمد من لحم قط^(١)، وأن فاطمة وبعيلها وبنيتها كانوا يصومون على أقراص من الشعير كانوا يعدونها لإفطارهم وربما آثروا بها السائلين وطووا.

روي: أنهم فعلوا ذلك ثلاث ليال طووا في أيامها حتى كان ذلك سبب نزول سورة هل أتى في حقهم كما هو المشهور في التفاسير^(٢).

وأما قوله: «وعرضت عليه فأبى أن يقبلها»، فكما روي [ورد خل] عنه عليه السلام أنه قال: عرضت علي كنوز الأرض ورفعت إلي مفاتيح خزائنها فكرهتها واخترت الدار الآخرة.

وقوله: «وعلم أن الله أبغض شيئاً...» إلى قوله: «فصغر».

فبغض الله لها عدم إرادتها لأوليائه داراً، وإشارة إلى أنها مقصودة وجودها بالعرض وتحقيرها وتصغيرها بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة.

ثم نقر عن محبتها بعد أن أشار إلى بغض الله لها وتصغيره إيّاها بجملة اعتراضية يتلخص منها قياس هكذا: أقلل معايينا محبتنا لما أبغض الله وتعظيماً لما صغر وكل محبة وتعظيم كذلك فكفى به شقاقاً له ومحادة عن أمره، فينتج أن أقلل ما فينا من المعايير يكفينا في مشاققة الله ومحادته. ثم أردف ذلك بتمام أوصافه في ترك الدنيا والتكاليف لها^(٣).

(١) شرح أصول الكافي ٨: ٢٨٠.

(٢) انظر مجمع البيان لعلوم القرآن ١٠: ٢٣٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٨٥ - ٢٨٦ / ضمن شرح الخطبة رقم ١٥٩.

ومنها يقول عليه السلام في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ،
وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ،
وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السَّتْرُ عَلَى
بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «يَا فُلَانَةُ - لِإِحْدَى
أَزْوَاجِهِ - غَيَّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا
وَزَخَّارِفَهَا».

فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ
تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، وَلَا يَعْتَقِدَهَا
قَرَارًا وَلَا يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا
عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ ^(١) مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا
أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذَكَّرَ عَنْهُ ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

خصف النعل: خرزها؛ الحمار العاري: ما ليس عليه بزّعة ولا إكاف؛ أردف

(١) في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده: (وكذا) بدل (وكذلك).

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٢٨/ ضمن الخطبة رقم ١٦٠، ونهج البلاغة للمحقق الشيخ

العطّار: ٣٠١-٣٠٢/ ضمن الخطبة رقم ١٦٠، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٨٠-٢٨١/

ضمن الخطبة رقم ١٥٩، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣١٣-٣١٤.

١٧٤..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

خلفه: أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله
خلفه؛ الرياش: اللباس الفاخر؛ أشخصها: أبعدها^(١).

الشرح:

فقوله: «ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يأكل على الأرض ويجلس جلسة
العبد».

كما روي عنه عليه السلام أنه قال: إنما أنا عبد آكل أكل العبيد، وأجلس جلسة
العبيد^(٢).

وغاية ذلك هو التواضع، وكذلك غاية خصف نعله بيده، وترقيع ثوبه بيده،
وركوبه للحمار العاري وإرادفه خلفه.

وأما أمره بتغيب التصاوير فمحافظة من حركة الوسواس الخناس، وكما أن
الأنبياء عليهم السلام كانوا كاسرين للنفس الأمارة بالسوء وقاهرين لشياطينهم كانوا أيضاً
محتاجين إلى مراعاتهم ومراقبتهم وتفقد أحوال نفوسهم في كل لحظة وطرفة فإنها
كاللصوص المخادعين للنفوس المطمئنة، مهما تركت وغفل عن قهرها والتحفّظ منها
عادت إلى طباعها.

وقوله: «فأعرض عن الدنيا بقلبه...» إلى قوله: «وأن يذكر عنده»: إشارة إلى
الزهد الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس وما قبله من الأوصاف
إشارة إلى زهده الظاهري وهو حذف الموانع الخارجية عنه.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٣٢.

(٢) مستدرك الوسائل ١٦: ١٩٦٧٤/٢٢٨.

ثم عاد إلى التذكير بالمقدمة السابقة للدليل على حقارة الدنيا وخبثها^(١).

ومنها يقول عليه السلام في الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم:

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى
مَسَاوِيءِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا: إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ
عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ: أَأَكْرَمَ^(٢) اللَّهُ
مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ - وَاللَّهِ
الْعَظِيمِ - (وَأَتَى بِالْأَفْكَ الْعَظِيمِ)^(٣)، وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ
اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ
النَّاسِ مِنْهُ.

فَتَأَسَّى مُتَأَسِّ بَنِيهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلَجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ
الْهَلَكَةَ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِلْمًا
لِلْسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا
خَمِيصًا، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى
مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا
حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ، وَقَائِدًا نَطَأُ عَقْبَهُ! وَاللَّهِ

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٨٦ / شرح الخطبة رقم ١٥٩.

(٢) المثبت من نهج البلاغة للشيخ العطار؛ وفي باقي النسخ: أكرم.

(٣) ما بين القوسين ليس في نهج البلاغة للشيخ العطار، وفي نهج البلاغة لصبحي صالح ليس فيه: وأتى.

لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ
لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ^(١)؟ فَقُلْتُ: أَغْرُبُ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ
يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِي^(٢)!

شرح الألفاظ الغريبة:

خاصّته: اسم فاعل في معنى المصدر، أي مع خصوصيّته وتفضّله عند ربّه؛ زُوِيَتْ
عنه: - بالبناء للمجهول - قُبِضَتْ وَأُبْعِدَتْ، ومثله بعد قليل: زَوِيَ الدنيا عنه: قبضها؛
عظيم زُلْفَتِهِ: منزلته العليا من القرب إلى الله؛ عَلِمًا لِلْسَّاعَةِ: - بالتحريك - العلامة، أي
أن بعثته دليل على قرب القيامة إذ لا نبي بعده؛ خَمِيصًا: أي خالي البطن، كناية عن
عدم التمتّع بالدنيا؛ الْعَقَبُ: - بفتح فكسر - مؤخّر القدم، ووطوء العقب مبالغة في
الاتباع والسلوك على طريقه، نَقْفُوهُ خطوة خطوة حَتَّى كَأَنَّنا نَطًا مؤخّر قدمه؛
المدرعة: - بالكسر - ثوب من صوف؛ أَغْرُبُ عَنِّي: اذهب وأبعد؛ الشَّرِي: - بضم
ففتح - السير ليلاً وهذا المثل «عند الصباح يحمد القوم الشَّرِي» معناه: إذا أصبح
النائمون وقد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حمّدوا سُرّاهم وندموا على نوم
أنفسهم^(٣).

(١) (عَنكَ): ليس في نهج العطار.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٢٨ - ٢٢٩ / ضمن الخطبة رقم ١٦٠، ونهج البلاغة للشيخ
العطار: ٣٠٢ - ٣٠٣ / ضمن الخطبة رقم ١٦٠، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٣ / ٢٨١ / ضمن
الخطبة رقم ١٥٩، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣١٤ - ٣١٥.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٣٢ - ٦٣٣.

الشرح:

أعاد ذكر جوعه هو وخاصة من أهل بيته مع عظيم زلفته ورفعته منزلته عند الله وإزوائها عنه، ولما ذكر تلك المقدمة شرع في الاستدلال بقوله: «فلينظر ناظر...» إلى قوله: «أقرب الناس إليه» وهو بقياس شرطي متصل مقدّمه جمليّة وتاليه قضيّة شرطية منفصلة وتلخيصه: إذا كان محمد صلى الله عليه وآله جاع في الدنيا مع خاصّته وزوى الله عنه زخارفها مع عظيم زلفته عنده فلا يخلو فعله بذلك، إمّا أن يكون إكراماً له أو إهانة، والقسم الثاني ظاهر البطلان إذ ثبت أنّه صلى الله عليه وآله أخصّ خواصّ الله، وإذا كان أحقر ملك في الدنيا لا يقصد بأحد من خاصّته إذا كان مطيعاً له الإهانة فكيف يصدر ذلك من جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة حكيم الحكماء ورحيم الرحماء في حقّ أحقّ خواصّه وأشدّهم طاعة له، ولأجل وضوح ذلك اقتصر على تكذيب من قال به وأكّده بالقسم البارّ.

وأما القسم الأوّل وهو أنّه أكرمه بذلك فمن المعلوم أنّ الشيء إذا كان عدمه إكراماً وكمالاً كان وجوده نقصاً وإهانة فكان وجود الدنيا في حقّ غيره صلى الله عليه وآله وإزوائها عنه مع قرب منزلته إهانة لذلك الغير وذلك يستلزم حقارتها وبيعته العاقل على النفاق عنها.

ثمّ عاد إلى الأمر بالتأسّي به صلى الله عليه وآله في ترك الدنيا تأكيداً لما سبق بعد بيان وجوه التأسّي وهو أمر في صورة الخبر مع زيادة تنبيه على أنّ الميل إليها محلّ الهلكة فمن لم يتأسس بالنبي صلى الله عليه وآله في أحواله في الدنيا وخالفه في الميل إلى شيء منها لم يأمن الهلكة، إذ قد عرفت أنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة وهي المجاذبة عن درجات دار النعيم إلى دركات دار المجحيم.

وقوله: «فإن الله جعل محمداً...» إلى قوله: «داعي ربّه».

صورة احتجاج على قوله: وإلا فلا يأمن الهلكة، وتقديره أن الله تعالى جعله علماً للساعة وأماره على قربها ومبشراً بالجنة ومنذراً بالعقوبة وأطلعها على أحوال الآخرة.

ثم خرج من الدنيا بهذه الأموال المحدودة المستلزمة للنفار عنها والبغض لها والحذر منها فلو لم يكن الركون إليها وارتكاب أضداد هذه الأموال منها مظنة الهلكة لما نفر النبي ﷺ عنها ويركن إليها لكنه نفر عنها فكانت مظنة الهلكة فوجب التأسي به في نفاره عنها وإلا لم يأمن غير المتأسي به الهلكة فيها.

وروي علماً للساعة - بكسر العين - وهو مجاز إطلاقاً لاسم المسبب على السبب، إذ هو ﷺ سبب للعلم بالساعة، وكفى بوضع الحجر على الحجر عن البناء.

ثم عقب بتعظيم منة الله على الناس حين أنعم عليهم به سلفاً يتبعونه وقائداً يقتفون أثره، وأردف ذلك بذكر بعض أحواله التي تأسى به ﷺ فيها من ترك الدنيا والإعراض عن الاستمتاع بها إلى غاية ترقيع مدرعته حتى استحيا من راقعها وقول من قال له: ألا تنبذها وتلقيها، وجوابه الحسن.

وقوله: «فعند الصباح يحمد القوم الثرى»:

مثل يضرب لمحتمل المشقة ليصل إلى الراحة فأصله أن القوم يسيرون في الليل فيحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل إذا أصبحوا، ومطابقة الصباح لمفارقة النفس البدن أو لإعراضها عنه واتصالها بالملا الأعلى بسبب تلك الرياضة الكاملة وبإشراق أنوار العالم العلوي عليها التي عنده تحمد عواقب الصبر على مكاره الدنيا وترك لذاتها ومعاناة شدائد مطابقة ظاهرة واقعة موقعها.

وروي أنه سئل عليه السلام: لم رقعت قيصك؟ فقال: يخشع لها القلب ويقتدي بها المؤمنون^(١).

ومما نقل في زهده عليه السلام ما رواه أحمد في مسنده عن أبي النور الحوَّام - بالكوفة - قال: جاءني علي بن أبي طالب عليه السلام إلى السوق ومعه غلام له وهو خليفة فاشترى مني قيصين، وقال لغلامه: اختر أيهما شئت فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر، ثم لبسه ومدَّ يده فوجد كمه فاضلة فقال: أقطع الفاضل فقطعه، ثم كفَّه وذهب^(٢).
وروي أحمد أيضاً قال: لما أرسل عثمان إلى علي وجدوه مؤتزراً بعباءة محتجزاً بعقال وهو يهنأ بغيراً له: أي يمسحه بالقطران وهو الهناء^(٣)، والأخبار في ذلك كثيرة. وبالله التوفيق^(٤).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في صفة النبي وأهل بيته واتِّباع دينه والنصح بالتقوى:

أَبْتَعْتُهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي،
وَالْكِتَابِ الْهَادِي، أَسْرَتُهُ خَيْرُ أَسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ؛
أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهَجْرَتُهُ
بِطَبِيبَةَ - إلى أن يقول عليه السلام في النصح بالتقوى - أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ،

(١) شرح أصول الكافي ١: ٢٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٢٣٥، إحقاق الحق ٣٢: ٢٣٨ باختلاف يسير.

(٣) عوالي اللآلي ١: ٢٧٨/١١٠.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٨٦ - ٢٨٨/ شرح الخطبة رقم ١٥٩.

بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا، وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا، رَهَبَ قَابَلَعٍ، وَرَغَبَ فَأَسْبَغَ، وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَأَنْقِطَاعَهَا، وَزَوَالَهَا وَأَنْتَقَالَهَا.

فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا، أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ - عِبَادِ اللَّهِ - غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا^(١)، فَاحْذَرُوا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ^(٢)...

شرح الألفاظ الغريبة:

المنهاج البادي: أي الظاهر؛ المتهدلة: المتدلية، دانية للاقتطاف؛ طيبة: المدينة المنورة؛ أسبغ: أي أحاط بجميع وجوه الترغيب؛ الشفيق: الخائف؛ الناصح: الخالص؛ الكادح: المُبالغ في سعيه^(٣).

الشرح:

عقب [رسول الله ﷺ] بالموعظة، فبدء بالوصية بتقوى الله وطاعته وأطلق عليها لفظ النجاة مجازاً إطلاقاً لاسم المسيب على السبب المادي لكونها معدة لإفاضة النجاة

(١) في نهج البلاغة لابن ميثم والشيخ محمد عبده: (حالتها) بدل (حالاتها).

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٢٩ - ٢٣٠ / خطبة رقم ١٦١، ونهج البلاغة للمحقق الشيخ

الخطار: ٣٠٣ - ٣٠٤ / خطبة رقم ١٦١، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم: ٢٨٨ - ٢٨٩ / خطبة

رقم ١٦٠، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده: ٣١٥ - ٣١٦.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٣٣.

من عذاب يوم القيامة، وقيل: النجاة الناقة التي ينجي عليها فاستعار لفظها للطاعة لأنها كالمطية ينجو بها المطيع من العطب، ولفظ المنجاة إذ هي محلّ النجاة دائماً، والضمير في رهّب ورغب لله: أي فأبلغ في وعيده وأسبغ الترغيب فائمه، ووصف الدنيا بالأوصاف الموجبة للرجبة عنها.

ثم أمر عليه السلام بالإعراض عن زينتها، وعللّ حسن ذلك الإعراض بقلة ما يستصحب الإنسان منها إلى الآخرة، وأراد الإعراض بالقلب الذي هو الزهد الحقيقي، وإنما قال: لقلة ذلك ولم يقل لعدمه لأنّ السالكين لابدّ أن يستصحبوا منها شيئاً وهو ما يكتسبه أحدهم من الكمالات إلى الآخرة لكن القدر الذي يكتسبه المترفون من الكمالات إذا قصدوا بأموالهم وسائر زينة الحياة الدنيا الوصول إلى الله تعالى قليل نور، ومع ذلك فهم في غاية الخطر من مزلة القدم في كلّ حركة وتصرف بخلاف أهل الكشف الذين اقتصروا منها على مقدار الضرورة البدئية، ويحتمل أن يريد بالقليل الذي يصحبهم منها كالكنف ونحوه، وإنما كانت أقرب دار من سخط الله وأبعدها من إطاعة الله لأنّ الميل فيها إلى اللهو واللعب والاستمتاع بزينتها المستلزم لسخط الله أغلب من الانتفاع بها في سلوك سبيل الله.

وقوله: «فغضّوا»: أي فكفّوا عن أنفسكم الغمّ لأجلها والاشتغال بها لما تيقنتم من فراقها لأنّ الغمّ إنّما ينبغي أن يوجّه نحو ما يبقى.

ثم حذر منها حذر الشفيق على نفسه الناصح المجّد الكادح لها^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٢٩١ - ٢٩٢ / شرح الخطبة رقم ١٦٠.

الدنيا في خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجب خلقه الطاوس، ومنها يقول عليه السلام في صفة الجنة:

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفْتَ^(١) نَفْسَكَ
عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّتِّهَا، وَزَخَارِفِ
مَنَاطِرِهَا، وَلَذْهَلَتْ^(٢) بِالْفِكْرِ فِي أَصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ
عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَغْلِيقِ
كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ
الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلْفِ أَكْمَامِهَا، تُجَنَّى مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ فَتَأْتِي
عَلَى مُنِيَّةٍ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَالِهَا فِي أَفْنِيَّةِ قُصُورِهَا
بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّيَّةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ.

قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا
ثِقَلَةَ الْأَسْفَارِ، فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا
يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاطِرِ الْمُونِقَةِ لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا
إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ
اسْتِعْجَالًا بِهَا، جَعَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ
الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ^(٣).

(١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: (لَعَرَفْتَ) وفي محمد عبده: (لَعَرَفْتَ).

(٢) في شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: (وَلَذْهَلَتْ) وفي محمد عبده: (وَلَذْهَلَتْ).

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٣٩ / ضمن الخطبة رقم ١٦٥، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

شرح الألفاظ الغريبة:

عَزَفْتُ نفسك: كرهت وزهدت؛ اصطفاق الأشجار: تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت؛ الكتبان: جمع كتيب، وهو التلّ؛ الأفنان: - جمع فَنَن - بالتحريك وهو الغصن؛ كبائس: جمع كباسة وهي العذق؛ العساليج: الغصون واحدها عُشْلُوج؛ غُلْفٍ: بضمّتين - جمع غلاف والأكمام: - جمع كم - بكسر الكاف، وهو وعاء الطلع وغطاء الثّوار؛ تُجْنَى: تنقطف؛ المصفقة: المصفاة؛ الموققة: المعجبة^(١).

الشرح:

قوله: «فلو رميت ببصر قلبك»: استعارة لطيفة: أي لو نظرت بعين بصيرتك وفكرت في معنى ما وصف لك من متاع الجنّة لم تجد لشيء من بدائع ما أخرج إلى الدنيا من متاعها إلى شيء من متاع الجنّة إلّا نسبة وهميّة، إذا لاحظتها نفسك عزفت وأعرضت عن متاع الدنيا وما يعدّ فيها لذة، وغابت بفكرها في اصطفاق الأشجار الموصفة فيها وتمايل أغصانها.

ثمّ وصف أشجارها وأنهارها وسائر ما عدّده من متاع الجنّة وصفاً لا مزيد عليه. فهذه هي الجنّة المحسوسة الموعودة، وأنت بعد معرفتك بقواعد التأويل وحقائق ألفاظ العرب ومجازاتها واستعاراتها وتشبيهاتها وتمثيلاتها وسائر ما عدّدها لك في صدر الكتاب من قواعد علم البيان، وكان لك مع ذلك ذوق طرف من العلم الإلهي

➤ ٣١٧/ ضمن الخطبة رقم ١٦٥، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٣١٢/ ضمن الخطبة

رقم ١٦٤، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٣٠.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٣٧، الألفاظ الغريبة في شرح نهج ابن ميثم ٣: ٣١٣.

أمكنك أن تجعل هذه الجنة المحسوسة سُلماً ومثالاً لتعقل الجنة المعقولة ومتاعها كتأويلك مثلاً أشجار الجنة استعارة للملائكة السماوية «والاصطفاق» ترشيح تلك الاستعارة، «وكثبان المسك» استعارة للمعارف والكمالات التي لهم من واهب الجود وهم مغمورون فيها وقد وجدوا لها ومنها كما تنبت الأشجار في الكثبان.

ولفظ «الأنهار» استعارة للملائكة المجردين عن التعلق بالأجرام الفلكية باعتبار كون هذه الملائكة أصولاً ومبادئ للملائكة السماوية كما أن الأنهار مبادئ ممددة لحياة الأشجار وأسباب لوجودها.

«واللؤلؤ الرطب» «والثمار»، استعارة لما يفيض من تلك الأرواح من العلوم والكمالات على النفوس القابلة لها من غير بخل ولا منع، فهي ثمارها تأتي على منية مجتنيها بحسب استعداده لكل منها.

والقوة المتخيلة تحكي تلك الإفاضات في هذه العبارات والظواهر المحسوسة المعدودة وتكسوها صورة ما هو مشتهى للمتخيل كل بحسب شهوته، ولذلك كان في الجنة كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ويتأهل لحضوره فيحضر لها عند إرادتها إيّاه، وكذلك لفظ «العسل والخمر»، استعارة لتلك الإفاضات المشتهات الملذة للنفس بحسب محاكاة التخيلة لها في صورة هذا المشروب المشتهى لبعض النفوس فتصوره بصورته.

وقوله: ثم «قوم لم تزل الكرامة...» إلى قوله: «الأسفار»: استعاره لفظ «التمادي» الذي هو من أفعال العقلاء لتأخر الكرامة عنهم وانتظارهم لها في الدنيا إلى غاية حلولهم دار القرار وحصول الكرامة لهم هناك وأمنهم من «نقله الأسفار» ثم عقب بتشويق المستمع إلى ما هناك.

وقوله: «فلو شغلت قلبك»: أي أخذت في إعداد نفسك للوصول إلى ما يهجم

عليك: أي يفاض عليك من تلك الصور البهيّة المعجبة «لزهقت نفسك»: أي متّ شوقاً إليها، ورحلت إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً لقرّبهم إلى ما يشتهق إليه. ثمّ ختم الخطبة بالدعاء لنفسه وللسامعين أن يعدّهم الله تعالى لسلوك سبيله وقطع منازل طريقه الموصلة إلى منازل الأبرار وهي درجات الجنّة ومقاماتها، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة، ومنها في التنفير من خصومه، قال عليه السلام:

إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَأُوا^(٢) عَلَى سَخَطَةِ إِمَارَتِي، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُّوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَذْبَارِهَا. وَلَكُمْ عَلَيْنَا أَلْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى^(٣) وَسِيرَةِ (رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)^(٤) وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٣١٣ - ٣١٤ / ضمن شرح الخطبة رقم ١٦٤.

(٢) في نهج البلاغة لصبحي صالح: (تَمَالَأُوا)، وفي نهج محمد عبده: (تَمَالَأُوا).

(٣) كلمة (تعالى): ليس في نهج الشيخ العطار.

(٤) ما بين القوسين في نهج الشيخ العطار: رسوله.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٤٤ / ضمن الخطبة رقم ١٦٩، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

٣٢٤ / ضمن الخطبة رقم ١٦٩، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٣٢٣ - ٣٢٤ / خطبة رقم

١٦٨، نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٣٧.

شرح الألفاظ الغريبة:

تَمَلَّأُوا: اتفقوا وتعاونوا؛ السَّخْطَةُ: - بالفتح - الكراهة والبغض؛ فَيَالَةَ الرَّأْي: - بالفتح - ضَعْفُهُ؛ أَفَاءَهَا عَلَيْهِ: أَرْجَعَهَا إِلَيْهِ؛ التَّعَشُّ: مصدر نَعَشَهُ، إِذَا رَفَعَهُ^(١).

الشرح:

قوله: «إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَلَّأُوا»: إشارة إلى طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم وأومى إلى أَنَّ مَسِيرَهُمْ لِسَخَطِهِمْ مِنْ إِمَارَتِهِ لَا مَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الطَّلَبِ بَدَمِ عَثَانٍ، ثُمَّ وَعَدَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ مَا دَامَ لَا يَخَافُ عَلَى حُوزَةِ الْجَمَاعَةِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ إِنْ بَقُوا عَلَى ضَعْفِ رَأْيِهِمْ فِي مَسِيرِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ قَطَعُوا نِظَامَ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَّقُوا جَمَاعَتَهُمْ.

وقوله: «إِنَّمَا طَلَبُوا...» إلى قوله: «عَلَيْهِ»: بيان لَعَلَّةَ سَخَطِهِمْ لِأَمَارَتِهِ وَهِيَ الْحَسَدُ عَلَى الدُّنْيَا لِمَنْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى بَيْتِ الرَّسُولِ ﷺ.

وقوله: «فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا»: أي أَرَادُوا إِخْرَاجَ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الرَّسُولِ آخِرًا كَمَا أَخْرَجُوهُ أَوَّلًا، أَوْ صَرَفَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْهُمْ بَعْدَ إِقْبَالِهِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ إِدْبَارِهِ عَنْهُمْ.

ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ إِنْ أَطَاعُوهُ الطَّاعَةَ غَيْرَ الْمَدْخُولَةِ، وَهِيَ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِمْ بَكْتَابُ اللَّهِ وَيَسِيرَ سِيرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقِيَامَ بِحَقُوقِهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا وَإِقَامَةَ سُنَنِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى الْإِمَامِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ^(٢).

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٣٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ٣٢٥ - ٣٢٦ / شرح الخطبة رقم ١٦٨.

الدنيا في خطبة له عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها: في هوان الدنيا قائلاً:

أَمِينٌ وَحِيهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فِي هَوَانِ الدُّنْيَا - أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُزْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَلَا مَنْزِلَكُمْ الَّذِي خُلِفْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ.

أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا؛ وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَرْتُكُمْ شَرَّهَا.

فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَإِطْمَاعَهَا ^(١) لِتَخْوِيفِهَا، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَأَنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا، وَلَا يَخُنَنَّ ^(٢) أَحَدَكُمْ خَيْنَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زَوِيَ عَنْهُ مِنْهَا، وَأَسْتَسْتَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ، أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ ^(٣)!

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: وَأُطْمِئِنَّا.

(٢) في نهج البلاغة للشَّيْخ مُحَمَّد عَبْدَه: وَلَا يَخُنَنَّ.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٤٨ - ٢٤٩ / خطبة رقم ١٧٣، ونهج البلاغة للشَّيْخ العطار: ٣٢٩

شرح الألفاظ الغريبة:

الحنين: - بالخاء المعجمة - ضرب من البكاء يردّد به الصوت في الأنف؛ زُوي: أي قبض^(١).

الشرح:

لقد أخذ الإمام عليه السلام في التنفير عن الدنيا بأمر: الأول: التنفير عن تمنّيها والرغبة فيها، وعن الغضب لفوتها والرضى بحصولها بكونها ليست الدار والمنزل الذي خلّقوا له ودُعُوا إليه، واستلزم ذلك التنفير التنبيه على ماورائها والعمل له.

الثاني: نقر عنها بفنائها عنهم وفنائهم عنها.

الثالث: بأنّه لا فائدة فيها فإنّها وإن كانت تغرّ وتخدع بما فيها ممّا يعتقد خيراً وكما لا، فإنّ فيها ما يقابل ذلك وهو التحذير بما فيها من الآفات والتغيّرات المتعدّدة شراً فينبغي أن يتركوا خيرها القليل لشراً الكثير، وإطاعها لتخويفها، ويسابقوا إلى الخير الخالص والدار التي دعوا إليها وخلقوا لأجلها، ويتصرّفوا بقلوبهم عنها: أي يزهدوا الزهد الحقيقيّ فيها فإنّ الزهد الظاهريّ مع الحنين إلى ما زوي منها عن أحدكم غير منتفع وبه خصّ حنين الأمة لأنّ الحنين أكثر ما يسمع من الأمة لأنّ العادة أن تضرب وتؤذي فيكثر حنينها. وروي حنين - بالخاء المعجمة - والحنين

➡ - ٣٣٠/خطبة رقم ١٧٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ٣٤٠/خطبة رقم ١٧٢،

ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٤٣.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٣٩.

كالبكاء في الأنف، وإذ أمر بالزهد الحقيقي أمر بالصبر على طاعة الله وعبادته والمحافظة على أوامر كتابه ونواهيه إذ بالزهد يكون حذف الموانع الداخلة والخارجة، وبالطاعة والعبادة يكون تطويع النفس للأمانة بالسوء للنفس المطمئنة، وهما جزاء الرياضة والسلوك لسبيل الله، ورغب في الصبر على طاعة الله بأن فيه استتماماً لنعمة الله، وظاهر أن طاعة الله سبب عظيم لإفاضة نعمه الدنيوية والأخروية.

ثم أكد الأمر بالمحافظة على ما قام من الدين بأنه لا مضرة في ترك شيء من الدنيا وتضييعها مع المحافظة على الدين لما في المحافظة على الدين من الخير الدائم التام الأخروي الذي لا نسبة لخير الدنيا إليه، وبأنه لا منفعة في المحافظة على ما فيها: أي في الدنيا مع تضييع الدين وإهماله. وذلك أمر مفروغ عنه ومستغنى عن بيانه.

ثم ختم بالدعاء لهم ولنفسه بأخذ الله بقلوبهم إلى الحق: أي إلهامهم لطلبه وهدايتهم إليه وجذبهم إلى سلوك سبيله، ثم إلهامهم الصبر: أي على طاعته وعن معصيته. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في عظة الناس:

... وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِهِ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا^(٢) نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ٣٤٣ - ٣٤٤ / شرح الخطبة رقم ١٧٢.

(٢) في نهج البلاغة لصبحي صالح: (امراً) بدل (رجلاً).

مَنْزَعًا، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزَعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَىٰ.
وَأَعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ
ظَنُونٌ عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا، فَكُونُوا
كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ، وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا
تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَّوْهَا طَيِّ الْمَنَازِلِ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

نَزَعَ عَنْهُ: انتهى وأقْلَع؛ أبعد منزعاً: أي نزوعاً بمعنى الانتهاء والكف عن المعاصي؛
ظَنُونٌ: - كَصَبُور - الضعيف والقليل الحيلة؛ زارياً عليها: أي عائباً؛ التقويض: نزع
أعمدة الخيمة وأطنابها، والمراد أنهم ذهبوا بمساكنهم وطووا مدة الحياة كما يطوي
المسافر منازل سفره أي مراحل ومسافته^(٢).

الشرح:

نَبَّه [الإمام عليه السلام] على ما في الطاعة، وامتنال التكليف من الشدة والمكروه فذكر
الخبر، ونعم ما تضمنه الخبر وأنه لم ينبّه على الشدة مجردة بل قرنّها بذكر الجنة
وجعلها محجوبة بها لتحصل الرغبة في الجنة فيتم السعي في قطع تلك الحجب
المكروهة، وذلك قرن ذكر الشهوات بذكر كونها محفوفة بها بالنار تنفيراً عنها.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٥١/خطبة رقم ١٧٦، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٣٣٣ -
٣٣٤/خطبة رقم ١٧٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٣٤٩-٣٥٠/خطبة رقم ١٧٥، ونهج
البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٤٦ - ٣٤٧.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٤٠.

ثمّ بعد تسهيل المكاره التي يشتمل عليها الطاعات بذكر الجنة وتحقير الشهوات التي يريد الجذب عنها بذكر النار صرح بأنّه لا تأتي طاعة إلّا في كره ولا معصية إلّا في شهوة، وقد عرفت سرّ ذلك، وأنّ النفس للقوّة الشهويّة أطوع منها للعقل خصوصاً فيما هو أقرب إليها من اللذات المحسوسة التي يلحقها العقاب عليها. ثمّ عقب ذلك بدعاء الله أن يرحم امرءاً نزع عن شهوته: أي امتنع عن الانهماك فيها وقع نفسه الأمّارة بالسوء فإثمها أبعد شيء منزعاً عن الله.

ثمّ فسّر منزعها الذي ينزع إليه وهي المعصية في هواها، وما تميل إليه. ثمّ نبّه على حال المؤمن الحقّ وتهتمته نفسه في جميع أوقاته من صباح ومساءً، وأنّه لا يزال عائباً عليها ومراقباً لأحوالها، ومؤاخذاً لها بالزيادة في الأعمال الصالحة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

ثمّ أمرهم أن يكونوا كالسابقين من أكابر الصحابة والماضين أمامهم إلى الجنة في الإعراض عن الدنيا، واستعار لفظ التقويض والطّي لقطعهم علائق الدنيا ورحيلهم إلى الآخرة كما يقوّض الراحل متابعه للسفر، ويطوي خيامه للرحيل^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في الشهادة والتقوى، وقيل: إنّ خطبها بعد مقتل عثمان في أوّل خلافته، يقول في الله ورسوله:

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ
لِسَانٌ - إلى أن يقول عليه السلام في ذمّ الدنيا - أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ٣٥٤ / شرح الخطبة رقم ١٧٥.

الْمُؤْمَل لَهَا وَالْمُخْلَدَ إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا.

وَأَيُّمُ اللَّهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، لِأَنَّ ﴿اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(١)، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ - حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّقْمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمْ النَّعْمُ - فَرَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ، وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلَّتُمْ فِيهَا مَيْلَةً، كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَكِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسَعْدَاءُ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ^(٢)!

شرح الألفاظ الغريبة:

لا يعزب: لا يخفى؛ سوا في الريح: جمع سافية، من سَفَّت الريح التراب والورق، أي هَمَلَتْهُ؛ الصفا: مقصورة - جمع صفاة - الحجر الأملس الضخم؛ ودبيب النمل: أي حركته عليه في غاية الخفاء لا يسمع لها حس؛ الذر: صغار النمل؛ ومقيلها: محل استراحتها ومبيتها؛ طرف الحدقة: تحريك جفניה، والحدقة هنا العين؛ عدلَ بالله: استراحته.

(١) آل عمران: ١٨٢، الأنفال: ٥١، الحج: ١٠.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٥٦ - ٢٥٧/خطبة رقم ١٧٨، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٣٤٠ - ٣٤٢/خطبة رقم ١٧٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٣: ٣٦٨ - ٣٦٩/خطبة رقم ١٧٧، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده: ١: ٣٥٣ - ٣٥٥.

جعل له مثلاً وعديلاً؛ تكوينه: خلقه للناس جميعاً؛ دخلته: - بالكسر والضم - باطنه؛ المجتبى: المصطفى. والعيمة: - بكسر العين - المختار من المال؛ اعتام: أخذ المال، فالمُعْتَم: المختار لبيان حقائق توحيده وتنزيهه؛ العقائل: الكرائم؛ الكرامات: ما أكرم الله به نبيه من المعجزات ومنازل في النفوس عالياً؛ المخلد: الركن المائل؛ نفس: - كفرح - ضن، أي لا تضن الدنيا بمن يباري غيره في اقتنائها وعدّها من نفائسه، ولا تحرص عليه بل تهلكه؛ الغض: الناضر؛ اجترح الذنب: اكتسبه وارتكبه؛ الفترة: كناية عن جهالة الغرور^(١).

الشرح:

«أيها الناس»: منبهاً لهم على مقايح الدنيا ومذامها، منها: «تغرّ المؤمل لها» والراكن إليها، وذلك أنّ المؤمل لبعض مطالبها لا يزال يتجدّد له أمارات خيالية على مطالب وهمية وأنها ممكنة التحصيل نافعة فتوجب له مدّ الأمل، وقد يخترم دون بلوغها، وقد ينكشف بطلان تلك الأمارات بعد العناء الطويل. ومنها: أنّها لا تنفس على من نافس فيها وأحبّها بل تسمح به للمهالك وترميه بغرائب من النوائب.

ومنها: أنّها تغلب على من غلب عليها: أي من ملكها وأخذها بالغلبة، فعن قريب تقهره وتهلكه، والأوصاف المذكورة التي من شأنها أن تكون للعدوّ القويّ الداهي وهي كونها تغرّ المؤمل لها وتغلب مغالبها ولا تبقى على محبّها مستعارة، ووجه المشابهة استلزم الكون فيها والاعتزاز بها ومحبتها والتلّك لها الهلاك فيها وفي الآخرة

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٤١ - ٦٤٣.

كاستلزام الغرور بالعدوِّ الداهي الذي لا يحبُّ أحداً والركون إليه الهلاك.

ثم أخذ عليه السلام في التنبيه على وجوب شكر المنعم واستدراكها بالفزع إلى الله، وأقسم أن زوالها عنهم ليس إلا بذنوب اجتروحوها، وذلك إشارة إلى أن الذنوب تعدُّ لزوال النعم وحلول النقم لأنهم لو استحقوا إفاضة النعم مع الذنوب لكان منعهم إيّاها منعاً للمستحقِّ المستعدِّ، وذلك عين الظلم وهو من الجود الإلهي محال كما قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١) وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، أي يستعدّوا للتغيّر بالمعاصي.

وقوله: «ولو أن الناس...» إلى قوله: «كلّ فاسد»: إشارة إلى أن الفزع إلى الله بصدق النية ووله القلب وتحيريه وذهوله عن كلّ شيء سوى الله يعدّ الإعداد التام لإفاضة المطالب سواء كانت عود نعمة أو استحداثها أو زوال نعمة أو استنزائها على عدوِّ، وردّ الشارد: أي من النعم، وإصلاح الفاسد: أي من سائر الأحوال.

وقوله: «وإني لأخشى عليكم أن تكونوا في فترة»: كنى بالفترة عن أمر الجاهلية كناية بالمجاز إطلاقاً لاسم الظرف على المظروف: أي أخشى أن يكون أحوالهم [لكم خل] أحوال الجاهلية فيم التعصّبات الباطلة بحسب الأهواء المختلفة.

وقوله: «وقد كانت أمور...» إلى قوله: «محمودين»:

قالت الإمامية: تلك الأمور التي مالوا فيها هي تقديمهم عليه من سبق من الأئمة، وقال غيرهم: هي حركاتهم وميلهم عليه في تقديم عثمان وقت الشورى واختيارهم له وما جرى فيها من الأقوال والأفعال.

(١) فضّلت: ٤٦.

(٢) الرعد: ١١.

وقوله: «ولئن ردّ عليكم أمركم»: أي صلاح أحوالكم واستقامة سيرتكم التي كنتم عليها في زمن الرسول ﷺ إنكم لسعداء عند الله وفي الدنيا.

«وما عليّ إلاّ الجهد»: أي في عود ذلك الأمر عليكم.

وقوله: «ولو أشاء أن أقول لقلت»: يفهم منه أنه لو قال لكان مقتضى قوله نسبة من تقدّم عليه إلى الظلم له وتخطئهم في التقدّم عليه، وذكر معائب يقتضي وجوب تأخّرهم في نظره، وتقدير الكلام: ولكنّي لا أقول فلم أكن مريداً للقول.

وقوله: «عفا الله عمّا سلف»: إشارة إلى مسامحته لهم بما سبق منهم، إذ العادة الجارية بأن يقول الإنسان مثل ذلك فيما تسامح به غيره من الذنوب، وأحسن العبارات في ذلك لفظ القرآن الكريم فيقتبس في الكلام، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام خطبها في الكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف، وكأنّ جبينه ثفنة بعير، فقال:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ
عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ - إِلَى أَنْ يَقُولَ ﷺ: - أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ
الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ
عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى، بِكَثِيرٍ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ٣٧١ - ٣٧٣ / شرح الخطبة رقم ١٧٧.

مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى.

مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ^(١) بِصِفِّينَ أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ؟ يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنَقَ^(٢)، قَدْ - وَاللَّهِ - لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارُ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيَّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذَوَالشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤْسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ؟

ثم ضرب عليه بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء، ثم قال: أَوْه^(٣) عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوهُ، أَلْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ، أَحَبُّوا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ.

ثم نادى بأعلى صوته:

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ! أَلَا وَإِنِّي مُعْسِكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَا حَ إِلَى اللَّهِ فَلْيُخْرِجْ.

(١) (وهم): ليس في نهج الشيخ العطار.

(٢) في نهج البلاغة لصبحي صالح: الرَّنَقُ - بسكون النون، وفتح القاف -، وشرح نهج ابن ميثم: الرَّنَقُ، والمثبت من نهج الشيخ العطار، ونهج الشيخ محمد عبده.

(٣) في نهج البلاغة لصبحي صالح: أَوْه، وكذا في الألفاظ الغريبة.

قال نوف: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ولقيس بن سعد في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر، فكنا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كل مكان^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

الزَنْقُ: - بكسر النون وفتحها وسكونها - الكدِر؛ عمار بن ياسر: من السابقين الأولين؛ أبو الهيثم مالك بن النّيهان: - بتشديد الياء وكسرها - من أكابر الصحابة، ذو الشهاداتين: خزيمة بن ثابت الأنصاري، قبل النبيّ شهادته بشهادة رجلين في قصة مشهورة؛ أبرد برؤوسهم: أي أرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى الفجرة البغاة للتشقي منهم رضي الله عنهم؛ أوّه: - بفتح الهمزة - كلمة توجّع^(٢).

الشرح:

قوله: «ألا إنّه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً»: أي من الخير وصلاح أهلها، «وأقبل منها ما كان مدبراً»: أي من الشرور التي أدبرت بمقدم الرسول ﷺ وظهور الإسلام، «وأزمع الترحال، عباد الله الأخيار» المتوقع فيهم إمام كمثلته عليه السلام في الهداية لسبيل الله، وإزماهم للترحال كناية عن اقتضاء الزمان لفنائهم من الدنيا والرحيل عنها.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٦٠ - ٢٦٤/خطبة رقم ١٨٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٣٤٥ - ٣٥٢/خطبة رقم ١٨٢، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٣٨٠ - ٣٩٢/خطبة رقم ١٨١، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٥٩ - ٣٦٧.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٤٤.

ثم استعار لفظ البيع لتعويضهم بالقليل الفاني من متاع الدنيا والكثير الباقي من متاع الآخرة.

ثم أخذ في التذكير بنفي ضرر الموت وعدم الحياة عن إخوانه من الصحابة الذين قتلوا بصفين، وزهد في تلك الحياة بكونها محل تجرع الغصص وشرب الكدر من الآلام والأعراض ومشاهدة المنكرات، ولما زهد في تلك الحياة تبّه على ما لهم في عدمها من الفائدة وهي لقاء الله، وتوفيته لأجورهم على الأعمال الصالحة، وحلولهم في دار الأمن: أي الجنة بعد خوفهم من فتن أهل الضلال.

ثم أخذ في استفهام عمّن ركب طريق الحق ومضى عليه مستصحباً له استفهاماً على سبيل التوجّع لفقدهم والتوخّش لفرافهم، ثم عن أعيان أكابرهم فذكر عمار بن ياسر، وفضله في الصحابة مشهور، وأبوه عربيّ قحطانيّ وأمّه كانت أمة لأبي حذيفة ابن المغيرة المخزومي ولدت عماراً فأعتقها أبو حذيفة فمن هناك كان عمار مولى بني مخزوم، وأسلم هو وأمّه سمّية فعذبها بنو مخزوم في الله فأعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه مع اطمينان قلبه بالإيمان فنزلت فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(١)، وهاجر إلى أرض الحبشة، وصلى القبلتين، وهو من المهاجرين الأولين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وأبلى بلاءً حسناً، ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضاً ويومئذٍ قُطعت أذنه. وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^(٢) قال: هو عمار بن ياسر^(٣).

(١) النحل: ١٠٦.

(٢) الأنعام: ١٢٢.

(٣) مجمع البيان لعلوم القرآن ٤: ١٦٩.

وعن عائشة أنها قالت: ما من أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أشاء أن أقول فيه إلا قلت إلا عمار بن ياسر فأني سمعته صلى الله عليه وآله يقول: إنه ملئ إيماناً إلى أخمص قدميه^(١).
وعنه صلى الله عليه وآله: عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية، لا أناها الله شفاعتي^(٢).
وعنه صلى الله عليه وآله: من أبغض عماراً أبغضه الله^(٣).

وأما ابن التيهان - بيا مشددة مفتوحة بنقطتين من تحت، ويروى مخففة ساكنة - فهو من الأنصار، كنيته أبو الهيثم، واسمه مالك، وقيل: بل اسم أبيه عمرو بن الحرب وهو - ابن التيهان - كان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرًا، والمشهور أنه أدرك صفين مع علي عليه السلام وقتل بها، وقيل: توفي في زمان الرسول صلى الله عليه وآله.

وأما ذو الشهادتين فكنيته أبو عمارة، واسمه خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الأنصاري من الأوس، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين لقصة مشهورة، وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد وكانت راية بني خطمة من الأوس يوم الفتح بيده، وشهد صفين مع علي عليه السلام فلما قتل عمار قاتل هو حتى قتل معه، ونظروا لهم من إخوانه: أي الذين قتلوا بصفين معه من الصحابة: كابت بديل وهاشم بن عتبة ونحوهما، وتعاهدوا على المنيّة اتّفاقهم على المقاتلة إلى غاية أن يقتلوا. وروي تعاهدوا. والفجرة الذين حملت رؤوسهم إليهم أمراء الشام.

ثم أخذ في التشكي والتوجّع على فقدهم، ثم أشار إلى فضائلهم التي هي غاية الشريعة المطلوبة منهم وهي تلاوة القرآن وإحكامه بفهم مقاصده ومعانيه، والتدبر

(١) الوافي بالوفيات ١٨: ٢٠ /

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٥٧/٣٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٣٣.

٢٠٠..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

للفرض: أي فهم ما لأجله العبادات وإقامتها والمواظبة عليها نظراً إلى أسرارها، وإحياء السنن النبوية، وإماتة البدع المخالفة لها، وإجابتهم للدعوة إلى الجهاد لإقامة الدين، ووثوقهم إليه في سبيل الله يعني نفسه وأتباعهم له، والرواح إلى الله الخروج إلى الجهاد الذي هو سبيله الموصلة إليه وإلى ثوابه.

وقيس بن سعد الخزرجي: صحابي كنيته أبو عبد الملك، روى عن رسول الله ﷺ أحاديث، وأبوه سعد من رؤساء الخزرج وهو سعد بن عبادة الذي حاولت قومه إقامته خليفة بعد رسول الله ﷺ، وكان قيس هذا من كبار شيعة علي عليه السلام ومحبيه، وشهد معه حروبه كلها، وكان مع الحسن بن علي عليه السلام، ونقم عليه صلحه لمعاوية. وأما أبو أيوب الأنصاري: فهو خالد بن سعد بن كعب الخزرجي من بني النجار، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ لما خرج من بني عمرو ابن عوف حين قدم المدينة مهاجراً فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه، ثم انتقل إليها، وشهد مع علي عليه السلام مشاهدته كلها الجمل وصفين، وكان على مقدمته يوم النهروان. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى، قال عليه السلام:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَ^(٢)الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنَصَبَةٍ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٣٩٣ - ٣٩٥ / شرح الخطبة رقم ١٨١.

(٢) (الواو) ليست في نهج البلاغة لابن ميثم ونهج الشيخ محمد عبده.

خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ - فَالْقُرْآنُ
أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ... وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ
بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ
رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ
بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرَّجَالُ مِنْ قَبْلَكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَوْوَنَةً دُنْيَاكُمْ
وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَأَفْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

الْمُنْصَبَةُ: - كمصطبة - التعب^(٢).

الشرح:

حمد الله باعتبار كونه معروفاً بآيات آثاره عند العقول المعرّفة المنزّهة عن إدراك
البصر المختصّ بالأجسام ولواحقها، ثمّ باعتبار كونه خالقاً وموجوداً الإيجاد المنزّه
عن المتاعب لاستلزامها الآلات المستلزمة للجسميّة التي من شأنها الضعف والنهاية
في القوّة.

وقد وصف القرآن الكريم بالأضداد المتعادية لاختلاف الاعتبارات: فالآمر مع
الزاجر، وإطلاقهما عليه مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب، إذ الأمر

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٦٥ - ٢٦٦ / ضمن الخطبة رقم ١٨٣، ونهج البلاغة للمحقّق
الشيخ العطار: ٣٥٢ - ٣٥٣ / ضمن الخطبة رقم ١٨٣، ونهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٣٩٥ - ٣٩٨ /
ضمن الخطبة رقم ١٨٢، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٤٤.

والناهي هو الله تعالى، والصامت مع الناطق، وإطلاق لفظ الناطق عليه مجاز، إذ الناطق هو المتكلم به من باب إطلاق اسم المتعلق على المتعلق.

وقوله: «أنه لن يرضى عنكم شيء سخطه على من كان قبلكم..» إلى قوله: «قبلكم»: تأكيد وتقرير لما سبق: أي أن ما سخطه ونهى عنه الصحابة مثلاً فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم أن تجوزوه وتحلوه باجتهاد، وكذلك ما رضىه لهم وأمرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتى تحرموه باجتهاد منكم. ويحتمل أن يريد بقوله: فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد: أي فيما بقي من الأحكام الجزئية التي لم يدل النص عليها بالمطابقة بل يحتاج إلى اجتهاد في إلحاقها بالمنصوص وإدراجها تحت النصوص، ومعنى وحدة رضاه وسخطه فيها أن الحكم المطلوب أو المكروه فيها واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتى يحكم أحد المجتهدين في الشيء الواحد بالحل ويحكم الآخر فيه بالحرمة، ويختلف الفتاوى في تلك القضية، لأنها إما مسخوطة أو مرضي، ويكون ذلك نهياً منه عليه السلام عن الاختلاف في الفتيا كما علمت ذمّه لذلك فيما سبق من الفصول، ويكون قوله: «واعلموا أنه لن يرضى عنكم...» إلى قوله: «قبلكم»: في معنى النهي عن رفع الأحكام الشرعية بالاجتهاد والقياس كما قرّره، وقيل: معناه النهي عن الاختلاف في الفتيا أيضاً: أي أنه لن يرضى عنكم بالاختلاف الذي سخطه ممن كان قبلكم كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(١)، وكذلك ليس يسخط عليكم بالاتفاق والاجتماع المرضي ممن كان قبلكم، وقيل: بل المراد أنه لم يرضى عنكم بشيء سخطه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الباطلة في المسائل الإلهية،

الفصل الأول: الدنيا في خطب أمير المؤمنين عليه السلام ٢٠٣

ولم يسخط عليكم بشيء رضىه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الحقّه فيها، ويكون ذلك مختصّاً بالأصول دون الفروع.

وقوله: «وإنما تسيرون في أثر بين...» إلى قوله: «قبلكم»: إشارة إلى أنّ الأدلّة لكم واضحة قد تداوها الأولون قبلكم، فأنتم المتكلّمون بها وتردّدونها رجوع القول المرّد منهم.

وقوله: «قد كفاكم مؤونة دنياكم»: كقوله تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾^(١) وتلك الكفاية إمّا بخلقها وإيجادها، وإمّا برزقه بكلّ ما كتب له في اللوح المحفوظ، وحثّه على الشكر في تكرار أوامره به، ونقل من الحسن البصري أنّه قال: إنّ الله كفانا مؤونة دنيانا وحثّنا على القيام بوظائف ديننا فليتّه كفانا مؤونة ديننا وحثّنا على القيام بوظائف دنيانا^(٢)، وهو إشارة منه إلى شدّه التحقّظ في الدين والاحتراز عليه.

وقوله: «وافترض من ألسنتكم الذكر»: لما كان لكلّ من الجوارح عبادة كانت العبادة المفروضة باعتبار اللسان الذكر، وقد علمت أنّه باب عظيم من أبواب السلوك إلى الله بل هو روح العبادات كلّها، إذ كلّ عبادة لم يشفع بالذكر فهي خداج^(٣).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في التوحيد، يقول في مطلعها:

مَا وَحَدَّهُ مَنْ كَيْفَهُ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى
مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ - إلى أن يقول عليه السلام: -

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١١٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٣٩٦ - ٤٠٣ / شرح الخطبة رقم ١٨٢.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا
وَأَخْتِرَاعِهَا، وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا - مِنْ طَيْرِهَا
وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا
وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا - عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ، مَا
قَدَرْتُ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفْتُ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيْجَادِهَا -
إِلَى أَنْ يَقُولَ عليه السلام - (وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ) ^(١) يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا
وَحُدَّةً لَا شَيْءَ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ
فَنَائِهَا، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عليه السلام
- ثُمَّ هُوَ يُغْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لَا لِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا
وَتَدْبِيرِهَا، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقَلٍ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ.
لَا يُمَلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ
دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَاتَّقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ.
ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا اسْتِعَانَةٍ
بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لَانْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَخَشَةٍ إِلَى حَالٍ
اسْتِثْنَاءً، وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ عِلْمٍ وَالتَّمَاسِ،
وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى
عِزٍّ وَقُدْرَةٍ ^(٢).

(١) ما بين القوسين في نهج البلاغة للشيخ العطار: (وأنه سبحانه).

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٧٢ - ٢٧٦ / خطبة رقم ١٨٦، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٣٦٣

شرح الألفاظ الغريبة:

صَمَدَهُ: قَصَدَهُ؛ مُرَاجِحَهَا: - بَضَمَ الميم - اسم مفعول من أراح الإبل، رَدَّهَا إلى المُرَاح - بالضم كالمناخ - أي المأوى؛ السائم: الراعي يريد ما كان في مأواه وما كان في مرعاه؛ الأسناخ: الأصول، والمراد منها الأنواع، أي الأصناف الداخلة في أنواعها؛ المُتَبَلِّدَةُ: أي الغيبية؛ الأكياس: جمع كَيْس - بالتشديد - العاقل الحاذق^(١).

الشرح:

اعلم أنّ مدار هذه الخطبة على التوحيد المطلق والتنزيه المحقق، وقد أشار إلى توحيده تعالى وتنزيهه باعتبارات من الصفات الإضافية والسلبية. فالأولى: «قوله: ما وحده من كيفه»: دلّت هذه الكلمة بالمطابقة على سلب التوحيد له تعالى عمّن وصفه بكيفية، وبالالتزام على أنّه لا يجوز تكيفه لمنافاة ذلك التوحيد الواجب له تعالى.

قوله: «وليس فناء الدنيا...» إلى قوله: «اختراعها»: رفع لما يعرض لبعض الأذهان من التعجّب بفناء هذا العالم بعد ابتداعه وخلقه بالتنبيه على حال إنشائه واختراعه: أي ليس صيرورة ما خلق إلى العدم بقدرته بعد الوجود بأعجب من صيرورته إلى الوجود بعد العدم عنها، إذ كانت كلّها ممكنة قابلة للوجود والعدم لذواتها؛ بل صيرورتها إلى الوجود المشتمل على أعاجيب الخلقة وأسرار الحكمة التي

➤ - ٣٧٠ / خطبة رقم ١٨٦، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ١٤٦ - ١٥٠ / خطبة رقم

٢٢٨، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٧٦ - ٣٨٣.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٤٧، والألفاظ الغريبة لابن ميثم ٤: ١٥٠.

٢٠٦..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

لا يهتدي لها ولا يقدر على شيء منها أعجب وأغرب من عدمها الذي لا كلفة فيه .
وقوله : «وكيف لو اجتمع...» إلى قوله : «إفنائها» : تأكيد لنفي كون عدمها بعد وجودها أعجب من إيجادها بالتنبيه على عظم مخلوقاته تعالى ومكُوناته ، وما اشتملت عليه من أسرار الحكمة المنسوبة إلى قدرته ، والمعنى وكيف يكون عدمها أعجب وفي إيجادها أضعف حيوان وأصغر مما خلق كالبعوضة من العجائب والغرائب والإعجاز ما يعجز عن تكوينه وإحداثه قدرة كل من تنسب إليه القدرة ، وتقصر عن معرفة الطريق إلى إيجادها ألباب الألباء ، ويتحير في كيفية خلقها حكمة الحكماء ، ويقف دون علم ذلك ويتناهى عقول العقلاء ، وترجع خاسئة حسيرة مقهورة معترفه بالعجز عن الاطلاع على كنه صنعه في إنشائها مقرّة بالضعف عن إفنائها ...

وقوله : «وإنه سبحانه يعود...» إلى قوله : «الأمر» : إشارة إلى كونه تعالى باقياً أبداً فيبقى بعد فناء الأشياء وحده لا شيء معه منها كما كان قبل وجوده كذلك بريئاً عن لحوق الوقت والمكان والحيز والزمان .

وقوله : «يعود بعد» : إشعار بتغيّر من حالة سبقت إلى حالة لحقت ، وهما يعودان إلى ما يعتبره أذهاننا له من تقدّمه على وجودها وحالة تأخره عنها بعد عدمها ، وهما اعتباران ذهنيّان يلحقانه بالقياس إلى مخلوقاته

قوله : «ثم يعيدها بعد الفناء» : تصريح بإعادة الأشياء بعد فنائها ، وفنائها إمّا عدمها كما هو مذهب من جوّز إعادة المعدوم ، أو تشدّبها وتفرّقها وخروجها عن حدّ الانتفاع بها كما هو مذهب أبي الحسن البصريّ من المعتزلة .

وقوله: «من غير حاجة...» إلى آخره: ذكر وجوه الأغراض الصالحة في الإعادة، والإشارة إلى نفيها عنه تعالى، وهو أيضاً كالحاجة إليها والاستعانة ببعضها على بعض، أو لانصراف من حال وحشة إلى حال استيناس، أو انصراف من حال جهل وعمى فيه إلى حال علم وبصيرة، وكذلك من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ومن ذلّ وضعة إلى عزّ وقدر. وقد عرفت أنّ كلّ هذه الأغراض من باب دفع المضرة المنزّه قدسه تعالى عنها، وقد بيّنا فيما سلف البرهان الإجمالي على تنزيهه تعالى في أفعاله من الأغراض بل إيجاده لما يوجد لمحض الجود الإلهي الذي لا بخل فيه، ولا منع من جهته، فهو الجواد المطلق والملك المطلق الذي يفيد ما ينبغي لا لغرض ويوجد ما يوجد لا لفائدة تعود إليه ولا غرض، وهو مذهب جمهور أهل السنة والفلاسفة، والخلاف فيه مع المعتزلة.

فإن قلت: ظاهر كلامه عليه السلام مُشعر بأنّ الدنيا كما تفنى تعاد، والذي وردت به الشريعة، وفيه الخلاف بين جمهور المتكلمين والحكماء هو إعادة الأبدان البشريّة. وقوله: «ثمّ يعيدها بعد الفناء»: فدلّ عودها إلى اعتبار أذهان العارفين لها عند عوجهم من الجناب المقدّس إلى الجنبية السافلة واشتغالهم بمصالح أبدانهم، والكلّ منسوب إلى تصريف قدرته تعالى بحسب استعداد الأذهان لقبولها وحذفها، وقد علمت من بيانها لهذه الخطبة صدق كلام السيّد الرضي عليه السلام في مدحها حيث قال: وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه غيرها، فإنّها بالغة في علم التوحيد كاملة في علم التنزيه والتقديس لجلال الواحد الحقّ جلّت عظمته، وبالله التوفيق والعصمة^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ١٥١ - ١٨٢ / شرح الخطبة رقم ٢٢٨.

الدنيا في خطبة له عليه السلام في الوصية بأمر؛ منها، في الموت:

... وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ
عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ، وَطَمَعُكُمْ فِيَمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ! فَكَفَى وَاعْظَا
بِمَوْتِي عَايِنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا
فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ^(١) لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا، وَكَأَنَّ
الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا، أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطَنُوا
مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ
أَنْتَقَلُوا، لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ أَنْتَقَالًا، وَلَا فِي حَسَنٍ
يَسْتَطِيعُونَ أَرْذِيَارًا، أَنْسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، وَوَثِقُوا بِهَا
فَصَرَعَتْهُمْ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

أغفله: سها عنه وتركه؛ يوطنون، أوطن المكان: أتخذ وطنًا؛ أوحشه: هجره،
حتى لا أنيس منه به^(٣).

(١) في نهج البلاغة للشيخ العطار: كأنهم.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٧٨ - ٢٧٩ / خطبة رقم ١٨٨، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

٣٧٢ / خطبة رقم ١٨٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٤ - ١٨٨ - ١٨٩ / خطبة رقم ٢٣٠، ونهج

البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٨٥ - ٣٨٦.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٤٨.

الشرح:

مما أوصاهم به عليه السلام ذكر الموت وإقلال الغفلة عنه، وذلك لما يستلزم ذكره من الانزجار عن المعاصي، وذكر المعاد إلى الله سبحانه ووعدته ووعيده والرغبة من الدنيا وتنقيص لذاتها كما قال الرسول ﷺ: أكثرُوا من ذكر هادم اللذات^(١)، وإنما استلزم ذكره ذلك لكونه مما يساعد العقل فيه الوهم على ضرورة وقوعه مع مساعدته على ما فيه من المشقة الشاقة. ثم استفهمهم عن غفلتهم عنه وطمعهم فيه مع كونه لا يغفلهم ولا يمهلهم استفهام توبيخ على ذلك. ولأجل ما فيه من شدة الاعتبار، قال: «فكفي واعظاً بموتى عاينتموهم...» إلى قوله: «فصرعتم»: وفي هذا القول زيادة موعظة على ذكر الموت وهي شرح أحوال من عاينوه من الموتى، وذكر منها أحوالاً: أحدها: كيفية حملهم إلى قبورهم غير راكبين مع كونهم في صورة ركوب منفور عنه.

الثانية: إنزالهم إلى القبور على غير عادة النزول المتعارف المقصود فكأنهم في تلك الحال مع طول مددهم في الدنيا وعمارتهم لها وركونهم إليها لم يكونوا لها عمّاراً وكأنّ الآخرة لم تزل داراً، ووجه التشبيه الأول انقطاعهم عنها بالكلية وعدم خيرهم فيها فأشبهوا لذلك من لم يكن فيها.

ووجه الثاني كون الآخرة هي مستقرهم الدائم الثابت الذي لا معدل عنه فأشبهت في ذلك المنزل الذي لم يزل له داراً.

الثالثة: إيحاشهم ما كانوا يوطنون من منازل الدنيا ومساكنها.

(١) انظر بحار الأنوار ٨٢: ١٦٧، وبتفصيل أكثر.

الرابعة: إيطانهم ما كانوا يوحشون من القبور التي هي أول منازل الآخرة.
الخامسة: اشتغالهم بما فارقوا، وذلك أنّ النفوس الراكنة إلى الدنيا العاشقة لها المقبلة على الاشتغال لذاتها يتمكّن في جواهرها ذلك العشق لها وتصير محبّتها ملكة وخلقاً فيحصل لها بعد المفارقة لما أحبّته من العذاب به والشقا الأشقّ بالزوع إليه وعدم التّمكّن من الحصول عليه أعظم شغل وأقوى شاغل وأصعب بلاء هائل بل تذهل فيه كلّ مرضعة عمّا أَرْضعت وتضع فيه كلّ ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد^(١).

السادسة: إضاعتهنّ ما إليه انتقلوا وهي دار الآخرة: ومعنى إضاعتهنّ لها تركهنّ الأسباب الموصلة إلى ثوابها والمبعدة في عقابها.

السابعة: كونهم لا يستطيعون الانتقال عمّا حصلوا عليه من الأفعال القبيحة التي ألزمتهم العذاب وأكسبت نفوسهم ملكات السوء، وذلك ظاهر، إذ الانتقال عن ذلك لا يمكن إلّا في دار العمل وهي الدنيا.

الثامنة: وكذلك لا من حسن يستطيعون ازدياداً: أي من الأعمال الحسنة الموجبة للملكات الخيريّة والثواب الدائم كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا﴾^(٢) الآية.

التاسعة: أنّهم أنسوا بالدنيا حتّى غرّتهم.

العاشرة: كونهم وثقوا بها حتّى صرّعتهم، والسبب في الاغترار بها وغرورها هم حصول لذّاتها المحسوسة مع قريهم من المحسوس وهو مستلزم للأنس بها المستلزم

(١) ما بين القوسين اقتباس من الآية ٢ من سورة الحجّ.

(٢) المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

للغرور بها والغفلة عما وراها وهو مستلزم للوثوق وهو مستلزم لصرعتهم في مهاوي الهلاك حيث لا يقال عثرة ولا ينفع ندامة.

واعلم أن ذكر الموت وإن كان يستلزم الاتعاض والانزجار إلا أن شرح الأحوال التي تعرض للإنسان في موته أبلغ في ذلك لما أن كل حال منفور عنها طبعاً وإن كانت تحصل النفرة عنها لكونها حالة تعرض للميت والمقرون بالمولم والمكروه مكروه ومولم ومنفور عنه طبعاً^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام يحمد الله فيها ويثني على نبيه ويعظ بالتقوى، ومنها في العظة بالتقوى، قال عليه السلام:

قَالَ اللَّهُ أَللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ. وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا^(٢)، وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَالِهَا، وَأَتَاخَتْ بِكَلاكِهَا، وَأَنْصَرَمَتْ^(٣) الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى، أَوْ شَهْرٍ^(٤) أَنْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَتْئًا، وَسَمِينُهَا غَتًّا، فِي مَوْقِفٍ ضَنْكَ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا، عَالٍ لَجْبُهَا،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ١٨٩ - ١٩١ / شرح الخطبة رقم ٢٣٠.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ العطار: سِرَاط.

(٣) في نهج البلاغة للشيخ العطار: وَأَنْصَرَفَتْ.

(٤) في نهج البلاغة للشيخ العطار: وَشَهْرٍ.

سَاطِعٍ لَهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا،
ذَاكَ وَقُودُهَا، مَخُوفٍ^(١) وَعِيدُهَا، عَمٍ^(٢) قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ
أَفْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَطِيْعَةٍ أُمُورُهَا، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ
اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾^(٣) قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَأَنْقَطَعَ
الْعِتَابُ، وَزُخِرُوا عَنِ النَّارِ، وَأُطْمَأْنِنَتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا
الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً،
وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا، تَخَشُّعًا
وَأَسْتِغْفَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا، تَوْحُّشًا وَأَنْقِطَاعًا، فَجَعَلَ اللَّهُ
لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَاً، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا، ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾^(٤)
فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ^(٥) ...

شرح الألفاظ الغريبة:

سَنَنٍ: طريق معروف، والمراد أَنَّ الدنيا تفعل بكم فعلها بمن سبقكم؛ القَرَن: -
مَحْرَكًا - ما يقرن به البعيران؛ الأَشْرَاطُ: العلامات؛ أَزْفَتُ: قربت؛ الأَفْرَاطُ: - جمع
فَرْط - بسكون الراء - وهو العَلَمُ المستقيم يهتدى به، أي بدلائلها؛ الكلاكل:

(١) في شرح نهج البلاغة لابن ميثم ونهج محمد عبده: مُخِيفٍ.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده: عَمٌّ.

(٣) الزمر: ٧٣.

(٤) الفتح: ٢٦.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٨٠ - ٢٨٢ / خطبة رقم ١٩٠، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٣٧٦ - ٣٧٧ / خطبة رقم ١٩٠، ونهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٠٢ - ٢٠٣ / خطبة رقم ٢٣٢، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٨٩ - ٣٩٠.

الصدور، كناية عن الأثقال؛ انصرمت: تقطعت؛ الرث: البالي؛ الغث: المهزول؛
الكلب: - محرّكاً - أكل بلا شبع؛ اللجب: الصياح أو الاضطراب؛ التغيّظ: الهيجان؛
الزفير: صوت توقّد النار؛ ذكت النار: اشتدّ لهيبها؛ عمّ قرارها: أي لا يهتدي فيه
لظلمته، ولأنّه عميق جدّاً؛ التوحّش: عدم الاستئناس بشؤون الدنيا والركون
إليها^(١).

الشرح:

قوله: «وأنتم والساعة في قرن»: كناية عن قربها القريب منهم حتّى كأنّهم معها في
قرن واحد.

وقوله: «وكأنّها قد جاءت بأشراطها»: تشبيه لها في سرعة مجيئها بالتي جاءت
وحضرت. وأكّد ذلك التشبيه بـ«قد» المفيدة لتحقيق المجيء. وعلاماتها كظهور
الدجال، ودابة الأرض، وظهور المهديّ وعيسى عليه السلام إلى غير ذلك.

وكذلك قوله: «وأزفت بأفراطها ووقفت بكم على صراطها...» إلى قوله: «وسمينها
غثّاً»: أي وتحقّق وقوفها بكم على صراطها بكم وهو الصراط المعهود فيها.

وقوله: «وكأنّها قد أشرفت بزلالها»: أي أشبهت فيما يتوقّع منها من هذه
الأحوال في حقّكم حالها في إيقاعها بكم وتحقيقها فيكم، واستعار لفظ الكلاكل
لأهوالها الثقيلة، ووصف الإناخة لهجومها بتلك الأهوال عليهم ملاحظاً في ذلك
تشبّهها بالناقّة، وإنّما حسن تعديد الكلاكل لها باعتبار تعدّد أهوالها الثقيلة النازلة
بهم. ولما كانت الأفعال من قوله: «وأناخت...» إلى قوله: «فصار سمينها غثّاً»،

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٤٨ - ٦٤٩.

معطوفاً بعضها على بعض دخلت في حكم الشبه: أي وكانت الدنيا قد انصرفت بأهلها وكأنكم قد أخرجتم من حصنها إلى آخر الأفعال.

والمشبه الأول: هو الدنيا باعتبار حالها الحاضرة والمشبه به إنصرافها بأهلها وزوالهم، ووجه الشبه سرعة المضي: أي كأنها من سرعة أحوالها الحاضرة كالتي وقع انصرافها، وكذلك الوجه في باقي التشبيهات، واستعار لفظ الحضن لها ملاحظة لشبهها بالأم التي تحضن ولدها فينتزع من حضنها.

والسمين والغث، تحتل أن يريد بها الحقيقة، ويحتل أن يكنى به عن ما كثر من لذاتها وخيراتها وتغير ذلك بالموت وزواله.

وقوله: «في موقف»: يتعلّق بـ«صار»؛ والموقف هو موقف القيامة، والظاهر أن كلّ جديد للدنيا يومئذٍ رثّ، وكلّ سمين كان بها غثّ، وضيق الموقف إمّا لكثرة الخلق يومئذٍ وازدحامهم أو لصعوبة الوقوف به وطولهم مع ما يتوقّع الظالمون لأنفسهم من إنزال المكروه بهم والأمور المشتبهة العظام أهوال الآخرة، واشتباها كونها ملبسة يتحير في وجه الخلاص منها. والاعتبار يحكم بكونها عظيمة، وظاهر كون النار شديدة الشرّ وقد نطق القرآن الكريم بأكثر ممّا وصفها ﷻ به هاهنا من علوّ أصواتها، وسطوح لهبها، وتغيّظ زفيرها، كقوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ * تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(١)، وقوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾^(٢) ولفظ التغيّظ مستعار للنار باعتبار حركتها بشدّة وعنف كالغضب أو باعتبار استلزام حركتها ظاهر للأذى والشرّ.

(١) الملك: ٧ - ٨.

(٢) الفرقان: ١٢.

وقوله: «عَمَّ قرارها»: أسند العمى إلى قرارها مجازاً باعتبار أنه لا يهتدي فيه لظلمته أو لأن عمقها لا يوقف عليه لبعده، ولما استعار لفظ الحمى رشح بذكر القدور، وظاهر فظاعة تلك الأمور وشدتها، وكل تلك الأمور عددها في معرض التخويف لكونها مخوفة تنفيراً لما يلزم عنه من ترك التقوى واتباع الهوى، ثم ساق الآية اقتباساً، ونسق بعدها أحوال المتقين في الآخرة اللازمة عن تقويمهم وهي أمنهم من العذاب وانقطاع العقاب عنهم وإبعادهم عن النار واطمينان الدار التي هي الجنة بهم ورضاهم بها مثوى وقراراً ترغيباً في التقوى بذكر لوازمها.

ثم أردف ذلك بصفات المتقين أيضاً عما عساه لا يعرفها فقال: هم «الذين كانت أعمالهم في الدنيا زاكية»: أي طاهره من الرياء والشرك الخفي، «وأعينهم باكية»: أي من خشية الله، وخوف عقابه وحرمانه، «وكان ليلهم في دنياهم نهاراً»: في كونه محلّ حركاتهم في عبادة ربهم وتخشعهم له واستغفارهم إياه فأشبه النهار الذي هو محلّ حركات الخلق، ولهذا الشبه استعار لفظ النهار لليل وكذلك استعار لفظ الليل للنهار ووجه الاستعارة كون النهار محلاً لتوحيشهم من الخلق وانقطاعهم عنه واعتزالهم إياه كالليل الذي هو محلّ انقطاع الناس بعضهم عن بعض وافتراقهم، وفي نسخة الرضي عليه السلام بخطه: كأن التشبيه رفع نهاراً في القرينة الأولى، ورفع ليلاً في الثانية، ووجه التشبيه هو ما ذكرناه، وكأنه يقول: فلما استعدوا بتلك الصفات للحصول على الفضائل والكمالات واستوجبوا رضى الله تعالى عنهم جعل الله لهم الجنة مرجعاً ومآباً أعد فيها من جزاء النعيم ثواباً وكانوا أحقّ بها وأهلها، وهو اقتباس.

وقوله: «في ملك...» إلى قوله: «قائم»: أي مقيم، تفسير للجزاء، ثم أكد الأمر

بالتقوى برعايتها في عبارة أخرى نبه فيها على بعض لوازمها، وذلك أن فوز الفائزين إنما يكون بالتقوى ولزوم الأعمال الصالحات، والمبطلون هم الذين لا حقّ معهم فهم الخارجون عن التقوى الحقّة، وإنما يلحقهم الخسران بالخروج عنها^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام يحمد الله فيها ويثني على نبيه ويوصي بالزهد والتقوى، ومنها يوصي عليه السلام بالزهد والتقوى:

(أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ)^(٢) بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا حَقٌّ أَللَّهُ عَلَيْكُمْ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عليه السلام: - أَلَا وَصُونُهَا وَتَصَوُّنُهَا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا، وَإِلَى الْآخِرَةِ وَلَاهَا، وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا وَلَا تَشِيْمُوا بِأَرْقَاهَا، وَلَا تَسْمَعُوا^(٣) نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتِنُوا بِأَعْلَاقِهَا، فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عليه السلام: - وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ وَأَقْبَلَتِ الْغِيْلَةُ، ﴿وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(٤). هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ^(٥)! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٠٧ - ٢٠٩ / شرح الخطبة رقم ٢٣٢.

(٢) ما بين القوسين في نهج البلاغة لصبحي صالح: (عباد الله! أوصيكم).

(٣) في شرح نهج البلاغة لابن ميثم ونهج محمد عبده: ولا تستمعوا.

(٤) سورة ص: ٣.

(٥) في شرح نهج البلاغة لابن ميثم: (ثم هيهات)؛ (وهيهات) الثانية، ليست في نهج محمد عبده.

لِحَالِ بَالِهَا، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا
مُنْظَرِينَ﴾ (١) (٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

تَصَوَّنُوا: تحفظوا؛ النَّزَاهُ: جمع نازه - العفيف النفس؛ الْوَلَاهُ: جمع واله - الحزين
على الشيء متى يناله، أي المشتاق؛ شام البرق: نظر إليه أين يطر؛ البارق:
السحاب؛ الأعلاق: جمع علق بكسر العين - بمعنى النفيس؛ خالب: خادع؛
المحروبة: المنهوبة؛ الغيلة: الشر الذي أضمرته الدنيا في خداعها؛ لات حين مناص:
أي ليس الوقت وقت التملص والفرار؛ البال: القلب والخاطر، والمراد ذهبت الدنيا
على ما تهواه لا على ما يريد أهلها؛ منظرين: مؤخرين، من أنظره إذا أخره
وأمهله (٣).

الشرح:

أن يصونوها وصيانتها شدة التحفظ فيها من خلطها برياء أو سمعة ومزجها بشيء
من الرذائل والمعاصي.
قوله: «أن يتصونوا بها»: أي يتحفظوا بها من الذنوب والرذائل وثمرتها ويتحرزوا
بالاستعداد لها من لحوق العذاب في الآخرة.

(١) الدخان: ٢٩.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٨٣ - ٢٨٥ / خطبة رقم ١٩١، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٣٧٨ - ٣٨١ / خطبة رقم ١٩١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٤: ٢١٢ - ٢١٣ / خطبة رقم ٢٣٣، ونهج البلاغة لمحمد عبده: ١: ٣٩٢ - ٣٩٥.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٤٩ - ٦٥٠.

وقوله: «وكونوا عن الدنيا نژاها»: أي متنزّهين عَمَّا حرّم الله عليهم وكرهه ممّا يوجب لهم الذمّ عاجلاً والعقاب آجلاً وهو أمر بالتقوى أيضاً.

وقوله: «إلى الآخرة ولّاها»: أي متحرّرين من شدّة الشوق إليها وذلك مستلزم للأمر بالتقوى والانقطاع عن الدنيا إلى الأعمال الصالحة لأنّها هي السبب في محبّة الآخرة والرغبة التامّة فيها عند الله.

وقوله: «ولا تضعوا من رفعتة التقوى»: ووضعه إمّا بقول كذمّة والاستهزاء به، أو بفعل كضربة؛ أو فعل ما يستلزم إهانته، أو ترك قول، أو ترك فعل يستلزم ذلك، ولما كان كلّ ذلك منافياً للتقوى وداخلاً في أبواب الرذائل لا جرم نهى عن لازمه وهو وضع من رفعتة التقوى لاستلزام رفع اللّازم رفع الملزوم.

وقوله: «لا ترفعوا من رفعتة الدنيا»: واراد من ارتفاعه وجاهته عند الخلق بسبب الدنيا واقتناء شيء منها، والتقدير: من رفعتة أهل الدنيا، فحذف المضاف، أو أسند الرفع إلى الدنيا مجازاً لأنّ الرافع والمعظم له هو الناس، ولما كان من رفعتة الدنيا عادلاً عن التقوى كان الميل إليه واحترامه ومحبّته يستلزم المحبّة للدنيا والميل إليها وكان منهيّاً عنه، وكان الانحراف عنه وعدم توقيره زهداً في الدنيا وأهلها هو من جملة التقوى فكان مأموراً به.

وقوله: «ولا تشيموا بارقها»: استعار لفظ البارق لما يلوح للناس في الدنيا من مطامعها ومطالبها، ووصف الشيم لتوقع تلك المطالب وانتظارها والتطلّع إليها على سبيل الكناية عن كونها كالسحابة التي يلوح بارقها فيتوقّع منها المطر.

وقوله: «ولا تسمعوا ناطقها»: وكُنّي بناطقها عن مادحها وما كشف وصفها وزينها من القول أو الفعل أو زينة أو متاع، وبسماعه عن الإصغاء والميل إليه وتصديق مقاله

وتصويب شهادته فإنها هي التي ينبغي أن يقتني ويدّخر ويعتني بها إلى غير ذلك فإنّ كلّ ذلك سبب للعدول عن التقوى وطريق الآخرة إلى طريق الهلاك.
وقوله: «ولا تحيوا ناعقها»: كنى بناعقها عن الداعي إليها والمجاذب ممّا ذكرنا، وبإجابته عن موافقته ومتابعته.

وقوله: «ولا تستضيئوا بإشراقها»: استعار لفظ الإشراق لوجوه المصالح الداعية إليها والآراء الهادية إلى طرق تحصيلها وكيفية السعي فيها، ووصف الاستضاءة للاهتمام بتلك الآراء في طلبها، ووجه المشابهة أنّ تلك الآراء يهتدي بها في تحصيلها كما يهتدى بالإشراق المحسوس، وهذه القرينة قرينة المعنى من القرينتين قبلها، ويحتمل أن يريد إشراقها ما يتهج به من زينتها وأنوار جنبها، وبالإستضاءة ذلك الابتهاج والالتذاذ على سبيل الاستعارة، ووجهها مشاركة زينتها للضياء في كونه سبباً ممدداً للأرواح باسطاً لها.

وقوله: «ولا تفتنوا بأعلاقها»: من الفتنة بأعلاقها، وأعلاقها ما يعدّ فيها نفيساً من قيناتها ومتاعها، وهو مستلزم للنهي لهم عن محبة الدنيا والانهاك في لذاتها لأنّ ذلك هو الفتان لهم والمضلل عن سبيل الله وهو سبب بلائهم ومحبّتهم وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ^(١).

قال المفسرون: بلاء ومحنة واشتغال عن الآخرة، والإنسان بسبب المال والولد يقع في العظائم ويتناول الحرام إلّا من عصمه الله.

وعن أبي بريدة قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يخطبنا يوماً فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يعيشان ويعثران، فنزل رسول الله صلّى الله عليه وآله من المنبر فحملهما

فوضعها بين يديه، ثم قال: صدق الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يشيان ويعثران فلم أصبر حتى نزلت إليهما ورفعتهما^(١)، ثم أردف ذلك بتعداد معائب وأوصاف لها منقرة عنها معللاً بها ما سبق من نواهيها عنها. وقوله: «فإن برقها خالب»: تعليل لنهيها عن شيم بارقتها، واستعار وصف الخالب لما لاح من مطامعها، ووجه المشابهة كون مطامعها وآمالها غير مدركة وإن أدرك بعضها ففي معرض الزوال كأن لم يحصل فأشبهت البرق الذي لا ماء فيه وإن حصل معه ضعيف فغير منتفع به فلذلك لا ينبغي أن يشام بارقتها.

وقوله: «ونطقها كاذب»: تعليل لنهيها عن سماع نطقها: أي النطق الحاصل في معناها، وفي مدحها، وأنها مما ينبغي أن يطلب ويدّخر، ووصف نفسها ولذاتها بلسان حالها الذي تغرّ به الأوهام الفاسدة، وكونه كذباً كناية عن عدم مطابقة ذلك الوصف بحالها في نفس الأمر.

وقوله: «وأموالها محروبة»: كالتعليل لنهيها عن الاستضاءة بإشراقها: أي لا ينبغي أن تستعمل الآراء الحسنة والحيل في تحصيل أموالها، أو لا ينبغي أن تحب زينتها وأموالها ويبتهج بها فإنها مأخوذة.

وقوله: «وأعلاقها مسلوبة»: تعليل لنهيها عن الافتتان بأعلاقها، ويحتمل أن تكون هذه القرينة مع التي قبلها تعليل للنهي عن الفتنة بأعلاقها، ثم أرف تلك الأوصاف بالتنبيه على أوصاف أخرى ونقائض لها مستعارة نقر بها عنها.

وقوله: «وقد أدبرت الحيلة»: الواو للحال من الضمير في راجع: أي وراجع

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٨٥.

عن عزمه حال ما قد أدبرت حيلته وهذه الحال مفسرة لمثلها عن الضمائر المرفوعة في عاضٍ وصافق، ومرتفق، وزار.

وقوله: «وأقبلت الغيلة»: أي أخذهم إلى جهنم وإهلاكهم فيها على غرة منهم بذلك الأخذ، وقال بعض الشارحين: يحتمل بالغيلة الشر بمعنى الغائلة.

وقوله: «ولات حين مناص»: في موضع الحال والعامل أقبلت: أي وأقبل الهلاك والشر حال ما ليس لهم وقت فرار ولا تأخر عنه كقوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَواْ وَلاَ تَأْخُذْهُمْ أَشْيَاءٌ وَلاَ يَأْتِيهِمْ أَفْئِدَةٌ شُعْورٌ وَقَالُواْ مُنِيبٌ مُّزْمَنٌ﴾ (١) أي فنادوا مستغيثين حال ما ليس الوقت مخلص ومفرّ.

وقوله: «هيات هيات»: أي بعد الخلاص والفرار، وأتى به مكرراً للتأكيد، وهو في مقابلة قول الكفار المنكرين لأحوال المعاد ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢) وكالجزء له بعد الموت.

وقوله: «وقد فات ما فات...» إلى قوله: «ذهب»: أي فات ما كنتم فيه من أحوال الدنيا التي يتمنون الرجعة إليها فلا رجوع لها، ونحوه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾ (٣) الآية.

قوله: «ومضت الدنيا لحال بالها»: كلمة يخبر بها عمّن مضى، أو يأمر بالمضي: أي ومضت عنهم الدنيا لحال بالها، ونحوه قوله عليه السلام: «حتى إذا مضى الأول لسبيله، وقوله: امض لشأنك، واللام للغرض فكأنه استعار لها لفظ البال بمعنى القلب ملاحظة لشبهها

(١) سورة ص: ٣.

(٢) المؤمنون: ٣٦.

(٣) المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

بمن يمضي لغرض نفسه وما يهواه قلبه، ويحتمل أن يريد بالبال الحال أيضاً وجواز الإضافة لاختلاف اللفظين، وقال بعض الشارحين: أراد بجال بالها ما كانت عليه من رخائنها وسهولتها على أهلها.

وقوله: «وأقبلت الآخرة»: أي بشدتها وصعوبتها.

ثم ختم بالآية اقتباساً، والمعنى أنهم لما ركنوا إلى الدنيا فعلت بهم ما فعلت، وحصلوا على ما حصلوا عليه من البداهة، وولت عنهم لشأنها: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(١).

قال بعض المفسرين: أراد أهل السماء وهم الملائكة وأهل الأرض فحذف المضاف وهو كناية عن كونهم لا يستحقون أن يتأسف عليهم ولا أن ييكون.

وقيل: أراد المبالغة في تحقير شأنهم لأن العرب كانت تقول في عظيم القدر يموت: بكته السماء والأرض، فني عنهم ذلك، وأراد ليسوا ممن يقال فيهم مثل هذا القول. وعن ابن عباس عليه السلام، لما قيل له: أتبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال: يبكيه مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء^(٢). فيكون نفي البكاء عنهم كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض موضع عمل صالح حتى يكون له مصعد في السماء فلم تبك عليهم.

ونحوه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلم إلا وله بابان: باب يصعد فيه عمله، وباب ينزل منه رزقه إلى الأرض فإذا مات بكيا عليه^(٣). فذلك قوله

(١) الدخان: ٢٩.

(٢) أمالي السيد المرتضى ١: ٣٩.

(٣) أوائل المقالات للمفيد: ٢٢٣.

عز وجل: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ . واعلم أن إطلاق لفظ البكاء على السماء والأرض مجاز في فقدهما لما ينبغي أن يكون فيها من مساجد المؤمنين ومساعد أعمالهم قياساً في ذلك من فقد شيئاً يحبّه ويكي له فأطلق عليه إطلاقاً لاسم الملزوم على لازمه، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام تسمى بالقاصعة، ومنها: قال عليه السلام في رأس العصيان:

وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَزَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ، ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ
مَلَائِكَتَهُ الْمُفَرِّقِينَ لِيُمَيِّزَ^(٢) الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ،
فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ
الْغُيُوبِ: ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ﴾^(٣)، اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَأَفْتَحَرَ عَلَى آدَمَ
بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ.

فَعَدُّوا اللَّهَ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ
أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِذَاءَ الْجَبَرِيَّةِ^(٤)، وَأَدْرَعَ لِبَاسَ

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٢٣ - ٢٣٢ / شرح الخطبة رقم ٢٣٣.

(٢) في نهج صبحي صالح وابن ميثم ومحمد عبده: كَيِّمَزَ.

(٣) سورة ص: ٧١ - ٧٤.

(٤) في نهج البلاغة لصبحي صالح: الجَبَرِيَّةِ.

التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّدَلُّلِ، أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكَبُّرِهِ،
وَوَضَعَهُ بِتَرْقُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْهُورًا، وَأَعَدَّ لَهُ فِي
الْآخِرَةِ سَعِيرًا^(١)؟!

شرح الألفاظ الغريبة :

القصع: ابتلاع الماء والجرّة، وقصعت الرجل قصعاً: صغّرتة وحقّرتة، وقصعت
هامته: إذا ضربتها ببسط كفك، وقصع الله شبابه: إذا أبقى قبيئاً فهو مقصوع لا يزداد،
وأصل هذه الكلمة للتصغير والتحقيق؛ والجبريّة والجبروت: الكبر؛ وادّرع: لبسه
كالدرع، والدحر: الطرد^(٢).

سبب الخطبة وأسباب تسميتها :

نقل في سبب هذه الخطبة، أنّ أهل الكوفة كانوا في آخر خلافته عليه السلام قد فسدوا
وكانوا قبائل متعدّدة فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمرّ بمنازل قبيلة أخرى
فيقع به أدنى مكروه فيستعدي قبيلته، وينادي باسمها مثلاً يا للنخع أو بالكندة نداءً
عالياً يقصد به الفتنة وإثارة الشرّ فيتألّب عليه فتیان القبيلة التي قد مرّ بها وينادون يا
ليتم يا لربيعة فيضربونه فيمرّ إلى قبيلته ويستصرخ بها وتسلب بينهم السيوف وتثور
الفتنة، ولا يكون لها أصل في الحقيقة ولا سبب يعرف إلّا تعرّض الفتیان بعضهم

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٨٥ - ٢٨٦ / خطبة رقم ١٩٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٣٨١

- ٣٨٣ / خطبة رقم ١٩٢، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٣٢ - ٢٣٣ / خطبة رقم ٢٣٤،

ونهج البلاغة للشيخ محمّد عبده ١: ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة في شرح نهج ابن ميثم ٤: ٢٣٤.

ببعض، وكثر ذلك منهم فخرج عليه السلام إليهم على ناقة فخطبهم هذه الخطبة، وقد ذكر الشارحون في تسمية هذه الخطبة القاصعة وجوهاً:

أحدها: وهو أقربها أنه عليه السلام كان يخطبها على ناقته وهي تقصع بجرتها فجاز أن يقال: إن هذه الحال لما نقلت عنه في أسناد هذه الخطبة نسبت الخطبة إلى الناقة القاصعة فقليل: خطبة القاصعة، ثم كثر استعمالها فجعلت من صفات الخطبة نفسها، أو لأن الخطبة عرفت بهذه الصفة لملازمة قصع الناقة لإنشائها، والعرب يسمي الشيء باسم لازمه.

الثاني: سُميت بذلك لأن المواعظ والزواجر فيها متتابعة فأشبهت جرّات الناقة وتتابعها.

الثالث: سُميت بذلك لأنها هاشمة كاسرة لإبليس، ومصغرة ومحقرة لكل جبار. وهو وجه حسن أيضاً.

الرابع: لأنها تسكن نخوة المتكبرين وكبرهم فأشبهت الماء الذي يسكن العطش فيكون من قولهم: قصع الماء عطشه إذا سكنه وأذهبه.

واعلم أن مدار هذه الخطبة على النهي عن الكبر والتوبيخ عليه وعلى ما يلزمه من الحميّة والعصبية لغير الله تعالى ليكون الناس على ضدّ ذلك من التواضع والرفق، وقد علمت في المقدمات أن من شأن الخطيب أن يورد في صدر الخطبة ما ينبّه على المطلوب الذي يورده بقول كلّ ليتنبّه السامعون لما يريد إجمالاً فلذلك صدر عليه السلام الخطبة بنسبة العزّ والكبرياء والعظمة إلى من هو أولى به وهو الله تعالى، وأشار إلى أن ذلك خاصّة له وحرام على غيره، وذكر إبليس وقصّته مع آدم عليه السلام في معرض الذمّ بتكبره عليه ليتربّب على ذكره وذمّه بتلك الرذيلة النهي والتحذير عن ارتكابها

وليحصل التنفير بحاله إذ كان بذلك ملعوناً مطروداً على السنة الأنبياء بأسرهم^(١).

الشرح:

قوله: «لِيُمَيِّزَ المتواضعين من المستكبرين»: ترشيح لاستعارة الاختبار لأن التميّز من لوازمه وعوارضه، ويحتمل أن يريد لِيُمَيِّزَ المطيعين عن العصاة بإعطاء الثواب لهم دونهم فلا يكون التميّز بمعنى العلم بل الانفصال الخارجي لكل من المطيعين والعصاة بما يستحقّه من ثواب وعقاب.

وقوله: «وهو العالم...» إلى قوله: «الغيوب»: قرينة مخرجة للاختبار عن حقيقته، وهي جملة معترضة بين القول والمقول للملائكة وهو قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ﴾^(٢) إلى آخره، والمختبر به هو قوله: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٣).

وقال بعض الشارحين: إنّما اختبرهم مع علمه بمضمراتهم لأنّ اختباره تعالى ليس ليُعَلِّمَ بل ليُعَلِّمَ غيره من خلقه طاعة من يطيع وعصيان من يعصي، قال: وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾^(٤) وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ مَنِ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾^(٥): أي لتعلم أنت وغيرك، وفيه بُعد.

وقد شرحنا قصّة الملائكة وإبليس وآدم في الخطبة الأولى بقدر الوسع فلا حاجة إلى التطويل بالإعادة غير أنّ هاهنا ألفاظاً يحتاج إلى الإيضاح.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٣٣ - ٢٣٥.

(٢) سورة ص: ٧١.

(٣) سورة ص: ٧٢.

(٤) الكهف: ١٢.

(٥) البقرة: ١٤٣.

وافتنار إبليس وتعصّبه وتكبره على آدم في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١) وقوله: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾^(٢)، ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾^(٣) فكان تعصّبه عليه واستكباره نظراً إلى أصلهما، وكونه إمام المتعصّبين باعتبار كونه المنشأ لرذيلة العصبية في غير الحقّ والمعتدى به فيها.

وأما العصبية في الحقّ فهي محمودّة كما جاء في الخبر: العصبية في الله تورث الجنة، والعصبية في الشيطان تورث النار^(٤). وكذلك كونه سلفاً للمتكبرين باعتبار تقدّمه للمتكبرين بالاستكبار على آدم، والسلف هو المتقدّم.

وقوله: «الذي وضع أساس العصبية»: إذا كانت عصبية لأصله كالأساس للخلق يبني عليه الخلق سائر العصبيات ويقتدى به فيها.

وقوله: «ونازع الله رداء الجبرية»: أي بتجبره وتكبره، وقد عرفت وجه الاستعارة في المنازعة في الرداء.

وكذلك قوله: «وادرع لباس التعرّز»: لما استعار لفظ الادّراع لإبليس من جهة اشتماله وتلبّسه بالتعرّز رشّح بذلك اللباس.

وكذلك قوله: «وخلع قناع التذلل»: استعارة للفظ الخلع وترشيح بلفظ القناع.

وقوله: «ألا ترون...» إلى قوله: «بترفعه»: تنبيه على كيفية تصغير الله إيّاه ووضعه

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) الإسراء: ٦١.

(٣) الحجر: ٣٣. والآية في شرح نهج ابن ميثم: ﴿أَسْجُدْ لِبَشَرٍ... مَسْنُونٍ﴾.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ١٢٨ / خطبة رقم ٢٣٤، خطبة القاصعة.

له بسبب تكبره وتعظمه، وذلك التصغير والوضع هو جعله في الدنيا مدحوراً بعد إخراجه من الجنة بقوله تعالى: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾^(١).
«وإعداده في الآخرة سعيراً»: بقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) ونحوه^(٣).

الدنيا في خطبة القاصعة، قال عليه السلام في طلب العبرة:

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ،
وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبْدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى
أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.
فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا، مَا كَانَ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا، إِنَّ
حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ
أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ^(٤).

(١) الأعراف: ١٨.

(٢) سورة ص: ٨٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٤: ٢٣٣ - ٢٣٩ / شرح الخطبة رقم ٢٣٤.

(٤) نهج البلاغة لصباحي صالح: ٢٨٧ / ضمن الخطبة رقم ١٩٢ في طلب العبرة، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٣٨٣ - ٣٨٤ / ضمن الخطبة رقم ١٩٢ في طلب العبرة، شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٤: ٢٤١ - ٢٤٢ / خطبة رقم ٢٣٤، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٩٧.

شرح الألفاظ الغريبة:

أحبّط عمله: أضاع عمله؛ الجهد: - بفتح الجيم - الاجتهاد؛ الهوادة: - بالفتح - اللين والرخصة^(١).

الشرح:

قوله: «فاعتبروا»: أمر للسامعين باعتبار حال إبليس في الكبر بعد شرح حاله في طاعة الله وطول مدّة عبادته له وما لزمه بسبب كبر ساعة واحدة من إحباط عمله ولعنته والبعد عن رحمة الله ليتنبّهوا للتخلّي عن هذه الرذيلة؛ وجه الاعتبار أن يقال: إذا كان حال من تكبّر من الملائكة بعد عبادة ستّة آلاف سنة كذلك فكيف بالمتكبرين من البشر على قصر مدّة عبادتهم وكونهم بشراً؟ فبطريق الأولى أن يكونوا كذلك. «وجهه المجهد»: أي اجتهاده الذي جهده وشقّ عليه.

وقوله: «وكان قد عبد الله...» إلى قوله: «الآخرة»: فيشبه أن يكون قد أشار بسنّي الآخرة إلى سنين موهومة عن مثل اليوم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٢) وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٣). وتقريره أن الأيام في الآخرة ممّا لا يمكن حملها على حقائقها لأنّ اليوم المعهود عبارة عن زمان طلوع الشمس إلى مغيبها، وبعد خراب العالم على ما نطقت به الشريعة لا يبقى ذلك الزمان، وعلى رأي من أثبت بقاء الفلك تكون القيامة

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٥١.

(٢) الحج: ٤٧.

(٣) المعارج: ٤.

عبارة عن مفارقة النفوس لأبدانها أو عن أحوال تعرض لها بعد المفارقة، والمجردات المفارقات لا يكون لأحوالها زمان ولا مكان حتى تجري في يوم أو سنة فتعين حمل اليوم على مجازة وهو الزمان المقدر بحسب الوهم القاييس لأحوال الآخرة إلى أحوال الدنيا وأيامها إقامة لما بالقوة مقام ما بالفعل. وكذلك السنة.

وهذه الأزمنة هي التي أشار إلى مثلها المتكلمون بقولهم: إن تقدم الباري تعالى على وجود العالم بتقدير أزمنة لا نهاية لها. إذا عرفت فاعلم أن قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١) وفي وضع ﴿مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٢) إشارة إلى تفاوت تلك الأزمنة الموهومة بشدة أهوال أحوال أهل الآخرة وضعفها وطولها وقصرها وسرعة حساب بعضهم وخفة ظهره وثقل أوزار قوم آخرين وطول حسابهم كما روي عن ابن عباس في قوله: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة^(٣)، وأراد أن أهل الموقف لشدة أهوالهم يستطيلون بقائهم فيها وشدة عليها حتى يكون في قوة ذاك المقدار.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله ﷺ في يوم القيامة كان مقداره خمسين ألف سنة: ما أطول هذا اليوم؟ فقال: والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا^(٤). وهذا يدل على أنه يوم

(١) المعارج: ٤.

(٢) السجدة: ٥.

(٣) انظر مجمع البيان لعلوم القرآن ١٠: ١٣٢.

(٤) مجمع البيان لعلوم القرآن ١٠: ١٣٢.

موهوم وإلا لما تفاوت في الطول والقصر إلى هذه الغاية. إذا ثبت هذا فنقول: يحتمل أن يكون مراده عليه السلام أن عبادة إبليس والملائكة الذين نقلنا في الخبر في الخطبة الأولى أنهم أهبطوا إلى الأرض وطردهوا الجن إلى البحار ورؤوس الجبال وعبدوا الله في الأرض زماناً كانت عبادة روحانية لا يستدعي زماناً موجوداً بل أحوالاً موهومة تشبه الزمان، وأن إبليس عبد الله في تقدير أزمنة مبلغها ستة آلاف سنة قبل خلق آدم. ويحتمل أن يقال: إنها كانت جسمانية في زمان من أزمنة الدنيا ولكن يكون في كمية كمقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا.

فأما قوله: «لا يدري»: ففي نسخة الرضي بالبناء للفاعل، وفي غيرها من النسخ بالبناء للمفعول. والرواية الأولى تستلزم أنه ممن لا يدري أن تلك السنين من أي السنين؟

والثانية: يحتمل فيها كونه ممن يدري ذلك، وبالجمله فلما كانت مدة عبادة إبليس قبل آدم يحتمل أن يكون روحانية وأن يكون جسمانية، ويحتمل أن يكون بحسب ذلك في زمان موهوم أو موجود. وعلى تقدير أن يكون موجوداً يحتمل أن يكون ستة آلاف سنة من السنين المعهودة المتعارفة لنا، ويحتمل أن يكون من سنين كانت قبل ذلك مصطلحاً على تقدير كل منها بألف سنة أو بخمسين ألف سنة من سنين لا جرم لم يمكن الجزم بواحد من هذه الاحتمالات فلذلك قال: لا يدري.

قال بعض الشارحين: ويفهم من تقديره عليه السلام تلك المدة بستة آلاف سنة لا يدري من أي السنين هي أنه سمع فيه نصاً من رسول الله ﷺ مجملًا ولم يفسره له، أو أنه سمعه وعلم تفصيله لكنه لم يفصله للناس بل أبهم القول عليهم في تعيينه لعلمه أن تعيين سني الآخرة مما يستعظمون ولا يحتمله أذهانهم فإن عبادته إذا كانت ستة

آلاف سنة وكلّ يوم منها خمسين ألف سنة من سنيّ الدنيا كان مبلغ ذلك ممّا يخرج من ضرب ستّة آلاف سنة في ثلاثمائة وستّين مضروبة في خمسين ألفاً وهو مائة وثمانية ألف ألف سنة - بتكرير لفظ الألف ثلاث مرّات - وعلى تقدير أن يكون مقدار كلّ يوم ألف سنة يكون مبلغها ما يخرج من ضرب ستّة آلاف في ثلاثمائة وستّين ألفاً وهو ألفا ألف ألف سنة بتكرير الألف ثلاث مرّات، وتثنية الأوّل - ومائة ألف ألف - بلفظتين - وستّون ألف ألف - بلفظتين أيضاً - وذلك ممّا لا يحتمله أذهان السامعين، فلذلك أبهم القول فيه.

وقوله: «فمن...» إلى قوله: «معصيته»: استفهام إنكار لوجود من يسلم من لعنة الله وعقوبته ممّن يكون فيه رذيلة الكبر.

وقوله: «ويسلم على الله»: في معنى يرجع إليه سالماً من طرده ولعنته وعذابه. تقول: سلم عليّ هذا الشيء إذا رجع إليك سالماً ولم يلحقه تلف، والباء في قوله: بمثل معصيته للاستصحاب: أي فمن يرجع إلى الله سالماً من عذابه وقد استصحب مثل معصيته إبليس: أي تكبّر كتكبّره وخالف أمر ربّه.

وقوله: «كلّا»: ردّ لما عساه يدّعي من تلك السلامة التي استنكر وقوعها باستفهامه، وفُسّر ذلك الردّ بقوله: «ما كان الله» إلى قوله: «ملكاً»، والباء في قوله: بأمر للاستصحاب أيضاً: أي ما كان ليدخل الجنّة بشراً مستصحباً لأمر أُخرج به منها ملكاً، وذلك الأمر هو رذيلة الكبر التي يستصحبها الإنسان بعد الموت ملكة وخلقاً جوهر نفسه، والقضيّة سالبة عرفيّة عامّة: أي لا يدخل الجنّة بشر بوصف الكبر مادام له ذلك الوصف، فإن كان ذلك الوصف يدوم كما في حقّ الكافر لم يدخل

الجنة أبداً، وإن كان لا يدوم جاز أن يدخل بعد زواله الجنة، فإذن لا مسكة للرعية به قول القائلين بتخليد الفاسق من أهل القبلة في هذا الكلام.

وأما حديث الإحباط فيقول: إنما كان بسبب الكفر كما قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

فإن قلت: الكلام يقتضي أن إحباط عمله وإخراجه من الجنة كان بسبب تكبره لا بسبب كفره.

قلت: الأصل هو الكبر إلا أن تكبره كان تكبراً على الله وإباءاً لطاعته واستصغاراً لما أمر به حيث قال: «أأسجد لبشر خلقته من صلصال، أسجد لمن خلقت طيناً وذلك محادة لله وكفر به مصارحة فكان ذلك مستلزماً لكفره، ولا شك أن الكفر يستلزم إحباط العمل واللعن والخروج من الجنة.

وقوله: «إن حكمه في أهل السماء...» إلى قوله: «لواحد»: أي في إفاضته للخير والشر على من يستعد لأحدهما فن استعد من أهل السماء أو أهل الأرض لخير أو شر فحكمه فيه أن يفيض على ما استعد له وذلك حكم لا يختلف اعتباره من جهته تعالى.

وقوله: «ما بين الله...» إلى قوله: «العالمين»: أي ليس بينه وبين أحد من خلقه صلح فيخصه بإباحة حكم حرّمه على سائر خلقه فيختلف بذلك حكمه فيهم لأنّ الصلح من عوارض الحاجة أو الخوف المحالين عليه تعالى.

وقال بعض الشارحين: كلّ ما جاء من الإحباط في القرآن والأثر فمحمول على

أنّ ذلك الفعل المحبّط قد أخلّ فاعله ببعض شرائطه اللازمة إذ لم يوقعه على الوجه المأمور به المرضي، أو فعله لا على بصيرة و يقين بل على ظنّ وتخمين.
وبالجملة فحيث يقع لا على وجه يستحقّ به ثواباً: لا على أنّه يستحقّ به شيئاً ثمّ أحبط فإنّ ذلك ممّا قام البرهان على استحالته^(١).

الدنيا في خطبة القاصعة، قال عليه السلام في التحذير من الشيطان:

فَاَحْذَرُوا - عِبَادِ اللَّهِ^(٢) - عَدُوَّ اللَّهِ^(٣) أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ (بِنِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ)^(٤) بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: - حَتَّى إِذَا أَنْقَادَتْ لَهُ أَلْبَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَأَسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ أَلْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ، أَسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ، وَلَجَاتِ الدُّلَّ، وَأَحْلُوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ، طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْفًا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٤٥ - ٢٤٩ / شرح الخطبة رقم ٢٣٤.

(٢) (عباد الله): ليس في شرح نهج البلاغة لابن ميثم.

(٣) (عدو الله): ليس في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده.

(٤) ما بين القوسين ليس في نهج البلاغة للشيخ العطار.

الْمُعَدَّة، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَزْحًا^(١)، وَأَوْزَى فِي دُنْيَاكُمْ
قَدْحًا مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَالِّبِينَ^(٢)...

شرح الألفاظ الغريبة:

يعدكم بدائه: أي يصيبكم بشيء من دائه بالمخالطة كما يعدي الأجرب السليم،
والضمير لإبليس؛ يستفزكم: يستنهضكم لما يريد؛ أجنب عليكم بخيله: أي ركبانه؛
ورجله: أي مشاقته، والمراد أعوان السوء؛ الجاحمة: من جمح الفرس، وأراد بها هنا
الطائفة التي لم تطعه؛ الطباعية: الطمع؛ ونجمت من السر إلى الخفي: أي بعد أن كانت
وسوسة في الصدور، وهمساً في القول، ظهرت إلى المجاهرة بالنداء ورفع الأيدي
بالسلاح؛ دلفت: تقدّمت؛ أقحموكم: ادخلوكم بغتة؛ الولجات: - جمع ولجة -
بالتحريك - كهف يستتر فيه المارة من مطر ونحوه؛ أوطأه: أركبه؛ إثنان الجراحة:
المبالغة فيها، أي أركبوكم الجراحات البالغة، كناية في إشغال الفتنة بينهم حتى
يتقاتلوا؛ الخزائم: - جمع خزيمة كناية - وهي حلقة توضع في وترة أنف البعير فيشدّ
فيها الزمام؛ أوزى: أي أشدّ قدحاً للنار؛ مناصبين: مجاهرين لهم بالعداوة؛ متالّبين:
مجتمعين^(٣).

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: (جَزْحًا) بدل: (جَوْحًا).

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٨٧ - ٢٨٨ / ضمن الخطبة رقم ١٩٢، نهج البلاغة للشيخ العطار:

٣٨٤ - ٣٨٥ / ضمن الخطبة رقم ١٩٢، شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٤٢ / ضمن الخطبة

رقم ٢٣٤، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٣٩٧ - ٣٩٩.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٥١.

الشرح:

حذّرهم من إبليس باعتبار كونه عدوّ الله بعد أمرهم باعتبار حاله وما لزمه من الشقاوة بسبب معصية له أن يعديهم بذلك الداء وهو الكبر الذي بسببه لزمته تلك الشقاوة.

ومعنى عداوته لله مجانبته لأوامره ومجاورته لطاعته إلى معصيته وهو مستعار، ولفظ الداء مستعار للكبر يقرب من الحقيقة فإنّ أدواء النفوس أشدّ من أدواء الأبدان، ومحلّ أن يعديكم نصب على البدل من عدوّ.

ونقل عن القطب الراوندي رحمه الله أنّه مفعول ثان عن احذروا، وهو سهو، إذ هذا الفعل لا يتعدّى إلى مفعولين.

وقوله: «بخيله ورجله»: كناية عن أعوانه من الضالّين المضلّين الذين يستخفّون الناس بالوسوسة والدعوة إلى طرق الضلال.

وقوله: «حتّى...» إلى قوله: «الجليّ»: غاية من قوله: فوق وأغرق ورماكم. واستعار وصف الجامحة للنفوس التي كانت عاصية لإبليس آية عن الانقياد له. وقوله: «فنجمت الحال»: أي ظهرت الحال التي كان يرومها منكم وبظنّها فيكم وهي الغواية والضلال من السرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ: أي من القوّة فيكم إلى الفعل. وقوله: «استفحل»: جواب الشرط، واستعار لفظ الاستفحال لشدة سطوته وسلطانه إشارة إلى كمال قدرته على تطويع النفوس وقهرها.

«وجنوده» كناية عن أهل الفساد في الأرض كما علمته فيما سبق. ودلفه بهم، دخولهم بالفساد على الناس وتزييفهم لهم رذائل الأخلاق وإغواؤهم إيّاهم.

ومن لوازم ذلك التحاسد والتباغض والتقاطع والتدابير وتفرق الكلمة.
ومن لوازم تفرق الكلمة أن يقحمهم العدو ولجأت الذلّ ويحلّهم ورطات القتل ويوطئهم إيثان الجراحة، ويحتمل أن يريد بسلطانه الذي استفحل عليه هو سلطان عدوّهم ومن خالفهم كعواوية وغيره وقوّتهم عليهم بعد تفرق كلمتهم وقلة طاعتهم له عليه السلام وإضافة ذلك السلطان وجنوده إلى الشيطان ظاهرة لأنّ سلطان الحقّ وجنوده يقال له سلطان وجنود الله، وسلطان الباطل يقال له سلطان الشيطان وجنوده جنود الشيطان وأوليائه وأعوانه، والظاهر أنّهم عند تفرق كلمتهم قد استفحل عليهم سلطان إبليس ودلف بجنوده إليهم وهم مخالفوه عليه السلام، وانتصب إيثان الجراحة على أنّه مفعول ثان لأوطأوكم.

ولفظ «الولجات والورطات» مستعاران للأحوال التي هي مظانّ الذلّ والقتل كالأماكن التي يفرون إليها من عدوّهم ذلّاً، والمواطن التي قتلوا فيها، أو لطاعتهم والاستسلام لهم.

وإقحامهم وإحلالهم إيّاها إلجأؤهم لهم إلى تلك الأحوال والأماكن ولذلك استعار وصف إبطائهم إيثان الجراحة ملاحظة لمشابهة وقوعها بهم للوطئ في استلزامه للأذى؛ وكفى بذلك المستعار عن إيقاعهم في حرارات الجراح؛ وإيثان مصدر قولك: أثخن في الجراح إذا كثّر فيه وبالع حتى فشا فكأنّه ثخن.

قوله: «طمعاً...» إلى قوله: «لمقاتلكم»: جعل محلّ الطعن العيون.

والحزّ: الحلو، والدقّ: المناخر، والقصد المقاتل لأنّها محالّها المتعارفة عند إرادة الإذلال والإهانة والإهلاك، لأنّ الطعن وإن كان قد يقع في سائر البدن إلاّ أنّه أبلغ في العيون وأفحش، وكذلك في باقيها.

قال بعض الشارحين: انتصب طعناً وحزاً ودقاً وقصداً وسوقاً على المصادر عن أفعالها المقدّرة، ومن روى: لإيثخان الجراحة - بوجود اللّام - فيحتمل أن يجعل طعناً مفعولاً ثانياً لأوطأوكم، ويكون اللّام في الإيثخان لام الغرض: أي أوطأوكم طعناً وحزاً ودقاً ليثخنوا الجراحة فيكم، قال: ويكون قصداً وسوقاً خالصين للمصدرية بعدهما عن المفعول به. والأظهر هو الوجه الأوّل أعني كون كلّ منهما مصدرًا لفعله. ولما كان الفاعل بهم هذه الأفعال كلّها هو إبليس وجنوده فإن كان المراد بجنوده الساعين بين الناس بالوسوسة والفساد في الأرض فعنى فعلهم بهم هذه الأفعال كونهم أسباباً معدّة لهم بالوسوسة المستلزمة لتفريق الكلمة ومخالفة الإمام لوقوع هذه الأفعال بهم من أعدائهم ومحاربيهم، ثمّ يتبع فعل العدو لهم أن يسوقهم إلى النار بخزائم القهر، ولفظ الخزائم مستعار لما يمكن في جواهر نفوسهم من الرذائل الموبقة وملكات السوء التي لا محيص لهم من النار بسببها لمشايتها الخزائم التي يقاد بها الإبل في كونها لا مخلص عداً يقاد إليه بسببها.

ولفظ السوق ترشيح للاستعارة، وإن كان المراد بجنوده هم المخالفون له عليه السلام والمحاربون لأصحابه ففعلهم بهم تلك الأفعال ظاهر.

وأما السائق لهم إلى النار فيحتمل أن يكون هؤلاء وذلك بإذلالهم لهم وإدخالهم في باطلهم من قهر وذلة، ولا شك أنّ الدخول في باطلهم سبب جاذب إلى النار، ولفظ الخزائم مستعار إذن إمّا لما يتمكّن من باطلهم وعبثهم في النفوس، وإمّا لأوامرهم بالباطل وحملهم على ارتكاب المنكر، ويحتمل أن يكون السائل لهم هو إبليس وجنوده من الوسوسة.

ثمّ رجع إلى أفراده بالفعل نظراً إلى قوله: «ودلف بجنوده». فقال بعده: «فأصبح أعظم في دينكم جرحاً»، فاستعار لفظ الجرح للفساد المعقول الحاصل بسبب إبليس في دينهم، ووجه المشابهة كون الجرح فساداً في العضو أيضاً، وكذلك استعار لفظ القدح لوساوس إبليس المستلزمة لوجود الإحن والتباغض والتحاسد بينهم الموجب لتفريق كلمتهم المستلزم لتشتت سلطانهم وفساد نظامهم وما هم عليه من الأبهة واستقامة المعاش في الدنيا، ووجه المشابهة إفساد تلك الوساوس لأحوال معاشهم كإفساد قدح النار ما يقدر فيه، وجعله في حرج دينهم وإفساد دنياهم أشدّ من أعدائهم الذين هم مناصبون لهم والحكم ظاهر الصدق؛ إذ كانت فتنة إبليس لهم في دينهم ودنياهم أصلاً لكل فتنة تلحقهم من أعدائهم باعتبار أنّها سبب تفرّقهم كما سبق^(١).

الدنيا في خطبة القاصعة، قال عليه السلام في الكعبة المقدّسة:

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، (وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ)^(٢)، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً، ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجَرًا، وَأَقَلَّ (تَتَأْتِي الدُّنْيَا)^(٣) مَدْرًا، وَأَضْيَقَ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٤٩ - ٢٥٥ / ضمن شرح الخطبة رقم ٢٣٤.

(٢) ما بين القوسين في شرح نهج ابن ميثم ونهج محمد عبده: (ولا تسمع ولا تبصر).

(٣) ما بين القوسين في شرح نهج ابن ميثم ونهج محمد عبده: (تتأق الأرض) بدل من (تتأق الدنيا).

قُطْرًا، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمَثَةٍ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَزُكُّ بِهَا خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ^(١)...

شرح الألفاظ الغريبة:

النتائق: - جمع نتيقة - البقاع المرتفعة، ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان؛ المدّر: قطع الطين اليابس، وأقلّ الأرض مدراً لا ينبت إلّا قليلاً؛ دَمَثَة: لينة يصعب السير فيها والاستنبات منها؛ وَشِلَة: - كفرحة - قليلة الماء؛ لا يزكو: لا ينمو؛ والخُفّ: عبارة عن الجمال؛ والحافر: عبارة عن الخيل وما شاكلها؛ والظلف: عبارة عن البقر والغنم، تعبير عن الحيوان بما رُكبت عليه قوائمه^(٢).

الشرح:

قوله: «جعله للناس قياماً»: أي مقيماً لأحوالهم في الآخرة، يقال: فلان قيام أهله وقوام بيته، إذا كانت به استقامة أحوالهم، وكون مكة أقلّ بقاع الأرض مدراً لأنّ الحجريّة أغلب عليها، وإنّما أتى بالرمال اللينة في معرض الذمّ لأنّها أيضاً ممّا لا يزكو بها الدوابّ لأنّ ذوات الحافر ترسخ فيها وتتعب في المشي بها. قال شارحون: وأراد بالخفّ والحافر والظلف دوابّها وهي الجمال والخيل والغنم والبقر مجازاً إطلاقاً لاسم الجزء على الكلّ أو على تقدير إرادة المضاف وإقامة المضاف

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٩٢ - ٢٩٣ / ضمن الخطبة رقم ١٩٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٣٩١ / ضمن الخطبة رقم ١٩٢، شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٦٧ / ضمن الخطبة رقم ٢٣٤، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٤٠٥.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٥٢ - ٦٥٣.

إليه مقامه، وأراد بكونها لا تزكو: أي لا تسمن وتزيد للجذب وخشونة الأرض، والضمير في «بها» راجع إلى ما دلّ عليه أوعر من الموصوف فإنه أراد بواد أوعر بقاع الأرض حجراً كما قال: ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ (١) (٢).

الدنيا في خطبة القاصعة، قال عليه السلام في عصبية المال:

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِأَثَارِ مَوَاقِعِ النَّعَمِ، فَ﴿قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (٣) - إلى أن يقول عليه السلام - وَاجْتَنَبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُنْتَهُمُ: مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي.

وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمَحِيصِ وَالْبَلَاءِ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً؟! اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِنَةُ عَيْبِداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلْبَةِ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ، حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ جِدَّ الصَّبْرِ

(١) إبراهيم: ٣٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٤: ٢٧٨ - ٢٧٩ / في شرح الخطبة رقم ٢٣٤.

(٣) سبأ: ٣٥.

مِنْهُمْ عَلَى الْأَدَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالْإِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ
جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا، فَأَبَدَ لَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ،
وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا، وَأَيْمَّةً أَعْلَامًا،
وَبَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْأَمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

المُتَرَف: - على صيغة اسم المفعول - الموسع له في النعم يتمتع بما شاء من اللذات؛
آثار مواقع النعم: ما ينشأ عن النعم من التعالي والتكبر؛ الفقرة: - بالكسر والفتح،
كالفقارة بالفتح - ما انتظم من عظم الصلب من الكاهل إلى عجب الذنب؛ أو هن: أي
أضعف؛ المنة: - بضم الميم - القوة؛ التمحيص: الابتلاء والاختبار؛ المُرار: - بضم
ففتح - شجر شديد المرارة تنقلص منه شفاء الإبل إذا أكلته، والمراد هنا عصارته^(٢).

الشرح:

قوله: «واجتنبوا...» إلى قوله: «وتخاذل الأيدي»: أي واجتنبوا كل أمر استبدلوا
به تلك الأمور التي أوجبت لهم العزة والكرامة وكان سبباً لكسر فقرتهم ووهن قوتهم
وهو التضامن والتشاحن والتقاطع والتخاذل لأنها أمور تضاد الألفة وتتافىها فكانت
مضادة لما يستلزمه الألفة، وأراد التخاذل المطلق، وإضافته إلى الأيدي كناية لأن
الأغلب أن يكون التناصر بالأيدي، وهؤلاء الذين أمر باعتبار حالهم لا يريد بهم

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٩٥ - ٢٩٦ / ضمن الخطبة رقم ١٩٢، ونهج البلاغة للشيخ
الخطار: ٣٩٤ - ٣٩٦ / ضمن الخطبة رقم ١٩٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٢٨٦ - ٢٨٨ /
ضمن الخطبة رقم ٢٣٤، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٤٠٩ - ٤١١.
(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٥٤.

أُمَّةٌ مَعِيَّةٌ بِلِ الْحَالِ عَامٌّ فِي كُلِّ أُمَّةٍ سَبَقَتْ فَإِنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تَرَادَفَتْ أَيْدِيهِمْ وَتَعَاوَنُوا وَتَنَاصَرُوا كَانَ ذَلِكَ سَبَباً لِعِزَّةِ حَالِهِمْ وَدَفْعِ الْأَعْدَاءِ عَنْهُمْ، وَكُلُّ قَوْمٍ افْتَرَقُوا اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ ذُلَّهُمْ وَقَهْرُ الْأَعْدَاءِ لَهُمْ.

وقوله: «وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين...» إلى قوله: «إليه بهم»: أمر لهم باعتبار هذه الأحوال فيمن هو أخصّ وهم المؤمنون من الماضين في أزمان الأنبياء السابقين فإنهم حيث كانوا مع كل نبي في مبدء أمرهم في حال التمحيص والاستخلاص لقلوبهم بالبلاء أثقل أهل الأرض أعباء قد اتخذتهم الفراعنة عبيداً يسومونهم سوء العذاب وهؤلاء كيوسف عليه السلام مع فرعون زمانه، وكموسى وهارون ومن آمن معها من بني إسرائيل في مبدء أمرهم فإنهم كانوا حال التمحيص والبلاء بالصفات التي ذكرها عليه السلام قد اتخذتهم الفراعنة عبيداً يسومونهم سوء العذاب ويجرّعونهم المار فلم يزلوا كذلك مقهورين حتى إذا رأى استعدادهم بالصبر على دينه لإفاضة رحمته عليهم أفاضها عليهم وجعل لهم من مضايق البلاء فرجاً فأبدلهم بالعزّ مكان الذلّ والأمن مكان الخوف كما امتنّ عليهم تعالى في كتابه حيث قال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ (١) الآية.

وقبل ذلك ما كان المؤمنون مع نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وغيرهما. فأما كونهم ملوكاً وحكاماً وأئمةً أعلاماً وبلوغهم الكرامة من الله لهم ما لم يذهب آماهم إليه فإن موسى عليه السلام وهارونه عليه السلام بعد هلاك فرعون ملكاً مصر واستقرّ لها

الملك والدين وكطالوت وداود بعد مجاهدتهما بجالوت وقتله، وذلك أن طالوت لما جاوز النهر هو ومن معه لقتال جالوت كان معه داود عليه السلام فرماه من مقلاعه بحجر فقتله وانكسر أصحابه فكان الملك والغلبة لطلوت وأصحابه وكان الملك بعده لداود عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(١) وكذلك لم يزل الملك والنبوة في سليمان وولده وأولادهم إلى الأعرج من ولده فطمعت الملوك في بيت المقدس لضعفه وزمنه وأنه لم يكن نبياً فسار إليه ملك الجزيرة وكان يسكن بريّة سنجار وكان بخت نصر كاتبه فأرسل الله تعالى عليه ريحاً فأهلك جيشه وأفلت هو وكاتبه فقتله ابنه فغضب له بخت نصر فاغتره حتى قتله وملك بعده وكان ذلك أول ملك بخت نصر^(٢).

الدنيا في خطبة القاصعة، قال عليه السلام في الاعتبار بالأمم:

فَاعْتَبِرُوا^(٣) بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالِ الْأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهِ الْأَمْثَالِ! تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّهِمْ، وَتَفَرُّقِهِمْ لِيَالِي كَانَتْ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْأَفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ، وَمَهَافِي الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكَوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرِ

(١) البقرة: ٢٥١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٤: ٢٩٥ - ٢٩٦ / شرح الخطبة رقم ٢٣٤.

(٣) في شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ونهج الشيخ محمد عبده: (واعتبروا).

وَوَبَرٍ، أَذَلَّ الْأُمَمَ دَارًا، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ
دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا،
فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثَرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي
بَلَاءٍ أَزَلٍ، وَأَطْبَاقٍ جَهْلٍ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ،
وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

الاعتدال: هنا التناسب؛ الاشتباه: هنا التشابه؛ يحتازونهم: يقبضونهم عن
الأراضي الخصبة؛ المَهَافِي: المواضع التي تهفو فيها الرياح أي تهب؛ النَكَدُ:
- بالتحريك - أي الشدة والعسر؛ الدَبَرُ: - بالتحريك - القُرْحَةُ في ظهر الدابة؛ الوَبَرُ:
شعر الجمال، والمراد أنهم رعاة؛ لا يَأْوُونَ: لم يكن فيهم داع إلى الحقّ فيأووا إليه
ويعتصموا بمناصرة دعوته؛ بلاء أَزَلٍ: على الإضافة والأزل: - بالفتح - الشدة؛
مَوْءُودَةٌ: من وأد بنته - كوعد - أي دفنها وهي حيّة؛ شَنَّ الغارة: صَبَّها في كلِّ
وجه^(٢).

الشرح:

قوله: «فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وإسرائيل عليهم السلام..» إلى قوله:
ضفافة: أمر لهم باعتبار أخصّ، وولد إسماعيل إشارة إلى العرب من آل قحطان

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٩٧/ ضمن الخطبة رقم ١٩٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

٣٩٧/ ضمن الخطبة رقم ١٩٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٤: ٢٨٨ - ٢٨٩/ ضمن الخطبة

رقم ٢٣٤، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٤١٢ - ٤١٣.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٥٤ - ٦٥٥.

وآل معد، ومن بني إسحاق أولاد روم بن عيص بن إسحاق، وبنو إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق.

فأما حال تشتتهم وتفرقهم واستيلاء الأكاسرة والقيصرة عليهم وفعلهم بهم ما ذكر فتفرق كلمة العرب قبل ظهور محمد ﷺ أمر ظاهر معلوم لكل من طالع كتب السير، وبسبب ذلك كانت الأكاسرة أرباباً لهم يحتازونهم ويبعدونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا إلى البادية.

وأما حال بني إسحاق وإسرائيل في ذلك فنحو ما جرى لأولاد روم بن عيص من اختلاف النسطوريه واليعقوبيه والملكاتيه حتى كان ذلك سبباً لضعفهم واستيلاء القياصرة عليهم في الروم وعلى بني إسرائيل في الشام وإزعاج بخت نصر لهم عن بيت المقدس حتى غزاهم المرة الثانية كما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾^(١) الآية. وقد كان غزاهم مرة أولى حين أحدثوا وغيروا فرغبوا إلى الله تعالى وتابوا فردّه عنهم وهي المرة الأولى التي حكى الله تعالى بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ الآية^(٢) ثم أحدثوا بعد ذلك فبعث الله إليهم أرميا فقام فيهم بوحي الله فضربوه وقيدوه وسجنوه فغضب الله عليهم فبعث إليهم عند ذلك بخت نصر فقتل منهم وصلب وأحرق وجدع وباع ذراريهم ونسائهم وسارت منهم طائفة إلى مصر ولجأوا إلى ملكها فسار إليه بخت نصر فأسره وأسر بني إسرائيل، والذين فروا منهم ارتحلوا إلى حدود المدينة كيهود خير وبني قريضة والنضير ووادي قرى وقينقاع. إذا عرفت ذلك فنقول: إنه عليه السلام أمر باعتبار

(١) الإسراء: ٧.

(٢) الإسراء: ٥.

حالمهم وتأمل أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم قبل بعثة الرسول ﷺ وفعل أعدائهم ما كانوا يفعلون كيف فرّج الله عنهم من تلك الشدائد بظهور محمد ﷺ لهم نبياً. واعلم أنّ غايته عليه السلام عن أمره باعتبار حال المؤمنين من الأمم الماضية قبلهم اقتدائهم في الصبر على المكاره ولزوم الألفة والاجتماع مع ذلك وانتظار الفرج به. وقوله: «فما أشدّ اعتدال الأحوال»: أي تساويها، وأراد أنّ أحوالكم الشبه والمساواة لأحوالهم، وكذلك ما «أقرب اشتباه الأمثال»: أي إنّ أحوالهم شديدة المماثلة لأحوالهم لأنكم أمثالهم. وهو إشارة إلى وجه علّة الاعتبار فإنهم إذا كانوا أمثالهم واعتدلت أحوالهم وتشابهت أمورهم وجب بحالهم ولذلك أتى بالفاء للتعليل. وقوله: «تأملوا أمرهم في حال تشتتهم...» إلى آخر الكلام: إشارة إلى حال شدّتهم ورخائهم لتتنقل أذهان السامعين إلى إثبات تلك الحال لأنفسهم، فالماضون أصل ذلك الاعتبار، والسامعون فرعه، وحكم الأصل أحوالهم الخيرية والشرية، وعلّة ذلك الحكم كونهم أمثالاً لهم.

وقوله: «ليالي كانت الأكاسرة والقيصرة أرباباً لهم»: أي مالكون لأموالهم يحتازونهم: أي كانت القياصرة يحتازون بني إسرائيل وبني إسحاق، والأكاسرة يحتازون بني إسرائيل ويمنعونهم من أعمال العراق فصار الجميع مطروداً للجميع عن خضرة الآفاق وجنان الشام وبحر العراق، وأراد دجلة والفرات.

وقوله: «إلى منابت الشيخ ومها في الريح»: كناية عن البرية وظاهر أنّها محلّ نكد العيش وضيقه كما وبخّهم عليه السلام بوصف معاشهم في الفصول السابقة ويختصّ الأكاسرة - وهو جمع كسرى - بملوك الفرس والقيصرة بملوك الروم وهو جمع على غير قياس. وكفى بالدبر والوبر عن الجمال وفيه إيماء إلى فقرهم وضيق معاشهم لأنّ دبر الجمال

واستعمال الوبر وأكله بالدم من لوازم الفقر وضيق الحال، وعلى الرواية الأخرى فالدبر كناية عن الفقر أيضاً، وظاهر أنهم أذل الأمم داراً لأن أهل البادية ليسوا أصحاب حصون وقلاع يعتصم بها وإن كان لبعضهم حصون فعساه يحميهم عن أمثالهم فيما يجري بينهم من الغارات، وليس ذلك ممّا يدفع عدوّاً ذا قوّة أو يحتمل حصاراً.

وقوله: «وأجد بهم قراراً»: أي مستقرّاً، إذ كانت البادية لا تقاس إلى المدن في الخصب، واستعار لفظ الجناح لما ينهض به دعوتهم ويقوى إذا دعوا، وكفى بذلك عن كونهم لا يأوون إلى من يجيب دعوتهم فيعتصمون به، وكذلك استعار لفظ الظلّ لما يستلزمه الألفة من التعاون والتعاقد والتناصر، ووجه المشابهة هو ما يستلزمه هذه الأمور من الراحة والسلامة من حرارة نار العدو والحرب كما يستلزمه الظلّ من الراحة من حرّ الشمس.

وقوله: «فالأحوال مضطربة»: شرح لحالهم يومئذٍ وكونهم على غير نظام، وكفى باختلاف أيديهم عن عدم اتفاقهم على التناصر وبتفرّق كلمتهم عن عدم ألفتهم واجتماعهم على مصالحهم، وإضافة بلاء إلى الأزل بمعنى من، وكذلك إضافة أطباق، وقد علمت أنّ للجهل صفات ودركات متراكمة بعضها فوق بعض أولاها عدم العلم بالحقّ، وفوقها الاعتقاد بغير الحقّ، وفوقها اعتقاد شبهة يقوّي ذلك ويعضده مع تجويز نقيضه، وفوقها اعتقاد تلك الشبهة جزماً.

وفي نسخة الرضي عليه السلام، وإطباق - بكسر الهمزة - على أنّه مصدر والمعنى: وجهل مطبق عليهم.

وقوله: «من بنات»: تفصيل للوازم ذلك الجهل وذكر منها أربعة أنواع: أحدها: وعد البنات، وأشار إليه القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ *

بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿١﴾ قيل كان ذلك في بني تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل، قالوا: والسبب في ذلك أن رسول الله دعا عليهم فقال: اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم، كانوا يسمونه العلهز فوءدوا البنات لإملاقهم وفقرهم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (٢).

وقال قوم: بل كان وءدهم للبنات أنفة، وذلك أن تمياً منعت النعمان الإمارة سنة من السنين فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر وجل من معه من بكر بن وائل فاستاق النعم وسبا الذراري، فوفدت بنو تميم إلى النعمان فاستعطفوه فرق لهم وأعاد عليهم السبي، وقال: كل امرأة اختارت أباه ردت إليه وإن اختارت صاحبها تركت عليه، فكلهن اخترن أباهن إلا ابنة قيس بن عاصم فإنها اختارت من سبها، فنذر قيس ابن عاصم التميمي أنه لا تولد له بنت إلا وءدها؛ ففعل ذلك، ثم اقتدى به كثير من بني تميم.

الثاني: عبادة الأصنام، وقد كان لكل قبيلة صنم يعبدونه فكان لهذيل سواع، ولبني كلب ود، ولمذحج يغوث، وكان بدومة الجندل، ولذي الكلاع نسر، ولهمدان يعوق، ولثقيف اللات والعزى، ولقريش وبني كنانة والأوس والخزرج مناة، وكان هبل على الكعبة، وإساف ونائلة كانا على الصفا والمروة، ومن نوادر جهلهم المشهورة

(١) التكوين: ٨ و ٩.

(٢) الإسراء: ٣١.

٢٥٠..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

أنّ بني حنيفة اتّخذوا في الجاهليّة صنماً من خبش^(١) فعبدوه دهرًا طويلاً، ثمّ أصابتهم
مجاعة فأكلوه فقال بعضهم في ذلك:

أكلت حنيفة ربّها زمن التقمّ والمجاعة

لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة

الثالث: قطع أرحامهم وقد كان أحدهم يقتل أباه وأخاه عند الحميّة لأدنى سبب
كما هو معلوم من حالهم.

الرابع: الغارات والحروب كيوم ذي قار، وكأَيّام حرب بكر وتغلب في بني وائل،
وكحرب داحس وغير ذلك من الأَيّام المشهورة، ومقاماتهم في الحروب والغارات
أكثر من أن تحصر وكلّ ذلك من لوازم الجهل^(٢).

الدنيا في خطبة له عليه السلام يصف فيها المتّقين:

روي أنّ صاحباً لأَمير المؤمنين عليه السلام يقال له: همّام، كان رجلاً عابداً، فقال له: يا
أَمير المؤمنين، صف لي المتّقين حتّى كأني أنظر إليهم.
فتناقل عن جوابه، ثمّ قال عليه السلام له: يا همّام اتّق الله وأحسن فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٣).

(١) خبش الشيء: جمعه من هنا وههنا، وخباشات العيش: ما يتناول من طعام أو نحوه. (لسان
العرب ٤: ١٥) مادّة: خبش.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٩٧ - ٣٠١ / شرح الخطبة رقم ٢٣٤.

(٣) النحل: ١٢٨.

فلم يقنع همّام بهذا^(١) القول حتّى عزّم عليه، قال: فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(٢) خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ
غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مَنْ
عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَاشَهُمْ،
وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ
الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْإِفْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ
التَّوَاضُّعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا
أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نَزَلَتْ^(٣) أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي
الْبَلَاءِ كَالَّتِي^(٤) نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَ^(٥)لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي (كُتِبَ
اللَّهُ لَهُمْ)^(٦) لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا
إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ.
عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ
كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا،
فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ..

(١) في نهج البلاغة للشيخ العطار: بذلك.

(٢) كلمة (تعالى): ليست في نهج البلاغة للعطار.

(٣) في نهج البلاغة للعطار: نزلت.

(٤) في نهج البلاغة للعطار: كالذي.

(٥) (الواو): ليس في نهج البلاغة للعطار.

(٦) ما بين القوسين في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: (كُتِبَ عَلَيْهِمْ).

قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَاجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ،
وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ.

صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، (تِجَارَةٌ مُرَبِّحَةٌ)^(١)،
يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ.

أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَّتْهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا، أَمَّا
الَلَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ^(٢) لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُّونَهَا^(٣)
تَرْتِيلًا، يُحْزَنُونَ^(٤) بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا
مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ
إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصَبٌ^(٥) أَعْيَنَهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا
تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ
وَشَهيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ،
مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكْفُهُمْ وَرُكْبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ،
يَطْلُبُونَ^(٦) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى^(٧) فِي فَكَاكٍ رِقَابِهِمْ....

(١) ما بين القوسين في نهج العطار: (تجارة مربحة).

(٢) في نهج البلاغة للعطار: تالون.

(٣) في نهج البلاغة للعطار: يرتلون.

(٤) في شرح نهج البلاغة لابن ميشم ومحمد عبده: يُحْزَنُونَ.

(٥) في نهج البلاغة لصبحي صالح: نُصِبَ، وفي نهج البلاغة للعطار: نُصَبَ.

(٦) في شرح نهج البلاغة لابن ميشم ونهج محمد عبده: يَطْلُبُونَ.

(٧) كلمة (تعالى): ليس في نهج العطار.

قال: فصعق همّام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:
أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ أَلْبَالِغَةً بِأَهْلِهَا؟

فقال له قائل: فما بالك أنت يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: وَيَحَاكَ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَغْدُوهُ، وَسَبَبًا
لَا يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلًا لَا تَعْدُ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى
لِسَانِكَ^(١)!

شرح الألفاظ الغريبة:

ملبسهم الاقتصاد: يلبسون الثياب بين بين لا هي بالثينة جدًّا ولا الرخيصة
جدًّا؛ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ: خَفَضُوا وَغَمَضُوا؛ نُزِلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ بِالْبَلَاءِ: أَيِ أَنْهُمْ
إِذَا كَانُوا فِي بَلَاءٍ كَانُوا بِالْأَمَلِ فِي اللَّهِ، كَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي رِضَاءٍ لَا يَجْزَعُونَ وَلَا يَهِنُونَ،
وَإِذَا كَانُوا فِي رِخَاءٍ كَانُوا فِي خَوْفِ اللَّهِ وَحَذَرِ النِّقْمَةِ، كَأَنَّهُمْ فِي بَلَاءٍ لَا يَبْطَرُونَ
وَلَا يَنْجَبِرُونَ؛ أَرْبَحَتِ التِّجَارَةُ: أَفَادَتْ رِبْحًا؛ التَّرْتِيلُ: التَّبْيِينُ وَالْإِيضَاحُ؛ اسْتِثَارُ
السَّاكِنِ: هَيْجُهُ، وَقَارِئُ الْقُرْآنِ يَسْتِثِيرُ بِهِ الْفِكْرَ الْمَاحِي لِلْجَهْلِ؛ زَفِيرُ النَّارِ:
صَوْتُ تَوَقُّدِهَا؛ شَهيقُ النَّارِ: الشَّدِيدُ مِنْ زَفِيرِهَا كَأَنَّهُ تَرَدَّدُ الْبُكَاءِ؛ حَانُونٌ عَلَى
أَوْسَاطِهِمْ: مَنْ حَنَيْتَ الْعُودَ، عَطَفْتَهُ، يَصِفُ هَيْئَةَ رُكُوعِهِمْ وَانْحِنَائِهِمْ فِي الصَّلَاةِ؛

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٠٣-٣٠٦ / خطبة رقم ١٩٣، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٤٠٥ -
٤١٠ / خطبة رقم ١٩٣، شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٤٠٩-٤١٣ / خطبة رقم ١٨٤، ونهج
البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٤١٩ - ٤٢٥.

مفترشون لجباههم: باسطون لها على الأرض؛ فكاك الرقاب: خلاصها^(١)!

الشرح:

من هاهنا اختلفت نسخ النهج فكثير منها تكون هذه الخطبة فيها أوّل المجلد الثاني منه بعد الخطبة المسماة بالقاصعة، ويكون عقيب كلامه للبرج بن مسهر الطائي قوله: ومن خطبة له عليه السلام: الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد؛ وكثير من النسخ تكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه عليه السلام للبرج بن مسهر ويتأخر تلك الخطبة فيكون بعد قوله: ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتصل ذلك إلى تمام الخطبة المسماة بالقاصعة، ثم يليه قوله: باب المختار من كتب أمير المؤمنين ورسائله، وعليه جماعة الشارحين كالإمام قطب الدين أبي الحسن الكيدري والفاضل عبد الحميد بن أبي الحديد، ووافقتهم هذا الترتيب لغلبة الظنّ باعتمادهم على النسخ الصحيحة.

فأمّا همّام هذا فهو همّام بن شريح بن يزيد بن مرّة بن عمرو بن جابر بن عوف الأصهب وكان من شيعة علي عليه السلام، وأوليائه ناسكاً عابداً؛ وتثاقله عليه السلام عن جوابه لما رأى من استعداد نفسه لأثر المواعظة، وخوفه عليه أن يخرج به خوف الله إلى انزعاج نفسه وصعوقها، فأمره بتقوى الله: أي في نفسه أن يصيبها فادح بسبب سؤاله، وأحسن: أي أحسن إليها بترك تكليفها فوق طوقها، ولذلك قال عليه السلام حين صعق همّام: أما والله لقد كنت أخافها عليه، فحيث لم يقنع همّام إلا بما سأل، وعزم عليه بذلك: أي ألح عليه في السؤال وأقسم، أجابه.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٥٥ - ٦٥٦.

فإن قلت: كيف جاز منه عليه السلام أن يجيبه مع غلبة ظنه بهلاكه وهو كالطبيب إنما يعطي كلاً من المرضى بحسب احتمال طبيعته من الدواء؟
قلت: إنه لم يكن يغلب على ظنه عليه السلام إلا الصعقة عن الوجد الشديد فأما أن تلك الصعقة فيها موته فلم يكن مظنوناً له، وإنما قَدَّم بيان كونه تعالى غنياً عن الخلق في طاعتهم وآمناً منهم في معصيتهم لأنه لما كانت أوامره تعالى بأسرها أو أكثرها يعود إلى الأمر بتقواه وطاعته وكان أشرف ما يتقرب إليه البشر بالتقوى؛ وهو في معرض صفة المتقين، فربما خطر ببعض أوهام الجاهلين أن لله تعالى في تقواه وطاعته منفعة، وله بمعصيته مضرة فصدّره الخطبة بتنزيهه تعالى عن الانتفاع والتضرر، وقد مرّ برهان ذلك غير مرّة.

وقوله: «فَقَسَمَ ...» إلى قوله: «مواضعهم»:

تقرير وتأکید لکمال غناه عنهم لأنه إذا كان وجوده هو مبدء خلقهم وقسمة معاشهم ووضعهم من الدنيا في مراتبهم ومنازلهم من غني وفقير وشريف ووضيع فهو الغني المطلق عنهم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾^(١) ثم أخذ في غرض الخطبة، وهو وصف المتقين فوصفهم بالوصف المجمل، فقال: فالمتقون فيها أهل الفضائل: أي الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة بإصلاح قوّتي العلم والعمل، ثم شرع في تفصيل تلك الفضائل ونسقتها:

فالأولى: الصواب في القول وهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان، وحاصله أن لا يسكت عما ينبغي أن يقال فيكون مفراطاً، ولا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون

(١) الزخرف: ٣٢.

مفّرطاً بل يضع كلاً من الكلام في موضعه اللائق به، وهو أخصّ من الصدق لجواز أن يصدق الإنسان فيما لا ينبغي من القول.

الثانية: وملبسهم الاقتصاد، وهو فضيلة العدل في الملبوس فلا يلبس ما يلحقه بدرجة المترفين، ولا ما يلحقه بأهل الخسّة والدناءة ممّا يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا.

الثالثة: مشي التواضع، والتواضع ملكة تحت العفة تعود إلى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر، ومشى التواضع مستلزم للسكون والوقار عن التواضع أنفسهم.

الرابعة: غضّ الأبصار عمّا حرّم الله، وهو ثمرة العفة.

الخامسة: وقوفهم أسماعهم على سماع العلم النافع، وهو فضيلة العدل في قوّة السمع، والعلوم النافعة ما هو كمال القوّة النظرية من العلم الإلهي وما يناسبه، وما هو كمال للقوّة العملية وهي الحكمة العملية كما سبق بيانها.

السادسة: نزول أنفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء: أي لا يقنط من بلاء ينزل بها ولا يبطر برخاء يصيبها بل مقامها في الحالين مقام الشكر، والذي صفة مصدر محذوف، والضمير العائد إليه محذوف أيضاً، والتقدير نزلت كالنزول الذي نزلته في الرخاء، ويحتمل أن يكون المراد بالذي الذين محذوف النون كما في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾^(١) ويكون المقصود تشبيههم حال نزول أنفسهم منهم في البلاء بالذين نزلت أنفسهم منهم في الرخاء، والمعنى واحد.

السابعة: غلبة الشوق إلى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم إلى غاية أن أرواحهم لا تستقرّ في أجسادهم من ذلك لولا الآجال التي كتبت لهم، وهذا

(١) التوبة: ٦٩.

الشوق والخوف إذا بلغ إلى حدّ الملكة فإنّه يستلزم دوام الجدّ في العمل والإعراض عن الدنيا، ومبدءهما تصوّر عظمة الخالق، وبقدر ذلك يكون تصوّر عظمة وعده ووعيده، وبحسب قوّة ذلك التصرّو يكون قوّة الخوف والرجاء، وهما بابان عظيمان للجنّة.

الثامنة: عظم الخالق في أنفسهم، وذلك بحسب الجواذب الإلهيّة إلى الاستغراق في معرفته ومحبّته، وبحسب تفاوت ذلك الاستغراق يكون تفاوت تصوّر العظمة، وبحسب تصوّر عظمته تعالى يكون تصوّرهم لأصغريّة مادونه ونسبته إليه في أعين بصائرهم.

وقوله: «فهم والجنّة كمن رآها...» إلى قوله: «معدّبون»: إشارة إلى أنّ العارف وإن كان في الدنيا مجسده فهو في مشاهدته بعين بصيرته لأحوال الجنّة وسعاداتها وأحوال النار وشقاوتها كالذين شاهدوا الجنّة بعين حسّهم وتنعموا فيها، وكالذين شاهدوا النار وعدّبوا فيها، وهي مرتبة عين اليقين. فحسب هذه المرتبة كانت شدّة شوقهم إلى الجنّة وشدّة خوفهم من النار.

التاسعة: حزن قلوبهم، وذلك ثمره خوف الغالب.

العاشرة: كونهم مأموني الشرّ، وذلك أنّ مبدء الشرور محبّة الدنيا وأباطيلها والعارفون بمعزل عن ذلك.

الحادية عشر: نحافة أجسادهم، ومبدء ذلك كثرة الصيام والسهر وجشوبة المطعم وخشونة الملابس وهجر الملاذّ الدنيويّة.

الثانية عشر: خفّة حاجتهم، وذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على القدر الضروريّ من ملابس ومأكّل، ولا أخفّ من هذه الحاجة.

الثالثة عشر: عَقَّةُ أنفسهم، وملكة العَقَّة فضيلة القوَّة الشهويَّة، وهي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور.

الرابعة عشر: الصبر على المكاره أَيْام حياتهم من ترك الملاذِّ الدنيويَّة، واحتمال أذى الخلق، وقد عرفت أنَّ الصبر مقاومة النفس الأُمارة بالسوء لئلاَّ ينقاد إلى قبائح اللذات، وإِنما ذكر قصر مدَّة الصبر واستعقابه للراحة الطويلة ترغيباً فيه، وتلك الراحة بالسعادة في الجنَّة كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾^(١) الآية.

وقوله: «تجارة مربحة»: استعار لفظ التجارة لأعمالهم الصالحة وامتنثال أوامر الله، ووجه المشابهة كونهم متعوِّضين بمتاع الدنيا وبحركاتهم في العبادة متاع الآخرة، ورشَّح بلفظ الربح لأفضليَّة متاع الآخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه، وظاهر أنَّ ذلك بتيسير الله لأسبابه وإعدادهم له بالجوانب الإلهيَّة.

الخامسة عشر: عدم إرادتهم للدنيا مع إرادتها لهم، وهو إشارة إلى الزهد الحقيقي، وهو ملكة تحت العَقَّة، وكَتَّى بإرادتها عن كونهم أهلاً لأن يكونوا فيها رؤساءً وأشرافاً كقضاة ووزراء ونحو ذلك، وكونها بمعرض أن تصل إليهم لو أرادوها، ويحتمل أن يريد أرادهم أهل الدنيا فحذف المضاف.

السادسة عشر: افتداء من أسرته لنفسه منها، وهو إشارة إلى من تركها وزهد فيها بعد الانهالك فيها والاستمتاع بها ففكَّ بذلك الترك والإعراض والتمرّن على طاعة الله أغلال الهيئات الرديئة المكتسبة منها من عنقه، ولفظ الأسر استعارة في تمكّن تلك الهيئات من نفوسهم، ولفظ الفدية استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالإعراض

(١) الإنسان: ١٢.

عنها والمواظبة على طاعة الله، وإنما عطف بالواو في قوله: «ولم يريدوها»، وبالفاء في قوله: «فقدوا» لأنّ زهد الإنسان في الدنيا كما يكون متأخراً عن إقبالها عليه كذلك قد يكون متقدماً عليه لقوله عليه السلام: «ومن جعل الآخرة أكبر همّه جمع الله عليه همّه وأتته الدنيا وهي راغمة»^(١)، فلم يحسن العطف هنا بالفاء، وأمّا الفدية فلما لم يكن إلاّ بعد الأسر لا جرم عطفها بالفاء.

السابعة عشر: كونهم صاقين أقدامهم بالليل يتلون القرآن ويرتلونه... إلى قوله: «آذانهم»: وذلك إشارة إلى تطويع نفوسهم الأتارة بالسوء بالعبادات، وشرح لكيفية استشارتهم للقرآن العزيز في تلاوته وغاية ترتيبهم له بفهم مقاصده وتخزينهم لأنفسهم به عند ذكر الوعيدات من جملة استشارتهم لإدواء دائهم، ولما كان داؤهم هو الجهل وسائر رذائل العمليّة كان داء الجهل بالعلم، ودواء كلّ رذيلة الحصول على الفضيلة المضادة.

فهم بتلاوة القرآن يستشيرون بالتحزين الخوف من وعيد الله المضادّ للانهمك في الدنيا، ودوائه العلم الذي هو دواء الجهل، وكذلك كلّ فضيلة حثّ القرآن عليها فهي دواء لما يضادّها من الرذائل، وباقي الكلام شرح لكيفية التحزين والتشويق.

وقوله: «فهم حانون على أوساطهم»: ذكر لكيفية ركوعهم.

وقوله: «مفترشون لجباههم...» إلى قوله: «أقدامهم»: إشارة إلى كيفية سجودهم، وذكر الأعضاء السبعة.

وقوله: «يطلبون...» إلى قوله: «رقابهم»: إشارة إلى غايتهم من عبادتهم تلك. وبالجملة فهذه الخطبة من جليل وبليغ وصفه ولذلك فعلت بهمّام ما فعلت، فأما

(١) ميزان الحكمة ١: ٣٥.

جوابه عليه السلام لمن سأله بقوله: ويحك إن لكل أجل وقتاً لا يعدوه: أي ينتهي إليه ويكون غاية له لا يتجاوزها ولا يتأخر عنها، الضمير في يعدوه للأجل، وسبباً لا يتجاوزها: أي ولذلك الأجل سبب: أي علّة فاعلة لا يتعدّها إلى غيرها من الأسباب، فمنها ما يكون موعظة بالغة كهذه، فهو جواب مقنع للسامع مع أنّه حقّ وصدق، وهو إشارة إلى السبب الأبعد لبقائه عليه السلام عند سماع المواعظ البالغة وهو الأجل المحكوم به للقضاء الإلهي، وأمّا السبب القريب للفرق بينه وبين همّام ونحوه فقوّة نفسه القدسيّة على قبول الواردات الإلهيّة وتعوّده بها وبلوغ رياضته حدّ السكينة عند ورود أكثرها وضعف نفس همّام عبّاً ورد عليه من خوف الله ورجائه.

ولم يجب عليه السلام بمثل هذا الجواب لاستلزامه تفضيل نفسه، أو لقصور فهم السائل، ونهيه له عن مثل هذا السؤال والتنفير عن كونه من نفاتات الشيطان لوضعه في غير موضعه وهو من آثار الشيطان. وبالله العصمة والتوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام يعظ فيها بالزهد:

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ
شُخُوصٍ، وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ،
تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيِّدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا^(٢) أَلْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ
الْبَحَارِ، فَمِنْهُمْ الْغَرِقُ الْوَبِقُ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ^(٣)

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ٤١٣ - ٤٢٥ / شرح الخطبة رقم ١٨٤.

(٢) في نهج البلاغة للعطار: تُصَفِّفُهَا.

(٣) في نهج البلاغة للعطار: بتون.

الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ الرِّيحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا
غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ!
عِبَادَ اللَّهِ الْآنَ فَاَعْمَلُوا^(١)، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالْأَبْدَانُ
صَحِيحَةٌ، وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ، وَالْمَجَالُ
عَرِيضٌ، قَبْلَ إِزْهَاقِ الْفُوتِ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ
نُزُولَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

الشخوص: الذهاب والانتقال إلى بعيد؛ بائن: مبتعد منفصل؛ تميد: تضطرب
اضطراب السفينة؛ تقصفها: تكسرها الرياح الشديدة؛ الوبق: - بكسر الباء - الهالك،
أي منهم من هلك عند تكسر السفينة، ومنهم من بقيت فيه الحياة فنجوا؛ تحفزه: أي
تدفعه؛ اللدن: - بالفتح - اللين؛ المنقلب: - بفتح اللام - مكان الانقلاب من الضلال
إلى الهدى في هذه الحياة^(٣).

الشرح:

عقب عليه السلام بالوصية بتقوى الله، ثم بالتحذير من الدنيا، وقرنها بذكر عيوبها للتنفير
عنها.

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح ونهج محمد عبده: فاعلموا.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣١٠ - ٣١١ / خطبة رقم ١٩٦، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

٤١٥ / خطبة رقم ١٩٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٣: ٤٣٧ / خطبة رقم ١٨٧، ونهج

البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٤٣٠ - ٤٣١.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٥٨ - ٦٥٩.

وكونها «دار شخوص»: إشارة إلى ضرورة الارتحال عنها بالموت.
«ومحلّة تنغيص»: أي تنغيص لذاتها بالآلام والأمراض حتّى قيل: إنّ اللذّة فيها
إنّما هي الخلاص عن الألم.

وقوله: «ساكنها طاعن وقاطنها بائن»: كالتفسير لقوله: دار شخوص.
وقوله: «تقيد بأهلها...» إلى قوله: «إلى مهلك»: ضربة لها ولأحوال أهلها فيها،
فثّلها بالسفينة عند عصف الريح، ومثّل تصرّفاتا وتغيّراتها بميدان السفينة، ورميهم
فيها بالأمراض والحوادث التي هي مظنة الهلاك بالأحوال التي يلحق أهل السفينة
عند هبوب الريح العاصف حال كونها في لجج البحار، ومثّل انقسامهم عند بعض تلك
الحوادث ونزولها بهم إلى ميّت لا يرجى له عودة وإلى مستدرك متفارط بانقسام
ركّاب السفينة عند عصف الريح عليها إلى غريق هالك وإلى ناج، ومثّل الناجي من
بعض الأمراض الذي تأخّر موته إلى مرض آخر فلاقى من أهوال الدنيا في تلك المدة
ما لاقى ثمّ لحقه الموت بالآخرة بالناجي من الغرق الذي تحمله الأمواج وتدفعه
الرياح ويقاسي أهوال البحر وشدائده، ثمّ بعد خلاصه منه لا بدّ له من وقت هو أجله
ومرض هو المهلك: أي محلّ هلاكه.

ثمّ أمر بالعمل وذكر الأحوال التي يمكن فيها ومعها العمل تنبيهاً على انتهاز
الفرصة، وتلك الأحوال صحّة الألسن وإمكان ذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر وسائر التكاليف المتعلّقة بها، وكذلك صحّة الأبدان ولدنة الأعضاء ومطاوعتها
للعمل قبل يبسها بالسقم والأمراض، وفسح المنقلب وهو محلّ التصرّف والتقلّب،
وكثي به عن وقت الصحّة والشبيبة، ويقرب منه عرض المجال، وذكر إرهاق الأجل
وحلول الموت تحذيراً منه وجذباً إلى العمل لما بعده.

ثمّ أمرهم أن يتحقّقوا نزوله قبل نزوله: أي يتذكّروه ويخطر ببالهم أنّه حقّ

ويقدرّوا أنّه واقع ليكون آكد في العمل، ولذلك قال ﷺ: أكثرُوا من ذكر هادم اللذات^(١). ونهاهم عن انتظار قدومه لاستلزام انتظارهم له توهمهم لبُعده عنهم، وذلك يوقعهم في التكاسل عن العمل، وبالله التوفيق^(٢).

الدنيا في خطبة له عليه السلام ينبّه على إحاطة علم الله بالجزئيات...، ومنها يذكر فيها الرسول الأعظم ﷺ:

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(٣) بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْأَنْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْأَطْلَاعُ، وَأَظْلَمَتْ بِهَجَّتِهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ، وَخَشِنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي أَنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَأَقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَنْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَأَنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكْشُفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِمُتِّهِ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ^(٤).

(١) وسائل الشيعة ٢: ٤٣٦/٣٥٧٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٤٣٨ - ٤٣٩ / شرح الخطبة رقم ١٨٧.

(٣) كلمة (سبحانه) ليست في شرح نهج البلاغة لابن ميثم ونهج البلاغة لمحمد عبده.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣١٤ - ٣١٥ / ضمن الخطبة رقم ١٩٨، ونهج البلاغة للشيخ

شرح الألفاظ الغريبة :

الاطّلاع: الإتيان، اطّلع فلان علينا، أي أتانا؛ خشونة المهاد: كناية عن شدة آلام الدنيا؛ أرف: - كفرح - أي قرب، والمراد من القيادة انقيادها للزوال؛ الأشرط: - جمع شرط كسبب - أي علامات انقضائها؛ التصرّم: التقطّع؛ الانفصام: الانقطاع، وإذا انفصمت الحلقة انقطعت الرابطة؛ انتشار الأسباب: تبدّدها حتّى لا تُضبط؛ عفاء الأعلام: اندراسها^(١).

الشرح :

... لما بين فضيلة [محمد ﷺ] أمر بتعظيمه وأتباعه وأداء حقّه وهو العمل به مع اعتقاد شرفه وكونه مؤدياً إلى الجنّة، ثمّ بوضعه مواضعه وهي القلوب لا الألسن والشعار الظاهر فقط.

ثمّ لما فرغ من ذلك شرع في فضائل من بعث به ليذكّرهم نعمة من الله بعد نعمة، وقرن ذكره بذكر أحوال الدنيا حين البعثة ليظهر شرفها:

(أ) كونها قد «دنا انقطاعها وإقبال الآخرة وإطّلاعها»، وقد بيّنا ذلك في قوله: «ألا وإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع»، وعلى الجملة فيحتمل أن يريد قرب انقطاع الدنيا وزوالها بالكلّيّة وحضور الآخرة والقيامة الكبرى كما عليه ظاهر الشريعة ويحتمل أن يريد قرب انقطاع دنيا كلّ أمة منهم وحضور آخرتهم بموتهم وانقراضهم؛ ولفظ الاطّلاع استعارة كما سبق.

➤ العطار: ٤٢٠/ ضمن الخطبة رقم ١٩٦، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٤٤٥/ ضمن

خطبة رقم ١٨٩، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٤٣٧.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٦٠.

(ب) كونها قد «أظلمت بهجتها بعد إشراق»، وأراد إشراق بهجتها بأنوار الأنبياء السابقين وضيء الشرائع، وإظلامها حين بعثة الرسول ﷺ باندراس تلك الآثار وفسادها.

(ج) «قيامها بأهلها على ساق»، كناية عن ظهوره شداؤها وإثارة الفتن بين أهلها وما كانت العرب عليه من الخبط والاختلاف في الحروب والغارات المؤدية إلى الفناء.

(د) «خشونة المهاد منها»، وكُنِيَ به عن عدم الاستقرار بها وطيب العيش فإن ذلك إنما يتم ويعتدل بنظام الشرائع والنواميس الإلهية.

(هـ) «وأزف منها قياد»: أي قرب منها انقياد للانقطاع والزوال والانحراط في سلك التقضي واقترب علامات ذلك منها، وعلامات زوالها هي علامات الساعة وأشراتها، وكذلك تصرّم أهلها وانفصام حلقتها، وكُنِيَ بالحلقة عن نظامها واجتماع أهلها بالنواميس والشرائع وبانفصامها عن فساد ذلك النظام بانتشار سببها عن فساد أسباب ذلك النظام؛ فإن أسباب التصرف النافع فيها إنما يتم بالنواميس الشرعية وقوانينها، واستعار لفظ أعلامها للعلماء والصلحاء بها وكان عليهم العفاء حينئذٍ، وكذلك بعوراتها عن وجوه الفساد فيها، وبتكشّفها عن ظهورها بعد اختفاء، وذلك القصر من طولها فإن الدنيا إنما يكون طولها ودوامها عند صلاحها بالشرائع فإذا قصرها يكون عند فسادها وعدم النظام الشرعي.

ثم رجع إلى تعديد فوائد بعثة الرسول ﷺ:

(أ) إن الله تعالى جعله بلاغاً لرسالته وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ (١) الآية.

- (ب) وكرامة لأُمَّته لكونه داعياً لهم إلى الكرامة الباقية التامة وسبب للكرامة .
- (ج) وربيعاً لأهل زمانه، واستعار لفظ الربيع له، ووجه المشابهة كونه بهجة للمسلمين وعلمائهم وسبباً لبطنتهم من العلم والحكمة كما أنَّ الربيع سبب لهجة الحيوان بمراعيها وبطنتهم وسمنهم .
- (د) ورفعة لأعوانه: أي لأعوان الله وأنصاره وهم المسلمون وظاهر كونه ﷺ سبب رفعتهم وشرفهم^(١) .

الدنيا في خطبة له عليه السلام كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه:

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا أَلْعَادِلَةَ غَيْرَ أَلْجَائِرَةِ،
وَأَلْمُضْلِحَةَ غَيْرَ أَلْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا^(٢) فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ
لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِطْأَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا
نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ^(٣) الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ
جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَ أَلْمُغْنِيِّ عَنْ
نُصْرِهِ وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ^(٤) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ٤٥٦ - ٤٥٨ / شرح الخطبة رقم ١٨٩ .

(٢) ما بين القوسين في نهج البلاغة للعطار: والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة .

(٣) في شرح نهج ابن ميثم، ونهج محمد عبده: بأَكْبَر، وفي هامشه «أكبر الشاهدين: هو النبي ﷺ أو القرآن» .

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٢٩ / خطبة رقم ٢١٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٤٣٨ /

شرح الألفاظ الغريبة:

النكوص: الرجوع على الأعقاب^(١).

الشرح:

هذا الفصل من الخطبة كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام، قال بعد تقاعد أكثرهم عن نصرته، استشهد فيه الله تعالى وملائكته وعباده على من سمع مقالته العادلة المستقيمة التي هي طريق الله القائدة للناس إلى الرشاد في دينهم ودنياهم المصلحة غير المفسدة لهم وهي دعوته إياهم إلى جهاد أعداء الدين والبغاة عليه.

ثم أعرض عنها وقعد عن نصرته وتباطئ عن إعزاز دينه وأبى إلا التأخر عن طاعته، وفي ذلك الاستشهاد ترغيب إلى الجهاد وتنفير عن التأخر عنه، إذ كان كأنه إعلام لله بحال المتخاذلين عن نصرته دينه وقعودهم عما أمرهم به من الذب عنه فتتحرك أوهامهم لذلك بالفرع إلى طاعته، وكذلك في وصفه لمقاتله بالعدل والإصلاح ترغيب في سماعها وجذب إليها.

وفي قوله: «ثم أنت بعد»: أي بعد تلك الشهادة عليه المغني لنا عن نصرته تنبيه على عظمة ملك الله، وتحقير للنفوس المتخاذلة عن نصرته الدين، وفي ذلك الأخذ بالذنب تذكير بوعيد الله وأن في ذلك التخاذل ذنب عظيم يؤخذ به العبد. وبالله التوفيق^(٢).

➤ خطبة رقم ٢١٢، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٧/خطبة رقم ٢٠٣، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٤٥٤ - ٤٥٥.

(١) شرح الألفاظ الغريبة، في شرح النهج لابن ميثم ٤: ٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٧ - ٢٨/شرح الخطبة رقم ٢٠٣.

الدنيا في خطبة له عليه السلام في التنفير من الدنيا:

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَخْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نَزَالُهَا.

أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مَتَصَرِّفَةٌ، أَلْعِيشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا^(١) مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتَقْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا، وَأَعْمَرَ دِيَارًا، وَأَبْعَدَ آثَارًا، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَا حُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بِالْيَتَةِ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً، فَاسْتَبَدُّوا بِالْقُصُورِ الْمُسَيَّدَةِ، وَالتَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمُسَنَّدَةِ^(٢)، وَالْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ الْمُلْحَدَةِ الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فَنَاقُهَا، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوَحِّشِينَ وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ وَدُثُوِّ الدَّارِ، وَكَيْفَ

(١) في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده: فيها.

(٢) في شرح نهج البلاغة لابن ميثم: المُسَنَّدَةُ.

يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكُلِّكَلِهِ الْبَلَى، وَأَكَلَتْهُمْ
الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى؟!

وَكَأَنَّ قَدْ صَرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَأَرْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ،
وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ،
وَبُعْثَرَتِ الْقُبُورُ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى
اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١). (٢)

شرح الألفاظ الغريبة:

النُّزَالُ: - بضم وتشديد الزاي - جمع نازل؛ متصرفة: متنقلة متحوّلة؛ مُسْتَهْدِفَةٌ: -
بكسر الدال - منتصبه مهَيَّأَةٌ للرمي؛ الحِمَامُ: - بالكسر - الموت؛ بعد الآثار: طول
بقائها بعد ذوبها؛ راكدة: ساكنة، وركود الريح كناية عن انقطاع العمل وبطلان
الحركة؛ آثارهم عافية: أي مندرسة؛ الفمّارِقُ: - جمع غرقة - تطلق على الوسادة
الصغيرة وعلى الطنفسة أي البساط ولعلّه المراد هنا؛ الممهّدة: المفروشة؛ لطأ
بالأرض: - كمنع وفرح - لصق؛ الملحّدة: - من ألحد القبر - جعل له لحداً أي شقاً في
وسطه أو جانبه؛ فناء الدار: - بالكسر - ساحتها وما اتسع أمامها؛ الكلّكل: هو
صدر البعير؛ البلى: - بكسر الباء - أي الفناء؛ الجنادل: الحجارة؛ الثرى: التراب؛
ارتهنكم ذلك المضجع: أي لقرب آجالكم كأنكم قد صرتم إلى مصيرهم وحبستم في

(١) يونس: ٣٠.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٤٨ - ٣٤٩/خطبة رقم ٢٢٦، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٤٦٣ -
٤٦٤/خطبة رقم ٢٢٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٤: ٨٩ - ٩١/خطبة رقم ٢١٧، ونهج
البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٤٨١ - ٤٨٣.

ذلك المضجع كما يحبس الرهن في يد المرتهن؛ تنهى به الأمر: وصل إلى غايته والمراد انتهاء مدة البرزخ؛ بعثت القبور: قلبت ثراها وأخرج موتاه^(١).

الشرح:

غرض الفصل التحذير من الدنيا والاشتغال بها عن الله، والتنفير عن ذلك بذكر معايها، والجذب به إلى استعمالها على الوجه المطلوب الذي لأجله وجدت. فقوله: «دار»: خبر مبتدأ محذوف هو الدنيا، وذكر من معايها عدة: أحدها: كونها مقرونة بالبلاء ملازماً لها، فكأن عن ذلك بالحفوف الذي هو الإحاطة من الجوانب لأنه أبلغ.

الثاني: كونها معروفة بالغدر، واستعار لفظ الغدر لغيرهما عما يتوهم الإنسان دوامها عليه في حقه من أحوالها المعجبة له: كالمال والصحة والشباب فكأنه في مدة بقاء تلك الأحوال عليه قد أخذ منها عهداً فكان التغيير المعارض لها المستلزم لزوال تلك الأحوال عنه أشبه شيء بالغدر، ولما كان كثر منها ذلك صارت معروفة به.

وثالثها: كونها لا تدوم أحوالها.

ورابعها: لا تسلم نزالها من آفاتهما.

وخامسها: اختلاف أحوالها، وأحوال خبر مبتدأ محذوف تقديره: أحوالها أحوال

كذلك.

وسادسها: تصرف تاراتها، وهو تغير أحوالها تارة بعد أخرى.

وسابعها: كون العيش فيها مذموماً، ولما كان العيش فيها كناية عن الالتذاذ بها

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٧٠ - ٦٧١.

والتنعم فيها واستلزم ذلك العاقبة المهلكة لاجرم لزم الذم، ولأنه مشوب بتكدير الأمراض والأعراض فلا يزال مذموماً في الألسنة حتى في لسان صاحبه والمستريح إليه عند معاناته بعض مراتب الكدر.

وثامنها: عدم الأمان فيها: أي من مخاوفها، وما يلزم تصرفاتها من البلاء وكل ذلك من ضرورتها واختلاف استعدادات القوالب فيها عن حركات الأفلاك وكواكبها، وكون المبادئ المفارقة مفيضة على كل قابل منها ما استعد له.

وتاسعها: كون أهلها فيها أغراضاً مستهدفة، واستعار لفظ الأغراض، ورشح بذكر الاستهداف، كذلك استعار لفظ الرمي لانتفاع المصائب بهم ورشح بذكر السهام. وعاشرها: كونها معهم على سبيل من قد مضى من القرون الخالية ممن كان أطول أعماراً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً: أي كانت آثارهم لا يقدر عليها ولا تنال لعظمها، وكونها معهم على ذلك السبيل إشارة إلى إقبالها لهم كإفناء أولئك وإحاقهم بأحوالهم. وقوله: «أصبحت أصواتهم...» إلى قوله: «والثرى»: تفصيل لأحوال أولئك ووعيد للسامعين بلحوقها لهم، إذ كان سبيل الدنيا مع الجمع واحداً، وركود رياحهم كناية عن سكون أحوالهم وخمول ذكرهم بعد العظمة في الصدور.

وقوله: «قد بنى بالخراب فناؤها»: أي على خراب ما كان معموراً من الأبدان والمساكن، وظاهر أن القبور أُسست على ذلك وبنيت عليه، وراعى في قوله: فناؤها وبنائها ومغترب ومقترب السجع المتوازي مع المطابقة في القرينتين الآخرين، وأراد أن ساكنها وإن اقترب محلّه فهو غريب عن أهله، وتبّه بقوله: موحشين ومتشاغلين وكونهم لا يستأنسون بالأوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على أن أحوالهم من تجاوزهم وفراغهم ليس كأحوال الدنيا المألوفة لهم ليخوف بها وينفر عنها.

ثم أشار إلى عدم علة المزورة، واستعار لفظ الطحن لإفساد البلى لأجسادهم ورشح بلفظ الكلكل، وكذلك استعار لفظ الأكل لإفنائها.

وقوله: «وكان قد صرتم...» إلى قوله: «المستودع»: فكأن المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والتقدير فيشبه أنكم قد صرتم إلى مصيرهم وأحوالهم ويقرب من ذلك لأنّ مشابهة الأحوال يستلزم قرب بعضها من بعض.

«وارتبهنكم ذلك المضجع»: أي صار لكم دار إقامة واتخذكم سكّانه المقيمين به، وأطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيامة.

وقوله: «فكيف بكم...» إلى قوله: «القبور»: سؤال لهم عن كيفية حالهم عند تناهي أمورهم وأحوالهم في يوم البعث سؤالاً على سبيل التذكير بتلك الأحوال والتخويف بتلك الأحوال ليدركوا شدتها فيفزعوا إلى العمل، وذكر منها أمراً واحداً وهو اطلاع النفوس على ما قدمت وأسلفت في الدنيا من خير وشرّ والردّ إلى المولى الحقّ الذي ضلّ مع الرجوع إليه كلّ ما كان يفترى من دعوى حقيقة سائر الأباطيل المعبودة، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في مقاصد أخرى، منها: في فضل الجدّ:

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَالتَّاهُّبِ وَالْإِسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي
مَنْزِلِ الزَّادِ، وَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ^(٢) الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٩١ - ٩٣ / شرح الخطبة رقم ٢١٧.

(٢) كلمة (الحياة): ليست في نهج البلاغة للخطار.

قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ أَحْتَلَبُوا
دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جَدَّتَهَا،
أَصْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ أَجْدَاءً، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ
أَتَاهُمْ، وَلَا يَخْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ،
فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ^(١)، غَرَارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ،
مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا يَدُومُ رَحَاؤُهَا، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ
بِلَاؤُهَا^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

الدَّرَّة: - بالكسر - اللين؛ الغَرَّة: - بالكسر - الغفلة؛ اخلفوا جدتها: جعلوا
جديدها قديماً خلقاً؛ الأجداث: القبور؛ يَخْفِلُونَ: يبالون؛ مُلْبِسَةٌ نَزُوع: ما ألبست إلا
نزعت لباسها عمن ألبسته؛ يَرْكُدُ: يسكن^(٣).

الشرح:

أردف ذكر الموت ولوازمه بالحث على العمل والجد فيه والتأهب والاستعداد
لنزول الموت وما بعده والتزود: أي بالتقوى في منزل الزاد وهو الدنيا لأنها المنزل
الذي لا يمكن تحصيل الزاد إلى الآخرة إلا فيه، ولذلك أضافه إليه، ثم بالنهي عن

(١) كلمة (غدارة): ليست في نهج البلاغة للعطار.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٥٢/ ضمن الخطبة رقم ٢٣٠، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٤٦٨

- ٤٦٩/ ضمن الخطبة رقم ٢٢٩، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٤: ١٠٠ - ١٠١/ ضمن خطبة

رقم ٢٢١، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٤٨٧ - ٤٨٨.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٧٢.

الانخداع لغرور الدنيا كانخداع السابقين والقرون الماضية، واستعار لفظ الدرّة لمنافع الدنيا وخيراتها، ولفظ الاحتلاب لجمعها واقتنائها: أي الذين فازوا بخيراتها وحصلوا عليها، ولذلك استعار لفظ الغرّة لعدم وصول حوادثها إليهم في مدّة استمتاعهم بها فكأنّها غافلة عنهم لا ترميهم بشيء من المصائب فلما وجدوا ذلك منها أخذوا ما أخذوا وحصلوا على ما حصلوا.

وإنّما هم لما تعدّد فيها من مأكول وملبوس وغيرهما ممّا يستمتع به فيغني، وكذلك إخلافهم لجذتها كناية عن استمتاعهم بما أخذوا منها من صحّة ومال وغيرهما إلى انقضائه وانتهاء مدّته حتّى كأنّهم لم يبقوا من محاسنها شيئاً إلّا أخلقوه.

ولمّا وصف حالهم فيها بما وصف أردف ذلك بذكر غايتهم منها وهي الأحوال المذكورة بقوله: «أصبحت مساكنهم أجدثاً...» إلى قوله: «دعاهم».

وخلاصة الكلام أنّكم لا تغتروا بالدنيا كما اغترّ بها من كان قبلكم فإنّ أولئك مع أنّهم كانوا قد صادفوا غرّتها وحصلوا منها على ما حصلوا من خيراتها كانت غايتهم منها أن وصلوا إلى ما وصلوا من العدم فكذلك أنتم بطريق أولى.

ثمّ أكّد التحذير منها بذكر أوصافها المنقّرة عنها فاستعار لها لفظ الغرّارة باعتبار كونها سبباً مادياً للاغترار كما سبق، ولمّا كان الخداع هو المشورة بأمر ظاهره مصلحة وباطنه مفسدة وكان ظهور زينة الحياة الدنيا للناس يشبه الرأي المحمود في الظاهر اتّباعها، وكانت تلك الزينة واتباعها لما فيها من الفتنة بها عن سبيل الله الذي هو عين المفسدة تشبه المفسدة في باطن الرأي لا جرم أشبه ظهور زينتها الخداع فاستعار لها لفظ الخدوع بذلك الاعتبار، وكذلك استعار لفظ المعطية، ولفظ المنوع باعتبار كونها سبباً مادياً للانتفاع بها فيها من خيراتها وسبباً مادياً لمنعه، وكذلك لفظ الملبسة

النزوع، وراعى في هاتين القرينتين المقابلة، وفائدتها هاهنا التنفير عما يتوهم فيها خيراً مما تعطيه وتلبسه بذكر استعقابها لمقابلتها من منعها لما تعطيه ونزعها مما تلبسه، ولذلك أكدّه بقوله: «لا يدوم رخاؤها...» إلى آخره، ولما كان رخاؤها من صحة وشباب ومال وجاه ونحوها من سائر الملذات البدئية حوادث مشروطة باستعدادات سابقة عليها ومعدّات غير مضبوطة كثيرة حادثة وغير حادثة سريعة التغير أو بطيئة لا جرم كان من شأن ذلك الرخاء التغير والانتقطاع، وظاهر أنّ انتقطاع رخائها حالاً فحالاً مستلزم لعدم انقضاء عنائها ومتاعبها، وتواتر بلائها، واستتعار لبلاء الدنيا وصف عدم الركود ملاحظة لشبهه بالريج دائمة الحركة لكونه دائماً^(١).

الدنيا في خطبة له عليه السلام في مقاصد أخرى، ومنها: في صفة الزهاد، يقول عليه السلام:

كَانُوا قَوْمًا مِّنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ
لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا
يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبَ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ
الدُّنْيَا يُعْظَمُونَ^(٢) مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ
قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ١٠٦ - ١٠٧ / شرح الخطبة رقم ٢٢١.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده: يُعْظَمُونَ.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٥٢ - ٣٥٣ / ضمن الخطبة رقم ٢٣٠، ونهج الشيخ العطار: ٤٦٩ /

شرح الألفاظ الغريبة :

بَادَرُوا المَحْذُورَ : سبقه فلم يصبه ؛ تَقَلَّبَ أبدانهم : أي تَتَقَلَّبَ ، أي أَنَّ أبدانهم وهي في الدنيا تَتَقَلَّبُ بين أظهر أهل الآخرة ، وهو بين ظهراتهم أي بينهم حاضراً ظاهراً ؛ ظهرائي : - بفتح النون - الإشارة إلى بعض أصحابه الذين درجوا قبله^(١).

الشرح :

قوله : «كانوا قوماً..» إلى قوله : «أهلها» : قضيتان ظاهرهما التناقض لكن قد علمت أَنَّ المطلقين لا يتناقضان ، واختلافهما يحتمل أن يكونا بالموضوع أو بالإضافة فإنهم من أهل الدنيا بأبدانهم ومشاركتهم الضرورية لأهلها في الحاجة إليها وليسوا من أهلها بقلوبهم. إذ خرجوا عن ملاذها ونعيمها واستغرقوا في محبة الله وما أعد لأولياءه الأبرار في دار القرار فهم أبداً متطلعون إليه وشاهدون لأحوال الآخرة بعيون بصائرهم كما قال عليه السلام فيما قبل في صفتهم : فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها متنعمون ، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون. ومن كان كذلك فحضوره القلبي إنما هو في تلك الدار فكان بالحقيقة من أهلها.

وقوله : «عملوا فيها بما يبصرون» : أي كان سعيهم وحركاتهم البدنية والنفسانية في سبيل الله ببصيرة ومشاهدة لأحوال تلك الطريق وما تفضي إليه من السعادة الباقية ، وعلم بما يستلزمه الانحراف عنها من الشقاوة اللازمة الدائمة ، والباء للتسبب ،

➤ ضمن الخطبة رقم ٢٢٩ ، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤ : ١٠٧ / ضمن الخطبة رقم

٢٢١ ، ونهج محمد عبده ١ : ٤٨٨ .

(١) شرح الألفاظ الغريبة : ٦٧٢ ، وشرح الألفاظ الغريبة في شرح نهج ابن ميثم ٤ : ١٠٧ .

وما مصدرية ويحتمل أن تكون بمعنى الذي: أي بالذي يبصرونه ويشاهدونه من تلك الأحوال فإن علمهم اليقين بها هو السبب القائد والحامل لهم في تلك الطريق وعلى سلوكها.

وقوله: «وبادروا فيها ما يحذرون»: والمبادرة المسابقة والمعالجة وهي مفاعلة من الطرفين، والمراد أنهم سبقوا ما يحذرون من عذاب الله المتوعد في الآخرة كأنه سابق لهم إلى أنفسهم وهم مسابقوه إلى خلاصها فسبقوه إلى النجاة إذ كانوا راكبين لمطاياها وتمسكين بعصمها وهي أوامر الله وحدوده.

وقوله: «تقلب..» إلى قوله: «الآخرة»: أي تتقلب، فحذف إحدى التائين تخفيفاً، فالمعنى أن دأبهم معايشة أهل الآخرة والعاملين لها دون أهل الدنيا، وقيل: يحتمل أن يريد بأهل الآخرة سائر الناس لأن مستقرهم الأصلي ودار قرارهم هي الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾^(١) والمعنى على هذا الوجه أنهم مع الناس بأبدانهم فقد تتقلب بينهم وأرواحهم في مقام آخر.

وقوله: «يرون..» إلى آخره: الغرض الفرق بينهم وبين أهل الدنيا إذ كان أهل الدنيا لا يرون أن وراء أبدانهم كمالاً آخر فكانوا غافلين عن أحوال الآخرة من سعادة أو شقاوة فكان أعظم محبوباتهم بقاء أجسادهم وتكميلها، وأعظم منفور عنه لهم نقصانها وموتها.

أما المتقون فهم وإن كانوا يرونهم بتلك الحال إلا أنهم يرون أفضل مما يرون، وهو أن موت قلوبهم وفقدانها للحياة بالعلم والحكمة أعظم من موت أجسادهم، وذلك لعلمهم بفساد الحياة البدنية وانقطاعها وكدرها بعوارض الأمراض وسائر المغضبات

(١) غافر: ٣٩.

الدينيّة، وبقاء الحياة النفسانيّة وشرف كمالها وصفاء لذاتها عن الأقدار والأكدار. وإمّا قال: قلوب أحيائهم، ولم يقل: قلوبهم؛ لأنّ موت القلوب قد يكون حقيقة بموت الأجساد، وقد يكون مجازاً وهو موتها بفقدان العلم ونور الحكمة مع حياة أجسادها فكان ذكر الأحياء كالقرينة المعينة لمراده بذلك الموت مجازاً، والضمير في قوله: أحيائهم يعود إلى أهل الدنيا؛ لأنّ موت القلوب هو الواقع بهم حال حياة أبدانهم، ويحتمل عوده إلى قوله: «وهم» الذي هو ضمير المتّقين. وبالله التوفيق^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ١٠٨ - ١٠٩ / ضمن شرح الخطبة رقم ٢٢١.

الفصل الثاني

الدنيا في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

الدنيا في كلام له ﷺ وفيه يصف بيعته بالخلافة ثم قتاله أهل الشام، قال ﷺ:

فَتَدَاكُؤُوا عَلَيَّ تَدَاكُؤَ الْأَيْلِ الْهَيْمِ يَوْمَ وُرْدِهَا، قَدْ^(١) أَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضَهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ. وَقَدْ قَلْبْتُ^(٢) هَذَا الْأَمْرَ، بَطْنُهُ وَظَهْرُهُ (حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ)^(٣)، فَمَا وَجَدْتَنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالَهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ^(٤) بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ^(٥).

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: وَقَدْ.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ العطار: قَلْبْتُ.

(٣) ما بين القوسين، ليس في شرح نهج البلاغة لابن ميثم ونهج الشيخ محمد عبده.

(٤) في شرح النهج ابن ميثم ونهج محمد عبده: جاءني.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٩٠ - ٩١ / خطبة رقم ٩٤، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ١١٣ / من

كلام له ﷺ رقم ٥٣، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١٤٣ - ١٤٤ / من كلام له ﷺ رقم ٥٣،

ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ١١٢ - ١١٣ / من خطبة له ﷺ، وهو في نهج صبحي صالح

ونهج محمد عبده (من خطبة له).

شرح الألفاظ الغريبة:

تداكّوا: دكّ بعضهم بعضاً، أي دقّه بالضرب والدفع^(١)؛ الهيم: العطاش من الإبل؛ يوم ورودها: يوم شربها الماء؛ المتاني: - جمع المثناة بفتح الميم وكسرهما - حبل من صوف أو شعر يُعقَلُ به البعير^(٢).

الشرح:

اعلم أنّ قوله: «فتداكّوا...» إلى قوله: «لدي»: إشارة إلى صفة أصحابه بصفين لما طال منعه لهم من قتال أهل الشام؛ وكان عليه السلام يمنعهم من قتالهم لأمرين: أحدهما: أنّه كانت عادته في الحرب ذلك ليكون خصمه البادي فتركه الحجة. والثاني: أنّه كان يستخلص وجه المصلحة في كيفية قتالهم لا على سبيل شكّه في وجوب قتال من خالفه، فإنّه عليه السلام كان مأموراً بذلك بل على وجه استخلاص الرأي الأصح أو انتظاراً لانجذابهم إلى الحقّ ورجوعهم إلى طاعته لحقن دماء المسلمين كما سيصرّح به في الفصل الذي يأتي.

ثمّ أكّد وصفهم بالزحام عليه بأمرين: أحدهما: تشبيهه بزحام الإبل العطاش حين يطلقها رعاتها من مثانها يوم توردها الماء، ووجه الشبه مالهما من شدّة الزحام. الثاني: غاية ذلك الزحام وهو ظنّه عليه السلام أن يقتلوه أو يقتل بعضهم بعضاً.

وقوله: «وقد قلبت هذا الأمر...» إلى آخره: إشارة إلى بعض علل منعه لهم من

(١) شرح الألفاظ الغريبة في نهج لابن ميثم ٢: ١٤٤.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة في نهج صبحي صالح: ٥٨٢.

القتال، وهو تقليبه لوجوه الآراء في قتالهم حتى تبين له ما يلزم في ترك القتال من الخطر وهو الكفر. على أن في الأمرين خطراً: أما القتال ففيه بذل نفسه للقتل وهلاك جملة من المسلمين؛ وأما تركه ففيه مخالفة أمر الله ورسوله المستلزمة للعقاب الأليم. لكن قد علمت أن الدنيا لا قيمة لسعادتها ولا نسبة لشقاوتها إلى سعادة الآخرة وشقاوتها عند ذوي البصائر خصوصاً مثله عليه السلام فلذلك قال: فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة، واستعار لفظ الموتات للأهوال والشدائد في الدنيا والآخرة لما بين الموت وبينها من المناسبة في الشدة^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام، وفيه يحذر من اتباع الهوى وطول الأمل في الدنيا:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخُوفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ.

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَدَاءً؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ أَصْطَبَّهَا صَابُهَا، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بُنُونٌ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ^(٢) أَبْنَاءِ الدُّنْيَا،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٢: ١٤٤ / شرح كلامه عليه السلام رقم ٥٣.

(٢) (من): ليست في شرح نهج ابن أبي عمير ونهج محمد عبده.

فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ ^(١) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

طول الأمل: هو استفساح الأجل، والتسويق بالعمل؛ الحذاء: - بالتشديد - الماضية السريعة؛ الصبابة: - بالضم - البقية من الماء واللبن في الإناء؛ اضطبها صابها: كقولك أبقاها مبقيا، أو تركها تاركها ^(٣).

الشرح:

المقصود بهذا الفصل النهي عن الهوى وطول الأمل في الدنيا فإنها من أشد أسباب الهلاك فكان الجلاء عنها من أشد أسباب النجاة كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ^(٤) ثم التذكير بأمر الآخرة.

فاعلم أن الهوى هو ميل النفس الأمارة بالسوء إلى مقتضى طباعها عن اللذات الدنيوية إلى حد الخروج عن حدود الشريعة، وأمّا الأمل فقد سبق بيانه، ولما كانت

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح: بآبيه.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٨٣ - ٨٤ / من كلام له عليه السلام رقم ٤٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

١٠٣ - ١٠٤ / من خطبة له عليه السلام رقم ٤٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ١٠٦ - ١٠٧ / من

كلام له عليه السلام رقم ٤١، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ١٠١ - ١٠٢ / من كلام له عليه السلام.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٥٨٠.

(٤) النازعات: ٣٧ - ٤١.

السعادة التامة إنما هي في مشاهدة حضرة الربوبية ومجاورة الملأ الأعلى في مقعد صدق عند ملك مقتدر، وكان اتباع النفس الأمارة بالسوء في ميولها الطبيعية والإنهاك في لذاتها الفانية أشد مهلك جاذب للإنسان عن قصد الحق، وصاد له عن سلوك سبيله وعن الترقى في ملكوت السماوات إلى حضيض جهنم كما قال سيّد المرسلين ﷺ: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهو متبع، وإعجاب المرء بنفسه^(١)، وكما قال: حب الدنيا رأس كل خطيئة^(٢)، وقال: الدنيا والآخرة صُرتان بقدر ما يقرب من إحداها يبعد من الأخرى^(٣). لا جرم كان أخوف ما ينبغي أن يخاف من الأمور المهلكة اتباع الهوى، وأمّا الأمل فمراده به أيضاً الأمل لما لا ينبغي أن يمد الأمل فيه من المقتنيات الفانية وظاهر أنّ طول الأمل فيها يكون مطابقاً لاتباع الهوى وبه يكون نسيان الآخرة لأنّ طول توقع الأمور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها، ودوام ملاحظتها مستلزم لدوام إغراض النفس عن ملاحظة أحوال الآخرة وهو مستعقب لانحفاء ما تصوّر في الذهن منها وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك الأبدي والشقاء الأشق، ولما كان عليه السلام هو المتولّي لإصلاح حال الخلق في أمور معاشهم ومعادهم كان الاهتمام بصلاحهم منوطاً بهمته العلية فلا جرم نسب الخوف عليهم إلى نفسه.

قوله: «ألا وإنّ الدنيا قد ولّت..» إلى قوله: «صائبها»:

أقول: الدنيا بالنسبة إلى كلّ شخص مفارقة له وخفيفة سريعة الإجفال لم يبق

(١) زبدة البيان من أحكام القرآن: ٢٠٧.

(٢) الحكم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: ١/٤١٨ / حكمة رقم ٤٣.

(٣) عوالي اللآلي: ١: ٢٧٧.

منها بالقياس إليه إلا اليسير، وأطلق الصبابة هاهنا استعارة لبقيتها القليلة، والقلة هي وجه تشبيهها بصبابة الإناء أيضاً.

وقوله: «ألا وإن الآخرة قد أقبلت»: لما تنبه على أن الدنيا سريعة الإجفال أردف ذلك بالتنبيه على سرعة لحوق الآخرة وإقبالها، وكل ذلك قطع للآمال الفانية وردع عن اتباع الهوى.

ومن آثار الصالحين: إذا كان العمر في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى، والموت هو دهليز الآخرة.

وقوله: «ولكلّ منها بنون..» إلى قوله: «يوم القيامة»:

من لطائف كلامه، فاستعار لفظ الأبناء للخلق بالنسبة إلى الدنيا والآخرة، ولفظ الأب لهما، ووجه الاستعارة أن الابن لما كان من شأنه الميل إلى والده إما ميلاً طبعياً أو بحسب تصوّر المنفعة منه. وكان الخلق منهم من يريد الدنيا، ومنهم من يريد الآخرة، ويميل كلّ منهما إلى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها ممّا يتوهمونه لذة وخيراً، وما يحصل من طرف الآخرة للراغبين فيها من اللذة والسعادة أشبه كلّ بالنسبة إلى ما رغب فيه واستفاد منه الخير الابن بالنسبة إلى الأب. فاستعير لفظه لتلك المشابهة، ولما كان غرضه حثّ الخلق على السعي للآخرة والميل إليها والإعراض عن الدنيا، قال عليه السلام: فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا^(١).

ثم ذكر فائدة رأيه عليهم بأن يكونوا كذلك. وهي أن كلّ ولد سيلحق بأبّه يوم

(١) الحكم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: ٢/١٤٨/حكمة رقم ٦٥٤، وفيه زيادة: فإن كلّ ولد سيلحق بأبّه يوم القيامة.

القيامة، وأشار: إلى أنّ أبناء الآخرة والطالبيين لها والعاملين لأجلها مقرّبون في الآخرة للاحقون لمراداتهم فيها، ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم ولهم ما يدعون نزلاً من غفور رحيم.

وأما أبناء الدنيا فإنّ نفوسهم لما كانت مستغرقة في محبّتها وناسية لطرف الآخرة ومعرضة عنها لاجرم كانت يوم القيامة مغمورة في محبة الباطل مغلولة بسلاسل السيئات البدنيّة والملكات الرديئة المتمكّنة من جواهرها، فهي لتعلّقها بمحبّة الدنيا حيث لا يتمكّن من محبوبها بمنزلة ولد لا تعلّق له ولا مسكة إلّا بوالده ولا إلف إلّا هو ولا أنس إلّا معه، ثمّ حيل بينه وبينه مع شدّة تعلّقه به وشوقه إليه وأخذ إلى أضيق الأسجان، وبذل بالعزّ الهوان فهو في أشدّ وله ويتم وأعظم حسرة وغمّ. وأما أبناء الآخرة ففي حضانة أبيهم ونعيمه قد زال عنهم بؤس الغربة وشقاء اليتيم وسوء الحزن.

فمن الواجب إذن تعرّف أحوال الوالدين واتّباع أبرّهما وأدومهما شفقة وأعظمهما بركة وما هي إلّا الآخرة فليكن ذو العقل من أبناء الآخرة وليكن برّاً متوصلاً إليه بأقوى الأسباب وأمتنها.

وقوله: «وإنّ اليوم عمل..» إلى آخر: كنى باليوم عن مدّة الحياة وبغدير عمّا بعد الموت، وراعى المقابلة فقابل اليوم بالغد، والعمل بلا عمل، ولا حساب بالحساب. واليوم: اسم إنّ، وعمل: قام مقام الخبر استعمالاً للمضاف إليه مقام المضاف: أي واليوم يوم العمل، ويحتمل أن يكون اسم إنّ ضمير الشأن، واليوم عمل جملة من مبتدأ وخبر هي خبرها.

وكذلك قوله: «وغداً حساب ولا عمل»: وصدق هذين الحكمين ظاهر وفائدهما

٢٨٨..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

التنبية على وقتي العمل وعدمه ليبادروا إلى العمل الذي به يكونون من أبناء الآخرة في وقت إمكانه قبل مجيء الغد الذي هو وقت الحساب دون العمل، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام في صفة الدنيا^(٢)، قال عليه السلام:

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ! وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ.
مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ أَفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاَهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتُهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

العناء: التعب؛ ساعاها: جاراها سعيًا؛ وآتته: طأوعته^(٤).

الشرح:

قال الشريف: أقول: وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام: «من أبصر بها بصيرته» وجد

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ١٠٧ - ١٠٩ / في شرح كلامه عليه السلام رقم ٤١.

(٢) في نهج البلاغة لصبحي صالح: (العنوان) في ذم صفة الدنيا.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٠٦ / من كلام له عليه السلام رقم ٨٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

١٣٣ / من كلام له عليه السلام رقم ٨١، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٢٢٧ / من كلام له عليه السلام رقم ٧٩،

ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ١٤٢ / من كلام له عليه السلام في صفة الدنيا.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٥٨٨.

تحتة من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته ولا يدرك غوره، ولاسيما إذا قرن إليه قوله: «ومن أبصر إليه أعمته»، فإنه يجد الفرق بين «أبصر بها» و«أبصر إليها» واضحا نيرا وعجيبا باهرا.

قد ذكر للدنيا في معرض ذمها والتنفر عنها أوصافاً عشرة:

الأول: كون «أولها عناء»: وهو إشارة إلى أن الإنسان من لدن ولادته في تعب وشقاء، ويكفي في الإشارة إلى متاعب الإنسان فيها ما ذكره الحكيم برزويه في صدر كتاب كليله ودمنة في معرض تطويع نفسه بالصبر على عيش النساء: أوليست الدنيا كلها أذى وبلاء؟! أوليس الإنسان يتقلب في ذلك من حين يكون جنينا إلى أن يستوفي أيامه؟ فإننا قد وجدنا في كتب الطب أن الماء الذي يقدر منه الولد السوي إذا وقع في رحم المرأة اختلط بمائها ودمها وغلظ ثم الريح تمحص ذلك الماء والدم حتى تتركه كالرائب الغليظ، ثم تقسمه في أعضائه لأناء أيامه، فإن كان ذكرا فوجهه قبل ظهر أمه، وإن كان أنثى فوجهها قبل بطن أمها، وذقنه على ركبتيه ويداه على جنبيه، مقبض في المشيمة كأنه مصرور، ويتنفس من متنفس شاق، وليس منه عضو إلا كأنه مقموط، فوقه حر البطن وتحتة ما تحتة، وهو منوط بمعاء من سرتة إلى سرة أمه منها يمص ويعيش من طعام أمه وشرابها فهو بهذه الحالة في الغم والظلمات والضيق حتى إذا كان يوم ولادته سلط الله الريح على بطن أمه وقوي عليه التحريك فتصوب رأسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج وعصره ما يجده صاحب الرهق [الرمق خل] فإذا وقع على الأرض فأصابته ريح أو مسسته يد وجد من ذلك من الألم ما لم يجده من سلخ جلده، ثم هو في ألوان من العذاب إن جاع فليس له استطعام، وإن عطش فليس له استقاء، أو وجع فليس له استغاثة، مع ما يلقي من الرفع والوضع واللف والحل

والدهن والمرخ، إذا أُئيم على ظهره لم يستطع تقلّباً، فلا يزال في أصناف هذا العذاب مادام رضيعاً.

فإذا أفلت من ذلك أخذ بعذاب الأدب فأذيق منه ألواناً، وفي الحميّة والأدواء والأوجاع والأسقام؛ فإذا أدرك فهم المال والأهل والولد والشره والحرص ومخاطرة الطلب والسعي، وكلّ هذا يتقلّب معه فيها أعداؤه الأربعة: المرّة، والبلغم، والدم، والريح، والسّم المميت و الحيات اللادغة مع خوف السباع والناس، وخوف البرد والحَرّ، ثمّ ألوان عذاب الهرم لمن بلغه^(١).

الثاني: كون «آخرها فناء»: هو تنفير عنها بذكر غايتها وهو الموت وما يستصحبه من فراق الأهل والأحبّة، والإشراف على أهوانه العظيمة المعضلة.

الثالث: كونها «في حلالها حساب»: وهو إشارة إلى ما يظهر في صحيفة الإنسان يوم القيامة من الآثار المكتوبة عليه ممّا خاض فيه من مباحات الدنيا، وتوسّع فيه من المآكل والمشارب والمناكح والمراكب، وما يظهر في لوح نفسه من محبّة ذلك فيعوقه عن اللّحوق بالمجرّدين عنها الذين لم يتصرّفوا فيها تصرّف الملاك فلم يكتب عليه في شيء منها ما يحاسبون عليه. وإليه إشارة سيّد المرسلين عليه السلام: «إنّ الفقراء ليدخلون الجنّة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، وإنّ فقراء أمّتي ليدخلون الجنّة سعيّاً، وعبد الرحمن يدخلها حبواً، وما ذلك إلّا لكثرة حساب الأغنياء بتعويقهم بثقل ما حملوا من محبّة الدنيا وقيناتها عن اللّحوق بدرجة المخفّين منها، وقد عرفت كيفيّة الحساب.

الرابع: كونها «في حرامها عقاب»: وهو تنفير عمّا يوجب العقاب من الآثام بذكره.

(١) كتاب كليله ودمنة: ٨٦، المطبعة الأميريّة ببولاق القاهرة.

الخامس: كونها «من استغنى فيها فتن»: أي كانت محبته لما اقتنى فيها سبباً لفنتته وضلاله عن سبيل الله كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾^(١).

السادس: كونها «من افتقر فيها حزن»: وظاهر أن الفقير الطالب للدنيا غير الواجد لها في غاية المحنة والحزن على ما يفوته منها، وخاصة ما يفوته بعد حصوله له. السابع: «من ساعاها فاتته»: وأقوى أسباب هذا الفوات أن تحصيلها أكثر ما يكون بمنازعة أهلها عليها ومجادبتهم إيّاها، وقد علمت ثوران الشهوة والغضب والحرص عند المجاذبة للشيء وقوة منع الإنسان له، وتجاذب الخلق للشيء وعزته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض، وفيه تنبيه على وجوب ترك الحرص عليها والإعراض عنها، إذ كان فواتها اللّازم عن شدة السعي في فضلها مكروهاً للسامعين.

الثامن: كونها «من قعد عنها واتته»: وهو أيضاً جذب إلى القعود عنها وتركها وإن كان الغرض مواتاتها كما يفعله أهل الزهد الظاهري المشوب بالرياء، وقد علمت أن الزهد الظاهري مطلوب أيضاً للشارع إذ كان وسيلة إلى الزهد الحقيقي كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الرياء قنطرة الإخلاص^(٢). وقد راعى في القرائن السجع المتوازي.

التاسع: «من أبصر بها بصّرتها»: أي من جعلها سبب هدايته وبصره استفاد منها البصر والهداية، وذلك أنك علمت أن مقصود الحكمة الإلهية من خلق هذا البدن وما فيه من الآلات والمنافع إنما هو استكمال نفسه باستخلاص العلوم الكلية وفضائل الأخلاق من تصفّح جزئيات الدنيا ومقاييسات بعضها إلى بعض كالاستدلال بحوادثها

(١) التغاين: ١٥.

(٢) فتاوى السبكي ١: ١٦١.

وعجائب مخلوقات الله فيها على وجوده وحكمته، وتحصيل الهداية بها إلى أسرار ملكه فكانت سبباً مادياً لذلك فلأجله صدق أنها تبصر من أبصر بها.

العاشر: «ومن أبصر إليها أعمته»: أي من مد إليها بصر بصيرته، وتطلع إليها بعين قلبه محبة وعشقا أعمت عين بصيرته عن إدراك أنوار الله والاهتداء لكيفية سلوك سبيله. وإليه الإشارة بالنهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ (١)، وقد ظهر الفرق بين قوله: «من أبصر بها»، «ومن أبصر إليها»، ومدح السيّد لهذا الفصل مدح في موضعه (٢).

الدنيا في كلامه له عليه السلام يشير فيه إلى ظلم بني أمية، قال عليه السلام:

وَاللَّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّىٰ لَا يَدْعُوا لِلَّهِ مُحَرَّمًا (٣) إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ، وَلَا عَقْدًا إِلَّا حَلُّوهُ، وَحَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ بَيْتٌ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ (٤) وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعِيهِمْ، وَحَتَّىٰ يَقُومَ أَلْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكِ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكِ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ وَحَتَّىٰ تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كُنُصْرَةَ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ،

(١) طه: ١٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٢: ٢٢٧ - ٢٣٠ / شرح كلامه عليه السلام رقم ٧٩.

(٣) في نهج البلاغة للشيخ العطار: مُحَرَّمًا.

(٤) في نهج البلاغة للشيخ العطار زيادة: (وَنَزَلَ بِهِ عَيْتُهُمْ).

وَإِذَا غَابَ أَغْتَابُهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً^(١) أَحْسَنُكُمْ
بِاللَّهِ ظَنًّا، فَإِنْ أَتَاكُمْ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا، وَإِنْ أَبْتَلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا،
فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

استحلال المحرم: استباحته؛ بيوت المدر: المبنية في طوب وحجر ونحوهما؛ وبيوت
الوبر: الخيام؛ نبا به سوء رعيهم: أصله من نبا به المنزل إذا لم يوافقه فارتحل عنه^(٣).

الشرح:

الإشارة في هذا الفصل إلى بني أمية فأقسم لا يزالون ظالمين فحذف الخبر للعلم به
وذكر لظلمهم غايات.

إحديها: أنهم لا يدعون محرماً إلا استحلوه، وأعظم كبائر المحرمات الظلم وقتل
النفس وحالهم فيها مشهور فما ظنك بغيرهما، ومعنى قوله: «استحلوه»: استعملوه
كاستعمال الحلال في عدم التحرج والتأثم به.

الثانية: أن لا يدعوا عقداً إلا حلّوه: أي من عقود الإسلام التي نظم بها أمر العالم
من قوانين الشرع وضوابطه، وحلّه كتابه عن حزم تلك القواعد بمخالفتها.

الثالثة: أنه لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم، وهو كناية عن عموم

(١) في نهج البلاغة للشيخ العطار: عَنَاءٌ.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٤٣ - ١٤٤ / من كلام له عليه السلام رقم ٩٨، ونهج البلاغة للشيخ

العطار: ١٨٨ - ١٨٩ / من كلام له عليه السلام رقم ٩٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٢ / ٤٠٩ / من كلام

له عليه السلام رقم ٩٥، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢٠٧.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٠٩ - ٦١٠.

عداوتهم وبغيهم على جميع الخلق من البدو والحضر، وقوله: «ونبا به سوء رعيهم»: أي أوجب سوء رعيهم لأهله نبؤهم عنه.

الرابعة: أن يقوم الباكيان: بالك يبيكي لدينه، وبالك يبيكي لدنياه.

الخامسة: وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده، وذكر المشبه والمشبّه به، ثم أشار إلى وجه الشبه بقوله: «إذا شهد أطاعه وإذا غاب اغتابه». السادسة: «وحتى يكون أعظمكم فيها عناء أحسنكم بالله ظناً»: وإنما كان كذلك لأن من حسن الظن بالله كان أشد الناس بُعداً منهم وتوكللاً عليه فيكونون عليه أشدّ كلباً وله أقوى طلباً فكان منهم أكثر تبعاً، ثم أردف ذلك بأمر من أتمته العافية أن يقبلها، ويشكر الله عليها نعمة، وأراد العافية من الابتلاء بشروهم لبعض الناس أو بقاء عدل مخلص من بلائهم، ويأمر من ابتلي بهم بالصبر على ما ابتلي به ووعدته على ذلك بحسن العافية لازماً للتقوى والصبر كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١) (٢).

الدنيا في كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء، قال عليه السلام:

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُئِيَتْ عَلَيْهِ! وَاللَّهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ أَلْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا (أَلْمَالُ مَالُ اللَّهِ) (٣)!

(١) هود: ٤٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٢: ٤٠٩ - ٤١٠ / شرح كلامه عليه السلام رقم ٩٥.

(٣) ما بين القوسين في نهج البلاغة للعطار: (المال لهم).

أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ
صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ
وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَمْ يَضَعْ أَمْرُؤُ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ
أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِيَغْيِرَهُ وَدُهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ
النَّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ (فَشَرُّ خَلِيلٍ، وَالْأَمُّ
خَدِينٍ) ^{(١)(٢)}.

شرح الألفاظ الغريبة:

لا أطور به: من طار يطور إذا حام حول الشيء، أي لا أمر به ولا أقاربه؛ سمر
سمير: أي مدى الدهر؛ أم: قصد؛ خدين: صديق ^(٣).

الشرح:

التسوية في العطاء من سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أبوبكر كذلك على تلك السنة،
فلما فضل من بعدهما أهل السابقة والشرف في العطاء على غيرهم اعتاد المفضلون
بذلك إلى زمانه عليه السلام، ولما كان سالكاً مسالك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومقتفياً أثر سنته

(١) ما بين القوسين في شرح نهج البلاغة لابن ميثم والشيخ محمد عبده: (فَشَرُّ خَدِينٍ وَالْأَمُّ خَلِيلٍ).
(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٨٣ / من كلام له عليه السلام رقم ١٢٦، ونهج البلاغة للشيخ العطار:
٢٤٣ - ٢٤٤ / من كلام له عليه السلام رقم ١٢٦ وفيه، العنوان: لما عوتب على تصديره الناس أسوة في
العطاء من غير تفضيل أولى السابقات والشرف، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٣٠ - ١٣١ /
من كلام له عليه السلام رقم ١٢٤ لما عوتب على التسوية في العطاء، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١:
٢٦٠ / من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٩٢٢.

لم يمكنه إلا التسوية فطلب المفضلون عادتهم من التفضيل عند ولايته لهذا الأمر، فقال [عليه السلام هذا] الكلام.

فقلوه: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور»: جواب لمن أشار عليه بالتفضيل، وكأنّ المشير قال له: إن فضّلت هؤلاء كانوا معك بقلوبهم ونصروك؛ فأجابهم بذلك. «والجور»: العدول عن سبيل الله بالتفضيل حيث كان خارجاً عن سنة الرسول. ثمّ أقسم أنّه لا يقرب التفضيل أبداً، وأنّ المال لو كان له لكان من العدل أن يسوّي بينهم فيه فكيف والمال لله ولهم! ووجه ذلك أنّ التسوية هي العدل الذي تجتمع به النفوس على النصرة وتتألف الهمم على مقاومة العدوّ دون التفضيل المستلزم لانكسار قلوب المفضلين مع كثرتهم، فلو كان المال له مع كونه بطباع البشريّة الميالة إلى شخص دون شخص لم يسوّ بينهم فكيف والمال لله الذي تساوى نسبة الخلق إليه وما لهم الذي فرض الله لهم على سواء، وهو كالاعتذار الحاسم لمادّة الطمع في التفضيل.

ثمّ نبّه على قبح وضع المال في غير أهله وعلى غير وجهه، وغير أهله: هم غير المفروض لهم، وغير وجهه: غير حقّه الذي يفرضه الشارع، وأشار إلى وجوه المفساد ففي غير أهله تبذير، وفي غير وجهه إسراف، وعرفت أنّهما طرفا الإفراط والتفريط من فضيلة السخاء.

وقوله: «يرفع صاحبه في الدنيا»: أي يحصل له بالتبذير ذكر الكرم بين العوامّ والفاغة، ومن لا يعرف حقيقة الكرم، ويضعه في الآخرة، إذ كان به على رذيلة، وكذلك يكرمه عند الناس ويهيئه عند الله.

وأما حكمه عليه السلام بأنّ الواضع لماله في غير حقّه وعند غير أهله محروم شكرهم

ولغيره ودّهم وعلى تقدير وقوع الزلّة منه التي يحتاج فيها إلى مساعدتهم يتقاعدون عنه فذلك أمر يحصل بالاستقراء وربما بلغ التجربة.

وأما سرّ ذلك فيحتمل أن يكون لأنّهم لما كانوا غير أهل لوضع المعروف لم يكونوا أهلاً للاعتراف به إمّا لجهلهم وغفلتهم أو لاعتقادهم أنّ المسدي إليهم غير أهل لشكرهم، وأنّهم على مرتبته وأحقّ بالمال منه، وأكثر ما يكون عدم الشكر من هؤلاء لنظر كلّ منهم إلى أنّ غيره من المسدي إليه غير أهل، وأنّه هو أحقّ فيرى نفسه دائماً مبخوس الحظّ من باذل المعروف فلا يزال متسخطاً عاتباً عليه دائماً للزمان، وحينئذٍ لا يتحقّق اعترافه بنعمة الباذل فإذا أصابه من غيره أدنى معروف أو لم يصبه بل سمع مدح أحد وشكر الناس له ساعد على مدحه وأظهر فضله.

وقال: إنّهُ تَمَنّ يضع المعروف في أهله فيكون ذلك كالمستنهض لهمة الباذل، أو كالمذري عليه والمغاير له، وكفى بزلّ النعل عن خطائه وعثاره في المصائب. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة، قال عليه السلام:

يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا
لَجَبٌ، وَلَا قَعْقَعَةٌ لُجْمٍ، وَلَا حَمْحَمَةٌ خَيْلٍ، يُشِيرُونَ الْأَرْضَ
بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهُمْ أَقْدَامُ النَّعَامِ.
يوميّ بذلك إلى صاحب الزنج، ثمّ قال عليه السلام:

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٣١ - ١٣٢ / في شرح الكلام له عليه السلام رقم ١٢٤.

وَيْلٌ لِّسِكَكِكُمْ أَلْعَامِرَةِ، وَالدُّورِ أَلْمَزْخَرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ
كَأَجْنِحَةِ النَّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ أَلْفَيْلَةٍ، مِنْ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ
لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يُفْتَقَدُ^(١) غَائِبُهُمْ، أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لَوَجْهِهَا،
وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَازِرُهَا بِعَيْنِهَا^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

اللَّجَبُ: الصياح؛ اللَّجْمُ: جمع لجام، وقعقتها ما يسمع من صوت اضطرابها بين
أسنان الخيل؛ الحُمَحَمَة: صوت البرَدُون عند الشعر؛ سَكَك: جمع سِكَكة: الطريق
المستوي؛ أجنحة الدور: رواشنها، وقيل: إنَّ الجناح والروشن يشتركان في إخراج
الخشب من حائط الدار إلى الطريق بحيث لا يصل إلى جدار آخر يقابله، وإلا فهو
السباط، ويختلفان في أنَّ الجناح توضع له أعمدة من الطريق بخلاف الروشن؛
الخراطيم: الميازيب تطلُّ بالقار^(٣).

الشرح:

هذا الفصل من خطبة له عليه السلام بالبصرة بعد وقعة الجمل ذكرنا منها فصولاً فيما سبق،
والخطاب مع الأحنف بن قيس لأنَّه كان رئيساً ذا عقل في قومه، وكان اسمه صخر بن
قيس بن معاوية بن حصن بن عباد بن مرة بن عبيد بن تميم؛ وقيل: اسمه الضحَّاك،

(١) في نهج صبحي صالح ونهج البلاغة للشيخ العطار: يُفَقَّدُ.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٨٥ - ١٨٦ / من كلام له عليه السلام رقم ١٢٨، نهج البلاغة للشيخ

العطار: ٢٤٦ - ٢٤٧ / من كلام له عليه السلام رقم ١٢٨، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٣٦ - ١٣٧ /

من كلام له عليه السلام رقم ١٢٦، ونهج الشيخ محمد عبده ١: ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٢٣.

وكنيته أبو بجر، وبسببه كان إسلام بني تميم حين دعاهم رسول الله ﷺ فلم يجيبوا، فقال لهم الأحنف: إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملاحبها فأسلموا، وأسلم الأحنف وشهد مع عليّ عليه السلام صفين ولم يشهد الجمل مع أحد الفريقين، والضمير في قوله: كأني به، لصاحب الزنج واسمه عليّ بن محمد علويّ النسب، والجيش المشار إليه هم الزنج، وواقعهم بالبصرة مشهورة وأخبارهم وبيان أحوالهم وتفصيل واقعهم يشتمل عليها كتاب منفرد في نحو من عشرين كراسة فليطلب علمها من هناك.

وأما وصف ذلك الجيش بالأوصاف المذكورة فلأنّ الزنج لم يكونوا أهل خيل ولا جند من قبل حتّى يكون بالأوصاف المشار إليها، وإثارتهم التراب بأقدامهم كناية عن كونهم حفاة في الأغلب سائرين بالأقدام فهي [من اعتياد الحفاة خل] باعتبار الحفاء ومباشرة الأرض بالخشب ونحوه فكانت مظنة إثارة التراب عوضاً من حوافر الخيل، ووجه شبهها بأقدام النعام أنّ أقدامهم في الأغلب قصار عراض منتشرة الصدور ومفترقات الأصابع فهي من عرضها لا يتبيّن لها طول فأشبهت أقدام النعام في بعض تلك الأوصاف.

ثمّ أخبر بالويل لحالّ البصرة ودورها المزوّقة من أولئك، واستعار لدورها لفظ الأجنحة، وأراد بها القطائيات التي تعمل من الأخشاب والبواري بارزة عن السقوف كالوقاية للمشارف والحيطان عن آثار الأمطار وهي أشبه الأشياء في هيئتها وصورة وضعها بأجنحة كبار الطير كالنسور، وكذلك استعار لفظ خراطيم الفيلة للميازيب التي تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل وتطلى بالقار يكون نحواً من خمسة

٣٠٠..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

أذرع أو أزيد تدلى من السطوح حفظاً للحيطان من أذى السيل أيضاً، وهي أشبه الأشياء في صورتها بخراطيم الفيلة.

وأما وصفه لهم بأنه «لا يندب قتيلهم ولا يفتقد غائبهم»:

قال بعض الشارحين: ذلك وصف لهم بشدة البأس والحرص على الحرب والقتال وأنهم لا يبالون بالموت ولا يأسفون على من فقد منهم.

وأقول: والأشبه أن ذلك لكونهم لا أصول لهم ولا أهل لأكثرهم من أم أو أخت أو غير ذلك ممن عادته أن ينوح ويندب قتيله، ويفتقد غائبه لكون أكثرهم غرباء في البصرة فمن قتل منهم لا يكون له من يندبه ومن غاب لا يكون له من يفتقده.

وقوله: «أنا كاتب الدنيا لوجهها»: إشارة إلى زهده فيها، وتنبيهه على فضيلته، يقال: كبت فلاناً لوجهه إذا تركته وما التفت إليه، وقادرها بقدرها: أي معامل لها بمقدارها، ولما كان مقدارها حقيراً عنده كان التفاته إليها التفاتاً حقيراً حسب ضرورة البقاء فيها، وكذلك «ناظرها بعينها»: أي معتبرها بالعين التي ينبغي أن تعتبر بها الدنيا من كونها غرارة غدارة حائلة إلى غير ذلك من أوصافها، وأنها مزرعة الآخرة وطريق إليها غير مطلوبة لذاتها، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه لما أخرج إلى الربذة، قال عليه السلام:

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَأَرْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَخَفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ١٣٧ - ١٣٨ / شرح كلام له عليه السلام رقم ١٢٦.

مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَأَهْرَبَ مِنْهُمْ^(١) بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ؛ فَمَا أَحْوَجَهُمْ
إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا^(٢) أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعْلَمُ مِنَ الرَّابِحِ
غَدًا، وَالْأَكْثَرُ حُسْدًا، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ كَانَتَا عَلَى
عَبْدٍ رَتَقًا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا! لَا يُؤْنِسُنَاكَ
إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشُنَاكَ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قِيلَتْ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ،
وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لِأَمْنُوكَ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

الربذة: - بالتحريك - موضع على قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي ذرّ
الغفاري رضي الله عنه، والذي أخرجه إليه عثمان بن عفان؛ قَرَضْتَ مِنْهَا: قطعت منها جزءاً
واختصت به نفسك^(٤).

الشرح:

أبو ذرّ: اسمه جندب بن جنادة، وهو من بني غفّار قبيلة من كنانة، وأسلم بمكة ولم
يشهد بدرًا ولا الخندق لأنه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه فأقام حتى مضت [قامت
خل] هذه المشاهد.

(١) (منهم): ليس في شرح نهج البلاغة لابن ميثم ونهج محمد عبده.

(٢) (ما): ليس في نهج البلاغة للشيخ العطار.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٨٨ / من كلام له عليه السلام رقم ١٣٠، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

٢٥٠ / من كلام له عليه السلام رقم ١٣٠، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٤٥ / من كلام له عليه السلام رقم

١٢٩، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢٦٦ / من كلام له عليه السلام لأبي ذرّ لما خرج إلى الربذة.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٢٣.

ثمّ قدم المدينة على رسول الله ﷺ وكان يتولّى عليّاً وأهل بيته عليه السلام، وهو الذي قال الرسول ﷺ في حقّه: ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر^(١).

وروى ابن المعمّر عنه قال: رأيت أبا ذرٍّ آخذاً بحلقة باب الكعبة وهو يقول: أنا أبوذّر الغفاريّ، فن لم يعرفني فأنا جندب صاحب رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق^(٢).

وكان قد أخرجه عثمان إلى الربذة، وهي موضع قريب إلى المدينة، واختلف في سبب إخراجه فروي عن زيد بن وهب أنّه قال: قلت لأبي ذرٍّ رحمة الله عليه وهو بالربذة: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: أخبرك أنّي كنت بالشام في أيام معاوية فذكرت قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣) الآية فقال معاوية هذه نزلت في أهل الكتاب، قلت: بل فينا وفيهم، فكتب معاوية إلى عثمان يشكو منّي في ذلك، فكتب إليّ أن أقدم عليّ فقدمت عليه فاثّال الناس عليّ كأنهم لم يعرفوني فشكوت إلى عثمان فخيرني فقال: أنزل حيث شئت فنزلت الربذة. وهذا قول من نزه عثمان عن ظلم أبي ذرٍّ ونفيه. إذ كان خروجه إلى الربذة باختياره، وقيل: بل كان يغلظ القول في إنكار ما يراه منكراً وفي حقّ عثمان، ويقول: لم تبق أصحاب محمد على ما عهد، وينفّر بهذا القول وأمثاله عنه، فأخرجه لذلك، وخطابه عليه السلام لأبي ذرٍّ أليق بالقول الثاني.

(١) علل الشرايع ١: ١٧٦.

(٢) كتاب المعارف لابن قتيبة: ٢٥٢.

(٣) التوبة: ٣٤.

فقوله: «إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ»: شهادة له أَنَّ إنكاره لما ينكره إِنَّمَا يقصد به وجه الله تعالى.

وقوله: «إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ»: أي على أمر الخلافة بالتنفير عنهم، وخفتهم على دينك باجتنب موافقتهم وأخذ عطائهم على غير السنّة.

وقوله: «فَاتَرَكَ...» إلى قوله: «مَنْعُوكَ»: أي اترك لهم دنياهم وانج بدينك فما أحوجهم إلى دينك وأغناك عن دنياهم.

وقوله: «سَتَعْلَمُ مِنَ الرَّابِحِ غَدًا وَالْأَكْثَرِ حَسَدًا»: أشار به إلى يوم القيامة، وظاهر كون تارك الدنيا أربح من المقبل عليها وأكثرية الحسد من لواحق أكثرية الربح.

وقوله: «وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ...» إلى قوله: «مُخْرَجًا»: بشارة له بخلاصة ممّا هو فيه من ضيق الحال بسبب الإخراج، وشرط في ذلك تقوى الله إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(١).

قال ابن عباس: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، قال: من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة. وظاهر كون التقوى عند استشعارها سبباً قاطعاً لطمع المتقي من الدنيا وقيناتها، وهو مستلزم لراجيه من مجاذبة النفس الأمّارة بالسوء عن الوقوع في شبهات الدنيا، وهي في استلزام الخلاص من غمرات الموت وشدائد يوم القيامة أظهر.

وكنى عليه السلام بالغاية المذكورة وهي رتق السماوات والأرض على العبد عن غاية الشدّة مبالغة ليتبين فضل التقوى، ثم أمره بالاستيناس بالحقّ وحده، والاستيحاش من الباطل وحده، وأكدّ الحصر في الموضعين بقوله: وحده، تنفيراً عن أن يستوحش من

(١) الطلاق: ٢.

الحق ما فترك وينفر عنه وإن صعب وشقّ على النفس، أو يستأنس بباطل ما فيفعل أو يسكت عليه وإن لذلها.

ونبه على علّه بغضهم وإخافتهم له وهو عدم مشاركتهم في دنياهم والانفراد بالإنكار وغلظة القول عليهم، وكفى بالقرض من الدنيا عن الأخذ. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام في المعروف في غير أهله ومواضع المعروف:

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنْ
الْحَظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ اللَّثَامِ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ
الْجُهَّالِ، مَا دَامَ مُنْعَمًا عَلَيْهِمْ: مَا أَجُودَ يَدُهُ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ
بَخِيلٌ!

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ،
وَلْيُفِكْ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِي، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْعَارِمَ، وَلْيُصْبِرْ
نَفْسَهُ عَلَى الْحَقُوقِ وَالنَّوَائِبِ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ؛ فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ
الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَدَرَكُ^(٢) فَضَائِلِ الْآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ
اللَّهُ^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٤٥ - ١٤٧ / شرح كلام له عليه السلام رقم ١٢٩.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ العطار: ودرك.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ١٩٨ / خطبة رقم ١٤٢، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٢٦٤ /

شرح الألفاظ الغريبة:

الغارم: من عليه الديون؛ صَبَرَ نفسه: - بالتخفيف - حَبَسَهَا^(١).

الشرح:

لَمَّا كَانَ لَوَاضِعُ الْمَعْرُوفِ سَوَاءً كَانَ فِي أَهْلِهِ أَوْ غَيْرِ أَهْلِهِ ثَنَاءً مِنَ النَّاسِ وَمَدْحٌ لَهُ بِالْكَرَمِ وَالْبَذْلِ كَانَ مِمَّا يَتَمَيَّزُ بِهِ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ عَنْ وَضَعِهِ فِي أَهْلِهِ. أَنَّ الْأَوَّلَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِهِ لَوَاضِعُ الْحَمْدِ مِنْ لُئَامِ النَّاسِ: أَيِ سَاقِطِي الْأَصُولِ وَالسَّفَهَاءِ وَالْأَشْرَارِ وَالْجُهَّالِ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِوَضْعِ الْأَشْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَقْلِ الَّذِي بِهِ نِظَامُ أُمُورِ الدُّنْيَا وَقَوَامُ نَوْعِ الْإِنْسَانِ فِي الْوُجُودِ مَعَ أَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ وَعِنْدَ أُولَى الْأَلْبَابِ الْعَارِفِينَ بِمَوَاقِعِ الْمَعْرُوفِ بِخَيْلٍ فِي جَنْبِ اللَّهِ تَعَالَى. وَأَمَّا الثَّانِي: فَتَحْصُلُ لَهُ الْمُحَمَّدَةُ مِنْ كُلِّ فِي الدُّنْيَا مُحَمَّدَةً مُطَابِقَةً لِلْحَقِّ مَعَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ فِي الْآخِرَةِ فَلَا جَرَمَ أَشَارَ إِلَى الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ: «فَلَيْسَ لَوَاضِعُ الْمَعْرُوفِ...» إِلَى قَوْلِهِ: «وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ».

وقوله: «ما أجود يده»: متعلّق بمقالة: أي ذلك هو الأمر الذي يقولونه مادام منعماً عليهم، وإِنَّمَا قَيَّدَ بِهَذَا الْقَيْدِ لِأَنَّ الْجَاهِلَ قَدْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَا يُسَدِّى إِلَيْهِ حَقٌّ لَهُ فَرَبَّيَا دَامَ حَمْدُهُ بِدَوَامِ ذَلِكَ الْإِنْعَامِ لَكِنْ يَنْقُطِعُ بَانْقِطَاعِهِ.

وَأَمَّا الْجَاهِلُ الشَّرِيرُ فَكَثِيرٌ مَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِنَّمَا يُسَدِّى إِلَيْهِ لَشَرِّهِ وَخَوْفُ أَذَاهُ فَرَبَّيَا

➡ خطبة رقم ١٤٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ١٨٠ / خطبة رقم ١٤١، ونهج

البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٢٧٨.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٢٦.

٣٠٦..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

يشكر المنعم مادام منعماً حتى إذا انقطع إنعامه جعل شره عوض شكره استجلاباً لذلك الإنعام المنقطع واستعادة له.

وأما الثاني: فنبيه أولاً على مواضع المعروف وأمر بوضعه فيها، وذكر منها خمسة: الأول: صلة الرحم.

الثاني: حسن الضيافة.

الثالث: فك الأسير والعاني، وإنما اختلف اللفظ.

الرابع: إعطاء الفقير والغارم وهو من عليه دين.

الخامس: الحقوق الواجبة على أهلها كالزكاة، والمستحبة كالصدقات.

وأشار بالنوائب إلى ما يلحق الإنسان من المصادرات والغرامات التي يفك بها الإنسان من أيدي الظالمين وألسنتهم، والإنفاق في ذلك من الحقوق الواجبة على الإنسان، والفضائل الخمس داخلة تحت فضيلة الكرم، والإشارة إلى ذلك بقوله: «فمن آتاه الله...» إلى قوله: «ابتغاء الثواب».

ونبه بهذه الغاية أعني المفعول له على أن الإنفاق في هذه الوجوه إنما يكون وضعاً للمعروف في موضعه إذا قصد به وجه الله تعالى.

فأما إذا قصد به الرياء والسمعة فهو وإن عدّ في ظاهر الشريعة مجزياً إلا أنه غير مجز ولا مقبول في باطنها.

ثم أشار بقوله: «فإن فوزاً بهذه الخصال...» إلى آخره: إلى ما يتميز به وضع المعروف في أهله وهو شرف مكارم الدنيا من الذكر الجميل بين الناس، والجاء العريض، ودرك فضائل الآخرة وهي درجات الثواب الجزيل الموعود لأولي الفضائل النفسانية، وإنما نكر الفوز لأن تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الذي يحصل بأي شخص

كان من أشخاصه، وهذا وإن كان حاصلًا مع الألف واللام للتعريف تلك الطبيعة إلا أن ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة والمعهود الشخصي فكان موهماً لفوز شخصي ولذلك كان الإتيان به منكرًا أفصح وأبلغ. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم:

فَمَنْ أَسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَغْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ^(٢)، فَلْيَفْعَلْ،
فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ،
وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عَلَيْهِ
وصف الإيمان: - سَبِيلُ أَبْلَجِ الْمُنْهَاجِ، أَنْوَرُ السَّرَاجِ، فَبِالْإِيمَانِ
يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ،
وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُزْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ
الدُّنْيَا وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ (وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ^(٣)، وَتُبْرَزُ^(٤) الْجَحِيمُ لِلْعَاوِينَ)^(٥)، وَإِنَّ الْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣: ١٨٠ - ١٨٢ / شرح كلامه عليه السلام رقم ١٤١.

(٢) في نهج البلاغة لصبحي صالح: الله عز وجل.

(٣) كلمة (للمتقين): ليست في نهج صبحي صالح.

(٤) في نهج صبحي صالح: تُبْرَزُ.

(٥) ما بين القوسين ليس في شرح النهج لابن أبي عمير ونهج محمد عبده.

لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ؛ مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى أَلْغَايَةِ الْقُصُوى^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

اعتقل نفسه: أي ضبطها وحبسها؛ والضغن: الحقد؛ والمرجل: القدر: المَقْصَر:
كمقعد - أي المجلس، أي لا مستقرّ لهم دون القيامة؛ مُرْقِلِينَ: مسرعين^(٢).

الشرح:

قوله: «عن ذلك»: يقتضي أنّه سبق منه قبل هذا الفصل ذكر فتن وحروب يقع بين المسلمين وجب على من أدركها أن يحبس نفسه على طاعة الله دون مخالطتها والدخول فيها، «وسبيل الجنة»: هو الدين القيم، وظاهر شرط حمله لهم عليه بالطاعة، إذ لا رأي لمن لا يطاع، ونبّه على أنّ من الدين الحقّ ما هو ذو مشقة شديدة ومذاقة مريرة كالجهاد، وكذلك سائر التكاليف لها مشقة.

مبدء الفصل في وصف الإيمان، والمراد بالإيمان التصديق القلبي بالتوحيد وبما جاء به الرسول ﷺ ولا شك في كونه سبيلاً أبليج واضح المسلك إلى الجنة أنور السراج في ظلمات الجهل، ولفظ السراج: مستعار، والصالحات: هي الأعمال الصالحات من سائر العبادات ومكارم الأخلاق التي وردت بها الشريعة، وظاهر كونها معلولات للإيمان وثمرات له يستدلّ بوجوده في قلب العبد على ملازمته لها استدلالاً بالعلّة على

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢١٨ - ٢١٩ / من كلام له عليه السلام رقم ١٥٦، وفيه: (الغاية القصوى منها)، نهج الشيخ العطار: ٢٩٠ / من كلام له رقم ١٥٦، وشرح النهج لابن ميثم ٣: ٢٥٨ - ٢٦٠ / من كلام له رقم ١٥٥، ونهج محمد عبده ١: ٣٠١ - ٣٠٢.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة في شرح نهج ابن ميثم ٣: ٢٥٨، وشرح الألفاظ الغريبة في نهج صبحي صالح: ٦٣٠.

المعلول، ويستدلّ بصدورها من العبد على وجود الإيمان في قلبه استدلالاً بالمعلول على العلة.

وأما قوله: «وبالإيمان يعمر العلم»: فلأنّ الإيمان بالتفسير المذكور إذا عضّده البرهان كان علماً وهو روح العلم، ويطلق اسم الإيمان عليه مع ثمراته، وهي الأعمال الصالحة لأنّها من كمالاته ولإتمام له ولا منفعة بدونها فإنّ العلم إذا لم يعضّد بالعمل فهو قليل الفائدة في الآخرة بل لا ثمره له فهو كالحراب الغير صالح للاقتناء فكما لا يصلح الحراب للسكنى فكذلك العلم الخالي عن الأعمال الصالحة فلذلك قال عليه السلام في موضع آخر: العلم مقرون بالعمل^(١). والعلم يهتف بالعمل فإن جاء به وإلا ارتحل^(٢). وأما قوله: «وبالعلم يهرب الموت»: فلأنّ العلم باللّه تعالى وغاية خلقه للإنسان وملاحظة نسبة الدنيا إلى الآخرة، والعلم بأحوال المعاد يستلزم ذكر الموت ودوام ملاحظته وكذلك مستلزم لرهبته والعمل له ولما بعده.

وقوله: «وبالموت يختم الدنيا»: ظاهر إذ الدنيا عبارة عمّا فيه الإنسان قبل الموت من التصرفات البدنيّة.

وقوله: «وبالدنيا تحرز الآخرة»: إشارة إلى أنّ الدنيا محلّ الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد، وفيها يحصل كمال النفوس الذي تحرز به سعادة الآخرة، وقد سبق بيانه. وقوله: «وبالقيامة تزلف الجنّة للمتّقين وتبرز الجحيم للغاوين»: إشارة لطيفة ذكرناها غير مرّة، وهو أنّ بالموت وطرح جلاباب البدن يتبيّن ما للإنسان وما عليه

(١) الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين ٢: ٣٦/حكمة رقم ٤٨٥.

(٢) الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين ٢: ٣٧/حكمة رقم ٥٠٢، وفيه: (فإن أجابته) بدل (فإن جاء به).

٣١٠..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

مما قدّم من خير أو شرّ وإن كانت ثمرة ذلك أثراً حاصلًا للنفس في الدنيا لأنّ التأمّل به والالتداذ إنّما يحصل لها بعد طرح البدن، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(١) ولفظ الإزلاف والبروز يشهد بذلك لأنّ فيه معنى الظهور: أي ظهور الإدراك إذن.

وقوله: «وإنّ الخلق لا مقصر لهم عن القيامة...» إلى آخره: كلام في غاية الحسن مع غزارة الفائدة، وهو إشارة إلى أنّه لا بدّ لهم من ورود القيامة.

[وقوله]: «ومضارها»: مدّة الحياة الدنيا، وهو لفظ مستعار، ووجه المشابهة كون تلك المدّة محلّ استعداد النفوس للسياق إلى حضرة الله كما أنّ المضمار محلّ استعداد الخيل للسباق، وقد سبق بيان ذلك في قوله: «ألا وإنّ اليوم مضمار وغداً السباق». وقوله: «مركلين» حال، وإرقالهم كناية عن سيرهم المتوهم في مدّة أعمارهم إلى الآخرة وسرعة حثيث الزمان بهم في إعداد أبدانهم للخراب. [وقوله]: «والغاية القصوى»: هي السعادة والشقاوة الأخرويّة^(٢).

الدنيا في كلام له عليه السلام في التزهّد من الدنيا والترغيب في الآخرة:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا

(١) آل عمران: ٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٣: ٢٥٨ - ٢٦٢ / شرح كلامه عليه السلام رقم ١٥٥.

مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ
أَسْرَارَكُمْ، أَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ^(١) مِنْهَا
أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتَبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ.
إِنَّ أَلَمْرءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا
قَدَّمَ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ! فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا^(٢)، وَلَا
تُخَلِّفُوا^(٣) كَلًّا^(٤) (فَيَكُونَنَّ قَرْضًا^(٥) عَلَيْكُمْ)^(٦).

شرح الألفاظ الغريبة:

مجاز: أي ممر إلى الآخرة^(٧).

الشرح:

حاصل الفصل التنفير عن الدنيا والترغيب في الآخرة بذكر الغاية من وجودهما
فتكون الدنيا مجازاً: أي يسلك بها إلى الآخرة سلوكاً اختيارياً كسلوك عباد الله
الصالحين إليه، واضطرارياً كعبور الكل إلى الآخرة بالموت، وأراد هنا الاضطراري،

(١) في نهج الشيخ العطار: تُخْرَج.

(٢) (قرضاً): ليس في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده.

(٣) في نهج صبحي صالح: وَلَا تُخَلِّفُوا.

(٤) (قرضاً): ليس في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده.

(٥) ما بين القوسين في نهج الشيخ العطار: فيكون عليكم كلاً.

(٦) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٢٠ - ٣٢١ / من كلام له رقم ٢٠٣، ونهج الشيخ العطار: ٤٢٧ -

٤٢٨ / من كلام له رقم ٢٠٣، وشرح النهج لابن ميثم ٤: ٥ / من كلام له رقم ١٩٤، ونهج محمد

عبده ١: ٤٤٤.

(٧) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٦٢.

وهاتان القرينتان كالمقدمة لقوله: «فخذوا من ممركم لمقركم». وقوله: «ولا تهتكوا...» إلى قوله: «أسراركم»: أي مجاهرته بالمعصية فإنه إذا كان يعلم أسراركم فهو يعلم ظواهركم أولى.

وقوله: «وأخرجوا...» إلى قوله: «أبدانكم»: أمر لهم بالزهد في الدنيا قبل الموت، وكفى عنه بإخراج القلوب منها، يقال: خرج فلان عن كذا، وأخرج نفسه من كذا إذا أعرض عنه وتبرأ منه.

وقوله: «ففيها اختبرتم»: إشارة إلى قصد العناية الإلهية منها، وقد عرفت معنى الاختبار، «ولغيرها خلقتم»: أي لنيل السعادة في الآخرة بالذات، أو الشقاوة لمن حرّمها بالعرض.

وقوله: «إنّ المرء...» إلى قوله: «ما قدّم»: أي ما ترك من متاع الدنيا أو ما قدّم من الأعمال الصالحة، وإنّما قرن ذكر الناس وما يسألون عنه بذكر الملائكة وما يسألون عنه لينبّه على شرف الأعمال المسعدة في الآخرة على متاع الدنيا لكون الأوّل مطلوب الملائكة وما تعتنون بالفحص عنه، وكون الثاني معنى الناس الغافلين، وفي لفظ ما ترك وما قدّم لطف شبيهه [تنبيه خل] على أنّ متاع الدنيا مفارق متروك والأعمال الصالحة مقدّمة باقية نافعة للمرء في معاده فينبغي أن تكون العناية بها دون المفارق المتروك.

وقوله: «لله آباؤكم»: كلمة تقوها العرب لتعظيم المخاطب بنسبته أو بنسبة أبيه إلى الله، يقال: لله أنت ولله أبوك، وقيل: اللام للعاقبة: أي إلى الله تصير آباءكم لكن بذلك يخرج الكلام عن معنى التعجب والاستعظام.

وقوله: «فقدّموا بعضاً...» إلى آخره: أي قدّموا بعضاً من متاع الدنيا كالصدقات

ونحوها يكن لكم ثوابها في الآخرة كقوله عليه السلام: يا بن آدم ليس لك من دنياك إلا ثلاث: ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت، ولا تخلّفوها بأسرها لغيركم فيكون عليكم وزرها^(١)، وقد علمت كيفية استلزام الصدقة والزكاة ونحوها للملكات الفاضلة والثواب الأخرى، واستلزام البخل وإدخال المال للشقاوة الأخرى، وإنما خصّ البعض بالتقديم لأنّ حرمان الورثة لا يجوز، ونهى عن تخليف الكلّ لأنّ ترك الزكاة والصدقة لا يجوز، وروي يكن لكم قرضاً ويكن عليكم كلاً وهو كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٢) ولفظ القرض مستعار، ووجه الاستعارة أنّ القرض يستلزم في العادة الطلب من المقترض وشكره لمقرضه وأداءه إليه، فأشبه ذلك تكرر أو أمر الله الطالبة للزكاة والصدقة وشكر الله للمنفقين في سبيله جزاؤه للمتصدقين في الآخرة بأضعاف ما بذلوه وأنفس كمية وكيفية من الكلّ الذي لا منفعة فيه مع وجود مضرته، ولما كان حفظ المال وتخليفه بعد الموت كذلك لا جرم كان كلاً، وبالله التوفيق^(٣).

الدنيا في كلام له عليه السلام كان كثيراً ما ينادي به أصحابه:

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا
الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَأَنْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِخَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ،
فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَوُوداً، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنْ

(١) انظر بحار الأنوار ٦٨: ٣٥٦.

(٢) البقرة: ٢٤٥، الحديد: ١١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٥ - ٧ في شرح كلام له عليه السلام رقم ١٩٥.

الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا.
وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةً، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ
نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا^(١) مُفْطَعَاتُ الْأُمُورِ،
وَمُعْضَلَاتُ الْمَحْذُورِ.
فَقَطَّعُوا عِلَاقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهَرُوا بِزَادِ التَّقْوَى^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

العُرْجَة: - بالضم - اسم من التعريج، بمعنى حبس المطيعة على المنزل؛ الكؤود:
الصعبة المرتقى؛ ملاحظ المنية: منبعث نظرها؛ دانية: قريبة؛ نَشِبَتْ: علفت بكم؛
استظهروا: استعينوا؛ مفطعات الأمور: عظامها وشدائدها المجاوزة حدّ المقدار المعتاد؛
معضلات المحذور: ما تقل منها وأمال^(٣).

الشرح:

مدار الفصل على الأمر بالتجهيز من الدنيا، وهو الاستعداد للسفر إلى الله بما يحتاج
إليه المسافرون إلى حضرته من الزاد المبلغ وهو التقوى والرحيل يحتمل أن يريد به
السفر بالموت فيكون المنادى هو حوادث الأيام الداعية بضرورتها للأمرجة إلى

(١) في نهج الشيخ العطار: منها.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٢١/ من كلام له عليه السلام رقم ٢٠٤، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

٤٢٨/ من كلام له رقم ٢٠٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ٧/ من كلام له رقم ١٩٥، ونهج

الشيخ محمد عبده ١: ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة في نهج صبحي: ٦٦٢، وابن أبي عمير: ٨: ٤.

الانهدام، ويحتمل أن يريد به السفر إلى الله بالرياضة الكاملة، والمنادى بذلك هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والكتاب العزيز وأولياء الله. ثم على الأمر بإقلال التعرّيج على الدنيا: أي بقلة الالتفات إليها إلا على القدر الضروري منها وهو الزهد. ثم بالانقلاب عنها بصالح ما يحضرهم في الدنيا ويمكنهم إعداده والاستعداد به وهو الأعمال الصالحة والتقوى.

وقوله: «فإنّ أمامكم عقبة كؤوداً»: استعار لفظ العقبة بوصف الكؤود، ووجه المشابهة شدة الملاقاة وقطع منازلها في حال تألم النفوس إلى آخر الموت، وأراد بالمنازل المخوفة المهولة منازل الآخرة بعد من القبر وسائر درجات النفوس في الشقاوة والأهوال الأخروية، وظاهر أنّه لا بدّ من ورود تلك المنازل والوقوف عندها إلى حين عبورها خصوصاً أصحاب الملكات الرديئة والعلائق الدنيئة البدئية، فإنّ وقوفهم بتلك المنازل أطول وشدائدهم فيها أهول.

وقوله: «واعلموا...» إلى قوله: «فيكم»: أخذ بعض لوازم المستعار وهو الملاحظة وذويها، وكفى بذلك عن كونها هم بالرصد لا تنقطع عنهم، وروي «دانية»: أي قريبة منهم، وكذلك المخالب «ونشبتها» كناية عن لحوق الآفات والأمراض المهلكة لهم، ومعنى التشبيه هاهنا تشبيه المقدّر القريب وقوعه وهو لحوق الموت لهم، ونسبة مخالب المنية فيهم بوقوع ذلك في السرعة. والباء في مخالبها للإلصاق، والواو في قوله: «وقد» للحال.

وقوله: «وقد دهمتمكم..» إلى قوله: «المحذور»: كناية عن لحوق شدائد الموت ومثقلات الظهور المحذورة وهي الذنوب.

٣١٦ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

وقوله: «فقطّعوا علائق الدنيا»: أمر بالزهد الحقيقيّ فيها والتخفيف منها بترك الفضول والاستكثار من متاعها، «واستظهِروا بزاد التقوى»: أي اتّخذوه ظهيراً لكم على مشاقّ السفر إلى الآخرة، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي - وهو من أصحابه - يعوده، فلما رأى سعة داره قال عليه السلام:

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا ^(٢) وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي
الْآخِرَةِ كُنْتَ ^(٣) أَحْوَجَ؟! وَبَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ، تَقْرِي
فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ
مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ ^(٤) بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ.

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.

قَالَ: وَمَالُهُ؟

قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا.

قَالَ: عَلَيَّ بِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ! لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ! أَمَّا

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميشم ٤: ٧ - ٩ / في شرح كلام له عليه السلام رقم ١٩٥.

(٢) في شرح النهج لابن ميشم ونهج محمد عبده: أمّا أنت.

(٣) كلمة (كنت): ليست في نهج الشيخ العطار.

(٤) (قد): ليست في نهج محمد عبده.

رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ^(١)؟! أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ
يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟! أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ!

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملابسك وجشوبة مأكلك!
قَالَ: وَيَحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللَّهَ فَרَضَ عَلَى أُمَّةٍ أَلْعَدْلِ
أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ، كَيْلًا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ^(٢)!

شرح الألفاظ الغريبة:

أَطْلَعَ الْحَقَّ مَطْلَعُهُ: أظهره حيث يجب أن يظهر^(٣).

الشرح:

قد استفهمه عن غرضه في توسعة داره استفهام توبيخ وإنكار لما أن ذلك ينافي
الزهد في الدنيا والحرص في الآخرة.

ثم عن كونه أحوج إليها في الآخرة استفهام تشبیه وتقرير، وأراد أنك لو كنت
أنفقت ما أخرجته على بنائها من المال في سبيل الله لكان أولى ولكنت إليه أحوج
منها، وفي رواية بإثبات الهمزة مع ما في قوله: «ما أنت».

وقوله: «وبلى...» إلى آخره. هداية له إلى وجوه استعمالها في مرضات الله والتقرب
بها إليه بعد التفريط في بنائها، وعدّ وجوه المبالاة المتعلقة بها.

ومطالع الحقوق وجوها الشرعية المتعلقة به كالزكاة والصدقة وغيرهما، وظاهر

(١) (وَوَلَدَكَ) في نهج صبحي صالح: (وَوَلَدَ).

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٢٤/ من كلام له رقم ٢٠٩، ونهج الشيخ العطار: ٤٣٢/ من كلام
له رقم ٢٠٩، وشرح النهج لابن ميثم ٤: ١٦/ من كلام له رقم ٢٠٠، ونهج محمد عبده ١: ٤٤٨.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٦٢.

كونها مبلّغة إلى الآخرة عند إخراج تلك الحقوق منها وفيها، ومقرّبة إلى الله .
وقوله: «عليّ به»: ينوب مناب فعل الأمر: أي جيئوا به .

«وعُدِّي»: تصغير عدوّ، واصله عديوو، فحذفوا إحدى الواوين وقلبوا الثانية ياء تخفيفاً وأدغموا فيها ياء التصغير، وإنّما صغّره استصغاراً له باعتبار أنّ شيطانه لم يعدّه إلى كبيرة بل قاده إلى أمر وإن كان خارجاً به عن الشريعة إلّا أنّه قريب من السلامة، ودخل عليه بالخدعة في رأي الصالحين، وكان شيطانه بذلك الاعتبار صغيراً بالنسبة إلى شيطان آخر وهو باعتبار القيادة لذلك الوسواس عديّ نفسه .

وقيل: بل صغّره من جهة حقارة فعله ذلك لكونه عن جهل منه وإنّما منعه من هذه الطريقة لكونه لم يترك الدنيا على وجه الترك بل كان لمشاركة هواه لعقله، وكان تركه ذلك مستلزماً لإهمال حقوق تجب عليه في الشريعة وتلزمه فنبّه بقوله: «لقد استهم بك الخبيث»: على أنّ فعله ذلك من مشاركة الشيطان ولم يكن عن عقليّة خالصة .
وبقوله: «أما رحمت أهلك وولدك»: على الحقوق اللازمة له من قبلهم، وقد أهملها بفعله ذلك .

فقوله: «أترى الله..» إلى قوله: «ذلك»: في مقام التوبيخ له على ذلك الترك وهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(١) الآية .

والحاصل أنّ ترك الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب الشارع من الزهد فيها والتخلّي عنها لأنّ الشارع يراعي نظام العالم باشتراك الخلق في عمارة الدنيا وتعاونهم على المصالح بقاء النوع الإنسانيّ وترك الدنيا وإهمالها بالكلية يعدم ذلك النظام وينافيه بل

الذي يأمر به الشارع القصد في الدنيا واستعمال متاعها على القوانين التي وردت بها الرسل والوقوف فيها عند الحدود المضروبة في شرايعهم دون تعديها كما أشار إليه عليه السلام من منع هذا الرجل .

وأما السالكون في الصوفيّة بعد عصر الصحابة فهم على طريقين: فمنهم من يختار الكشف وترك الطّيّبات وهجر اللذات رأساً؛ ومنهم من يؤثر الترف، والذي يفعله المحققون من السالكين من التّقشّف فلا ينافي الشريعة لعلمهم بأسرارها وطريقتهم تلك أقرب إلى السلامة من طريق المترفين لكون الترف مال الشيطان، وقد كان سلوك الرسول صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وجماعة من أكابر الصحابة أميل إلى طريق التّقشّف لكن مع مشاركتهم لأهل الدنيا في تدبير أحوال المدن وصلاحهم العالم غير منقطعين عن أهلها، ولا منعزلين .

فأما اعتراض عاصم على عليّ عليه السلام في نهيه له فحاصله أنّه قاس نفسه في الدنيا عليه، وتقديره إنّك إذا نهيتني عن ذلك فكيف بك؟! أي فكيف بما أرى من هذه الحال وأنت المقتدى به، أو فكيف أصنع بك مع الحال التي أنت عليها، وإنّما ينبغي لي أن أقتدي بك، فأجابه عليه السلام بجواب إقناعيّ بيّن فيه الفرق بينه وبينه، وهو إنّني إنّما فعلت ذلك لكوني إماماً وكلّ إمام فرض الله عليه أن يقدر نفسه بضعة الناس: أي ليسويها بهم في حالهم كيلا يهيج بالفقير فقره فيضعف عن حلمه فيكفر أو يفسق، وقد كان عليه السلام قبل الخلافة كذلك، والجواب المحقّق هو ما قلناه من كون هذه الطريق الأسلم .

وأما الفرق بينهما فيرجع إلى أنّ عاصماً سلك على غير علم بكيفيّة السلوك مع ترك الحقوق التي تلزمه لأهله وولده فكانت حالة التي فارقتها أولى به. وبالله التوفيق^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ١٧ - ١٩ / في شرح كلام له عليه السلام رقم ٢٠٠.

الدنيا في كلام له عليه السلام

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر،

فقال عليه السلام:

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا ... - إلى أن يقول عليه السلام في المنافقين - :
وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ :
رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَّصِعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا
يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَعَمِّدًا،
فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا
قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
رَأَاهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِيَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ
عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا
بَعْدَهُ (عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ) ^(١) فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ، وَالدُّعَاةِ
إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ
حُكَّامًا ^(٢) عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ
الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ ^(٣).

(١) ما بين القوسين ليس في نهج صحيحي صالح.

(٢) كلمة (حُكَّامًا) ليست في نهج الشيخ العطار.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٢٥-٣٢٦ / من كلام له رقم ٢١٠، ونهج الشيخ العطار: ٤٣٤ -

شرح الألفاظ الغريبة:

يتأثم: يخاف الإثم؛ يتحرج: يخشى الوقوع في الحرج وهو الجرم؛ لقف: تناول وأخذ عنه^(١).

الشرح:

قد نقل عنه عليه السلام أنه قال: سيكذب عليّ فإن كان الخبر صدقاً فلا بد أن يكذب عليه، وإن كان كذباً فقد كذب عليه.

ثم شرع في قسمة رجال الحديث وقسمهم إلى أربعة أقسام، ودلّ الحصر بقوله: ليس لهم خامس، ووجه الحصر في الأقسام الأربعة أن الناقل للحديث عنه عليه السلام المتسمين بالإسلام، إما منافق أو لا، والثاني: إما أن يكون قد وهم فيه أو لا، والثاني إما أن يكون قد عرف ما يتعلق به من شرائط الرواية أو لا يكون.

فالأول: وهو المنافق ينقل كما أراد سواء كان أصل الحديث كذباً أو أن له أصلاً حرّفه وزاد فيه ونقص بحسب هواه، فهو ضالّ مضلّ تعمداً وقصدًا.

والثاني: يرويّه كما فهم ووهم فهو ضالّ مضلّ سهواً.

والثالث: يروي ما سمع فضلاله وإضاله عرضي.

والرابع: يؤدّبه كما سمعه وكما هو فهو هاد مهديّ فأشار عليه السلام إلى القسم الأول بقوله: «رجل منافق...» إلى قوله: «فهذا أحد الأربعة».

➞ ٤٣٥/ من كلام له رقم ٢١٠، وشرح نهج ابن ميثم ٤: ١٩ - ٢٠/ من كلام له رقم

٢٠١، ونهج الشيخ محمد عبده ١: ٤٥٠.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٦٢.

فقوله: «متصنّع بالإسلام»: أي يظهره شعاراً له.

وقوله: «لا يتأنم»: أي لا يعرف بالإثم ولزوم العقاب عليه في الآخرة فلا يحذر منه، ووجه دخول الشبهة في قبول قوله: كونه ظاهر الإسلام والصحة للرسول ﷺ وسماع قوله مع كون الناس لا يعلمون باطنه ونفاقه وما أخبر به الله تعالى عن المنافقين كقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(١) وما وصفهم به كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾^(٢) الآية دلّت على وصفهم بالكذب في مطابقة عقائدهم لألسنتهم في الشهادة بأنّه رسول حقّ ومن كان يعتقد أنّه غير رسول فإنّه مظنّة الكذب عليه، وأئمّة الضلالة بنو أميّة، ودعاتهم إلى النار دعائهم إلى اتّباعهم فيما يخالف الدين، وذلك الاتّباع مستلزم لدخول النار.

«والزور والبهتان»: إشارة إلى ما كانوا يتقرّبون به إلى بني أميّة من وضع الأخبار عن الرسول ﷺ في فضلهم وأخذهم على ذلك الأجر من أولئك الأئمّة وتوليّتهم الأعمال والإمرة على الناس.

وقوله: «وإنما الناس...» إلى قوله: «إلا من عصم»: إشارة إلى علّة فعل المنافق لما يفعل فظاهر أنّ حبّ الدنيا هو الغالب على الناس من المنافقين وغيرهم لقربهم من المحسوس وجهلهم بأحوال الآخرة وما يراد بهم من هذه الحياة إلا من هدى الله فعصمه بالجذب في طريق هدايته إليه عن محبّة الأمور الباطلة، وفيه إيماء إلى قلة الصالحين كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) النساء: ١٤٥.

(٢) المنافقون: ١.

وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ^(١) وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ^(٢) وإنما قال: ثم بقوا بعده عليه السلام.

ثم حكى حالهم مع أئمة الضلال وإن كانت الأئمة المشار إليهم لم يوجدوا بعد إمّا تنزيلاً لما لا بدّ منه من ذلك المعلوم له منزلة الواقع أو إشارة إلى من بقي منهم بعد الرسول صلّى الله عليه وآله وتقرّب إلى معاوية لأنّه باذن ذاك إمام ضلالة، وأشار إلى القسم الثاني بقوله: ورجل سمع من رسول الله صلّى الله عليه وآله شيئاً لم يحفظه، إلى قوله: لرفضه، وذلك أن يسمع من الرسول صلّى الله عليه وآله كلاماً فيتصوّر منه معنى غير ما يريد به الرسول. ثم لا يحفظ اللفظ بعينه فيورده بعبارة الدالة على ما تصوّره من المعنى فلا يكون قد حفظه وتصوره على وجهه المقصود للرسول فوهم فيه ولم يتعمّد كذباً لوهمه فهو في يديه يرويه ويعمل به على وفق ما تصوّر منه ويسنده إلى الرسول صلّى الله عليه وآله، وعلة دخول الشبهة على المسلمين فيه هي عدم علمهم بوجهه، وعلة دخولها عليه في الرواية والعمل هو وهمه حين السماع حتّى لو علم ذلك لترك روايته والعمل به. وأشار إلى القسم الثالث بقوله: «ورجل سمع...» إلى قوله: «لرفضه» وعلة دخول الشبهة على الراوي وعلى المسلمين واحدة وهو عدم علمهم بأنّه منسوخ ^(٣).

(١) سورة ص: ٢٤.

(٢) سبأ: ١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٢٢ - ٢٣ / شرح كلام له رقم ٢٠١.

الدنيا في كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾^(١):

يَا لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ! وَزُورًا مَا أَغْفَلَهُ! وَخَطَرًا مَا أَفْطَعَهُ! - إلى أن يقول عليه السلام - فَكُمْ^(٢) أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزٍ جَسَدٍ، وَأَنِيقٍ لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا عَذِيٍّ تَرَفٍّ، وَرَبِيبٍ شَرَفٍ! يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وَشَحَاحَةِ بَلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ! فَبَيْنَا^(٣) هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ^(٤) فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ، إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكُهُ، وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْخُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ، فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيٌّ هَمٌّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فِتْرَاتٌ عِلَلٍ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ، فَفَزَعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الْأَطْبَاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَبَّجَ بُرُودَةً، وَلَا أَعْتَدَلَ بِمُمَارَجٍ لِيَتْلِكَ الطَّبَائِعُ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتٍ دَاءٍ؛ حَتَّى فُتِرَ مُعَلِّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ،

(١) التكاثر: ١ - ٢.

(٢) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: وكم.

(٣) في شرح النهج لابن ميثم: فبيننا.

(٤) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: وتضحك الدنيا إليه.

وَحَرَسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ
يَكْتُمُونَهُ، (فَقَائِلٌ: هُوَ لِمَا بِهِ) ^(١)، وَمَمَّنْ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ،
وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ،
فَبَيَّنَا ^(٢) هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ، إِذْ
عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ ^(٣)،
وَيَبَسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ، فَكَمَ مِنْ ^(٤) مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ
عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءِ مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ ^(٥) سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ
يُعْظَّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمَرَاتٍ هِيَ أَفْطَعُ
مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا ^(٦).

شرح الألفاظ الغريبة:

ألهاه عن الشيء: صرفه عنه باللهو، أي صرفكم عن الله اللهو والتكاثر بمكاثرة
بعضكم لبعض وتعدد كل منكم مزايا أسلافه؛ المرام: المطلب بمعنى المطلوب؛

(١) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: فقائل يقول: هُوَ لِمَا بِهِ، وفي نهج محمد عبده: فقائل: لما هو فيه.

(٢) في شرح النهج لابن ميثم: فبيننا.

(٣) في نهج الشيخ العطار: فِطْنَتِهِ.

(٤) (من) ليس في نهج الشيخ العطار.

(٥) في نهج الشيخ العطار: لقلبه.

(٦) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٣٨ - ٣٤١ / من كلام له رقم ٢٢١، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

٤٥٠ - ٤٥١ / من كلام له رقم ٢٢٠، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٥٥ - ٥٨ / من كلام له رقم

٢١٢، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ١: ٤٦٦ - ٤٧٣.

الزور: - بالفتح - الزائرون؛ ما أغفله: أي ما أشد غفلته؛ الأنيق: رائق الحسن؛
 الغذي: اسم بمعنى المفعول أي مغذى بالنعيم؛ الريب: بمعنى المرئي، ربّه يرّبّه أي ربّاه؛
 يتعدّل: يتشاغل؛ السلوة: انصراف النفس عن الألم بتخيّل اللذة؛ ضنّاً: أي بخلاً؛
 غضارة العيش: طيبه؛ شحاحةً: بخلاً وضنّاً؛ عيش غفول: وصف العيش بالغفلة لأنّه
 إذا كان هنيئاً يوجبها؛ الحسك: نبات تعلّق قشرته بصوف الغنم، ورقه كورق الرحلة
 أو أدق، وعند ورقه شوك ملرز صلب ذو ثلاث شعب، وهو تمثيل لمس الآلام؛
 الحتوف: المهلكات، وأصل الحتف: الموت؛ كَتَبَ: - بالتحريك - أي قُرِبَ؛ خالطه
 الحزن: مازج خواطره؛ البثّ: الحزن؛ النجّي: المُناجي؛ الفترات: جمع فترة، وهي
 المدة من الزمن، ويريد بفترات العلل أوائل السقم والمرض وانحطاط القوّة؛ القارّ: -
 بتشديد الراء على وزن اسم الفاعل - هنا البارد؛ اعتدل بمزاج: أي طلب تعديل
 مزاجه بدواء يمازج ما فيه من الطبائع؛ مُعَلِّل المريض: من يسلبه عن مرضه بترجية
 الشفاء؛ تَعَايا أهله: اشتركوا في العجز عن وصف دائه؛ هُوَ لَمَّا بِهِ: أي هو مملوك لعلّته
 فهو هالك؛ المُمْتَي: مخيّل الأُمْنِيّة؛ الإياب: الرجوع؛ أَسَى: جمع أُسوة؛ نوافذ الفطنة:
 ما كان من أفكار نافذة أي مصيبة للحقيقة؛ عَيّ: عجز لضعف القوّة المحرّكة للسانه؛
 العَمَرَات: الشدائد، ويريد بها سكرات الموت؛ تعتدل على عقولهم: أي تستقيم عليها
 بالقبول والإدراك^(١).

الشرح:

اللام في قوله: «ياله»: لام الجرّ للتعجب كقولهم: يا للدواهي، والجارّ والمجرور في

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٦٥ و ٦٦٧ - ٦٦٨.

محلّ النصب لأنّه المنادى، ويروى: «يا مراما»: ومراماً وزوراً وخطراً منصوبات على التمييز لمعنى التعجّب من بعد ذلك المرام وهو التكاثر فإنّ الغاية المطلوبة منه لا يدركها الإنسان لأنّ كلّ غاية بلغها ففوقها غاية أخرى قد أدركها غيره فنفسه تطمح إليها، وذلك التعجّب من شدّه غفلة الزور: أي الزائر للمقابر لأنّ الكلام خرج بسبب الآية، وظاهر أنّ غفلة الإنسان عمّا يزور ويقدم بعد تلك الزيارة عليه غفلة عظيمة وهي محلّ التعجّب، وكذلك التعجّب من فظاعة الخطر والإشراف على شدائد الآخرة فإنّ كلّ خطر دنيائي يستحقّر في جنبه.

قوله: «الغذيّ»، فعيل بمعنى مفعول: أي مغذي بالترف.

وقوله: «وفزع إلى السلوة»: أي عن المصيبة النازلة له إلى المسرّات والمتنزهات، «وضحكه إلى الدنيا»: كناية عن ابتهاجه بها، وما فيها من القينات وغاية إقباله عليه لأنّ غاية المبتهج بالشيء أن يضحك له، وكذلك ضحك الدنيا مجاز في إقبالها عليه إطلاقاً لاسم السبب الغائي على مسبّبه، وأصل بينا بين والألف عن إشباع الفتحة، «العيش الغفول»: الذي يكثر الغفلة فيه لطيبه، واستعار لفظ «الحسك» للآلام والأمراض ومصائب الدهر، ووجه المشابهة استلزامها للأذى كاستلزام الحسك له، ورشّح بذكر الوطي، وكذلك استعار وصف النظر لإقبال الحتوف إليه لاستعداد لها فشابهت في ذلك الراصد للشيء المصوّب إليه نظره ليقتنصه، «والبث والنجيّ» من الهَمّ الحال التي يجدها الإنسان عند وهم الموت من الوسواس والتخيّلات والغموم والأحزان التي لم تكن تعرض له.

وقوله: «فتولّدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحّته»: وانتصاب آنس على الحال، وما بمعنى الزمان، وكان تامّة، وبصحّته متعلّق بآنس: أي حال ما هو آنس زمان مدّة صحّته، وقيل: ما مصدرية، والتقدير آنس كونه على أحواله لصحّته.

وقوله: «فلم يطفئ ببارد إلا ثور حرارة...» إلى قوله: «ذات داء»: إشارة إلى لوازم العلاج عند سقوطه العلة من المرض الحارة والباردة المقاوم لها، وليس العلاج بالبارد هو المثور للحرارة ولا بالعكس؛ لأن الدواء معين للطبيعة على مقاومة المرض فلا يكون مثوراً له، ولكن ما كان مع ذلك العلاج وتلك الإعانة لغلب الحرارة والبرودة ويظهر بسبب ذلك: أي الدواء.

وكذلك قوله: «ولا اعتدال بمزاج لتلك الطبائع إلا أمد منها كل ذات داء»: أي ولا اعتدال المريض في علاجه نفسه بما يمازج تلك الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليوسة إلا كان مادة لداء، وليس مادة على الحقيقة ولكن لما كان يغلب معه المرض على القوة فكأنه مادة له فنسب إليه وهي أمور عرفية يقال كثيراً، والكلام فيها على المتعارف.

وقوله: «حتى فتر معلله»: غاية تلك اللوازم، ومعلله: طبيبه وممرضه، «وخرس أهله عن جواب السائل»: إشارة إلى سكوتهم عند السؤال من حاله، وذلك أنهم لا يخبرون عن عافية لعدمها، وتكره نفوسهم الإخبار عنه بما هو عليه من الحال لشدها عليهم، فيكون شأنهم في ذلك السكوت عن حاله المشبه للخرس في جوابه، فذلك استعارة له.

وقوله: «وتنازعوا...» إلى قوله: «من قبله»: إشارة إلى ما يتحاوره أهل المريض المشرف على الموت من أحواله وصوره بما العادة جارية أن يقولوه.

وقوله: «فبينما هو كذلك»: صفة حال الأخذ في الموت المعتاد للناس.

وقوله: «إن للموت...» إلى آخره: تلك الغمرات وكونها، أقطع من أن يحيط بها وصف الإنسان أو يستقيم شرحها على الإنسان كما يخبر عليه السلام.

ويعلم ذلك على سبيل الجملة وبالحدس والقياس إلى الأمراض الصعبة التي يارسها الناس ويشتدّ عليهم فيعرف عند مقاساتها ومعاناة شدائدّها، وكان ﷺ يقول في سكرات موته: اللهم أعني على سكرات الموت. وما يستعين عليه الرسول ﷺ مع كمال اتّصاله بالعالم الأعلى فلا شك في شدّته. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢):

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(٣) جَعَلَ الذِّكْرَ (جَلَاءً لِلْقُلُوبِ)^(٤) تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ - إِلَى أَنْ يَقُولَ ﷺ: - وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، يَهْتَفُونَ بِالزَّوْاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٥٩ - ٦٥ / في شرح من كلام له عليه السلام رقم ٢١٢.

(٢) النور: ٣٧، وقد أورد صبحي صالح قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ وهي آية ٣٦ من سورة النور وأتبعها بآية ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ...﴾.

(٣) في نهج صبحي صالح: سبحانه وتعالى.

(٤) ما بين القوسين في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: جلاء القلوب.

فَكَأَنَّمَا أَطْلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ ^(١) الْأَقَامَةِ فِيهِ،
وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا
حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا
يَسْمَعُونَ... ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

الذكر: استحضار الصفات الإلهية؛ جلاء: - بالكسر - من جلا السيف مجلوه إذا
صقله وأزال منه صدأه؛ الوقرة: ثقل في السمع؛ العشوة: ضعف البصر؛ هتف به:
- كضرب - صاح ودعا، وهتف الحمامة: صائت؛ القسط: العدل؛ يأترون به: يمتثلون
الأمر؛ العِدَات: - جمع عِدَة بكسر ففتح مخفف - الوعود ^(٣).

الشرح:

قوله: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ...» إلى قوله: «بعد المعاندة»: إنما يتضح بالإشارة إلى الذكر
وفضيلته وفائدته: الذكر هو القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ
أَنْزَلْنَاهُ﴾ ^(٤)، ونحوه، وقيل: هو إشارة إلى تحميده تعالى وتسبيحه وتكبيره وتهليله
والثناء عليه ونحو ذلك.

(١) في نهج صبحي صالح: طول.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٤٢ - ٣٤٣ / من كلام له رقم ٢٢٢، ونهج العطار: ٤٥٦ - ٤٥٧ /

من كلام له رقم ٢٢١، وشرح النهج لابن ميثم ٤: ٦٦ - ٦٧ / من كلام له رقم ٢١٣، ونهج محمد

عبد ١: ٤٧٣ - ٤٧٤.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٦٨.

(٤) الأنبياء: ٥٠.

وأما فضيلته فمن القرآن قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(١) وقوله: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٢) وقوله: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾^(٣) الآية، وقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾^(٤) الآية.

وأما من الأخبار فقوله عليه السلام: ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين^(٥).

وقوله عليه السلام: يقول الله: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه^(٦). وقوله: ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله^(٧).

قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله، قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا أن تضرب بسيفك إلى أن ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع - ثلاثاً -. وقوله: من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر منه ذكر الله^(٨)، ونحو ذلك.

فأما فائدته: فاعلم أن المؤثر من الذكر والنافع منه ما كان على الدوام أو في أكثر الأوقات مع حضور القلب، وبدونها فهو قليل الجدوى.

وبدينك الاعتبارين هو المقدم على سائر العبادات بل هو روح العبادات العملية وغاية ثمرتها، وله أول يوجب الأنس بالله، وآخر يوجهه الأنس بالله، وذلك أن

(١) البقرة: ١٥٢.

(٢) الأحزاب: ٤١.

(٣) البقرة: ١٩٨.

(٤) البقرة: ٢٠٠.

(٥) بحار الأنوار ٩٠: ١٥٨.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٥٤٠.

(٧) سنن ابن ماجه ٢: ٣٧٩٠/١٢٤٥.

(٨) مجمع الزوائد ومنيع الفوائد ١٠: ٧٥.

المريد في مبدء أمره قد يكون متكلفاً لذكر ليصرف إليه قلبه ولسانه عن الوسواس فإن وفق للمداومة أنس به وانعرس في قلبه حبّ المذكور، ومّا ينبّه على ذلك أنّ أحدنا يمدح بين يديه شخص ويذكر بحميد الخصال فيحبّه ويعشقه بالوصف وكثرة الذكر ثمّ إذا عشق بكثرة الذكر اضطرّ إلى كثرة الذكر آخرّاً بحيث لا يصبر عنه فإنّ من أحبّ شيئاً أكثر ذكره ومن أكثر من ذكر شيء وإن كان متكلفاً أحبّه؛ وقد شاهدنا ذلك كثيراً.

كذلك أوّل ذكر الله متكلف إلى أن يثمر الأنس به والحبّ له.

ثمّ يمتنع الصبر عنه أخيراً فيثمر الثمرة، ولذلك قال بعضهم: كابدت القرآن عشرين سنة، ثمّ تنعمت به عشرين سنة، ولا يصدر التنعم إلّا عن الأنس والحبّ، ولا يصدر الأنس إلّا من المداومة على المكابدة حتّى يصير التكلف طبعاً، ثمّ إذا حصل الأنس بالله انقطع عن غير الله، وما سوى الله يفارقه عند الموت فلا تبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا تبقى إلّا المحبوب المذكور فيتمتع به ويتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه من أسباب الدنيا ومحوباتها.

إذا عرفت ذلك فقلوه: «جعله جلاء»: إشارة إلى فائدته وهي استعداد النفوس بمداومته على الوجه الذي ذكرناه لمحبة المذكور والإعراض عمّا سواه، واستعار لفظ الجلاء لإزالة كلّ ما سوى المذكور عن لوح القلب بالذكر كما يزال خبث المرآة بالصقال، وتجوّز بلفظ السمع في إقبالها على ما ينبغي أن يسمع من أوامر الله ونواهيه وسائر كلامه، والوقرة لإعراضها عنها، وكذلك بلفظ البصر في إدراكها للحقائق وما ينبغي لها، ولفظ العشوة لعدم ذلك الإدراك إطلاقاً في المجازات الأربعة لاسم السبب على المسبّب وانقيادها له: أي للحقّ، وسلوك طريقه بعد المعاندة فيه والانحراف عنه.

وقوله: «وإنّ للذكر لأهلاً...» إلى قوله: «أيّام الحياة»: فأهله هو من ذكرنا أنّهم اشتغلوا به حتّى أحبّوا المذكور ونسوا ما عداه من المحبوبات الدنيويّة، وإنّ من حبّ محبّة المذكور محبّة ذكره وملازمته حتّى اتّخذوه بدلاً من متاع الدنيا وطيباتها ولم يشغلهم عنه تجارة ولا بيع وقطعوا به أيّام حياتهم الدنيا.

وقوله: «ويهتفون...» إلى قوله: «ويتناهون عنه»: إشارة إلى وجوه طاعتهم لله وعبادتهم له وهي من ثمرات الذكر ومحبّة المذكور؛ لأنّ من أحبّ محبوباً سلك مسلكه ولم يخالف رسمه وكان له في ذلك الابتهاج واللذّة.

وقوله: «فكأنّما قطعوا...» إلى قوله: «عداتها»: تشبيه لهم في ثقتهم بالله وبما جاءت به كتبه ورسله، وتحقّقهم لأحوال القيامة ووعدّها ووعيدّها بعين اليقين عن قطع الدنيا من أحوال أهل البرزخ وطول إقامتهم فيه فكشفوا غطاء تلك الأحوال لأهل الدنيا بالعبادات الواضحة والبيانات اللَّائِحَة حتّى كأنّهم في وصفهم لها عن صفاء سرائرهم وصقال جواهر نفوسهم بالرياضة التامّة يرون بأبصارهم ما لا يرى الناس، ويسمعون بأذانهم ما لا يسمعون الناس. إذ يخبرون عن مشاهدات ومسموعات لا يدركها الناس، ولما كان السبب في قصور النفوس عن إدراك أحوال الآخرة هو تعلّقها بهذه الأبدان واشتغالها بتدبيرها والانغماس في الهيئات الدنيويّة المكتسبة عنها، وكان هؤلاء الموصوفون قد غسلوا درن تلك الهيئات عن ألواح نفوسهم بمداومة ذكر الله وملازمة الرياضة التامّة حتّى صارت نفوسهم كمرأى مجلّوة حوذي بها شطر الحقائق الإلهيّة فتجلّت وانتقشت بها لاجرم شاهدوا بعين اليقين سبيل النجاة وسبيل الهلاك وما بينهما فسلكوا على بصيرة وهدوا الناس على يقين وأخبروا عن أمور شاهدوها بأعين بصائرهم وسمعوا بأذان عقولهم فكأنّهم في

٣٣٤..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

وضوح ذلك لهم وظهوره وإخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس بحواسهم
فشاهدوا ما لم يشاهده الناس وسمعوا ما لم يسمعه^(١).

**الدنيا في كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ﴾^(٢)**

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُعْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً
بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا
أَنَسَكَ^(٣) بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ - إلى أن يقول عليه السلام: - وَحَقًّا أَقُولُ! مَا
الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلَكِنْ بِهَا أَغْتَرَرْتُ، وَلَقَدْ كَاشَفْتُكَ أَلْعِطَاتِ^(٤)
وَأَذَنْتَكَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُّكَ مِنْ نُزُولِ أَلْبَلَاءِ
بِجِسْمِكَ، وَالتَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ،
أَوْ تَغُرَّكَ، وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهِمٌ^(٥)، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا
مُكَذِّبٌ^(٦)، وَلَسِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٦٨ - ٧١ / شرح كلام له عليه السلام رقم ٢١٣.

(٢) الانفطار: ٦.

(٣) في نهج البلاغة لصبحي صالح: أَنَسَكَ.

(٤) في شرح نهج البلاغة لابن ميثم، ونهج البلاغة لمحمد عبده: الْعِطَاتُ.

(٥) في نهج العطار: مُتَّهِمٌ.

(٦) في نهج العطار: مُكَذِّبٌ.

الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ
الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بِكَ! وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا
دَارًا، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوطِّنْهَا مَحَلًّا! وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا هُمْ
الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ...^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

دَحَضَتِ الْحِجَّةُ: - كمنع - بَطَلَتْ؛ أبرح جهالة بنفسه: أي أعجبته نفسه بجهالتها؛
كَاشَفْتُكَ الْعِظَاتِ: - بالنصب على نزع الخافض - أي أظهرت لك العظات أي
المواعظ؛ آذَنْتَكَ: أعلمتك على عدل؛ رَبِّ ناصح لها عندك مَثَمٌ: ربّ حادث من
حوادثها يلقي إليك النصيحة بالعبارة فتتهمه وهو مخلص؛ تعرّفَها: طلبت معرفتها
وعاقبة الركون إليها؛ الشحيح بك: البخيل بك على الشقاء والهلكة؛ وطّنه:
- بالتشديد - اتّخذهُ وطنًا^(٢).

الشرح:

قوله: «أدحض»: خبر مبتدأ محذوف والتقدير الإنسان عند سؤال ربّه له ما غرّك
بربّك الكريم أدحض مسؤول حجّة، وأشدّه انقطاعاً في عذره، ومبالغته في تجهيل
نفسه: كثرة إمهاها في متابعة هواها وتركها عن الإصلاح، والمنصوبات الثلاثة
مميّزات.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٤٤ - ٣٤٥ / من كلام له عليه السلام رقم ٢٢٣، ونهج الشيخ العطار: ٤٥٨

- ٤٦٠ / من كلام له عليه السلام رقم ٢٢٢، وشرح النهج لابن ميثم ٤: ٧٤ - ٧٦ / من كلام له عليه السلام رقم

٢١٤، ونهج محمّد عبده ١: ٤٧٦ - ٤٧٨.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٦٩.

وقوله: «يا أيها الإنسان...» إلى قوله: «بهلكة نفسك»: استفهامات عن أسباب جرأته على الذنوب وأسباب غرته بربه وغفلته عن شدة بأسه وعن أسباب أنسه بهلكة نفسه بتوريطها في المعاصي معها استفهاماً على سبيل التقرير والتوبيخ، ويحتمل أن يكون قوله: ما آنسك تعجباً، وكذلك الاستفهام عن بلوله من داء الجهل ويقظته من نوم الغفلة ورحمته لنفسه كما يرحم غيرها إلا أن الاستفهامات الثلاثة الأولى يطلب فيها تصوّر تلك الأسباب وفهم حقيقتها على سبيل تجاهل العارف، وفي هذه الثلاثة الأخيرة يطلب فيها التصديق.

وقوله: «وحقاً أقول: ما الدنيا غرّتك ولكن بها اغتررت»: تقدير منع لما عساه أن يجيب به الناس سؤاله تعالى إياهم بقوله: «ما غرّك ربّك»، وهو كثير في كلامهم: إنّ الدنيا هي الغاظة، وكما نسب القرآن الكريم إليها ذلك بقوله: ﴿وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾^(١) وكلامه عليه السلام حق من وجهين:

أحدهما: أن الاستغرار من لواحق العقل وليست الدنيا لها العقل.

والثاني: أنها لم تخلق لأن يستغرّ بها.

إذ كان مقصد العناية الإلهية بوجود الإنسان فيها فلا يجوز أن ينسب إليها الاستغرار حقيقة لكن لما كانت سبباً مادياً للاغترار بها جاز أن ينسب إليها الاستغرار مجازاً، وصدق قوله: «ولكن بها اغتررت».

وقوله: «ولقد كاشفتك العظات»: تقرير لمنع نسبة الاستغرار إليها بنسبة ضدها إليها وهو النصيحة له بما كاشفته بالمواعظ وهي محالّ الاتّعاظ من تصاريفها وعبرها، وبمجاهرتها وإعلامها على عدل منها، إذ خلقت لذلك التغيير والإعلام وعلى ذلك

(١) الأنعام: ٧٠ و١٣٠، والأعراف: ٥١.

التصريف ولم يمكن أن يكون إلا كذلك فلم يكن تصاريدها بك جوراً عليك .
 وقوله : «ولهي بما تعدك..» إلى قوله : «تغرك» : زيادة تأكيد لنصيحتها وتخويف
 منها ، واستعار لفظ الوعد لإشعارها في تغييراتها بما يتوقع من مصائبها كما أن الوعد
 إشعار بإعطاء مطلوب ، واستعمل الوعد في مكان الوعيد مجازاً إطلاقاً لاسم أحد
 الضدين على الآخر كتسمية السيئة جزاء ، وكذلك استعار لها لفظ الصدق والوفاء
 ملاحظة لشبهها بالصادق الوفي في أنه لا بد من إيقاع ما وعد به .
 وقوله : «أصدق وأوفى» مع قوله : «من أن تكذبك أو تغرك» : من باب اللف
 والنشر وفيه المقابلة .

وقوله : «ولرب..» إلى قوله : «مكذب» : تقرير لبعض لوازم الغفلة عليه وهي
 تهمته للمناصب منها وتكذيبه لصادق خبرها ، وأطلق لفظ التهمة والتكذيب مجازاً في
 عدم الالتفات إلى نصيحتها بتصاريدها وما يعلم من صادق تغييراتها وعدم اعتبار ذلك
 منها إطلاقاً لاسم ذي الغاية على غايته ، وكانت غاية التهمة والتكذيب عدم الالتفات
 إلى المتهم والمكذب والإعراض عنها .

وقوله : «ولئن تعرّفتها..» إلى قوله : «الشحيح بك» : صورة احتجاج نبه فيه على
 صدقها في نصيحتها كي تستنصح ولا تتهم ، وهو بقياس شرطي متصل ؛ وتقديره
 ولئن تعرّفتها : أي طلبت معرفة حالها في نصيحتها وغشها من الديار الخاوية والربوع
 الخالية للأمم السالفة والقرون الماضية لتعرّفتها بمنزلة الشفيق عليك والشحيح بك ،
 ووجه شبهها بذلك حسن تذكّرها لك وبلاغ مواعظتك وعبرتكم منها كما أن الناصح
 الشفيق عليك ، وبيان الملازمة بحال الوجدان بعد تعرّفها ، والاستثناء في هذه المتصلة
 لعين المقدّم لينتج عين التالي .

وقوله: «ولنعم..» إلى قوله: «محللاً»: مدح للدنيا باعتبار استعمالها على الوجه المقصود بالعناية الإلهية وهو الاعتبار بها دون الرضا بها لذاتها واتخاذها وطناً ودار إقامة، واسم نعم هو «دار من لم يرض»، والمخصوص بالمدح هو الدنيا، وداراً ومحللاً منصوبان على التمييز يقومان مقام اسم الجنس الذي هو اسم نعم إذا حذف، وهاهنا مسألان:

إحديهما: أن اسم الجنس الذي هو اسم نعم وبئس تضاف في العادة إلى ما فيه الألف واللام كقولك: نعم صاحب القوم، وقد أضافه هاهنا إلى ما ليس فيه الألف واللام، وقد جاء مثله في الشعر كقوله: فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم.

الثانية: أنه جمع بين اسم الجنس والنكرة التي تبدل منه، وقد جاء مثله في قوله: فنعم الزاد زاد أبيك زاداً، وإنما أضاف داراً إلى من لم يرض بها، ومحللاً إلى من لم يوطنها؛ لأن الدنيا إنما تكون داراً ممدوحة باعتبار كونها دار من لم يرض بها ولم يوطنها لاستلزام عدم رضاهم بها الانتفاع بالعبر بها واتخاذ زاد التقوى، وأولئك هم المتقون السعداء بها. ويحتمل أن يكون داراً ومحللاً منصوبين على التمييز عن قوله: لم يرض بها ولم يوطنها.

وقوله: «وإن السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم»: فوجه سعادتهم بها استثمارهم للكمالات المسعدة في الآخرة منها، ولن يحصل ذلك إلا بالهرب منها اليوم، وكفى بالهرب منها عن الإعراض الحقيقي عن لذاتها، والتباعد من اقتنائها ولذاتها لاستلزام الهرب عن الشيء التباعد عنه والزهد فيه، وظاهر أن التباعد منها بالقلوب إلا ما دعت الضرورة إليه واتخاذها مع ذلك سبباً إلى الآخرة من أسباب السعادة ومستلزماتها كما أشار إليه سيّد المرسلين ﷺ من حاله فيها بقوله: ما أنا والدنيا إنما

مثلي فيها كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فنزل فقعده في ظلها ساعة ثم راح وتركها^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام، وفيه يتبرأ من الظلم:

وَاللَّهِ لَأَنَّ أَيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا، وَأَجَرَ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِبًا لَشَيْءٍ مِنَ الْخُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلَى قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا؟! - إلى أن يقول عليه السلام: - وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرْقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنَّتْهَا كَأَنَّمَا عَجِنَتْ بِرَيْقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَّةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ، فَقُلْتُ: هَبْلَتَكَ الْهَبُولُ، أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟! أَمْحَتِطُ^(٢) أَمْ دُوجِنَّةٌ، أَمْ تَهْجُرُ؟ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ^(٣) شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ^(٤)، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ

(١) انظر بحار الأنوار ٧٠: ٦٨، شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٧٧ - ٨١ / شرح كلام له عليه السلام رقم ٢١٤.

(٢) في نهج صبحي صالح: أمحتبط أنت.

(٣) في نهج صبحي صالح: جُلْبَ؛ بضم الجيم.

(٤) في شرح النهج لابن ميثم ومحمد عبده: مَا فَعَلْتُ.

تَقْضُمُهَا، مَا لِعَلِّي وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
سُبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

كَأَنَّهُ يريد من «الحَسَك» الشوك؛ السَّعْدَان: نبت ترعاه الإبل له شوك تشبه به
حلمة الثدي؛ المُسَهَّد: من سَهده، إذا أسهره؛ والمَصْفَد: المقيّد؛ قَفُوها: رجوعها؛
الثرى: التراب؛ الملفوفة: نوع من الحلواء أهداها الأشعث بن قيس إلى عليّ؛ شَنِئَتْها:
أي كرهتها؛ الصلة: العطية؛ جُلِب الشعييرة: - بضمّ الجيم - قشرتها، وأصل الجُلِب
غطاء الرحل فتجوّز في إطلاقه على غطاء الحبة؛ قَضَمَتِ الدابة الشعر - من باب
عَلِمَ - : كسرتة بأطراف أسنانها؛ سُبَات العقل: نومه؛ والزلل: السقوط في الخطأ^(٢).

الشرح:

غرض الفصل التبرّي من الظلم، وذلك أنّ أحدهم كان يأتيه فيسأله العطاء
وهو عليه السلام لم يكن ليستبقي لنفسه شيئاً، ولا يرى أن يعطي من بيت المال أحداً دون
غيره فيحرمه، وربّما كان في غاية الحاجة فينسب إليه الظلم والتخصيص بالمال دونه،
فتبرّأ بهذا الكلام ممّا نسب إليه من ذلك.

فقلّبه: «والله..» إلى قوله: «الحطام»: بيان لمقدار نفرتة عن الظلم وغايتها. وعلة
ترجيحه أو اختياره لأحد الأمرين المذكورين على الظلم مع ما يستلزمه من التألم

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٤٦ - ٣٤٧/ من كلام له عليه السلام رقم ٢٢٤، ونهج البلاغة للشيخ
الخطّار: ٤٦١ - ٤٦٢/ من كلام له عليه السلام رقم ٢٢٣، وشرح النهج لابن ميثم ٤: ٨٣ - ٨٤/ من كلام
له عليه السلام رقم ٢١٥، ونهج محمد عبده ١: ٤٧٩ - ٤٨١.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٧٠.

والعذاب أن ما يستلزمه الظلم من عذاب الله أشدّ خصوصاً في حق من نظر بعين بصيرته تفاوت العذابين، مؤكّداً لذلك البيان بالقسم البارّ. ولفظ «الحطام» مستعار لمتاع الدنيا باعتبار حقارته، وأصله ما تكسر من نبت الأرض، وظالماً وغاصباً حالان. وقوله: «وكيف..» إلى قوله: «حلوها»: استفهام عن وجه ظلمه لأحد استفهام إنكار على من نسب إليه ذلك مع ذكر سببين ينعان العاقل من الظلم؛ وهما الرجوع إلى البلى من السفر في الدنيا، وطول الحلول في الثرى.

وقوله: «وأعجب من ذلك..» إلى قوله: «أم تهجر»: أي وأعجب من عقيل وحاله طارق طرقتنا، والطارق: الآتي ليلاً، وكُتِيَ بالملفوفة في وعائها عن الهدية، وقيل: كان شيئاً من الحلواء كالفالودق أو الحنص ونحوه.

ونبّه بقوله: «شنتها» على بغضه للأموال اللذيذة الدنيوية ونفرتة عنها زهداً فيها، ووجه تشبيهها بما عجن بريق الحية أو قيئها هو ما في تصوّره في قبولها من الفساد وما قصد بها مهديها في طلب الميل إليه المستلزم للظلم والجور عن سبيل الله فإنّ القصد الذي اشتمل عليه كالسمّ المهلك، وأمّا كون وجه كون المهدي أعجب من عقيل فلأنّ عقيلاً جاء بثلاث وسائل كلّ منها يستلزم العاطفة عليه: وهي الأخوة والفاقة، وكونه ذا حقّ في بيت المال، وهذا المهدي إنّما أدلى بهديّته.

فأمّا قوله في جوابه: «فقلت..» إلى قوله: «أهل البيت»: فإنّه أراد به حصر وجوب البرّ في العرف لأنّ التقرب إلى الله ببذل المال لعباده، إمّا صلة رحم أوّلاً، والثاني: فإمّا على وجه الصدقة أو الزكاة الواجبة ولم يذكر الهدية لأنّه لم يكن في وهم العاقل قبول عليّ عليه السلام لها خصوصاً زمان خلافته، وذلك أنّ مطلوب العاقل منه بالهدية إمّا حقّ أو باطل، والحقّ لا يحتاج إلى الهدية والباطل لا يفعله بوجه، ولذلك لما قال

له الطارق: إنّها هديّة. دعا عليه ونسبه إلى الجنون والهذيان، ولما قسّم عليه وجوب البرّ أبطل قسمين منها، بقوله: «فذلك محرّم علينا أهل البيت» وأراد الصدقة والزكاة. وأمّا صلة الرحم فلم يحتجّ إلى إبطالها؛ لأنّ الطارق لم يكن ذا رحم له، وقول الطارق: لا هذا ولا ذاك، يجري في مجرى إبطال الحصر بإبراز قسم رابع هو الهدية. وقوله: «هبلتك الهبول..» إلى قوله: «تهجر»: جواب لقوله: ولكّنها هديّة، قرّر عليه فيه ما فهمه من غرضه بالهدية وهو خداعه عن دينه؛ إذ الهدية لغرض حرام صورة استغرار وخداع، وذكر الخداع عن الدين تنفيراً لصاحب الهدية عن فعله ذلك، ولما كان ذلك الأمر لو تمّ الغرض به استلزم نقصان الدين كالخداع عن الدين فأطلق عليه لفظة الخداع استعارة.

وقوله: «أمتبط أم ذو جنة أم تهجر»: استفهام على سبيل الإنكار والتوبيخ على ذلك الخداع بعد تقريره عليه، إذ كان المخادع لمثله عليه السلام عن دينه لا يكون إلا على أحد الوجوه المذكورة غالباً، ولا يتصور أن يصدر منه ذلك الخداع عن رويّة صحيحة، وقد ذكر وجوه الخروج عن الصواب ممّا يتعلّق بالعقل.

وقوله: «والله..» إلى قوله: «ما فعلت»: يحتمل أن يكون ردّاً لوهم الطارق فيه أنّه يفعل مطلوبه الحرام بتلك الهدية، وإبطال لذلك الوهم عنه.

«والأقاليم السبعة»: أقسام الأرض، وهو دليل منه على غاية العدل.

وقوله: «وإنّ دنياكم..» إلى قوله: «تقضمها»: دليل على غاية الزهد منه في الدنيا،

كقوله في الشقشقية: «ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٤: ٨٤ - ٨٧ / شرح كلام له عليه السلام رقم ٢١٥.

الدنيا في كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي:

... يَا كَمِيلُ^(١)، هَلَكَ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَأَعْلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا، إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً! بَلَى أَصَبْتُ لَقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، وَمُسْتَظْهِرًا بِنَعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَادًا لِحَمَلَةِ الْحَقِّ، لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

الحَمَلَةُ: - بالتحريك - جمع حَامِلٍ، وَأَصَبْتُ: بمعنى وجدت: أي لو وجدت له حاملين لأبرزته وبشته؛ اللَّقِنُ: - بفتح فكسر - من يفهم بسرعة؛ الْمُتَّقَادُ لحاملي الحق: هو المنساق المُقَلَّد في القول والعمل، ولا بصيرة له في دقائق الحق وخفاياه؛ فذاك يسرع الشك إلى قلبه لأقل شبهة؛ في أحنائه: أي جوانبه، ومفردها حِنُو^(٣).

الشرح:

[العلم] من أفضليته على المال كون خزان المال هالكين في الآخرة محكوم عليهم

(١) في نهج العطار: يا كميل بن زياد.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٩٦/ من كلام له عليه السلام رقم ١٤٧، ونهج الشيخ العطار: ٦٦٠/ من

كلام له عليه السلام رقم ١٣٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٣٢١ - ٣٢٢/ ١٣٤، ونهج البلاغة لمحمد

عبده ١٧٩: ٢.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٧.

بذلك في الدنيا وإن صدق عليهم أنهم أحياء كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾^(١) الآية. وأمّا العلماء فباقون أبداً، وإن فقدت أعيانهم من الدنيا فصورهم في القلوب مشاهدة موجودة.

وأشار بعد تقرير كمال هذه الفضيلة إلى أنّ في صدره منها شيئاً كثيراً، وإنما يمنعه عن إظهاره عدم وجدان من يحمله عنه و - ها - للتنبيه، وجواب - لو - محذوف تقديره لأظهرته.

استثبت من يجده ونبّه على عدم صلاحيتهم لحمل ما عنده من العلم، وأشار إلى أربعة أصناف منهم، ووجه القسمة أنّ غير أهل العلم من الناس إمّا طالبون له أو غير طالبين: والطالبون: إمّا قادرون على القيام بالحجّة، أو غير قادرين؛ وغير الطالبين له هم المشغولون بغيره عنه فاشتغالهم إمّا بالانهاك في لذاتهم وسهولة الانقياد لشهواتهم، وإمّا بمحبّة جمع المال وادّخاره.

فالأوّل: هو الخبيث الموصوف برذيلة الجرّيزة، وأشار إليه بقوله: «بلى أصيب لقناً..» إلى قوله: «على أوليائه».

وأشار إلى وجوه عدم صلاحيتهم لحمله:

أحدها: كونه غير مأمون عليه: أي هو مظنّة أن يذيعه إلى غير أهله ويضعه في غير مواضعه، والضمير في قوله: عليه، للعلم.

الثاني: كونه مستعملاً لآلة الدين وهو العلم في الدنيا واستعماله فيها كالتكسّب به، ومستظهِراً بنعم الله وهي العلم على عباده كالفرح عليهم ومغالبتهم واستعمال حجّة الله وما علمه منها في مقابلة أوليائه وتلبّيس الحقّ بالباطل.

وأما الثاني: ممن لا يصلح لحمله فهو المقلد، وأشار إليه قوله: «ومنقاداً...» إلى قوله: شبهة. ومنقاداً عطف على لقناً، وأراد بالانقياد للحق الإيمان به وتسليمه على سبيل الجملة، وأشار إلى قوله غير صالح لحمله من وجهين: أحدهما: كونه ينقدح الشك في قلبه لأوّل عارض من شبهة، وذلك لعدم العلم وثباته في نفسه بالبرهان والحجة الواضحة^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي:

... اللَّهُمَّ بَلَى! لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ: إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا، أَوْ خَائِفًا مَغْمُورًا، لَيْلًا تَبْطُلُ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ. وَكُمُ ذَا وَآيِنَ أَوْلَيْكَ؟ أَوْلَيْكَ^(٢) - وَاللَّهِ - الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَالْأَعْظُمُونَ قَدْرًا، (بِهِمْ يَحْفَظُ اللَّهُ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ)^(٣) حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيَزَرِعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمْ أَلْعَلُّمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ^(٤) الْمُتَرْفُونَ، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٥: ٣٢٤ - ٣٢٥ / شرح كلام له عليه السلام رقم ١٣٤.

(٢) كلمة (أَوْلَيْكَ) ليست في شرح نهج ابن أبي عمير.

(٣) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح؛ ونهج محمد عبده: يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ.

(٤) في نهج صبحي صالح: ما استوعوره.

أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالِدُّعَاءُ إِلَى دِينِهِ، آهٍ آهٍ شَوْقًا
إِلَى رُؤْيَيْهِمْ! (انصَرَفَ إِذَا شِئْتَ) ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

مغموراً: غمره الظلم حتى غطاه، فهو لا يظهر؛ استلأنوا: عدّوا الشيء لئناً؛
استغفروه: عدّه وعراً خَسِناً؛ الْمُتَرَفُّونَ: أهل الترف والنعيم ^(٢).

الشرح:

عنى [عليه السلام] بحامله [العلم] نفسه من عساه يكون من أهله يومئذٍ. ثم
استدرك بقوله: اللَّهُمَّ بلى عدم خلوّ الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً أو مستتراً
مغموراً في الناس. وأراد بالظاهر مَنْ عساه يتمكن من إظهار العلم والعمل به من
أولياء الله وخلفاء أوليائه في موضع من الأرض، وبالحائف المغمور إلى من لم يتمكن
من ذلك.

قالت الشيعة: هذا تصريح منه عليه السلام بوجوب الإمامة بين الناس في كلّ زمان مادام
التكليف باقياً، وأنّ الإمام قائم بحجّة الله على خلقه ويجب بمقتضى حكمته، وهو إمّا
أن يكون ظاهراً معروفاً كالذين سبقوا إلى الإحسان ووصلوا إلى المحلّ الأعلى من
ولده الأحد عشر؛ وإمّا أن يكون خائفاً مستوراً لكثرة أعدائه وقلة المخلص من

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٩٧/ ضمن كلام له عليه السلام لكميل بن زياد رقم ١٤٧، وما بين القوسين
فيه: انصرف يا كميل إذا شئت، نهج الشيخ العطار: ٦٦١/ ضمن كلام له عليه السلام لكميل رقم ١٣٧،
وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٣٢٢/ ضمن ما قاله عليه السلام لكميل رقم ١٣٤، ونهج الشيخ محمد
عبده ٢: ١٨٠/ ضمن كلام له عليه السلام لكميل.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٨.

أوليائه كالحجّة المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل .
وقوله : «وكم ذا» : استبطاء لمُدّة غيبة صاحب الأمر وتبرّم من امتداد دولة أعدائه .
وقوله : «أين هم» : استقلال لعدد أئمّة الدين ، ولذلك نبّه بقوله : «أولئك والله الأقلّون عدداً» . وذكر في معرض مدحهم أوصافاً :
أحدها : الأقلّون عدداً الأعظمون قدراً عند الله .
الثاني : أنّ بهم يحفظ حججه وبيّناته المشتمل عليها دينه حتّى يودعوها أمثالهم ويزرعوها في قلوب أشباههم بعدهم .
الثالث : كونهم : «يهجم بهم العلم على حقيقة البصيرة» : أي فاجأهم ودخل على عقولهم دفعة لأنّ علومهم لدنيّة حدسيّة ، وقيل : ذلك على المقلوب : أي هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم .
الرابع : «وباشروا روح اليقين» : أي وجدوا لذّته .
الخامس : «واستلنا ما استوعر منه المترفون» : من الأمور الشاقّة كجشوبة المطعم وخشونة المضجع والملبس ومصايرة الصيام والسهر ، وذلك في جنب ما وجدوه من لذّة اليقين وحلاوة العرفان هيّئ لّين عندهم .
السادس : «وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون» : وهو الأحوال التي ألفوها ممّا ذكرنا فإنّ الجاهل لجهله بثمرتها ينفر منها ويستوحش من أهلها .
السابع : «وصحبوا الدنيا بأبدان أرواح معلّقة بالمحلّ الأعلى» : عاشقة لما شاهدته من جمال حضرة الربوبيّة وصحبة الملائكة ، ولما ما ميّزهم بالأوصاف المذكورة أشار في معرض مدحهم أيضاً إلى أنّ هؤلاء لما اشتملوا عليه من هذه الأوصاف هم خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه .

ثم تأوّه شوقاً إلى رؤيتهم و - آه - كلمة توجّع أصلها - أوه - والفصل من أفصح ما نقل عنه عليه السلام^(١).

وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بَغَيْرِ الْعَمَلِ، وَيَرْجِي^(٢) التَّوْبَةَ بِطُولِ
الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ
الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ؛
يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، يَنْتَهِي وَلَا
يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ،
وَيُبْغِضُ الْمُنْذِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ،
وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ^(٣)، (إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا، وَإِنْ
صَحَّ أَمِنَ لَا هِيََا)^{(٤)(٥)}.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٣٢٦ - ٣٢٧ / ضمن شرح كلامه عليه السلام لاكميل رقم ١٣٤.

(٢) في نهج الشيخ العطار: وَيُزْجَى.

(٣) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: يُكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ.

(٤) ما بين القوسين في شرح النهج لابن ميثم: إِنْ سَقِمَ وَإِنْ صَحَّ ظَلَّ نَادِمًا، أَمِنَ لَا هِيََا.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٩٧ - ٤٩٨ / في (وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه) رقم ١٥٠، ونهج

البلاغة للشيخ العطار: ٦٦٢ / في (وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه) رقم ١٤٠، وشرح نهج البلاغة

لابن ميثم ٥: ٣٢٨ في (وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه) رقم ١٣٧، ونهج البلاغة للشيخ محمد

عبده ٢: ١٨١ / في (وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه).

شرح الألفاظ الغريبة :

يُرجى التوبة : - بالتشديد - أي يؤخر التوبة ؛ يقيم على الشيء : يداوم على إتيانه ؛ سقيم : مريض ^(١).

الشرح :

حاصل الفصل نهي طالب الموعظة عن أربع وثلاثين رذيلة ، نذكر منها اثنا عشر رذيلة لما أخذنا من كلامه عليه السلام :

أحدها : رجاء الآخرة وثوابها بغير عمل ، فإن ذلك منى على الله ، وقد علمت أن المنى بضائع النوكى .

الثانية : ترجيه التوبة أو إرجاؤها بطول الأمل فإن ذلك يستلزم البقاء على المعصية والعذاب بها في الآخرة .

الثالثة : أن يجمع بين قول الزاهدين في الدنيا وعمل الراغبين فيها ، وهو خداع الله ، وعمله فيها عمل الراغبين يستلزم أن يصيبه ما أصابهم من عذاب الآخرة بها .

الرابعة : أن لا يشبع مما يعطى منها ، وذلك رذيلة الشره والحرص .

الخامسة : أن لا يقنع إن منع ، وذلك رذيلة التفريط من فضيلة القناعة .

السادسة : أن يجمع بين العجز عن شكر ما أوتي من نعمة الله وبين طلب الزيادة من فاضلها ، وهو جمع بين رذيلة التفريط من فضيلة الشكر وبين رذيلة الحرص .

السابعة : أن يجمع بين نهيه عن المعاصي وعدم تنأيه عنها ، وهو نفاق وخداع الله .

الثامنة : أن يأمر بما يقصر عن فعله ، وهو كالذي قبله .

(١) شرح الألفاظ الغريبة : ٧١٨ .

٣٥٠..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

التاسعة: أن يحبّ الصالحين ويقتصر عن عملهم، وتقصيره النقض على محبته لهم.
العاشرة: أن يبغض المذنبين، وهو أحدهم، فيكون فعله كالنقض على بغضه لهم.
الحادية عشر: أن يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم على ما يكره الموت له من كثرة
الذنوب فإقامته على ذنوبه كالنقض على كراهيته للموت لأجلها مع ما يلزمها من
العذاب الأخروي.

الثانية عشر: أن يجمع بين ندمه حال سقمه على تفريطه في جنب الله وبين لهوه في
لذته حال أمنه وهو أيضاً كالتناقض^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميشم ٥: ٣٢٩ - ٣٣٠ / ضمن شرح (وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه) رقم
١٣٧.

الفصل الثالث

الدنيا في كتب أمير المؤمنين عليه السلام

الدنيا في كتاب له ﷺ كتبه لشريح بن الحارث قاضيه:

رُوي أنّ شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين ﷺ اشترى على عهده داراً بثمانين
يناراً، فبلغه ذلك، (فاستدعى شريحاً)^(١)، وقال له:

بَلَّغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، (وَكَتَبْتَ كِتَاباً)^(٢)،
وَأَشْهَدْتَ فِيهِ^(٣) شُهوداً.

فقال^(٤) شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين.

قال: فنظر إليه نظر المغضب ثم قال له:

يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ
عَنْ بَيْتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَيُسَلِّمَكَ^(٥) إِلَى قَبْرِكَ
خَالِصاً، فَاَنْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ
مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ

(١) ما بين القوسين في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: فاستدعاه.

(٢) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: وكتبت لها كتاباً.

(٣) (فيه): ليس في نهج محمد عبده، وهي في شرح النهج لابن ميثم بين معقوفتين [].

(٤) في نهج صبحي صالح: فقال له.

(٥) في نهج صبحي صالح ونهج محمد عبده: وَيُسَلِّمَكَ.

دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا
أَشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَابًا عَلَى هَذِهِ النُّسخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي
شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهِمٍ فَمَا فَوْقُ^(١).
وَالنُّسخَةُ هَذِهِ:

هَذَا مَا اشْتَرَيْتُ عَبْدُ ذَيْلٍ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، أَشْتَرَيْتُ
مِنْهُ دَارًا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ... - إلى أن يقول عليه السلام: - شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ
الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

شاخصاً: ذاهباً مبعداً^(٣).

الشرح:

غرض الفصل التنفير عن متاع الدنيا وعن الركون إلى فضولها، وبدء قبل توبيخه
باستنبات الأمر منه بقوله: «بلغني..» إلى قوله: «شهوداً»: و- كان - في قول شريح:
قد كان، تامة.

ثم أخذ في تنفيره عن محبة هذه الدار واقتنائها بتذكيره الموت ووعدته بإتيانه وأنه
يخرجه منها ويسخطه فيسلمه إلى قبره خالصاً مجرداً من تلك الدار وعن كل قينة

(١) في نهج البلاغة للشيخ العطار: فما فوقه.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٦٤ - ٣٦٥ / من كتاب له عليه السلام رقم ٣، ونهج البلاغة للشيخ العطار:

٤٨٢ / من كتاب له عليه السلام لشريح رقم ٣، وشرح النهج لابن ميثم ٤: ٣٤٢ - ٣٤٣ / من كتاب له عليه السلام

كتبه لشريح رقم ٣، ونهج البلاغة لمحمد عبده ٢: ٤ - ٥ / من كتاب له عليه السلام كتبه لشريح.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٧٥.

اقتناها من الدنيا، ثمَّ خوَّفه من دخيلة ثمنها وأن يكون فيه شائبة حرام وارتشاء على الأحكام بما يستلزمه ذلك من خسران الدنيا بالموت وخسران الآخرة ونعيمها باعتبار ما لزمه من الآثام بأكل الحرام وابتعته واشتريته بمعنى، وروي «أما» مخففة. فإن قلت: فكيف قال: فما فوقه؟ ومعلوم أنه إذا لم يرغب فيها بدرهم فبالأولى أن لا يرغب فيها بما فوقه.

قلت: لما كان الدرهم هنا أقلَّ ما يحسن التملُّك به في القلَّة وكان الغرض أنك لو أتيتني عند شرائك هذه الدار لما شريتها بشيء أصلاً لم يحسن أن يذكر وراء الدرهم ما فوقه، ونحوه قول المتنبي:

ومن جسدي لم يترك السقم شعرة فافوقها إلا وفيها له فعل
وكان قياسه أن يقول: فما دونها.
واعلم أن في النسخة نكتاً:

إحديها: خصَّ المشتري بصفة العبودية والذلة كسراً لما عساه يعرض لنفسه من العجب والفخر بشراء هذه الدار.

الثانية: أطلق لفظ الميِّت على من سيموت يعني البائع مجازاً إطلاقاً لما بالفعل على ما بالقوَّة، وتنزيلاً للمقتضي منزلة الواقع لغرض التحذير من الموت وإزعاجه للرحيل إلى الآخرة إمَّا ترشيح الاستعارة أو إشارة إلى إيقاظه وتنبيهه بالأعراض والأمراض وكلَّ مذكَّر له من العبر. وفي بعض النسخ من عبد قد أزعج.

الثالثة: كنى بدار الغرور عن الدنيا باعتبار غرور الخلق بها وغفلتهم بما فيها عمَّا وراها.

قوله: «في الشهادة على ذلك العقل..» إلى آخره، في غاية الشرف وذلك أن

الشاهد بما ذكره في هذا الكتاب من أوصاف المتبايعين وحدود المبيع ومن يلحقه دركه وغير ذلك مما عدده ليس إلا صرف العقل المبرء عن خطر الوسواس، المطلق من أسر الهوى، السالم عن محبة الدنيا وما يتعلّق به منها. إذ كان بتجرّده من هذه العلائق صافياً من كدر الباطل فيرى الحقّ كما هو أهله ويحكم به فأماً إذا كان أسيراً في يد الهوى مقهوراً تحت سلطان النفس الأمّارة لم يكن نظره إلى الحقّ بعين صحيحة بل بعين غشّت ظلمات الباطل أنوارها فلذلك لم يشهد بمحض الحقّ إذ لم يره من حيث هو حقّ خالص بل شهد بالباطل في صورة الحقّ كشهادته بالمصلحة في اقتناء الدنيا نظراً لعاقبة الولد أو خوف الفقر ونحوه ممّا يباح لأجله الطلب في ظاهر الشرع ولو نظر إلى الحقّ بعين الصدق لعلم أنّ الجمع للولد ليس تكليفاً له لأنّ رازق الولد هو خالقه، وأنّ الجمع لخوف الفقر تعجيل فقر واشتغال عن الواجب عليه بغيره، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً:

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَائِبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا
قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا، دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ
فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا، وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفَكَ وَاقِفٌ عَلَى
مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ^(٢)، فَأَفْعَسَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخَذَ أُهْبَةً

(١) شرح ابن ميثم ٤: ٣٤٤ - ٣٤٨ / شرح كلامه عليه السلام كتبه لشرح رقم ٣.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ العطار: مُنْجٍ، وفي هامشه كالمثبت.

أَلْحِسَابِ، وَشَمَّرَ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ،
وَالْأَلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمَكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ
الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى
الرُّوحِ وَالْدَّمِ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

الجلابيب: - جمع جلباب - وهو الثوب فوق جميع الثياب كالمِلْحَفَةِ؛ تَبَهَّجَتْ:
تَحَسَّنَتْ؛ المَجْنُ: التُّرْس، أي يوشك أن يطلعك الله على مهلكة لك لا تتقي منها بترس،
ورويت «مُنْج» بدل «مَجْن»؛ قَعَسَ: تَأَخَّرَ؛ الْأَهْبَةُ: - بضم الهمزة - العُدَّة؛ الْغُوَاة: جمع
غَاوٍ، قرين السوء الذي يزيّن لك الباطل ويغريك بالفساد؛ الْمُتْرَف: من أَطْعَنَهُ النعمة^(٢).

الشرح:

إِنَّ أَوَّلَ هَذَا الْكِتَابِ: «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.
سلام على من اتّبع الهدى، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..
أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّكَ رَأَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَتَصَرَّفَهَا بِأَهْلِهَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا، وَخَيْرُ مَا بَقِيَ مِنَ
الدُّنْيَا مَا أَصَابَ الْعِبَادَ الصَّادِقُونَ فِيمَا مَضَى مِنْهَا، وَمَنْ يَقْسُ الدُّنْيَا بِشَأْنِ الْآخِرَةِ يَجِدُ
بَيْنَهُمَا بَوْنًا بَعِيدًا.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٦٩ - ٣٧٠ / من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً رقم ١٠، ونهج
الشيخ العطار: ٤٨٩ - ٤٩٠ / من كتاب له عليه السلام رقم ١٠، وشرح النهج لابن ميثم ٤: ٣٧٠ / من
كتاب له عليه السلام إلى معاوية رقم ١٠، ونهج الشيخ محمد عبده ٢: ١٠ - ١١ / من كتاب له عليه السلام إليه
أيضاً.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٧٦.

واعلم يا معاوية أنك قد ادّعت أمراً لست من أهله لا في القدم ولا في البقية ولا في الولاية، ولست تقول فيه بأمر بين يُعرف لك فيه أثر ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تدّعيه من رسول الله ﷺ .. ثم يتصل بقوله: «فكيف أنت ... إلى آخره».

قد استفهم عن كيفية صنعه عند مفارقة نفسه لبدنه استفهام تنبيه له على غفلته عما ورائه من أحوال الآخرة وتذكيراً بها، واستعار لفظ الجلايب للذات الحاصلة له في الدنيا بمتاعها وزينتها؛ ووجه الاستعارة كون تلك الذات ومتعلقاتها أحوال سائرة بينه وبين إدراك ماورائه من أحوال الآخرة مانعة له من ذلك كما يستر الجلاب ماورائه، ورشح الاستعارة بذكر التكشف، ولفظ - ما - مجمل بينه بقوله: «من دنيا» مع سائر صفاتها وهي تحسنها وزينتها وأسند إليها التبهج مجازاً، إذ الجاعل لها ذات تبهج ليس نفسها بل الله تعالى.

وفي قوله: «وخدعت»: مجاز في الأفراد والتركيب:

أما في الأفراد: فلأن حقيقة الخدعة أن يكون من إنسان لغيره فاستعملها هاهنا في كون الدنيا بسبب ما فيها من الذات موهمة لكونها مقصودة بالذات وأنها كمال حقيقي مع أنها ليست كذلك وذلك يشبه الخدعة.

وأما التركيب: فلأن كونها موهمة لذلك ليس من فعلها بل من أسباب أخرى منتهى إلى الله سبحانه.

وكذلك التجوّز في قوله: «دعتك وقادتك وأمرتك»: فإن الدعاء والقود والأمر لها حقائق معلومة لكن لما كانت تصوّرات كما لها أسباباً جاذبة لها أشبهت تلك التصوّرات الدعاء في كونها سبباً جاذباً إلى الداعي فأطلق عليها لفظ الدعاء،

وكذلك أطلق على تلك التصوّرات لفظ القود والأمر باعتبار كونها أسباباً مستلزمة لاتباعها كما أنّ الأمر والقود يوجبان الاتّباع.

وأما في التركيب فلأنّ تلك التصوّرات التي أطلق عليها لفظ الدعاء والقود والأمر مجازاً ليس فاعلها وموجبها هو الدنيا بل واهب العلم، ولما كانت إجابة الدنيا واتباعها وطاعتها معاصي يخرج الإنسان بها عن حدود الله ذكرها في معرض توبيخه وذمّه.

وقوله: «وإنّه يوشك»: تذكير بقرب اطلاعه على ما يخاف من أهوال الآخرة والوصول إليه اللازم عن لزوم المعاصي وهو في معرض التحذير له والتنفير عن إصراره على معصية الله بادّعاء ما ليس له: أي يقرب أن يطّلعك مطّلع على ما لا بدّ لك منه ممّا يخاف من الموت وما تستلزمه معاصيك من لحوق العذاب، وظاهر أنّ تلك أمور غفلت عنها العصاة في الدنيا ما داموا في حجب الأبدان فإذا نزع عنهم تلك الحجب اطّلعوا على ما قدّموا من خير أو شرّ وما أعدّ لهم بسبب ذلك من سعادة أو شقاوة كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾^(١) الآية، وقد مرّت الإشارة إلى ذلك غير مرّة، وذلك المطّلع والموقف هو الله سبحانه، ويحتمل أن يريد به نفسه عليه السلام على سبيل التوعيد له والتهديد بالقتل المستلزم لذلك الاطلاع إن دام على غيّه، وظاهر أنّ تلك الأمور التي تقف عليها لا ينجيه منها منج.

ثمّ أردف ذلك التوبيخ والتهديد بالغرض له منها وهو أمره بالتأخير عن أمر الخلافة.

(١) آل عمران: ٣٠.

٣٦٠ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

ثم أردف ذلك بما يستلزم التخويف والتهديد فأمره بأخذ الأهبة للحساب والاستعداد له بعدته وهي طاعة الله وتقواه ومجانبة معاصيه، وبالتشهير لما قد نزل به. وكفى بالتشهير عن الاستعداد أيضاً، وما نزل به إمّا الموت أو القتل وما بعده تنزيلاً لما لا بدّ من وقوعه أو هو في مظنة الواقع منزلة الواقع، ويحتمل أن يريد الحرب التي يريد أن يوقعها به.

ثمّ نهّاه عن تمكين الغواة من سمعه، وكفى به عن إصغائه إليهم فيما يشيرون به عليه من الآراء المستلزمة للبقاء على المعصية، إذ من شأن الغاوي الإغواء، والغواة كعمرو بن العاص، ومروان، ومن كان يعتضد به في الرأي. وقوله: «والّا تفعل»: أي إن لم تفعل ما أمرك به أعلمك ما تركت من نفسك، ومفعول تركت ضمير - ما -.

وقوله: «من نفسك»: بيان لذلك الضمير وتفسير له، وإغفاله نفسه تركه إعدادها بما يخلصه من أهوال الحرب وعذاب الآخرة وهو ملازمة طاعة الله واقتناء الفضائل النفسانية، ويفهم من ذلك الإعلام الذي توعّد به الإعلام بالفعل فإنّ مضايقته بالحرب والقتال يستلزم إعلامه ما أغفل من نفسه من طاعة الله المستلزمة للراحة. وقوله: «فإنّك..» إلى قوله: «الدم»: وصف له بمذام يستلزم إعلامه بالفعل [بالقول خل] ما أغفل من زمنه. فالترف مستلزم لتجاوز الحدّ الذي ينبغي ويتركه وذلك الحدّ فضيلة تحت العفة يكون الشيطان قد أخذ منه مأخذه وبلغ فيه أمله وجرى منه مجرى الروح والدم في القرب يستلزم وصفه بكلّ الرذائل المستلزمة أضدادها من الفضائل^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٣٧١ - ٣٧٤ / في شرح كتاب له إلى معاوية رقم ١٠.

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية، جواباً عن كتاب منه إليه:

وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِإِعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ
أَمْسٍ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عَلَيْهِ السلام: - وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرَّجَالِ،
فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ
بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ.
وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدٍ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةُ
كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبُ كَعْبِدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ،
وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيحِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ
كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَيْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ
سَلَفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ...^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

المُهَاجِر: من آمن في المخافة وهاجر تخلصاً منها؛ الطَّلِيح: الذي أسر فأطلق باليمن
عليه أو الفدية، وأبو سفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح وهاجر تخلصاً منها؛

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٧٤ - ٣٧٥ / من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً على كتاب منه إليه
رقم ١٧، نهج البلاغة للشيخ العطار: ٤٩٦ - ٤٩٧ / من كتاب له عليه السلام رقم ١٧، وشرح نهج
البلاغة لابن ميثم ٤: ٣٨٨ - ٣٨٩ / من كتاب له عليه السلام إلى معاوية رقم ١٧، ونهج البلاغة للشيخ
محمد عبده ٢: ١٧ - ١٨ / من كتاب له عليه السلام إلى معاوية.

الصريح: صحيح النسب في ذوي الحسب؛ اللصيق: من ينتمي إليهم وهو أجنبي عنهم؛ المذغل: المفسد^(١).

الشرح:

قال ابن ميثم: روي أنّ معاوية استشار بعمر بن العاص في أن يكتب إلى عليّ كتاباً يسأله فيه الشام، فضحك عمرو، وقال: أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ؟ قال [معاوية]: ألسنا بني عبد مناف؟ قال [عمرو] بلى، ولكن لهم النبوة دونك وإن شئت أن تكتب فاكذب، فكتب معاوية إليه [عليّ] مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة:

أما بعد: فإنّي أظنّك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا، لم يحبّها بعض على بعض، وإنّا وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما يندم بها على ما مضى ونصلح به ما بقي، وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني منك طاعة ولا بيعة وأبيت ذلك عليّ فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّك لا ترجو من البقاء إلّا ما أرجو، ولا أخاف من القتل إلّا ما تخاف، وقد والله رقّت الأجناد وذهبت الرجال وأكلت الحرب العرب إلّا حشاشات أنفس بقيت، وإنّا في الحرب والرجال سواء، ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل لا يستدلّ به عزيز ولا يسترقّ به حرّ، والسلام.

فلما قرأ عليّ عليه السلام كتابه تعجّب منه ومن كتابه ثمّ دعا عبد الله بن أبي رافع كاتبه وقال له: أكتب إليه:

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٧٨.

أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يحببها بعض على بعض وأنا وإيتاك في غاية لم نبلغها بعد، وأما طلبك إلى الشام... الحديث.

وقد أجاب عليه عن أمور أربعة تضمنها كتاب معاوية، نذكر منها فقط الرابع والخامس من الأمور الأربعة، لتعلق الأمر الرابع والخامس مما أخذناه من كتاب علي عليه السلام:

الرابع: أوهم بقوله: «وإننا في الحرب والرجال سواء، على أنه ممن لا يفعل عن هذه الحروب وإن اشتدت، وأن الضعف والهلاك إن جرى فعلى العسكرين، وفيه نوع تخويف وتهويل.

فأجابه عليه بقوله: «فلمست بأمضى..» إلى قوله: «الآخرة»: ووجه كون الأول جواباً أنه يقول: إنك في طلبك لما أنت طالب له على شك من استحقاقه وأنا على يقين في ذلك وكل من كان في شك من أمره فليس بأمضى في حربه وقيامه عليه ممن هو على ثقة في أمره ينتج أنك لست أمضى في أمرك على الشك مني على اليقين في أمري. ويفهم من ذلك أنه يقول: بل أنا أمضى في أمري وأولى بالغلبة لكوني على بصيرة ويقين. وحينئذ تكذب المساواة بينهما لكون المتيقن أرجح في فعله من الشاك، ووجه كون الثاني جواباً أنه يقول: إن أهل الشام يطلبون بقتالهم الدنيا، وأهل العراق يطلبون بقتالهم الآخرة وليس أهل الشام بأحرص على مطلوبهم من الدنيا من أهل العراق على مطلوبهم من الآخرة.

وفهم من ذلك أنه يقول: بل أهل العراق أحرص على الآخرة من أهل الشام على الدنيا لشرف الآخرة ولتيقنهم حصولها، وانقطاع الدنيا وشك أهل الشام في حصولها

كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾^(١) وحينئذٍ تكذب المساواة في الحرب والرجال لشرف أهل الآخرة على أهل الدنيا، ولكون الأحرص أولى بالغلبة والقهر.

الخامس: أنه تبّه بقوله: «ونحن بنو عبد مناف..» إلى آخره، على مساواته له في الشرف والفضيلة وهو في قوّة صغرى قياس ضمير من الأوّل. وتقدير كبراه: وكلّ قوم كانوا من بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض ولا فخر.

فأجابه عليه السلام بالفرق بينها بعد أن سلّم له الاشتراك بينهما في كونها من بني عبد مناف، وذكر الفرق من وجوه خمسة بدء فيها بالأُمور الخارجة أوّلاً من كمالاته وفضائله ورذائل خصمه متدرّجاً منها إلى الأقرب فالأقرب.

فالأوّل: شرفه من جهة الآباء المتفرّعين عن عبد مناف، وذلك أنّ سلك آبائه عليه السلام أبوطالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وسلك آباء معاوية أبو سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد مناف، وظاهر أنّ كلّ واحد من أولئك الثلاثة أشرف ممّن هو في درجته من آباء معاوية، وقد ذكرنا طرفاً من فضلهم على غيرهم.

الثاني: شرفه من جهة هجرته مع الرسول ﷺ، وخسّة خصمه من جهة كونه طليقاً وابن طليق، وهذه الفضيلة وإن كانت خارجيّة إلّا أنّها تستلزم فضيلة نفسانيّة وهي حسن الإسلام والنيّة الصادقة الحقّة، وكذلك ما ذكر من رذيلة خصمه بدنيّة عرضت له إلّا أنّ هذه الفضيلة والرذيلة أقرب من الاعتبارين الأوّلين لكونها حقيقتيّين بالآباء وهميّتين بالأبناء دون هاتين.

الثالث: وكذلك شرفه من جهة صراحة النسب وخسّة خصمه من جهة كونه

دعياً، وهذان الاعتباران أقرب ممّا قبلهما لكونهما اعتبارين لازمين لهما دون الأولين. الرابع: شرفه من جهة كونه محققاً فيما يقوله ويعتقده، ورذيلة خصمه من جهة كونه مبطلاً، وهذان الاعتباران أقرب لكونهما من الكمالات والرذائل الذاتية دون ما قبلهما. الخامس: شرفه من جهة كونه مؤمناً والمؤمن الحق هو المستكمل للكمالات الدينية النفسانية، وخسّة خصمه من جهة كونه مدغلاً: أي خبيث الباطن مشتملاً على النفاق والرذائل الموبقة، وظاهر أنّ هذين الاعتبارين أقرب الكمالات والرذائل إلى العبد، وإنّما بدء بذكر الكمالات والرذائل الخارجية لكونها مسلّمة عند الخصم وأظهر له وللخلق من الأمور الداخلية.

ثمّ لما ذكر الرذائل المتعلقة بخصمه أشار إلى كونه في أفعاله ورذائله خلفاً لسلف هوى في نار جهنّم، ثمّ رتب ذمّه على ذلك.

وقوله: «ولبئس الخلف..» إلى قوله: «جهنّم»: في قوّة كبرى قياس استغنى بمفهومها عن صغراه، وتقديرها: فأنت خلف تتبع سلفاً، وكلّ خلف تتبع في أفعاله ورذائله سلفاً هوى في نار جهنّم فهو كذلك، وكلّ من كان كذلك فبئس به ^(١).

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى، وكان عبد الله يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كانتفاعي بهذا الكلام!

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَلَمْرءَ قَدْ يَسْرُهُ دَرْكُ ^(٢) مَا لَمْ يَكُنْ لِيَقُوتَهُ،

(١) شرح النهج لابن ميثم ٤: ٣٨٩ - ٣٩٤ / في شرح كتاب له عليه السلام كتبه إلى معاوية رقم ١٧.

(٢) في نهج صبحي صالح وشرح النهج لابن ميثم: دَرْكُ.

وَيَسُوؤُهُ^(١) فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ
مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا قَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ
مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ فِيهِ فَرَحًا، وَمَا قَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ
جَزَعًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالسَّلَامُ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

يفوته الشيء: يذهب عنه إلى غير رجعة؛ يدركه: يناله ويصيبه؛ ولا تأس: ولا تحزن^(٣).

الشرح:

حاصل الفصل النهي عن شدة الفرح بما يحصل من المطالب الدنيوية وشدة الأسف على ما يفوت منها، وبيان ما ينبغي للإنسان أن يسرّ بحصوله وبأسف لفقده ممّا لا ينبغي له، فأشار إلى الأوّل بقوله: «فإنّ المرء...» إلى قوله: «ليدرکه»: وهو خبر في معنى النهي، ولفظ «ما» في الموضعين مهمل يراد به المطالب الدنيوية، وتبّه بقوله: «ما لم يكن ليفوته»: على أنّ ما يحصل من مطالب الدنيا أمر واجب في القضاء الإلهي وصوله إلى من يحصل له فهو كالحاصل فلا ينبغي أن يشتدّ فرحه عند حصوله،

(١) في نهج صبحي صالح: ويسوؤه.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٧٨/ من كتاب له عليه السلام رقم ٢٢، وجملته (والسلام) ليس فيه، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٥٠٠ - ٥٠١/ من كتاب له عليه السلام رقم ٢٢، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٤٠١ - ٤٠٢/ من كتاب له عليه السلام رقم ٢٢، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ٢: ٢١/ من كتاب له عليه السلام إلى عبدالله بن عباس.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة لصبحي صالح: ٦٧٨، وشرح الألفاظ لابن ميثم ٤: ٢٠٤.

وبقوله: «ما لم يكن ليدركه»: على أنّ ما يفوت منها فهو أمر واجب فوته فالأسف عليه ممّا لا يجدي نفعاً بل هو ضرر عاجل.

ثمّ خصّصه بالخطاب على سبيل الوصيّة والموعظة وفصل له ما ينبغي أن يسرّ ويأسف عليه ممّا لا ينبغي له.

فأمّا ما ينبغي أن يسرّ به فهو ما ناله من آخرته وما ينبغي أن يأسف عليه فهو ما فاتته منها.

وأما ما ينبغي أن لا يفرح به ممّا ناله من دنياه لما عرفت من وجوب فنائها وكون القرب منها مستلزماً للبعد عن الآخرة وما ينبغي أن لا يأسف عليه ممّا لم ينله منها لكون البعد عنها مستلزماً للقرب من الآخرة.

فإن قلت: كيف؟ قال: ما نلت من آخرتك، ومعلوم أنّه لا ينال شيء من الآخرة إلاّ بعد الموت.

قلت: يحتمل وجهين:

أحدهما: لا نسلم أنّ من مطالب الآخرة لا يحصل إلاّ بعد الموت فإنّ الكمالات النفسانيّة من العلوم والأخلاق الفاضلة والفرح بها من الكمالات الأخرويّة وإن كان الإنسان في الدنيا.

الثاني: يحتمل أن يريد «فليكن سرورك بما نلت» من أسباب آخرتك. فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. وكذلك بيّن له ما ينبغي أن يكون همّه متوجّهاً نحوه وقصده متعلّقاً به وهو ما بعد الموت من أحوال الآخرة من سعادة دائمة تسعى في تحصيلها أو شقاوة لازمة يعمل للخلاص منها، وبالله التوفيق^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٤: ٤٠٢ - ٤٠٣ / في شرح كتاب له عليه السلام رقم ٢٢.

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

وَأَرَدَيْتَ جَيْلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا، خَدَعْتَهُمْ بِغَيْبِكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي
مَوْجٍ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ،
فَجَاذُوا عَنْ وَجْهِتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى
أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ،
فَإِنَّهُمْ فَارَقُواكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ ^(١) مِنْ مُوَازَرَتِكَ،
إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا
مُعَاوِيَةَ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا
مُنْقَطَعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

أرديت: أهلك؛ جيلًا، أي: قبيلًا وصنفًا؛ الغي: الضلال، ضد الرشاد؛ جازوا:
بعدوا؛ وجهتهم: - بكسر الواو - أي جهة قصدهم؛ نكصوا: رجعوا؛ عولوا: أي
اعتمدوا؛ فاء: رجع، والمراد هنا الرجوع إلى الحق؛ الموازنة: المعاضدة؛ جاذب
الشيطان: أي إذا جذبك الشيطان فامنع نفسك من متابعته؛ القيادة: ما تقاد به الدابة ^(٣).

(١) في نهج صبحي صالح: الله سبحانه.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٠٦/ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية رقم ٣٢، ونهج الشيخ العطار:

٥٣٩ - ٥٤٠/ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية رقم ٣٢، وشرح نهج البلاغة لابن ميشم ٥: ٦٨/ من

كتاب له عليه السلام رقم ٣٢، ونهج البلاغة لمحمد عبده ٢: ٥٩/ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٧ - ٦٨٨.

الشرح:

أول هذا الكتاب: من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.
أما بعد: فإنّ الدنيا دار تجارة وربحها الآخرة، فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة، ومن رأى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها، وإني لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك ممّا لا مردّ له دون نفاذه، ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يردّوا الأمانة، وأن ينصحوا الغويّ والرّشيد، فاتّق الله ولا تكن ممّن لا يرجو لله وقاراً، ومن حقّت عليهم كلمة العذاب فإنّ الله بالمرصاد، وأنّ دنياك ستدبر عنك، وستعود حسرة عليك، فاتّبه من الغيّ والضلال على كبر سنّك وفناء عمرك فإنّ حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب إلّا فسد من آخر، ثمّ يتّصل به وقد أردت.. إلى آخر الكتاب.

في الكتاب مقاصد:

الأول: موعظته وتذكيره بحال الدنيا وكونها دار تجارة والغاية من التجارة فيها إمّا ربح الآخرة بصلاح البضاعة وهي الأعمال، وإمّا خسران الآخرة بفسادها.
الثاني: تنبيهه على أن يرى الدنيا بعينها: أي يعرفها بحقيقتها، أو يراها بالعين التي بها تعرف وهي عين البصيرة، ويعلم ما هي عليه من الغير والزوال وأنّها خلقت لغيرها ليقدرها بمقدارها ويجعلها في نظره لما خلقت له.

الثالث: تنبيهه على أنّ لله تعالى علماً لا بدّ من نفاذه فيه فإنّ ما علم الله تعالى وقوعه لا بدّ من وقوعه، وإمّا وعظه امتثالاً لأمر الله ووفاء بعهدته على العلماء أو تؤدّوا أمانته، وتبلّغوا أحكامه إلى خلقه وأن تنصحوا ضالّهم ورشيدهم.

الرابع: أمره بتقوى الله، ونهاه أن يكون ممّن لا يرجو لله وقاراً: أي لا يتوقّع لله

٣٧٠ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

عظمة فيعبده ويطيعه، والوقار: الاسم من التوقير: وهو التعظيم، وقيل: الرجاء هنا بمعنى الخوف فيكون مجازاً إطلاقاً لاسم أحد الضدين على الآخر، وأن يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب.

وقوله: «فإن الله بالمرصاد»: تنبيه له على اطلاعه عليه وعلمه بما يفعل ليرتدع عن معصيته.

الخامس: تنبيه على إدبار الدنيا، وعودها حسرة عليه يوم القيامة فقدها مع عشقه لها، وعدم تمسكه في الآخرة بعصم النجاة، وفناء زاده إليها.

السادس: أمره بالانتباه من رقدة الجهل والضلال على حال كبر سنّه وفناء عمره فإن تلك الحال أولى الاحوال بالانتباه منها، وتنبيه على أنه غير قابل للإصلاح في ذلك السنّ بعد استحكام جهله وتمكّن الهيئات البدنيّة من جوهر نفسه ونهكها له فهو كالثوب المخلق لا يمكن إصلاحه بالخياطة بل كلّما خيط من جانب تمزّق من آخر.

السابع: أخبره في معرض التوبيخ على ما فعل بأهل الشام من خدعته لهم وإلقائهم في موج بحره، ولما كان ضلاله عن دين الله وجهله بما ينبغي هو سبب خدعته لهم نسبها إليه، واستعار لفظ البحر لأحواله وآرائه في طلب الدنيا والانحراف عن طريق الله باعتبار كثرتها وبعد غايتها، ولفظ الموج للشبه التي ألقاها إليهم وغرقهم بها فيما يريد من الأغراض الباطلة، ومشابقتها للموجب في تلعبها بأذهانهم واضطراب أحوالهم بسببها ظاهرة، وكذلك استعار لفظ الظلمات لما حجب أبصار بصائرهم عن إدراك الحقّ من تلك الشبهات، ولفظ الغشيان لطريانها على قلوبهم وحجبها لها، ومحلّ تغشاهم نصب على الحال. وكذلك لفظ التلاطم لتلعب تلك الشبهات بعقولهم.

وقوله: «فجازوا»: عطف على ألقيتهم، وأراد أنهم عدلوا عن الحق بسبب ما ألقاه إليهم من الشبه، واعتمدوا في قتالهم على أحسابهم حمية الجاهلية في الذب عن أصولهم ومفاخرهم دون مراعاة الدين والذب عنه إلا من رجع إلى الحق من أهل العقول فإنهم عرفوك وما أنت عليه من الضلال، فارقوك وهربوا إلى الله من مؤازرتك فيما تريده من هدم الدين حين حملتهم على الأرض الصعبة الهادمة له وعدلت بهم عن قصد الحق.

وقد كان استغوى العرب بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه، فلما عرف عقلاؤهم والتمسكون بالدين منهم أن ذلك خدعة منه لإرادة الملك فارقه واعتزلوه.

وقوله: «على أعقابهم، وعلى أدبارهم»: ترشيح لاستعارة لفظي النكوص والتولي من المحسوسين للمعقولين، والاستثناء هنا من الجيل الذين خدعهم، ولفظ الصعب مستعار لما حملهم عليه من الأمور المستصعبة في الدين باعتبار أن ركوبهم لها يستلزم عدولهم عن صراط الله ووقوعهم في مهاوي الهلاك كما يستلزم ركوب الجمل الصعب النفور العدول براكبه عن الطريق وتفحّم المهالك، وكذلك لفظ القصد مستعار للطريق المعقول إلى الحق من الطريق المحسوس.

ثم كرّر عليه الأمر بتقوى الله، وأن يجاذب الشيطان قياده. واستعار لفظ المجاذبة للممانعة المعقولة، ولفظ القيادة لما يقوده به من الآراء الباطلة وكواذب الآمال، وممانعة الشيطان لذلك القيادة بتكذيب النفس الأمارة فيما يوسوس به من تلك الآراء.

وقوله: «فإن الدنيا..» إلى آخره: تنبيه له على وجوب قطع الآمال الدنيوية لانقطاع الدنيا، وعلى العمل للآخرة بقربها، وهو في قوة صغرى ضميرين تقدير كبرى الأول: وكل ما كان منقطعاً زائلاً وجب أن يقطع الأمل فيه لانقطاعه وتجاذب

٣٧٢..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

الشیطان فی دعوته إلیه ، وتقدير کبری الثاني : وكلّ ما کان قریباً فینبغي أن يستعدّ لوصوله بالعمل . وبالله التوفیق (١) .

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس، وهو عامله على مكة:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي - بِالْمَغْرِبِ - كَتَبَ إِلَيَّ يُعَلِّمُنِي أَنَّهُ وَجَّهٌ إِلَى
الْمَوْسِمِ أَنْاسُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمِّي الْقُلُوبِ، الصُّمُّ الْأَسْمَاعِ،
الْكُمُهِ الْأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ (٢) الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ
الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَهًا بِالدِّينِ،
وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِأَجَلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا
عَامِلُهُ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءُ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ، فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ
قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ، وَالنَّاصِحِ اللَّيِّبِ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ،
الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَلَا تَكُنْ عِنْدَ التَّعَمَّاءِ
بَطْرًا، وَلَا عِنْدَ الْبُتَّاسَاءِ فَشِلًّا، وَالسَّلَامُ (٣) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٦٨ - ٧١ / في شرح من كتاب له عليه السلام رقم ٣٢ .

(٢) في نهج صبحي صالح: يلبسون .

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٠٦ - ٤٠٧ / من كتاب له عليه السلام رقم ٣٣، ونهج الشيخ العطار: ٥٤٠

- ٥٤١ / من كتاب له عليه السلام رقم ٣٣، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٧١ - ٧٢ / من كتاب له عليه السلام

رقم ٣٣، ونهج الشيخ محمد عبده ٢: ٦٠ - ٦١ / من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس عامله على مكة .

شرح الألفاظ الغريبة:

عيني: أي رقيب الذي يأتيني بالأخبار؛ بالمغرب: بالأقاليم الغربية؛ بالموسم: بالحج؛ الكُهم: - جمع أكمه - وهو من ولد أعمى؛ يلبسون: يخلطون؛ يلتمسون: يطمسون؛ يحتلبون الدنيا: يستخلصون خيرها؛ الذَّر: - بالفتح - اللبن؛ الصليب: الشديد؛ النعماء: الرضاء والسعة؛ البطر: الشديد الفرح مع ثقة بدوام النعمة؛ البأساء: الشدة؛ فشلاً: جباناً ضعيفاً^(١).

الشرح:

يقول ابن ميثم: هو قثم بن العباس بن عبد المطلب، ولم يزل والياً لعلّي عليه السلام على مكة حتى قُتل عليه السلام واستشهد بسمرقند في زمن معاوية، وسبب هذا الكتاب أن معاوية كان قد بعث إلى مكة في موسم الحج واجتماع العرب بها دعاة يدعون إلى طاعته ويتبسطون العرب من نصرة علي عليه السلام، ويلقون في أنفسهم أنه إما قاتل عثمان أو خاذل له، وعلى التقديرين فلا يصلح للإمامة، وينشرون محاسن معاوية - بزعمهم - وأخلاقه وسيرته في العطاء. فكتب عليه السلام هذا الكتاب إلى عامله بمكة يتبّه على ذلك ليعتمد عليه فيما يقتضيه السياسة، وقيل: إن الذين بعثهم بعض السرايا التي كان يبعثها ليعير على أعمال علي عليه السلام.

حاصل الكتاب إعلامه أولاً بما كتب إليه عينه بالمغرب، وأراد الشام لأنها من البلاد المغربية، وقد كان له عليه السلام في البلاد جواسيس يخبرونه بما يتجدد من الأمور

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٨.

عند معاوية، ولما عايناه عند ذلك كما جرت عادة الملوك بمثله، ثم وصف أهل الشام بأوصاف يستلزم البعد عن الله لغرض التنفير عنهم:

أحدها: شمول الغفلة بهم من كل وجه عما خلقوا لأجله، واستتعار لقلوبهم لفظ العمى باعتبار عدم عقليتهم للحق وإدراكهم لما ينبغي من طريق الآخرة كما لا يدرك الأعمى قصده، ولفظ الصمّ لأسماعهم والكه لأبصارهم باعتبار عدم انتفاعهم من جهة الأسماع بالمواعظ والتذكير، ومن جهة الأبصار بتحصيل العبرة بها من آثار الله سبحانه كما لا ينتفع بذلك فاقد هاتين الآلتين.

الثاني: كونهم يلبسون الحقّ بالباطل: أي يخلطونه ويعمّونه فيه، والمراد أنهم يعلمون أنه على الحقّ وأنّ معاوية على الباطل ثمّ يكتمون ذلك ويغطّونه بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه إلى غير ذلك من أباطيلهم، وروي: يلتسمون الحقّ بالباطل إذ كانوا يطلبون حقّاً بحركاتهم الباطلة.

الثالث: كونهم يطيعون المخلوق: أي معاوية في معصية خالقهم.

الرابع: كونهم يحتلبون الدنيا درّها بالدين، واستتعار لفظ الدرّ لمتاع الدنيا وطيباتها، ولفظ الاحتلاب لاستخراج متاعها بوجوه الطلب من مظانّه ملاحظاً لشبهها بالناقّة. ودرّها منصوب بدلاً من الدنيا، وإمّا كان ذلك بالدين لأنّ إظهارهم لشعاره وتمسّكهم بظواهره لغرض تحصيل الدنيا وأخذهم ما لا يستحقّونه منها فإنّ محاربتهم له عليه السلام إمّا كانت كما زعموا للأخذ بشار الخليفة عثمان وإنكار المنكر على قاتليه وخاذليه، ولذلك تمكّنوا من تألّف قلوب العرب وأكثر جهّال المسلمين على حربته عليه السلام، وأخذ البلاد.

الخامس: شراؤهم عاجل الدنيا بأجل الأبرار، وهو ثواب الآخرة، ولفظ الشراء

مستعار لاستعاضتهم ذلك العاجل من ذلك الآجل، ولما كان ذلك في شعار الإسلام هو الخسران المبين ذكره في معرض ذمهم.

ثم ذكر في مقام الوعد والوعيد لهم انحصار الفوز بالخير ممن عمل الخير ترغيباً فيه والمجازاة بالشر في فاعله تنفيراً عنه.

ثم ختم بأمره وتحذيره، أمّا أمره فبأن يقيم على ما في يديه من العمل مقام من هو أهل ذلك وهو الحازم المثبت في آرائه، الصليب في طاعة الله، الناصح اللبيب له ولأوليائه، التابع لسلطانته، المطيع لإمامه، وأمّا تحذيره فمما يعتذر منه وهو كل أمر عدّ في الشرع معصية وتقصيراً عن أداء حقه، ويروى الكلمات مرفوعة.

ثم من البطر في النعمة والفشل والضعف عند البأساء والشدة لكون ذلك معداً لزوال النعمة وحلول النقمة والبطر رذيلة تستلزم رذيلتي الكبر والعجب وتقابل فضيلة التواضع؛ والفشل رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص:

فَإِنَّكَ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا أَمْرِي ظَاهِرٌ غَيْبٌ، مَهْتَوِكٌ سِتْرُهُ،
يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخُلُطِيَّتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ،
وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، آتَبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْغَامِ، يُلَوِّذُ (إِلَى مَخَالِبِهِ)^(٢)،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٥: ٧٢ - ٧٤ / في شرح من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة رقم ٣٣.

(٢) في نهج صبحي صالح: بِمَخَالِبِهِ.

وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقِي ^(١) إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيَسَتِهِ، فَأَذْهَبَتْ دُنْيَاكَ
وَأَخَرَتْكَ! وَلَوْ بِأَلْحَقٍّ أَخَذْتَ أَدْرَكَتَ مَا طَلَبْتَ، فَإِنْ يُمْكِنِي
أَلَلَهُ ^(٢) مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزَكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا
وَتَبَقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، وَالسَّلَامُ ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

الضرغام: الأسد؛ إن تُعْجِزَا: توقعاني في العجز من أعجزه يعجزه إعجازاً، والمراد
أن تعجزاني على الإيقاع بكما فأمامكما حساب الله ^(٤).

الشرح:

قد ذكر هذا الكتاب برواية تزيد على هذه، وأوله: «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين
إلى الأبرار ابن الأبرار عمرو بن العاص شافئ محمد وآل محمد في الجاهلية والإسلام،
سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فإنك تركت مروّتك لامرء فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه
ويسفّه الحليم بخلطته، فصار قلبك لقلبه تبعاً كما وافق شئ طبعه، فسلبك دينك
وأمانتك ودنياك وآخرتك وكان علم الله بالغاً فيك، فصرت كالذئب يتبع الضرغام

(١) في نهج صبحي صالح ونهج محمد عبده: يُلْقَى.

(٢) لفظ الجلالة: ليس في نهج محمد عبده.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤١١ - ٤١٢ / من كتاب له عليه السلام إلى عمرو العاص رقم ٣٩، ونهج

الشيخ العطار: ٥٤٦ / من كتاب له عليه السلام رقم ٣٩، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٨٥ / من كتاب له عليه السلام

رقم ٣٩، ونهج الشيخ محمد عبده ٢: ٦٦ / من كتاب له عليه السلام، وليس فيه (والسلام).

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٩٠.

إذ ما الليل دجى يلتمس أن يداوسه، وكيف ينجو من القدر ولو بالحق طلبت أدركت ما رجوت، وقد يرشد من كان قائده، فإن يمكّني الله منك ومن ابن آكلة الأكباد أحقهما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله ﷺ وإن تعجزا أو تبقيا بعدي فالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاماً وبعقابه عقاباً.

ومدار الكتاب على توبيخ عمرو بمتابعته لمعاوية في باطله وتنفيره عما هو عليه ووعيده لهما على ذلك، ومعنى جعله دينه تبعاً لدنيا معاوية أنه يصرفه في مرضاته بحسب ما يتصور حصوله عليه من دنياه كما أشرنا إليه قبل من بيعه دينه في المظاهرة على حربه عليه بطعمة مصر، ثم ذمّ معاوية بأوصاف أربعة لغاية التنفير عنه: أحدها: كونه ظاهراً غيّه، وضلال معاوية عن طريق الله أوضح أن يوضح.

الثاني: كونه مهتوكاً ستره، ومن المشهور عنه أنه كان هاتكاً لستر دين الله عنه فإنه كان كثير الخلاعة به والهزل صاحب سمار وجلساء هو ومناع وشرب وسماع، وقد كان يتستّر بذلك في زمن عمر خوفاً منه إلا أنه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضّة.

وأما في أيام عثمان فكان شديد التهنّك، وإنما قارب الوقار حيث خرج على علي عليه السلام لحاجته إلى استغواء الناس بظاهر الدين.

الثالث: يشين الكريم بمجلسه، وذاك أن الكريم هو الذي يضبط نفسه ويترهها عما يشين العرض من الرذائل، وقد كان مجلس معاوية مشحوناً ببني أمية ورضائلهم، ومجالسة الكريم لهم يستلزم نسبته إليهم ولحاقه بهم، وذلك مشين لعرضه ومقبّح لذكره.

الرابع: كونه يسفّه الحليم بخلطته وذلك أنه كان دأبه هو وبنو أمية شتم بني هاشم

وقذفهم والتعريض بذكر الإسلام والطعن عليه، وإن أظهروا الانتماء إليه، وذلك مما يستفزّ الحليم ويسفّه رأيه في الثبات عند مخالطتهم وسماحه منهم، وكفى باتّباعه لأثره عن متابعتة له فيما يفعله، وأشار بقوله: وطلبت فضله إلى غرض اتّباعه، وشبه له باتّباع الكلب الأسد تحقيراً له وتنفيراً، وتبّه على وجه الشبه بقوله: «يلوذ» إلى قوله: «فريسته»، وأراد أن اتّباعه له على وجه الذلّة والحقارة ودناءة الهمة للطمع فيما يعطيه من فضل ماله وانتظار ذلك منه كاتّباع الكلب للأسد، وفي مثل هذا التشبيه بلاغ لعمره في التنفير لو كان له كرم.

ثمّ تبّه على لازم اتّباعه له بقوله: «فأذهبت دنياك وآخرتك» وأراد بدنياه ما كان يعيش به من الرزق والعطاء الحلال على وجه يلتذّ به في طيب نفس وأمن من الحروب التي لقيها بصقّين والأهوال التي باشرها في موافقته لمعاوية، وتلك هي الدنيا الحقّة؛ إذ الدنيا إنّما يراد للذة بها والاستمتاع، وذلك ممّا لم يحصل عليه عمرو. وأمّا ذهاب آخرته فظاهر.

وقوله: «ولو بالحقّ أخذت..» إلى قوله: «طلبت»: جذب له إلى لزوم الحقّ وترغيب فيه بذكر لازمه، وهو إدراك ما طلب من دنيا وآخرة، وظاهر أنّه لو لزم الحقّ لوصل إلى دنيا كاملة وآخرة بالمعالي كافلة.

وقوله: «فإن يمكّنني الله..» إلى آخره:

وعبر بعذاب واقع على تقدير كلّ واحد من النقيضين وذلك العذاب إمّا بواسطته في الدنيا بتقدير تمكين الله منها وهو جزاءه لهما بما قدّما من معصية الله، وإمّا من الله في الآخرة على تقدير أن يعجزاه وتبقيا بعده وهو عذاب النار، ونبّه عليه بقوله:

«فما أمامكما شرٌّ لكما» لقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾^(١) واستعار لفظ الأمام للآخرة باعتبار استقبال النفوس لها وتوجُّهها نحوها، وبالله التوفيق^(٢).

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامله على أردشير خُرة:

بَلَّغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ، وَأَغْضَبْتَ^(٣)
إِمَامَكَ: أَنْكَ تَقْسِمُ فِيَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رَمَاحُهُمْ
وَحُيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنْ أَعْتَمَكَ مِنْ أَغْرَابِ
قَوْمِكَ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَيْتَن كَانَ ذَلِكَ حَقًّا
لَتَجِدَنَّ بِكَ^(٤) عَلَيَّ هَوَانًا، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَانًا، فَلَا تَسْتَهِنُ
بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصْلِحَ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنْ
الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا.

أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قَبْلَكَ وَقَبْلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفِيءِ
سَوَاءٌ: يَرُدُّونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَيَصْدُرُّونَ عَنْهُ، وَالسَّلَامُ^(٥).

(١) طه: ١٢٧.

(٢) شرح نهج ابن ميثم ٥: ٨٥ - ٨٧ / في شرح من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص برقم ٣٩.

(٣) في نهج صبحي صالح: وعصيت.

(٤) في نهج صبحي صالح: لك.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤١٥ / من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة رقم ٤٣، ونهج الشيخ العطار:

٥٥١ / من كتابه عليه السلام رقم ٤٣، وشرح نهج ابن ميثم ٥: ٩٤ / من كتاب له عليه السلام رقم ٤٢، ونهج محمد

عبيد ٢: ٧٠ / من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة.

شرح الألفاظ الغريبة:

الفيء: مال الغنيمة والخراج، وأصله ما وقع للمؤمنين صلحاً من غير قتال؛
 اعتامك: اختارك، وأصله أخذ العيمة - بالكسر - وهي خيار المال؛ التَّسمة:
 - محرّكة - الروح، وهي في البشر أرجح، وبرأها: خلقها؛ قبل: - بكسر ففتح -
 ظرف بمعنى عند^(١).

الشرح:

«اعتامك»: اختارك من بين الناس، وقد أعلمه بما بلغه من الأمر الصادر عنه
 إجمالاً ليتنبّه له، واشعره أنّه أمر مكروه بما يلزمه وهو سخط إلهه وغضب إمامه، ونبّه
 بقوله: «إن كنت فعلته»: على عدم تحقّقه لذلك.
 ثمّ بين له ذلك وهو عطاؤه مال المسلمين لمن اختاره رئيساً من أعراب قومه.
 ووصف ذلك الفيء بكونه حيازة رماحهم وخيولهم، وعليه أريقت دماؤهم ليتأكّد في
 النفوس ويتبيّن وجه استحقاقهم له. وبقدر ذلك يتأكّد قبح قسمته في غيرهم.
 ثمّ أقسم قسمه المعتاد في معرض الوعيد إن كان ذلك منه حقّاً أن يلحقه به هوانٌ
 وحقارةٌ عنده، ويخفّ وزنه في اعتباره؛ وكفى به عن صغر منزلته وميزاناً نصب على
 التمييز. ثمّ نهاه عن استهائته بحقّ ربّه وعن إصلاح دنياه بفساد دينه تنبيهاً على عظمة
 الله ووجوب المحافظة على طاعته، وتبّه على ما يلزم من ذلك من دخوله في زمرة
 الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يُحسنون
 صنعاً.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٩١.

ثم نبّه على قبح ما فعل من تخصيص قومه بذلك المال بقوله: «ألا وإن...» إلى قوله: «سواء»: وهو في قوة صغرى ضمير، وقوله: «يردون إليه ويصدرون عنه» تأكيد لتساويهم في الاستحقاق وأنه لهم كالشريعة المشتركة، وتقدير كبراه: وكل حق سواء بين المسلمين فلا يجوز تخصيص بعضهم به^(١)

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري (وهو عامله)^(٢) على البصرة، وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها:

أَمَّا بَعْدُ، يَا بَنَ حَنِيفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ
دَعَاكَ إِلَى مَادِيَةٍ فَاسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ وَتُنْقَلُ
إِلَيْكَ الْحِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ
مَجْفُوءٌ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوءٌ.

فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضِمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا أَشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ
فَالْفِظُهُ، وَمَا أَتَقَنَّتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلُّ مِنْهُ.

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ.
أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ، وَمِنْ طَعْمِهِ
بِقُرْصِيهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعْيُونِي

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٥: ٩٥ في شرح من كتاب له عليه السلام إلى مصفلة رقم ٤٢.

(٢) ما بين القوسين في نهج صبحي: وكان عامله.

بَوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، (وَعِقَّةٍ وَسَدَادٍ)^(١).
 فَوَ اللَّهُ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا
 وَفُرًا، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا، (وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا
 شَبْرًا، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقَوْتِ أَتَانٍ دَبْرَةٍ، وَلَهْيَ فِي عَيْنِي
 أَوْهَى وَأَهْوَنُ مِنْ عَفْصَةِ مَقَرَّةٍ)^(٢) (٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

المأدبة: - بفتح الدال وضمها - الطعام يصنع لدعوة أو عرس؛ تستطاب لك:
 يطلب لك طيبها؛ الألوان: المراد هنا أصناف الطعام؛ الجفان: - بكسر الجيم، جمع
 جفنة - وهي القصعة؛ عَائِلُهُمْ: محتاجهم؛ محفو: أي مطرود من الجفاء؛ قَضِمَ:
 - كسمع - أكل بطرف أسنانه، والمراد الأكل مطلقاً، والمقضم - كمقعد - المأكل؛ الفظه:
 إطرحة؛ الطمر: - بالكسر - الثوب الخلق البالي؛ طُعْمَةٌ: - بضم الطاء - ما يطعمه
 ويفطر عليه؛ قُرْصَيْه: تثنية قرص، وهو الرغيف؛ السداد: التصرف الرشيد، وأصله
 الثواب والاحتراز من الخطأ؛ التبر: - بكسر فسكون - فُتَات الذهب والفضة قبل أن
 يصاغ؛ الوفر: المال؛ الطمر: الثوب البالي، وقد سبق قريباً، والثوب هنا عبارة عن
 الطمرين، فإن مجموع الرداء والإزار يعدّ ثوباً واحداً، فبها يكسى البدن لا بأحدهما؛

(١) ما بين القوسين: ليس في نهج البلاغة للعطار.

(٢) ما بين القوسين أثبتناه من نهج البلاغة لصبحي صالح.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤١٦ - ٤١٧ / من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥، ونهج
 الشيخ العطار: ٥٥٣ - ٥٥٤ / من كتاب له عليه السلام رقم ٤٥، وشرح نهج البلاغة لابن ميشم ٩٨: ٥ -
 ٩٩ / من كتاب له عليه السلام رقم ٤٤، ونهج الشيخ محمد عبده ٧٢: ٧٣ - ٧٣ / من كتاب له عليه السلام.

أتان دَبْرَةَ: هي التي عُقر ظهرها فقلّ أكلها؛ مَقَرَّة: أي مرّة^(١).

الشرح:

في الكتاب مقاصد:

الأول: أشار إلى ما يريد عتابه عليه وهو إجابته إلى المأدبة مسرعاً يستطاب له الألوان وتنقل إليه الجفان، وأعلمه أنّه بلغه ذلك مقرّراً له ليحسن توبيخه، وذلك في قوله: «أمّا بعد..» إلى قوله: «الجفان».

الثاني: أشار على وجه المعاتبة إلى تخطئته في ذلك بقوله: «وما ظننت أنّك..» إلى كذا: أي كان ظنيّ فيك من الورع أنّك تنزّه نفسك عن الإجابة إلى طعام قوم لا يلتفتون إلى فقرائهم، ويقصرون الدعوة والكرامة على أغنيائهم وأمرائهم، ووجه الخطاء في إجابة داعي هؤلاء أنّ تخصيصهم الأغنياء دون الفقراء بالكرامة والدعوة دليل واضح على أنّهم إنّما يريدون بذلك الدنيا والسمعة والرياء دون وجه الله تعالى، ومن كان كذلك فإجابته موافقة له على ذلك ورضى بفعله، وذلك خطأ كبير خصوصاً من أمراء الدين المتمكّنين من إنكار المنكرات.

الثالث: أمره أن يحترز فيما يتفق له أن يقع فيه من ذلك بالنظر إلى ما يحضر من الطعام فما وجد فيه شبهة حرام ولم يتحقّق حاله فليتركه، وما تيقّن حلّه وطيب وجه اكتسابه براءة عن الشبهة فينال منه، وكفى عنه بالمقضم تحقيراً له وتقليلاً، ويفهم منه بحسب التأديب الأوّل أنّ التنزّه عن هذا المباح أفضل له من تناوله.

الرابع: تبهه بعد ذلك بقوله: «ألا وإنّ..» إلى قوله: «علمه»: على أنّ له إماماً يجب

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٩١ - ٦٩٢.

أن يقتدي به، وهو تمثيل في قوة قياس كامل حذفت صغراه، فأصل التمثيل مطلق الإمام والمأموم، وعلته كونها إماماً ومأموماً، وفرعه هو عليه السلام وعامله، وحكمه وجوب الاقتداء، وتقدير القياس: أنك مأموم لإمام، وكل مأموم لإمام فيجب عليه أن يقتدي بإمامه، وينتج أنه يجب عليك أن تقتدي بإمامك ويستضيء بنور علمه.

الخامس: أردف ذلك بالبيّنة على ما يجب أن يقتدي به فيه من حاله في دنياه وهو اكتفاؤه من ملبوسها بما يستر بدنه من طمره، ومن مطعمها بما يسدّ به فورة جوعه من قرصيه غير ملتفت فيما لبسه إلى زينته فإن طمره كانا عمامة ومدرعة قد استحيا من قارعها، ولا مكترث فيما طعمه بلذّة ويب فإن قرصيه كانا من شعير غير منخول واحد بالغداة وواحد بالعشي.

السادس: تبه أصحابه على أن رياضته تلك لا يستطيع لهم فإنها قوة مشروطة باستعداد لم يصلوا إليه. ثم أمرهم إذ كانت الحال كذلك أن يقصروا في معونته على أنفسهم ورياضته بالورع، وأراد به هنا الكفّ عن المحارم ثم الاجتهاد في الطاعة، ويحتمل أن يريد بالورع لزوم الأعمال الجميلة ثم الاجتهاد فيها.

السابع: تبه بالقسم البارّ على ردّ ما عساه يعرض لبعض الأذهان الفاسدة في حقّه عليه السلام أن زهده في الدنيا مشوب برياء وسمعة وأن وراءه محبّتها وجمعها وادّخارها خصوصاً وهو إمام الوقت وخليفة الأرض، فعّدّد أنواع ما أفاء الله على المسلمين منها ثم أقسم أنه لم يأخذ منه إلا قوته، وشبهه في القلّة والحقارة بقوت الأتان الدبرة، وخصّها لأنّ ضعفها بالدبر وشغلها بألمه يقلل قوتها.

ثم بالغ في وصف حقارة دنياهم عنده فأخبر أنّها في نظره واعتباره أهون من عفسة مقرة، وظاهر أن من كان كذلك كيف يتصوّر محبّته للدنيا وعمله لها.

الثامن: أنه لما قال فيما أقسم عليه من الدنيا: ولا حزت من أرضها شبراً استثنى من ذلك فدك، بقوله: «بلى قد كانت لنا فدك من كل ما أظلتها السماء»^(١).

الدنيا في هذا الكتاب، وهو آخره:

إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ، قَدْ أُنْسَلْتُ مِنْ
مَخَالِكَ، وَأَفْلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي
مَدَاحِصِكَ، أَأَيْنَ الْقُرُونُ^(٢) الَّذِينَ غَرَزَتْهُمْ بِمَدَاعِيبِكَ؟! أَأَيْنَ
الْأُمَمِ الَّذِينَ فَتَنَتْهُمْ بِزَخَارِفِكَ؟! هَا هُمْ^(٣) رَهَائِنُ الْقُبُورِ
وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ.

وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ شَخْصاً مَرِيئاً، وَقَالِباً حَسِيباً، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ
اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَزَتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَأُمَمٍ^(٤) أَلْقَيْتَهُمْ فِي الْمَهَاوِي،
وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتَهُمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، إِذْ لَا وَرْدَ
وَلَا صَدَرَ.

هِيَاهُنَا! مِنْ وَطِيٍّ دَحْضَكَ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكَ غَرِقَ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ١٠٣ - ١٠٤ / في شرح كتاب له عليه السلام كتبه إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٤.

(٢) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: القوم.

(٣) في نهج صبحي صالح: فيها هم.

(٤) جملة (وأمم)، ليست في نهج محمد عبده.

وَمَنْ أَزُورَ عَنْ حَبَالِكَ^(١) وَفَقَّ، وَالسَّالِمُ مِنْكَ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ
بِهِ مَنَاحُهُ وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ أَنْسِلَاخُهُ.
أَغْزُبِي^(٢) عَنِّي! فَوَ اللَّهُ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتَسْتَذِلِّيَنِي، وَلَا أَسْلَسُ لَكَ
فَتَقُودِيَنِي^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

إليك عني: اذهبي عني؛ الغارب: ما بين السنام والعنق، وقوله عليه السلام للدنيا: حبلك على غاربك، والجملة تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت؛ انسل من مخالها: لم يعلق به شيء من شهواتها؛ الحبال: جمع حباله - وهي شبكة الصياد؛ المداحض: المساقط والمزالق؛ المداعب: جمع مدعبة - من الدعابة، وهي المزاح؛ مضامين اللحد: أي الذين تضمّنهم القبور؛ المهاوي: جمع مهوى - مكان السقوط، وهو من هوى يهوى؛ الورد: بكسر الواو - ورود الماء؛ الصدر: بالتحريك - الصدور عن الماء بعد الشرب؛ مكان دحض: بفتح فسكون - أي زلق لا تثبت فيه الأرجل؛ زلق: زلّ وسقط؛ ازور: مال وتنكب؛ مناخه: أصله مبرك الإبل، من أناخ يُنيخ، والمراد به هنا: مقامه؛ حان: حضر؛ انسلاخه: زواله؛

(١) في نهج صحي صالح: حَبَالِكَ.

(٢) في نهج الشيخ العطار: آغْزُبِي.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤١٩/ ضمن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٥٥٧/ ضمن كتاب له عليه السلام رقم ٤٥، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم: ٥/ ١٠١/ ضمن كتاب له عليه السلام رقم ٤٤، ونهج البلاغة للشيخ محمد عبده ٢: ٧٥-٧٦/ ضمن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف.

عزب يعزب: أي بعد؛ لا أسلس: أي لا أنقاد^(١).

الشرح:

تمثل الدنيا بصورة من يعقل، وخاطبها بخطاب العقلاء ليكون ذلك أوقع في النفوس لغرابته.

ثم أمرها بالتنحي والبعد عنه كالمطلق لها؛ وحبلك على غاربك: كناية عن الطلاق تمثيل، وأصله: أن الناقة إذا أريد إهمالها لترعى وضع حبلها على غاربها، فضرَب مثلاً لكل من أهمل وأطلق عن الحكم.

ثم جعلها ذات محالب استعارة بالكناية عن كونها كالأسد في جذبها للإنسان بما فيها من الشهوات والقينات إلى الهلاك الأبدي كما يجزّ الأسد فريسته، وكذلك جعلها ذات حبال، وكنتى بهذا الوصف المستعار عن كونها تصيد قلوب الرجال بشهواتها الوهميّة فهي لها كحبال الصائد، واستعار لفظ مداحضها لشهواتها وملذّاتها أيضاً باعتبار كونها مزالقة أقدام العقول عن طريق الله ومصارع لها، وعبر بجميع ذلك عن زهده فيها وإبعادها فيها عن نفسه.

ثم أخذ في سؤالها عن القوم الذين غرّتهم بداعبها والأمم الذين فتنّتهم بزخارفها سؤالاً على سبيل التوبيخ لها والذم على فعلها ذلك بهم في معرض التنفير عنها، وهو من قبيل تجاهل العارف، واستعار لها لفظ المداعب جمع مدعبة بمعنى دعابة، ووجه المشابهة أنّها عند صفاء لذاتها للخلق واغترارهم بها، ثم كرّرها عليهم بعد ذلك بالأمر الجدّ يشبه من يمزح مع غيره وينبسط معه بالأقوال والأفعال اللينة ليعتدّ به، ثم

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٩٣ - ٦٩٤.

يأتيه بعد ذلك بالأمر الجَدَّ فيؤدِّيهِ أو يهلكه، وإنَّما نسب الغرور إليها لكونها سبباً مادياً لذلك. وفي نسخة الرضي عليه السلام «غَرَّرتهم» بإثبات الياء، ووجهه أنَّها حدثت من إشاع الكسرة.

ثمَّ أشار إلى غايتهم التي صاروا إليها، وهي كونهم رهائن القبور ومضامين للحدود، وتبَّه في ذلك على أنَّ غرورهم وفتنتهم بما لم يخلصهم من هذه الغاية، كلَّ ذلك لغرض التنفير عنها، و«ها» للتنبيه، واستعار لفظ الرهائن لهم باعتبار كونهم موثَّقين في القبور بأعمالهم كالرهن، ويحتمل أن يكون حقيقة، ويكون رهينة بمعنى راهنة وهي الأشخاص المقيمة بقبورها.

ثمَّ أقسم أنَّها لو كانت شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لأقام عليها حدود الله في عباد غرَّتهم بالأمانيّ وأوردتهم موارد البلاء حيث لا ورد ولا صدر: أي أنَّ تلك الموارد ليس من شأنها أن يكون إليها ورد وعنها صدر.

ثمَّ لما كان في هذا الخطاب كالمعلم لها أنَّه قد اطَّلع على خداعها وغرورها قال كالمؤيس لها من نفسه «هيهات»: أي بعد اغتراري بكِ وركوني إليك.

ثمَّ تبَّه على بعض العلل الحاملة على البُعد عنها والنفَرة عن قربها وهي ما يلزم وطئ دحضها من الزلق، وركوب لججها من الغرق، والازورار عن حباثلها من التوفيق للسلامة، وما يلزم السالم منها من عدم مبالاته بضيق مناخه، وكلَّ مناخ أناخ به من فقر وسجن ومرض وبلاء بعد السلامة منها فهو فسيح رحب بالقياس إلى ما يستلزم التفسُّح في سعتها والجري في ميادين شهواتها من العذاب الأليم في الآخرة، وهي عنده في القصر وعدم الالتفات إليها كيوم حان انسلاخه.

وألفاظ المداحض واللجج والحبال مستعار لشهواتها ولذَّاتها.

فالأوّل: باعتبار كون شهواتها مظنة أن تحبّ فينجّر الإنسان عند استعمالها إلى الاستكثار منها أو تجاوز القدر المعتدل إلى المحرّم فتزلّ قدم نفسه عن صراط الله فيقع في مهاوي الهلاك والمناثم.

والثاني: باعتبار أنّ مطالبها والآمال فيها غير متناهية فمن لوازم المشتغل بها والمنهمك في الدنيا أن يغرق نفسه في بحر لا ساحل له منها فينقطع عن قبول رحمة الله إلى الهلاك الأبدي كالملقي نفسه في بحر لجّي.

الثالث: باعتبار أنّ الإنسان إذا اغترّ بها وحصل في محبة مشتياتها عاقته عن النهوض والتخلّص إلى جناب الله ومنعته أن يطير بجناحي قوّته العقليّة في حضرة قدس الله ومنازل أوليائه الأبرار كما تعوق حبائل الصائد جناح الطائر.

ولفظ الوطئ والركوب والزلق والغرق ترشيح؛ ثمّ كرّر الأمر لها بالبعد عنه وأقسم أنّه لا يذلّ لها فيستدّله ولا يسلس لها قيادة فيقوده، وفيه تنبيه على أنّها لا يذلّ فيها إلّا من أذلّ نفسه وعبدها لها ولا يملك إلّا قياد من أسلس لها قياده وهو ظاهر؛ إذ الإنسان مادام قامعاً لقوّته الحيوانيّة مصرفاً لها بزمام عقله فإنّه من المحال أن يذلّه الدنيا ويستعبده أهلها، ومهما اتّبع شهوته فيما تمثّل إليه فإنّها تذله أشدّ إذلال وتستعبده أقوى استعباد كما قال عليه السلام: عبد الشهوة أذلّ من عبد الرقّ^(١).

واستعار وصف إسلاس القياد للتسهيل في متابعة النفس العاقلة للنفس الأمّارة وعدم التشدّد في ضبطها باستعمال العقل عن متابعتها^(٢).

(١) الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٢: ١٤١/١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ١١٤ - ١١٦/ في شرح كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٤.

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ (يُوتَغَانِ الْمَرْءَ) ^(١) فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُ ^(٢) أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْرًا بَغِيرَ الْحَقِّ، فَتَأَوَّلُوا ^(٣) عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ، فَأَخْذَرُ يَوْمًا يَغْتَبِطُ ^(٤) فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَازِبْهُ. وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ ^(٥).

شرح الألفاظ الغريبة:

يُوتَغَانِ المرء: يهلكانه؛ ما قضي فواته: أي ما فات منه لا يدرك، والمراد دم عثمان والانتصار له، فمعاوية يعلم أنه لا يدركه، لانقضاء الأمر بموت عثمان؛ فتأولوا على الله: حلفوا، من الألية وهي اليمين؛ أكذبهم: حكم بكذبهم؛ يغتبط: يفرح ويسر؛ أحمد

(١) ما بين القوسين في نهج محمد عبده: يُذِيعَانِ بالمرء.

(٢) في شرح النهج لابن ميثم: عَلِمْتُ.

(٣) في نهج صبحي صالح: فتألوا.

(٤) في نهج العطار: يُغْتَبِطُ.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٢٣/ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية رقم ٤٨، ونهج الشيخ العطار:

٥٦٢/ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية رقم ٤٨، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ١٢٤/ من كتاب

له عليه السلام إلى معاوية رقم ٤٧، ونهج محمد عبده ٢: ٨٠/ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية.

عاقبة عمله: وجدها حميدة؛ أمكن الشيطان من قياده: أي مكّنه من زمامه ولم ينازعه^(١).

الشرح:

هذا الفصل من كتاب له إليه التحكيم وتمسك معاوية بما حكم به الحكماء، ويحتمل أن يكون عند إجابته إلى التحكيم.

صدّر الفصل بذكر الظلم والكذب والتنفير عنها بما يلزمها من هلاك دين المرء ودنياه، ويبيدian خلله وعيبه لمن يعيبه، أمّا في دينه فلكونها رذيلتين مضادّتين للعدل والعفة ومجانبتين للإيمان والدين، وأمّا في دنياه فلأنّ أعظم مطالب الدنيا للعقلاء الذكر الجميل وإنّما يحصل بظهور مكارم الأخلاق دون رذائلها، وأراد بما قضى فواته ما جعله معاوية شبهة له في محاربتة وهو الطلب بدم عثمان وهو في قوّة صغرى ضمير احتجّ به على وجوب ترك المشاقّة، وتقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك تعيّن أن يترك ذلك الطلب.

ثمّ أعلمه بحال من طلب أمراً باطلاً وتأوّل على الله في ذلك، والإشارة إلى أصحاب الجمل حيث كانوا طالبين للأمر والملك فتأوّلوا على الله: أي على سلطان الله وهي الخلافة الحقّة فجعلوا لخروجهم وبغيهم عليها تأويلاً وهو الطلب بدم عثمان، ونحوه من الشبه الباطلة. فأكذبهم الله بنصره عليهم وردّ مقتضى شبههم وإلّا كذاب كما يكون بالقول كذلك يكون بالفعل. وقال القطب الراوندي رحمه الله: معناه وقد طلب قوم أمر هذه الأمة فتأوّلوا القرآن كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٩٥.

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿١﴾ فسمّوا من نصبوه من الأمراء أولي الأمر متحكّمين على الله فأكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة، ولا يكون الوالي من قبل الله كذلك. ثمّ حدّره يوم القيامة منبّهاً له على ما فيه من سرور الذين حملوا عاقبة أفعالهم بما حصلوا عليه من السعادة الباقية واغتياب غيرهم لهم وتمتّى مثل مراتبهم، وندم من أمكن الشيطان من قياده فصرفه كيف شاء ولم يجاذبه، واستعار لفظ التمكين من القيادة لمطابقة النفس الأمّارة، وغرض التحذير أن لا يكون كمن سبق من طالبي هذا الأمر بالتأويل على الله.

وقوله: «وقد دعوتنا..» إلى آخره: صورة سؤاله والجواب عنه، وكونه ليس من أهله. إذ لم يكن صالحاً للإمامة كما سبق بيانه مراراً، وحيث لم يكن أهلاً لأن يجاب إلى الرضى بالتحكيم أعلمه بذلك وأنه إنّما أجاب القرآن إلى حكمه، وذلك في قوله تعالى في حقّ الزوجين: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٢) الآية، فجعل عليه هذا أصلاً وقاس عليه بالطريق الأولى حال الأمة عند وقوع الشقاق بينهم.

وبعين ذلك احتجّ ابن عباس عليه السلام على الخوارج حيث أنكروا التحكيم فقالوا: كيف يجوز لعليّ أن يحكم في دين الله الرجال؟ فقال لهم: إنّ ذلك ليس بأمر علي عليه السلام وإنّما هو بأمر من الله تعالى في كتابه إذ يقول في حقّ الزوجين ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية أفترّون أنّه أمر تعالى بذلك في حقّ الرجل وامرأته مراعاة لمصلحتها ولا يأمر بذلك

(١) النساء: ٥٩.

(٢) النساء: ٣٥.

في حق الأمة رعيًا لمصلحتهم؟ فرجع كثير منهم إلى قوله، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كتاب له عليه السلام (إلى معاوية أيضاً)^(٢):

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا، وَلَهَجًا بِهَا، وَلَنْ يَسْتَعْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ! وَلَوْ أَعْتَبِرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ، وَالسَّلَامُ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

لَهَجًا: أي ولوعاً وشدة حرص، تقول: قد لهج بالشيء - من باب طرب - إذا أُغْرِيَ به فتأثر عليه^(٤).

الشرح:

صَدَّرَ الكتاب بالتنبيه على معائب الدنيا ليقُلَّ الرغبة فيها، وذكر منها أمور:

-
- (١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ١٢٤ - ١٢٦ / في شرح من كتاب له عليه السلام إلى معاوية رقم ٤٧.
(٢) ما بين القوسين في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: إلى غيره، وفي نهج العطار: إليه.
(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٢٣ / من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً رقم ٤٩، ونهج الشيخ العطار: ٥٦٣ / من كتاب له عليه السلام إليه رقم ٤٩، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ١٢٦ / من كتاب له عليه السلام رقم ٤٨، ونهج محمد عبده ٢: ٨١ / من كتاب له عليه السلام إلى غيره.
(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٩٥.

الأول: كونها مشغله عن غيرها: أي عن الآخرة وهو ظاهر ممّا مرّ.

الثاني: كونها لم يصب صاحبها منها شيئاً إلا كان ذلك معدّاً للحرص عليها واللهج بها، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: لو كان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب^(١).

الثالث: كونها لا يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها، وذلك من لوازم العيب، الثاني فإنّ حصول بعضها إذا كان معدّاً للفقر إليها لم يستغن طالبها أبداً منها. ثمّ أردف ذلك بذكر أمور للتنفير عنها أيضاً:

أحدها: استعقابها لفراق ما جمع منها.

الثاني: نقض ما أحكم من أمورها، ثمّ نبّه على وجوب الاعتبار بما مضى من العمر أو من أحوال الدنيا والقرون الماضية لغاية حفظ ما بقي من العمر أن يضيع في الباطل أو حفظ ما يبقى من السعادة الأخروية بالسعي في تحصيلها. وبالله التوفيق^(٢).

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَأَبْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمْرُنَا، وَإِنَّمَا وَضِعْنَا فِيهَا لِنَبْتَلَى بِهَا، وَقَدْ أَبْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ

(١) انظر تدوين القرآن للشيخ علي الكوراني العاملي: ١١٩.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ١٢٦ - ١٢٧ / ضمن شرح من كتاب له عليه السلام إلى غيره رقم ٤٨.

وَأَبْتَلَاكَ بِي: فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ، (فَعَدَوْتَ عَلَى الدُّنْيَا) ^(١) بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي، وَعَصَبْتَهُ ^(٢) أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي، وَأَلَبَّ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ.

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَارِجِ الشَّيْطَانِ قِيَادَكَ، وَآصِرِ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ. وَآخِذْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ، لَسْتُ جَمَعْتَنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحَتِكَ ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ^(٣). ^(٤)

شرح الألفاظ الغريبة:

عدوت: أي وثبت؛ أَلَبَّ: - بفتح الهمزة وتشديد اللام - أي حرّض، قالوا: يريد بالعالم أبا هريرة وبالقائم عمرو بن العاص؛ القياد: - بالكسر - الزمام، ونازعة القياد: إذا لم يسترسل معه؛ القارعة: البليّة والمصيبة؛ تمس الأصل: أي تصيبه فتقلعه؛

(١) ما بين القوسين في نهج الشيخ العطار: (فعدوت على طلب الدنيا).

(٢) في نهج صبحي صالح: وعصيته.

(٣) الأعراف: ٨٧.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٤٦ / من كتاب له عليه السلام إلى معاوية رقم ٥٥، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٥٩٥ / من كتاب له عليه السلام رقم ٥٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ١٩٠ / من كتاب له عليه السلام إلى معاوية رقم ٥٤، ونهج محمد عبده ٢: ١١٦.

الدابر: هو الآخر؛ أُولَى أَلْيَةٍ: أي أحلف بالله حلفة غير حائثة؛ الباحة: كالساحة وزناً ومعنى^(١).

الشرح:

قوله: «أما بعد..» إلى قوله: «لنبتلي بها»: إشارة إلى غرض الدنيا وغايتها لينتبه لذلك ويعمل له، وأراد بالسعي فيها الذي لم يؤمر به اكتسابها لها، دون غيره مما يكون للضرورة فإن ذلك مأمور به في قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾^(٢).

وقوله: «وقد ابتلاني..» إلى قوله: «الآخر»: تعيين لبعض أغراضها، وقد علمت كيفية ابتلائه بخلقه فيما قبل. ووجه ابتلائه عليه السلام بمعاوية عصيانه ومحاربته إيّاه حتى لو قصّر في مقاومته ولم يقم في وجهه كان ملوماً وكان معاوية حجة الله عليه، ووجه ابتلاء معاوية به عليه السلام دعوته له إلى الحق وتحذيره إيّاه من عواقب المعصية حتى إذا لم يجب داعي الله لحقه الذم والعقاب وكان عليه السلام هو حجة الله عليه وذلك معنى قوله: «فجعل أحدنا حجة على الآخر».

وقوله: «فعدوت..» إلى قوله: «قاعدكم»: إشارة إلى بعض وجوه ابتلائه عليه السلام به، ومعنى ذلك أنه إنما طلب بخروجه عليه الدنيا وجعل السبب إلى ذلك تأويل القرآن كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾^(٣) وغيره من الآيات الدالة على وجوب القصاص فتأولها بإدخال نفسه فيها وطلب

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٣ - ٧٠٤.

(٢) الملك: ١٥.

(٣) البقرة: ١٧٨.

القصاص لعثمان، وإنما كان دخوله في ذلك بالتأويل لأن الخطاب خاص بمن قتل وقُتل منه. ومعاوية بمعزل عن ذلك إذ لم يكن من أولياء دم عثمان ففسّر الآية بالعموم ليدخل فيها. والذي لم تجنه يده ولسانه عليه السلام هو ما نسبوه إليه عليه السلام وآلب بعضهم بعضاً عليه فيه وهو قتل عثمان. وأراد آلب عليكم عالمكم بحالي جاهلكم به وقائمكم في حربي قاعدكم عنه.

ثم لما نبّه على غاية الدنيا وجعل الله سبحانه كلاً منها حجة على الآخر ليعلم أيهم أحسن عملاً رجع إلى موعظته وتحذيره فأمره بتقوى الله في نفسه أن يهلكها بعصيانته ومخالفة أمره. وأن ينازع الشيطان قياده. واستعار لفظ القيادة للميول الطبيعية ووجه الاستعارة كونها زمام الإنسان إلى المعصية إذا سلّمها بيد الشيطان وانهمك بها في اللذات الموبقة. ومنازعتة للشيطان مقاومته لنفسه الأمانة عن طرف الإفراط إلى حاق الوسط في الشهوة والغضب، وأن يصرف إلى الآخرة وجهه: أي يولي وجهه شطر الآخرة مطالعاً ما أعدّ فيها من خير وشر وسعادة وشقاوة بعين بصيرته ليعمل بها.

وقوله: «فهني طريقنا وطريقك»: صغرى ضمير نبيه به على وجوب صرف وجهه إلى الآخرة. وتقدير كبراه: وكلما كان طريق الإنسان فواجب أن يصرف إليها وجهه وجعلها طريقاً مجازاً عن غاية الطريق إطلاقاً لاسم ذي الغاية عليها.

ثم حذّره من الله أن يصيبه بداهية يصيب أصله ويقطع نسله، وأراد بها ما نهاه من نهوضه إليه وحربه إيّاه ولذلك أقسم على تقدير أن يجمعها جوامع الأقدار أن لا يزال بباحته مقيماً حتى يحكم الله بينهما. وفي ذلك غليظ الوعد بعذاب شديد^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ١٩٠ - ١٩٢ في شرح من كتاب له عليه السلام إلى معاوية رقم ٥٤.

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قُطَبة^(١) صاحب جند حلوان:

... وَأَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا (فِيهَا قَطُّ)^(٢) سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَعَتْهُ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا، وَمِنْ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، وَالْإِحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهِدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلَامُ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

الْفَرَعَةُ: الواحدة من الفراغ، والمراد بها هنا خلو الوقت من عمل يرجع بالنفع على الأمة؛ الاحتساب على الرعية: مراقبة أعمالها وتقويم ما أعوج منها وإصلاح ما فسد^(٤).

(١) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: الأسود بن قطيبة، والأسود بن قطبة صحابي لا

يبعد حسنه. (تنقيح المقال ١١: ٢٥٠٢/٣٧)

(٢) ما بين القوسين في نهج الشيخ العطار: قَطُّ فِيهَا.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٤٩/ من كتاب له عليه السلام لأسود بن قطبة، رقم ٥٩، ونهج العطار:

٦٠٠/ من كتاب له عليه السلام رقم ٥٩، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ١٩٦/ من كتاب له عليه السلام رقم ٥٨،

ونهج محمد عبده ٢: ١٢٠/ من كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطيبة.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٤.

الشرح:

لقد أدرج ابن ميثم في الفصل عدّة لطائف نذكر منها ما أخذناه من الكتاب وما ورد من الشرح ممّا أخذناه من الكتاب.

نَبّه على أنّ الدنيا دار ابتلاء بالعمل كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١) ولَمّا كان العمل الصالح فيها هو سبب الاستعداد للسعادة الباقية لا جرم كان الفراغ من العمل فيها تركاً لسبب سعادة لا يحصل يوم القيامة إلّا به فكان من لوازم فرغته منه في الدنيا الحسرة على ثمرته يوم القيامة.

نَبّه على ضرورته إلى عمل الحقّ بأنّه لا يغنيه عنه شيء غيره لأنّ كلّ ما عدا الحقّ باطل والباطل سبب للفقر في الآخرة فلا يفيد غنى.

نَبّه على أنّ من الحقوق الواجبة عليه حفظ نفسه: أي من زلّة القدم عن الصراط المستقيم والوقوع في سواء الجحيم، ثمّ الاحتساب على رعيّته بمجده وطاقته، والأخذ على أيديهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقدّم حفظ النفس لأنّه الأهمّ. ونَبّه على وجوب الأمرين بقوله: «فإنّ الذي..» إلى آخره، وأراد أنّ الذي يصل إلى نفسك من الكمالات والثواب اللّازم عنها في الآخرة بسبب لزومك للأمرين المذكورين أفضل ممّا يصل بعدلك وإحسانك إلى الخلق من النفع ودفع الضرر. وبالله التوفيق^(٢).

(١) الملك: ٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ١٩٧ - ١٩٨ / في شرح من الكتاب رقم ٥٨.

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس عليه السلام (وقد تقدّم ذكره) (١) بخلاف هذه الرواية:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَلَمَّ الرَّءِ (٢) لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ،
وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا
نَلْتَفِتُ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوعُ (٣) لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءٍ (٤) غَيْظٍ، وَلَكِنْ
إِطْفَاءُ (٥) بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ (٦) حَقٍّ.
وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسْفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ
فِيمَا بَعْدَ أَلَمِّ الْمَوْتِ (٧).

شرح الألفاظ الغريبة:

خَلَّفْتُ: تركت (٨).

(١) ما بين القوسين في نهج العطار: وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدّم.

(٢) في نهج العطار: فإنّ العبد.

(٣) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: بُلُوعٌ.

(٤) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: شِفَاءٌ.

(٥) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: إِطْفَاءٌ.

(٦) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: إِحْيَاءٌ.

(٧) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٥٧/ من كتاب له عليه السلام رقم ٦٦، ونهج الشيخ العطار: ٦١١/ من

كتاب له عليه السلام رقم ٦٦، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢١٥/ من كتاب له عليه السلام رقم ٦٥، ونهج محمد

عبده ٢: ١٣١ - ١٣٢/ من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس.

(٨) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٨.

الشرح:

قد سبق شرحه إلّا كلمات يسيرة فيه:

منها: أنّه تَبَّه على لزوم فضيلتي العَقَّة والحلم بالنهي عن أن يجعل بلوغ لذّته من دنياه أو شفاء غيظه اللذين هما طرفا الإفراط والتفريط من الفضيلتين المذكورتين أفضل ما نال منها في نفسه.

ثمّ تَبَّه على ما ينبغي أن يكون أفضل في نفسه من دنياه وهو إطفاء الباطل وإحياء الحقّ. وإطفاء الباطل تنبيه على وجه استعمال قوّة الشهوة والغضب وهو أن يكون الغرض من فعلها دفع الضرورة وبقدر الحاجة.

ومنها: أنّه أمره في الرواية الأولى أن يكون فرحه بما نال من آخرته، وأمره هنا أن يكون سروره بما قدّم لنفسه من زاد التقوى وهو أمر بمقدّمة الآخرة. وأمره في الرواية الأولى أن يكون أسفه على ما فات من آخرته، وأمره هنا أن يكون أسفه على ما خلف: أي ترك من العمل. وبالله التوفيق ^(١).

وما جاء في هامش نهج البلاغة للشيخ محمّد عبده: قد يفرح الإنسان بنيل مقدور له لا يفوته ويحزن لحرمانه ما قدّر له الحرمان منه فلا يصيبه فإذا وصل إليك شيء ممّا كتب لك في علم الله فلا تفرح به إن كان لذّة أو شفاء غيظ، بل عدّ ذلك في عداد الحرمان وإنّما تفرح بما كان إحياء الحقّ وإبطال باطل وعليك الأسف والحزن بما خلفت: أي تركت من أعمال الخير والفرح بما قدّمت منها لآخرتك ^(٢).

(١) شرح نهج ابن ميثم ٥: ٢١٥-٢١٦/ في شرح من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس، رقم ٦٥.

(٢) هامش نهج البلاغة للشيخ محمّد عبده ٢: ١٣١-١٣٢/ في شرح الكتاب.

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي عليه السلام قبل أيام خلافته:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنُ مَسُّهَا، قَاتِلُ سَمِّهَا،
فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ
هُمُومَهَا، لِمَا أَيْقَنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا^(١)، وَكُنْ أَنْسَ مَا تَكُونُ بِهَا،
أَخْذَرِ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورِ
أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، (أَوْ إِلَى إِبْنَانٍ أَزَالَهُ عَنْهُ إِلَى
إِيحَاشٍ! وَالسَّلَامُ)^(٢).^(٣)

شرح الألفاظ الغريبة:

كُنْ أَنْسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَخْذَرِ مَا تَكُونُ مِنْهَا: أَنْسَ: أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنَ الْأَنْسِ: أَيِ
أَشَدُّ أَنْسَاءً، وَهِيَ هُنَا حَالٌ مِنْ اسْمِ «كُنْ»، وَأَخْذَرِ: خَبِرَ، وَالْمُرَادُ فَلْيَكُنْ أَشَدَّ حَذَرَكِ
مِنْهَا فِي حَالِ شِدَّةِ أَنْسِكَ بِهَا؛ اشْخَصَتْهُ: أَيِ أَذْهَبَتْهُ^(٤).

(١) في نهج البلاغة لصبحي صالح، زيادة: وَتَصَرَّفَ حَالَاتِهَا.

(٢) ما بين القوسين ليس في شرح النهج لابن ميثم، ونهج الشيخ محمد عبده، وهو في نهج الشيخ
العطَّار: كَالْمَثْبُوتِ وَلَيْسَ فِيهِ كَلِمَةُ (وَالسَّلَامُ)، وَفِي نَهْجِ صَبْحِي صَالِحٍ: أَوْ إِلَى إِبْنَانٍ أَزَلْتَهُ عَنْهُ إِلَى
إِيحَاشٍ! وَالسَّلَامُ.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٥٨/ من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رقم ٦٨، ونهج الشيخ
العطَّار: ٦١٤/ من كتاب له عليه السلام رقم ٦٨، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢١٨/ من كتاب له عليه السلام رقم
٦٧، ونهج محمد عبده ٢: ١٣٣/ من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي عليه السلام قبل أيام خلافته.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٨.

الشرح:

مدار الفصل على الموعظة وذم الدنيا، وضرب لها مثلاً، وذكر من وجوه الشبه من جانب الممثل به أمرين:

أحدهما: لئن المسّ وتمثله من جانب الدنيا رفاهية العيش ولذاته.
والثاني: قتل سمها ويمثله من الدنيا هلاك المنهمكين في لذاتها يوم القيامة ثم أمره في مقامه بها بأوامر:

أحدها: أن يعرض عما يعجبه منها. وعلل وجوب إعراضه بقوله: لقلّة ما يصحبك منها، وهي صغرى ضمير تقديرها: ما يصحبك منها قليل، وتقدير كبراه: وكلّما كان كذلك فينبغي أن يعرض عنه.

الثاني: أن يضع عنه هموم طلبها، وعلل وجوب ذلك بضمير صغراه قوله: لما أيقنت من فراقها: أي لأنك متيقن لفراقها وتقدير كبراه: وكلّما تيقنت فراقه فواجب أن تضع همك عن طلبه.

الثالث: أن يكون آنس ما يكون بها أحذر ما يكون منها. وما مصدرية، وآنس ينصب على الحال، وأحذر خبر كان: أي في حال كونك آنس بها كن أحذر ما تكون منها. والغرض أن يحذر منها بقدر جهده ولا يأنس بها. وعلل وجوب الحذر منها بقوله: «فإنّ صاحبها..» إلى آخره. وهو صغرى ضمير تقديرها: «فإنّ كلّما اطمأنّ صاحبها فيها..» إلى آخره. وتقدير كبراه: وكلّما كان كذلك فيجب أن يحذر صاحبها منه ولا يأنس إليه ينتج فالدنيا يجب أن يحذر صاحبها منها^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٢١٨ - ٢١٩ / في شرح من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي عليه السلام.

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني:

وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، وَأَنْتَصَحَهُ^(١)، وَأَجَلَ حَالَهُ، وَحَرَّمَ
حَرَامَهُ، وَصَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ، وَأَعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنَ
الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضًا^(٢)، وَآخِرَهَا لَاحِقٌ
بِأَوَّلِهَا! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ.
وَعَظَّمَ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا
بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

اعْتَبَرَ: قَسَّ؛ حَائِلٌ: أَي زَائِلٌ؛ وَثِيقٌ: مُحْكَمٌ قَوِيٌّ^(٤).

الشرح:

هذا الفصل من كتاب طويل إليه، وقد أمره فيه بأوامره وزجره بزواجره مدارها
على تعليم مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

(١) في نهج صبحي صالح ونهج محمد عبده: اسْتَنْصَحَهُ.

(٢) في نهج البلاغة لصبحي صالح: لما.

(٣) في نهج الشيخ العطار: بَعْضُهَا.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٥٩/ من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني، رقم ٦٩، ونهج

البلاغة للشيخ العطار: ٦١٤/ من كتاب له عليه السلام، رقم ٦٩، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢١٩/ من

كتاب له عليه السلام رقم ٦٨، ونهج محمد عبده ٢: ١٣٣ - ١٣٤/ من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني.

(٥) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٨.

أحدها: أن يتمسك بحبل القرآن. ولفظ الحبل مستعار كما سبق. وأراد لزوم العمل به.

الثاني: أن ينتصحه: أي يتّخذ ناصحاً له بحيث يقبل أمره وشوره لأنّه يهدي إلى الحقّ وإلى صراط مستقيم.

الثالث: أن يحلّ حلاله ويحرّم حرامه، وذلك أن يعتقد ما فيه من الحلال والحرام حلالاً وحراماً ويقف عند اعتقاده ويعمل بمقتضاه.

الرابع: أن يصدّق بما سلف من الحقّ ممّا حكاه القرآن الكريم من أحوال القرون الماضية وأحوال الأنبياء مع أممهم ليصحّ منه الاعتبار.

الخامس: أن يعتبر ماضي الدنيا بباقيها ويقيسه به فيجعل ما مضى أصلاً وما يبق فرعاً ويحدو القدر المشترك بينهما من العلة وهو كونها مظنة التغيّر والزوال فيحكم في الفرع بحكم الأصل من وجوب الزوال، وقد نبّه على المشترك بقوله: «فإنّ بعضها يشبه بعضاً» وعلى ما يلزم ذلك في الفرع بقوله: «وآخرها لاحق بأولها، وكلّها حائل»: أي زائل مفارق.

السادس: أن يعظّم اسم الله ويكبّره أن يذكره حالفاً إلّا على حقّ. السابع: أن يكثر ذكر الموت وما بعده فإنّ في ذكرهما أعظم واعظ وأشدّ زاجر عن الدنيا.

الثامن: نهاه أن يتمنّى الموت إلّا بشرط وثيق من نفسه يطمئنّ إليه في طاعة الله وولايته فإنّ تمنّيه بدون ذلك سفه وحمق^(١).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٢١ - ٢٢٢ / في شرح كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني، رقم ٦٨.

إلى أن يقول في كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني:

... وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقُ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ
الدُّنْيَا، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ.
وَوَقَّرَ اللَّهُ، وَأَحْبَبَ أَحِبَّاءَهُ، وَأَحْذَرَ أَلْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ
جُنُودِ إِبْلِيسَ، وَالسَّلَامُ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

آبق: أي هارب منه، متحوّل عنه^(٢).

الشرح:

لقد حدّر [أمير المؤمنين الحارث الهمداني] أن ينزل به الموت حال ما هو آبق من
ربه، واستعار له الآبق باعتبار خروجه عن أمره ونهيه في طلب الدنيا.
وأن يحذر صحبة الفسّاق ونقرّ عن ذلك بضمير صغراه قوله: «فإنّ الشرّ بالشرّ
ملحق»: أي فإنّه يصير لك شرّاً كشرّهم لأنّ القرين بالمقارن يقتدى. وتقدير كبراه:
وكلّ ما صيرّ لك كذلك فلا يجوز فعله.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٦٠ / من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني، رقم ٦٩، ونهج
الشيخ العطار: ٦١٦ - ٦١٧ / ضمن ومن كتاب له عليه السلام، رقم ٦٩، وشرح نهج البلاغة لابن أبي عمير
٥: ٢٢١ / ضمن ومن كتاب له عليه السلام، رقم ٦٨، وجملته (والسلام) ليست فيه، ونهج محمد عبده ٢:
١٣٧ / ضمن من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٨.

أن يجمع بين توقير الله وتعظيمه وبين محبة أحبائه وأوليائه، وهما أصلان متلازمان.

أن يحذر الغضب. ونفّر عنه بقوله: «فإنه...» إلى آخره، ومعنى كونه جنداً له لأنه من أعظم ما يدخل به على الإنسان يملكه ويصير في تصرفه كالملك الداخل بالجند العظيم على المدينة، وهو صغرى ضمير تقدير كبراه: وكلما كان كذلك فواجب أن يحذر منه. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة، في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَقُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى^(٢) لَهُمْ غِيًّا، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا، فِرَارُهُمْ مِنْ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَ^(٣) قَدْ عَرَفُوا أَلْعَدْلَ وَرَأَوْهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ^(٤)، فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ، فَبُعْدًا لَهُمْ وَسُخْقًا!!

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٢٢٥/ ضمن شرح من كتاب له عليه السلام، رقم ٦٨.

(٢) في نهج البلاغة للشيخ العطار: فكفى بذلك.

(٣) (الواو): ليست في نهج الشيخ العطار.

(٤) في نهج البلاغة للشيخ العطار: إسوة. وفي هامشه كالمثبت.

إِنَّهُمْ - وَاللَّهِ - لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرِ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وَإِنَّا
لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُذَلَّلَ اللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهَّلَ لَنَا حَزَنَهُ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

قَبْلَكَ: - بكسر ففتح - أي عندك؛ يتسللون: يذهبون واحداً بعد واحد؛ غَيًّا: ضللاً؛ الإيضاع: الإسراع؛ مُهْطِعُونَ: مسرعون؛ الأثرة: - بالتحريك - اختصاص النفس بالمنفعة وتفضيلها على غيرها بالفائدة؛ السُّحْق: - بضم السين - البُعد؛ حَزَنُهُ: - بفتح فسكون - أي خَشِنُهُ^(٢).

الشرح:

قوله: «أما بعد..» إلى قوله: «معاوية»: إعلامه بعلمه بحالهم.
وقوله: «فلا تأسف..» إلى قوله: «مددهم»: تسليته له عما فاتته من عددهم ومددهم.
وقوله: «فكفي..» إلى قوله: «العدل»: استدراج له عن الأسف على فرارهم بذكر معائبهم في ضميرين:
صغرى الأول منها: قوله: «فكفي..» إلى قوله: «الجهل»: وتقدير كبراه: وكل من

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٦١/ من كتاب له عليه السلام، رقم ٧٠، ونهج الشيخ العطار: ٦١٧/ من كتاب له عليه السلام رقم ٧٠ وفيه: والسلام عليك، شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٢٥ - ٢٢٦/ من كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف، رقم ٦٩، ونهج محمد عبده ٢: ١٣٦ - ١٣٧/ من كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٨ - ٧٠٩.

كان كذلك فلا يجوز الأسف عليه. وفرار فاعل كفى، وغياً وشافياً تميز.
وصغرى الثاني: قوله: «وإنما هم أهل الدنيا»: أي لما كان شأنهم ذلك وعرفوا
العدل عندنا وعلموا تساوي الناس عندنا في الحق هربوا إلى الاستئثار والاستبداد
عند معاوية. وتقدير كبراه: وكل من كان بهذه الحال فلا يجوز الأسف عليه، ولذلك
دعا عليهم بالبعد والسحق وهما مصدران وضعا للدعاء.
ثم أقسم أنهم لم يفتروا من جور منه ولم يلحقوا بعدل من معاوية ليتأكد حصره
لأحوالهم التي هربوا لأجلها.
ثم وعده بما يطمع من الله تعالى من تذليل ما صعب من أمر الخلافة لهم، وتسهيل
حزنه بمشيئته سبحانه^(١).

**الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي، (وقد خان في
بعض ما ولّاه من أعماله)^(٢):**

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ،
وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّي^(٣) إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ
أَنْقِيَاداً، وَلَا تُبْقِي لِأَخْرَجِكَ عَتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ أَخْرَجِكَ،
وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٢٢٦ في شرح من كتاب له عليه السلام رقم ٦٩.

(٢) مابين القوسين في نهج الشيخ العطار: وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان الأمانة. وفي
هامشه كالمثبت.

(٣) في نهج العطار: رُقِّي.

وَلَيْتَن كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ تَعْرُ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُغْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ^(١)؛ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

الهُدْي: - بفتح فسكون - الطريقة والسيرة؛ رُفِّيَ إِلَى: رُفِعَ وأُنْهِيَ إِلَى؛ العناد: - بالفتح - الذخيرة المُعَدَّة لوقت الحاجة؛ الشِسْع: - بالكسر - سيرٌ بين الإصبع الوسطى والتي تليها في النعل العربي، كأنه زمام ويسمى قَبَالاً - ككتاب؛ جَبَايَة: أي تحصيل أموال الخراج ونحوه، عمل من أعمال الدولة^(٣).

الشرح:

قال الرضي: والمنذر هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّهُ لَنظَارٌ^(٤) فِي عَطْفِيهِ، مَخْتَالٌ فِي بَرْدِيهِ^(٥): تَفَالٌ فِي شِرَاكِهِ.

(١) في نهج صبحي صالح: جباية.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٦١/ من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدِي، رقم ٧١، ونهج العطار: ٦١٨/ من كتاب له عليه السلام رقم ٧١، وشرح النهج لابن ميثم: ٥: ٢٢٧/ من كتاب له عليه السلام رقم ٧٠، ونهج محمد عبده ٢: ١٣٧ - ١٣٨/ من كتاب له عليه السلام.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٩.

(٤) نَظَّارٌ: كثير النظر، والعطف - بالكسر - الجانب، أي كثير النظر إلى جانبه، عُجْباً وَخُيْلَاءً. (شرح الألفاظ الغريبة): ٧٠٩.

(٥) البُرْدَان: تشنية بُرْد - بضم الباء - وهو ثوب مَخْطُوط، والمختال: المعجب. (شرح الألفاظ الغريبة): ٧٠٩.

مدار الفصل على توبيخه بسبب خيائته، فذكر سبب غروره وهو قياسه في الصلاح على أبيه الجارود العبدى في أنه يتبع ما كان عليه من الهدى. ثم ذكر ما رقى إليه عنه من الفارق من أربعة أوجه:

أحدها: انقياده لهواه في كل ما يقوده إليه.

الثاني: إعراضه عما يعتد به لآخرته من صالح الأعمال.

الثالث: كونه يعمر دنياه بما يستلزم خراب آخرته من تناول الحرام.

الرابع: كونه يصل عشيرته بما يقطع دينه من ذلك. وراعى السجع في القرينتين.

ثم أخذ في توبيخه والحكم بنقصانه وحقارته إن حق ما نسب إليه ذلك بتفضيل جمل أهله وشسع نعله عليه، وجمل الأهل مما يتمثل به في الهوان، وأصله فيما قيل: أن الجمل يكون لأب القبيلة فيصير ميراثاً لهم يسوقه كل منهم ويصرفه في حاجته فهو ذليل حقير بينهم.

ثم حكم في معرض توبيخ على من كان بصفته أنه لا يصلح لولاية عمل يراد له الوالى. وراعى في القرائن الأربع السجع المتوازي. فالقدر بإزاء الأمر والخيانة بإزاء الأمانة. وإنما قال: أو يشرك في أمانة، لأن الخلفاء أمناء الله في بلاده فمن ولّوه من قبلهم فقد أشركوه في أمانتهم.

وقوله: «أو يؤمن على خيانة»: أي حال خيانتك، لأن كلمة على تفيد الحال.

ثم بعد توبيخه استقدمه عليه عزلاً له.

والذي حكاه السيّد بالله من وصف أمير المؤمنين عليه السلام له فكناية عن تكبره. والتفل

٤١٢..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

في الشراك: نفخ الغبار عنه. والحكاية مناسبة للكتاب لاشتغالها على الذم. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ^(٢) كُنتَ بِسَابِقِ أَجَلِكَ، وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ،
وَأَعْلَمَ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ
دُولٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ
لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

دُول: - جمع دُولَة بالضم - ما يُتَدَاوَل من السعادة في الدنيا^(٤).

الشرح:

في الفصل موعظة، ونبه فيها على دقائق:
إحديها: أَنَّهُ لَا يَسْبِقُ أَجْلُهُ، وَلَمَّا كَانَ الْأَجَلُ هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي عِلْمُ اللَّهِ أَنَّ زَيْدًا يَمُوتُ
فِيهِ لَمْ يَكُنْ أَنَّ يَمُوتُ زَيْدٌ دُونَهُ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ انْقِلَابَ عِلْمِ اللَّهِ جَهْلًا وَأَنَّهُ مُحَالٌ.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٢٢٧ - ٢٢٨ / في شرح كتاب له عليه السلام، رقم ٧٠.

(٢) في نهج محمد عبده: فَإِنِّي.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٦٢ / من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس، رقم ٧٢، ونهج

الشيخ العطار: ٦١٩ / من كتاب له عليه السلام، رقم ٧٢، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٢٨ / من كتاب

له عليه السلام رقم ٧١، ونهج محمد عبده ٢: ١٣٨ / من كتاب له عليه السلام.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٩.

الثانية: ولا مرزوق ما ليس له: أي ما علم الله أنه ليس رزقاً له فحال أن يرزق إياه لما بيّناه.

الثالثة: أعلمه أنّ الدهر يومان: يوم له وهو اليوم الذي فيه المنافع كاللذة وكما لايتها، ويوم عليه وهو ما يكون عليه فيه المضرة كالآلم وما يستلزمه وذلك معنى كون الدنيا دار دول كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

الرابعة: أعلمه بأنّ ما كان له من خير الدنيا أتاه على ضعفه وإن كان أمراً كبيراً لعلم الله سبحانه بأنّه يصل إليه، وكذلك ما كان عليه من شرّها لم يتمكّن من دفعه وإن كان قوياً. وذكر الضعف والقوّة ليعلم استناد الأمور والأرزاق إلى مدبّر حكيم هو مفيضها ومبدء أسبابها وناظم وجودها ومقسّم كمالاتها ومعطي كلّ منها ما استعدّ له من خير أو شرّ. فقد يحصل الضعف للحيوان ويرزق رزقاً واسعاً ويكون ضعفه من الأسباب المعدة لسعة رزقه، وبالعكس قد تحصل له القوّة فتكون من أسباب الحرمان. والله من ورائهم محيط وهو الرزاق ذو القوّة المتين^(٢).

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ جواباً في أمر الحكمين، ذكره سعيد بن يحيى الأمويّ في كتاب «المغازي»:

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ، فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا، وَتَطَقُّوا بِالْهَوَى، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْزِلاً

(١) آل عمران: ١٤٠.

(٢) شرح نهج ابن ميثم ٥: ٢٢٨ - ٢٢٩ / في شرح من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس، رقم ٧١.

مُعْجِبًا، أَجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، فَأَنِّي ^(١) أَدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحًا أَخَافُ أَنْ يَكُونُ ^(٢) عَلَقًا.

وَلَيْسَ رَجُلٌ - فَأَعْلَمُ - (أَحْرَصَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ) ^(٣) وَأُلْفَتِهَا مِنِّي، أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وَكَرَمَ الْمَآبِ، وَسَاقِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرَتْ عَنْ صَالِحٍ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجَرِبَةِ، وَإِنِّي لَأَعْبُدُ ^(٤) أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ، وَأَنْ أُفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصْلَحَهُ اللَّهُ، فَدَعُ مَا لَا تَعْرِفُ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ، وَالسَّلَامُ ^(٥).

شرح الألفاظ الغريبة:

مُعْجِبًا: أي موجباً للتعجب؛ قَرْحًا: في الأصل الجرح، وهو هنا مجاز عن فساد بواطنها؛ الْعَلَقُ: - بالتحريك - الدم الغليظ الجامد؛ الْمَآبُ: المَرْجِعُ؛ وَأَيْتُ: وَعَدْتُ وأخذتُ على نفسي؛ وَإِنِّي لَأَعْبُدُ: أي آفُ، فهو من عَبْدَ يَعْبُدُ، كَغَضِبَ يَغْضَبُ،

(١) في نهج الشيخ العطار: فَأَنَا، وفي نهج صبحي صالح: وَأَنَا.

(٢) في نهج الشيخ العطار: أَنْ يَعُودَ.

(٣) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: أحرص على جماعة أُمَّة مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٤) في نهج محمد عبده: لَأَعْبُدُ. بضم الباء.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٦٥ - ٤٦٦ / من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري، رقم ٧٨،

ونهج الشيخ العطار: ٦٢٣ - ٦٢٤ / من كتاب له عليه السلام، رقم ٧٨، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٣٥ /

من كتاب له عليه السلام، رقم ٧٧، ونهج الشيخ محمد عبده ٢: ١٤١ - ١٤٣ / من كتاب له عليه السلام إلى أبي

موسى الأشعري.

عَبْدًا، والمراد: إِنِّي لَأَنْفَ مَنْ أَنْ يَقُولَ غَيْرِي قَوْلًا بَاطِلًا، فكيف لَا أَنْفَ أَنَا مِنْ ذَلِكَ لِنَفْسِي^(١).

الشرح:

قوله: «فإنَّ الناسَ..» إلى قوله: «حَظُّهُمْ»: أي: الحَظُّ الذي ينبغي لهم من الدين والهدى.

وقوله: «فمَالُوا..» إلى قوله: «الهُوى»: بيان لأنواع تغيُّرهم.

وقوله: «وإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ»: أي أمر الخلافة منزلاً معجباً وهو الحال التي انتهت إليها مع الصحابة وصارت محلَّ التعجُّب منها وكيف صار محكوماً لهم في قبول الحكومة والرضى بالصلح وغيره.

وقوله: «اجتمع به أقوام»: صفة منزل: أي أنَّ هذا المنزل الذي أنا فيه من هذا الأمر قد اجتمع معي وشاركني في رأيي فيه أقوام أعجبته أنفسهم وآرائهم فأفسدوا عليَّ الأمر فأنا أداوي منهم قرحاً، واستعار لفظ القرح لما أفسد من حال باجتماعهم على التحكيم، ولفظ المداواة لاجتهاده في إصلاحهم، وروي: أُداري. وكذلك استعار لفظ العلق لما يخاف من تفاقم أمرهم من حاله.

وقوله: «وليس رجل أحرص منه على ألفة جماعة أُمَّة مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» للغرض المذكور.

وقوله: «فاعلم» اعتراض حسن بين ليس وخبرها ورجل يفيد العموم وإن كان مفرداً نكرةً لكونه في سياق النفي على ما بيّن في أصول الفقه. ثم أخبر أنّه سيبي

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٠.

٤١٦..... الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

بما وعد على نفسه من شرط الصلح على ما وقع عليه، وتوعّده بلزوم الشقاوة إن
تغيّر عن صالح ما فارقه عليه من وجوب الحكم بكتاب الله وعدم اتّباع الهوى
والاغترار بمقارنة الأشرار.

فسّر الشقيّ بمن حرم نفع ما أُوتي من العقل والتجربة مشيراً بذلك إلى أنّه إن خدع
أو تغيّر بأمر آخر فقد حرم نفع عقله وسابقة تجربته فلزمته الشقاوة.

ثمّ تبّه على أنّه يأنف من قول الباطل، وأن يفسد أمراً أصلحه الله به وهو أمر
الدين ليحترز من غضبه بلزوم الحقّ والصدق وحفظ جانب الله في حقّه، وأكّد ذلك
بقوله: «فدع ما لا تعرف»: أي من الحكم في هذه القضية بالشبهة.

وقوله: «فإنّ شرار الناس..» إلى آخره: أراد عمرو بن العاص ونحوه فيما كان
يسرع بإلقائه إليه من الوسوس والشبه الكاذبة التي هي أقاويل السوء^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٢٣٥ - ٢٣٧ / في شرح من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى
الأشعري، رقم ٧٨.

الفصل الرابع

الدنيا في وصايا أمير المؤمنين عليه السلام

الدنيا في خطبة له ﷺ في صفة النبي... وفيها النصيح بالتقوى:

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا،
وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا. رَهَبٌ فَأَبْلَغَ، وَرَغَبٌ فَأَسْبَغَ، وَوَصَفَ
لَكُمْ الدُّنْيَا وَأَنْقَطَاعَهَا، وَزَوَالَهَا وَأَنْتِقَالَهَا.

فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا، أَقْرَبُ دَارٍ
مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ - عِبَادِ
اللَّهِ - غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ
حَالَاتِهَا^(١)، فَاحْذَرُوا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ،
وَأَعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ...^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

راجع الألفاظ الغريبة الواردة في الخطبة في باب خطب أمير المؤمنين ﷺ الخطبة

(١) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: حَالُهَا.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٣٠/ ضمن الخطبة رقم ١٦١، ونهج الشيخ العطار: ٣٠٤/ ضمن

الخطبة رقم ١٦١، وشرح النهج لابن ميثم ٣: ٢٨٩/ ضمن الخطبة رقم ١٦١، ونهج محمد عبده

رقم ١٦١، في نهج البلاغة لصبحي صالح.

الشرح:

راجع شرح الخطبة في باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام شرح الخطبة رقم ١٦١، في شرح النهج لابن ميثم.

الدنيا في خطبة له عليه السلام في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى:

وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعَيْنِهِ، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي
قَبْضَتِهِ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عَلَيْهِ السلام: - وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ
صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَأَرْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّيْتُمُوهَا فِي
مَصَائِبِ الدُّنْيَا، أَفَرَأَيْتُمْ^(١) جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ،
وَالْعَثْرَةَ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءَ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ
مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينِ شَيْطَانٍ؟!...^(٢).

(١) في نهج العطار: فَرَأَيْتُمْ.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٦٦ - ٢٦٧ / ضمن الخطبة رقم ١٨٣، ونهج العطار: ٣٥٣ - ٣٥٥ / ضمن الخطبة رقم ١٨٣، وشرح النهج لابن ميثم ٣: ٣٩٨ - ٣٩٩ / ضمن الخطبة رقم ١٨٢، ونهج محمد عبده ١: ٣٦٨ - ٣٧٠.

شرح الألفاظ الغريبة:

راجع شرح الألفاظ الغريبة للخطبة في باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام الخطبة رقم ١٨٣، في نهج البلاغة لصبحي صالح.

الشرح:

راجع شرح الخطبة في باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام في شرح الخطبة رقم ١٨٣، من شرح النهج لابن ميثم.

الدنيا في خطبه له عليه السلام في الوصية بأمور، منها في الموت:

أَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا
لَيْسَ يُعْفَلُكُمْ، وَطَمَعَكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ.
فَكَفَى وَاعِظًا بِمَوْتِي عَايِنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ
رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا
عُمَرَاءَ، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا، أَوْ حَشُوا مَا كَانُوا
يُوطِنُونَ، وَأَوْطِنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ... (١).

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٧٨/ضمن الخطبة رقم ١٨٨، ونهج العطار: ٣٧٢/ضمن الخطبة

رقم ١٨٨، وشرح النهج لابن ميثم ٤: ١٨٨/ضمن الخطبة رقم ٢٣٠، ونهج محمد عبده ١:

شرح الألفاظ الغريبة:

راجع شرح الألفاظ الغريبة للخطبة في باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة رقم ١٨٨، في نهج البلاغة لصبحي صالح.

الشرح:

راجع شرح الخطبة في باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام شرح الخطبة رقم ١٨٨، في شرح النهج لابن ميثم.

الدنيا في خطبة له عليه السلام يحمد الله ويثني على نبيه ويوصي بالزهد والتقوى:

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ،
وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقِّكُمْ - إِلَى أَنْ يَقُولَ عليه السلام: - أَيْقِظُوا بِهَا
نَوْمَكُمْ، وَأَقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَأَرْحَضُوا
بِهَا ذُنُوبَكُمْ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ،
وَأَعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا.
أَلَا وَصُورُهَا وَتَصَوُّتُهَا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نَزَاهًا، وَإِلَى
الْآخِرَةِ وَلَاَهَا.

إلى أن يقول عليه السلام: هِيَئَاتَ (١).

(١) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: وَهِيَئَاتَ.

هَيْهَاتَ^(١)! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا
لِحَالِ بَالِهَا ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا
مُنْظَرِينَ﴾^(٢).^(٣)

شرح الألفاظ الغريبة:

راجع شرح الألفاظ الغريبة الواردة في الخطبة في باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام
الخطبة رقم ١٩١، في نهج البلاغة لصبحي صالح.

الشرح:

راجع شرح الخطبة في باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام، شرح الخطبة رقم ٢٣٣،
من شرح النهج لابن ميثم.

الدنيا في خطبة له عليه السلام يوصي بالعظة بالزهد:

... أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ
شُخُوصٍ، وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ، تَمِيدُ
بِأَهْلِهَا مَيِّدَانِ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ،

(١) في شرح النهج لابن ميثم: ثُمَّ هَيْهَاتَ، (هيهات) - الثانية - ليست في نهج محمد عبده.

(٢) الدخان: ٢٩.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٢٨٤/ضمن الخطبة رقم ١٩١، ونهج الشيخ العطار: ٣٧٩ - ٣٨١/

ضمن الخطبة رقم ١٩١، وشرح النهج لابن ميثم ٤: ٢١٢ - ٢١٣/ضمن الخطبة رقم ٢٣٣،

ونهج محمد عبده ١: ٣٩٢ - ٣٩٥.

فَمِنْهُمْ أَلْعَرِقُ الْوَبْقُ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ^(١) الْأَمْوَاجِ،
تَحْفِزُهُ الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا
فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ^(٢) !!

شرح الألفاظ الغريبة:

راجع شرح الألفاظ الغريبة الواردة في الخطبة في باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام
الخطبة رقم ١٩٦، في نهج البلاغة لصبحي صالح.

الشرح:

راجع شرح الخطبة في باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة رقم ١٨٧، من
شرح النهج لابن ميثم.

**الدنيا في وصية له للحسن بن علي عليه السلام بحاضرين عند انصرافه
من صفين:**

الفصل الأول: قوله عليه السلام:

مِنْ أَوْلَادِ أَلْقَانٍ، أَلْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ، أَلْمُدِيرِ أَلْعُمَرِ، أَلْمُسْتَسْلِمِ
(لِلدَّهْرِ، الذَّامِّ)^(٣) لِلدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنَ أَلْمَوْتِ، وَالظَّاعِنِ

(١) في نهج الشيخ العطار: مُتُون.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣١٠/ خطبة رقم ١٩٦، ونهج الشيخ العطار: ٤١٥/ خطبة رقم
١٩٦، وشرح النهج لابن ميثم ٣: ٤٣٧/ خطبة رقم ١٨٧، ونهج محمد عبده ١: ٤٣٠ - ٤٣١.

(٣) ما بين القوسين ليس في نهج صبحي صالح.

عَنْهَا غَدًا؛ إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ
قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، وَرَهِينَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ،
وَعَبْدِ الدُّنْيَا وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ،
وَحَلِيفِ الْهَمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنَضْبِ^(١) الْآفَاتِ، وَصَرِيحِ
الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

المقرّر للزمان: المعترف له بالشدة؛ غرض الأسقام: هدف الأمراض ترمي إليه
سهامها؛ الرهينة: المرهونة أي أنه في قبضة الأيام وحكمها؛ الرميّة: ما أصابه السهم؛
نُضْب الآفات: لا تفارقه العلل. وهو من قولهم: فلا نصب عيني - بالضم - أي لا
يفارقني؛ الصريح: الطريح^(٣).

الشرح:

قال ابن ميثم: روى جعفر بن بابويه القمي عليه السلام أن هذه الوصية كتبها عليه السلام إلى ابنه
محمد بن الحنفية عليه السلام، وهي من أفصح الكلام وأبلغه وأشمله [أجمعه خل] لدقائق
الحكمة العلمية ولطائفها، وأكمل عبارة يجذب بها إلى سبيل الله؛ وحاضرين: اسم
موضع بالشام؛ وفيها فصول:

(١) في نهج صبحي صالح: ونُضْب.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٩١/ من وصية له عليه السلام رقم ٣١، ونهج الشيخ العطار: ٥١٩ -

٥٢٠/ من وصيته عليه السلام رقم ٣١، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢/ من وصية له عليه السلام رقم ٣١، ونهج

محمد عبده ٢: ٣٨ - ٣٩/ من وصية له عليه السلام للحسن عليه السلام.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٣.

الفصل الأول :

هذا الفصل كالعنوان للوصية، وقد ذكر لنفسه أوصافاً سبعة، ولولده أربعة عشر في معرض الوعظ والتنفير عن الدنيا والركون إليها، وضاعف الأوصاف لولده لأنه المقصود بالوصية والموعظة :

الأول: «من الفان»؛ واللفظ هنا مجاز تسمية له باسم غايته، ووقف على المنقوص بحذف الياء لمراعات القرينة الثانية، وقد علمت جوازه.

الثاني: «المقرّ للزمان»: أي بالغلبة والقهر المعترف بالعجز في يد تصريفاته كأنه قدّره خصماً ذا بأس يقرّ الأقران له.

الثالث: «المدير للعمر»: وذاك أنه كان عليه السلام قد شرف على الستين.

الرابع: «المستسلم للدهر»: وهو أبلغ من المقرّ للزمان.

الخامس: «الذامّ للدنيا»: ولم يزل عليه السلام نافراً عنها ومنفراً بذكر معانيها.

السادس: «الساكن مساكن الموتى»: وهو تنفير عن الركون إلى الدنيا والمقام بها بذكر كونها مساكن الموتى. إذ من كان في مساكنهم يوشك أن يلحقه ما نزل بهم، وتقرب في التنفّر من قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(١) الآية.

السابع: «الظاعن عنها غداً»: وهو تذكير بالمفارقة، وغداً كناية عن وقتها، ولفظ الظاعن مستعار له.

وأما أوصاف المولود:

الأول: «المؤمل ما لا يدرك»: وفيه تنفير عن طول الأمل، إذ كان ينسى الآخرة،

(١) إبراهيم: ٤٥.

وجعل وجه التنفير تأميله ما لا يدرك، وظاهر أنّ الإنسان مادام في هذه الدار موجّه أمله نحو مطالبها كما أشار إليه سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله: يشيب بن آدم ويشبّ فيه خصلتان: الحرص والأمل^(١)، وذلك يستلزم انقضاء مدّته دون بلوغها.

الثاني: «السالك سبيل من قد هلك»: وسبيلهم سفرهم في الدنيا إلى الآخرة، وقطعهم لمنازل الأعمار، وأضافها إلى من هلك تذكيراً بالموت.

الثالث: «غرض الأسقام»: واستعار لفظ الغرض له باعتبار كونه مرمياً بسهام الأمراض كالغرض.

الرابع: «رهينة الأيّام»: واستعار له لفظ الرهينة باعتبار أنّ وجوده مربوط بالأوقات، وداخل في حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتّنه.

الخامس: «ورميّة المصائب»: وهو كقوله: غرض الأسقام.

السادس: «وعبد الدنيا»: ولفظ العبد مستعار لأنّ طالب الدنيا منقاد بطبعه إليها، وعامل لها كما ينقاد العبد لسيّده ويعمل له.

السابع: «وتاجر الغرور»: أي تجارته لها غرور وغفلة عن المكاسب الحقيقيّة الباقية، ولفظ التاجر مستعار له باعتبار بذله لماله وأعماله في شرّ الدنيا على وهم أنّها هي المطالب الحقّة المربحة.

الثامن: «وغريم المنايا»: ولفظ الغريم مستعار له باعتبار طلب الموت له كالمتقاضى بالرحيل كما يتقاضى الغريم.

التاسع: استعار له لفظ «الأسير» باعتبار انقياده للموت وعدم تمكّينه من الخلاص.

(١) كتاب البخلاء للجاحظ: ٢٢١.

العاشر: «وحليف الهموم».

الحادي عشر: «وقرين الأحزان» واستعار لفظي الحليف والقرين له باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم والأحزان كما لا ينفك الحليف والقرين عن حليفه وقرينه.

الثاني عشر: «ونصب الآفات»، كقوله: ورمية المصائب.

الثالث عشر: «وصريع الشهوات»، ولفظ الصريع مستعار له باعتبار كونه مغلوباً لشهوته مقهوراً لها كالقتيل.

الرابع عشر: «وخليفة الأموات»، وفيه تنفير عن الدنيا بتذكير الموت لأن خليفة الأموات في معرض اللحوق بهم، ونحوه قول بعض الحكماء إن امرء ليس بينه وبين آدم إلا أب ميت لمعرق النسب في الموت^(١).

الدنيا في وصية له للحسن بن علي عليه السلام ... إلى أن يقول فيها:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنَتْ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ
عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ،
وَالْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ
هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَقَنِي^(٢) رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي
مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَا
يَشُوبُهُ كَذِبٌ، وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ٥: ٢ - ٤ / في شرح الوصية له عليه السلام رقم ٣١.

(٢) في نهج صبحي صالح ونهج محمد عبده: فَصَدَقَنِي.

شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي
مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي
مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنَّ أَنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

جُمُوح الدهر: استقصاؤه وتغلبه؛ يَزْعُنِي: يكفني ويصدني؛ ما ورأني: كناية عن
أمر الآخرة؛ صدفة: صرفة؛ محض الأمر: خالصه؛ مستظهِراً به: أي مستعيناً به^(٢).

الشرح:

[الفصل الثاني:]

قد أشرنا إلى معنى إدبار الدنيا وإقبال الآخرة في قوله: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ،
واستعار لفظ الجموح للدهر باعتبار عدم تمكنه من ضبطه في تغيراته وتصريفاته
الخارجة عن اختياره كالجموح من الخيل، وما الأولى بمعنى الذي، ويحتمل أن تكون
مصدرية، وعلى المعنى الأول يكون من للتبيين، وعلى الثاني لابتداء الغاية، وما الثانية
بمعنى الذي ومحلها الرفع بالابتداء، وفيما تبيّنت خبره، ومستظهِراً حال، ومدار الفصل
على إعلامه إيّاه أنه في معرض الزوال عنه وأنّ ذلك الوقت هو وقت الاهتمام بحال
نفسه وبحاله لينزله منزلة نفسه وأنه شديد الاهتمام بحاله ليكون ذلك أدعى لقبول
وصيته وهو كالتوطئة والتمهيد لها.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٩١/ من وصية له عليه السلام رقم ٣١، ونهج الشيخ العطار: ٥٢٠/ من

وصية له عليه السلام رقم ٣١، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٥/ من وصية له عليه السلام رقم ٣١، ونهج محمد عبده

٢: ٣٩/ من وصية له عليه السلام.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٣.

ثم أعلمه أنّ فيما تبين له عليه السلام من الأمور المذكورة قرب رحيله إلى الله وذلك هو الذي وزعه ومنعه عن ذكر ما سواه والاهتمام بما وراءه من المصالح المتعلقة بصلاح الخلق ونظام العالم. إذ كان ذلك هو وقت التضييق على الإنسان فيما هو أهم عليه من الاستكمال بالفضائل والاستعداد للقاء الله دون ما سبق من أوقات الشبيبة واستقبال العمر لاتساعها لصلاح حال الغير والاشتغال بالأمور المباحة، غير أنّه حين تبين له ذلك وتفرّد به همّ نفسه دون غيرها، ومن صدّقه رأيه بكشفه له عمّا ينبغي أن يكون اشتغاله به من أمر نفسه ووجوب العمل لها فيما يهّمها، وصرفه عن هواه فيما يخرج عنها. إذ كان أجود الآراء وأصدقها في الأمر عنده شدة الاهتمام به، وصرّح له خالص أمره وما ينبغي له، وانتهى به إلى جدّ وصدق خالصين من شائبة اللعب والكذب. وجده عليه السلام بعضاً منه وهو كناية عن شدة اتّصاله به وقربه منه ومحبّته له كما قال الشاعر:

وإنّما أولادنا بيننا أكبادنا يمشي على الأرض

بل وجده كلّ: أي عبارة عن كلّ. إذ كان هو الخليفة له والقائم مقامه ووارث علمه وفضائله، ودلّ على شدة قربه منه وأنّه بمنزلة نفسه بذكر الغائتين في قوله: حتّى. إلى قوله: أتاني، ووجه التشبيه بين ما يصيب ولده وبين ذلك الشيء وإن لم يصبه عليه السلام شدة تألمه به.

واعلم أنّ ذلك الوجدان وإن كان له طبعاً كما يحصل للوالد في أمر ولده لكنّه ممّا لزم التفطن له في آخر العمر عند تذكير انقطاع الدنيا لما في طبعه من محبة بقاء الذكر الجميل والحرص على دوام الخير والآثار الصالحة في العالم ولذلك جعله لازماً لتفرّد همّ نفسه به وصدق رأيه في النصيحة، وروي: محض مرفوعاً على الفاعليّة ومنصوباً

بإسقاط حرف الجرّ، والتقدير عن محض أمري، ثمّ نبّه على أنّ من لوازم وجدانه لما وجده من أمره أن عناه وأهمّه منه ما يهمّه من أمر نفسه فكتب إليه هذه الوصيّة ليكون له ظهراً ومستنداً يرجع إلى العمل بها في حالتي بقائه له وفنائه عنه. إذ كان ما اشتملت عليه هذه الوصيّة من الحكم والآداب ومكارم الأخلاق، وتعريف سلوك سبيل الله ممّا راض به نفسه في مدّة عمره اقتفاءً لأثر الرسول ﷺ واقتداءً به فاقتضت عنايته به أن يحثّه على العمل بها. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في وصيّة له للحسن بن علي عليه السلام ... إلى أن يقول فيها:

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَتَوَرَّعْ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرَّرْهُ بِالْفَنَاءِ: وَبَصَّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا وَحَذَّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا^(٢) فَعَلُوا وَعَمَّا أَنْتَقَلُّوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ^(٣) أَنْتَقَلُّوا عَنِ الْأَحْبَبَةِ، وَحَلُّوا دَارَ الْغُرَبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ.

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٥ - ٧ في شرح وصيّة له عليه السلام رقم ٣١.

(٢) في نهج العطار: ما.

(٣) (قد): ليس في نهج العطار.

فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ وَدَعَ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَا تُكَلِّفُ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رَكُوبِ الْأَهْوَالِ... (١).

شرح الألفاظ الغريبة:

وقرّره بالفناء: أطلب منه الإقرار؛ بصّره: اجعله بصيراً؛ الفجائع: - جمع فجيحة - وهي المصيبة تفرع مجلوها (٢).

الشرح:

اشتمل هذا الفصل من ذلك على أمور:
أحدها: تقوى الله وقد علمت حقيقتها فيما سلف ويشبه أن يكون المراد بها هنا الخوف منه تعالى.
الثاني: لزوم أمره وهو من لوازم تقواه.
الثالث: عمارة قلبه بذكره، واستعار لفظ العمارة لتكميل قلبه بذكر الله، وإكثاره منه لأنّه روح العبادات وكمال النفس كما أنّ العمارة كمال للدار وهو داخل في لزوم ذكره لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣).

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٩٢/ ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج العطار: ٥٢١/ ضمن الوصية رقم ٣١، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٧/ ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج محمد عبده ٢: ٤٠/ ضمن الوصية له عليه السلام للحسن عليه السلام.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٣.

(٣) الأنفال: ٤٥.

الرابع: الاعتصام بحبله، واستعار لفظ الحبل لما يوصل إليه من دينه فيكون التمسك به سبباً للنجاة كالحبل، وأراد بالاعتصام الامتناع بالتمسك به من عذاب الله.

ثم استفهم عن سبب أوثق منه استفهام إنكار وتعجب من وثاقته، ويدخل في لزوم أمره لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾^(١).

الخامس: أمره أن يحبي قلبه بالموعظة واستعار وصف الإحياء له باعتبار تكميله لنفسه بالعلم والاعتبار الحاصل عن الموعظة كما يكمل المرء بالحياة.

السادس: قوله: «أمته بالزهادة»، والذي يميته هي النفس الأمّارة بالسوء، وإماتتها كسرّها عن ميولها المخالفة لأداء العقل بترك الدنيا والإعراض عنها وتطويعها بذلك، ويحتمل أن يريد به النفس العاقلة أيضاً، وإماتتها قطعها عن متابعة هواها.

السابع: «أن يقويه باليقين»: أي من ضعف الجهل للصعود إلى أفق عليين والنهوض إلى مقام الأبرار، ولما كان اليقين درجة اشتداد وقوة في العلم ناسب أن يجعله تقوية للقلب.

الثامن: «وأن ينوره بالحكمة»، واستعار لفظ التنوير بالحكمة لتحمله لها باعتبار أنّ ذلك سبب هدايته لسبيل الله في ظلمات الجهل كحامل النار وقد عرفت الحكمة وأقسامها.

التاسع: «أن يذّله بذكر الموت»، وذلك لأنّ كثرة إخطاره بالبال يستلزم الخوف ويسكن القلب عن جمّاحه في ميدان الشهوات ويذلل من عزّة الكبر وهزّة العجب وحميّة الغضب.

(١) آل عمران: ١٠٣.

العاشر: «أن يقرّره بالفناء»: أي يحمله على الإقرار به ويديم ذكره له ليتأكّد علمه به.

الحادي عشر أن «يبصّره فجائع الدنيا»: أي يحمله على النظر بعين البصيرة والاعتبار برزايا الدنيا وآفاتهما.

الثاني عشر: «أن يحذّره صولة الدهر وفحش تقلّب الليالي والأيام» ولفظ الصولة مستعار له ملاحظة لشبهه بالسبع في أخذه وما يكون بسببه من الأذى.

الثالث عشر: «أن يعرض عليه أخبار الماضين»، ويذكّره ما أصابهم لينظر ما فعلوا وعمّا انتقلوا من الآثار العظيمة والملك الجسيم، ويحصل من ذلك عبرة وقياساً لحاله مجاهلهم، ويستقرب لحاقه بهم وصيرورته كأحدهم فيما صاروا إليه، ووجه التشبيه قرب حاله من حال أحدهم. وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾^(١) الآية.

الرابع عشر: «أن يصلح مثواه»، وهو الدار الآخرة بلزوم الأعمال الصالحة ولا يبيع آخرته وما وعد فيها من الخيرات الباقية بما وجد في دنياه من اللذات الوهميّة الفانية، ولفظ البيع مستعار.

الخامس عشر: «أن يترك القول فيما لا يعرفه». إذ القول بغير علم يستلزم رذيلتي الكذب والجهل، ويلحق به الذمّ ونحو قول الرسول ﷺ لبعض أصحابه: كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس خرجت عهودهم وأماناتهم وصاروا هكذا: - وشبك بين أصابعه - قال: قلت: مرني يا رسول الله؟ فقال: خذ ما تعرف ودع ما لا تعرف،

(١) غافر: ٨١، محمد ﷺ: ١٠.

وعليك بحويضة نفسك^(١). وكذلك قوله: والخطاب فيما لا تكلف كقوله عليه السلام: من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه^(٢).

السادس عشر: «أن يمسك عن طريق إذا خاف ضلّالته»، والمراد التوقّف عند الشبهات وعدم التسرّع إلى سلوك طريق يشكّ في تأديته إلى الحقّ فإنّ توقّفه وتتبّته عند طلب الحقّ إلى أن يتّضح له طريقه خير له من التعسّف وركوب ما يخاف الضلال به من الطرق^(٣).

الدنيا في وصيّة له للحسن بن عليّ عليه السلام... إلى أن يقول فيها:

أَيُّ بُنَيٍّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا، وَرَأَيْتُنِي أَرْدَادُ وَهْنًا،
بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي
أَجَلِي دُونَ أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي
كَمَا نَقَصْتُ^(٤) فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى
وَفِتَنِ الدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْوَحْدِ
كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ
بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ؛ لِتَسْتَقْبَلَ بِجَدِّ رَأْيِكَ
مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجَرِبَتُهُ فَتَكُونَ

(١) مستدرک الوسائل ١٧: ٢٥١.

(٢) بحار الأنوار ١: ١٥٠.

(٣) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٨ - ١٠ / ضمن شرح الوصيّة رقم ٣١.

(٤) في نهج صبحي صالح: نُقِصْتُ.

قَدْ كُفِّيتَ مَوْوَنَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِيبَةِ، فَأَتَاكَ
مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا
مِنْهُ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

بَلَغْتُ سَنًا: أي وصلت النهاية في جهة السنّ؛ الوهن: الضعف؛ أفضي: ألقى إليك؛
الفرس الصعب: غير المذلّل؛ النفور: ضدّ الّلس؛ جدّ رأيك: أي محقّقهُ وثباته؛ كفاه
بُغْيَةُ الشيء: أغناه عن طلبه؛ استبان: ظهر^(٢).

الشرح:

في هذا الفصل مقاصد:

الأول: أنّه أشار إلى بعض العلل الحاملة له على هذه الوصيّة، وهي كونه قد بلغ
سنّاً عالياً وأخذ ازدياداً في الضعف، وذلك أنّه كان قد جاوز السّتين فلزم من ذلك
خوفه لأحد الخصال المذكورة فبادرها وسابقتها إليه. وخصالاً مفعول به، وعدّ من
تلك الخصال ثلاثاً:

الأولى: أن يعجل به أجله إلى الآخرة قبل أن يوصل إليه ما في نفسه من الحكمة.
الثانية: أن ينقص في رأيه، وذلك أنّ القوى النفسانيّة تضعف عند علوّ السنّ
لضعف الأرواح الحاملة لها فينقص بسبب ذلك تصرّف العقل وتحصله للآراء الصالحة.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٩٣/ ضمن الوصيّة رقم ٣١، ونهج العطار: ٥٢٢ - ٥٢٣/ ضمن

الوصيّة رقم ٣١، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ١٢/ ضمن الوصيّة رقم ٣١، ونهج محمّد عبده ٢:

٤١ - ٤٢/ ضمن وصيّته للحسن عليه السلام.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٤.

الثالثة: أن يسبقه إليه بعض غلبات الهوى فإن الصبي إذا لم يؤخذ بالآداب في حديثه ولم ترض قواه لمطاوعة العقل وموافقته كان بصدد أن يميل به القوى الحيوانية إلى مشتهياتها وينجذب في قياد هواه إلى الاستعمال بها فيفتنه ويصرفه عن الوجهة الحقيقية وما ينبغي له فيكون حينئذ كالصعب النفور من الإبل، ووجه التشبيه أنه يعسر حمله على الحق وجذبه إليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور وتصريفه بحسب المنفعة.

ثم نبّه على وجوب المبادرة إليه بالأدب، وزرعه في قلبه بضمير صغراه قوله: «وإنما قلب الحدث..» إلى قوله: «قبلته».

وأشار إلى وجه التشبيه بقوله: «وما ألقى فيها من شيء قبلته»: وذلك أن قلب المحدث لما كان خالياً من الانتقاش بالعقائد وغيرها مع كونه قابلاً لما يلقى إليه من خير أو شرّ فينتقش به أشبه الأرض الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقى فيها من البذر، وتقدير الكبرى: وكلّ قلب كان كذلك فيجب أن يسبق إليه ببذر الآداب وغرس الحكمة. فلذلك بادره بالأدب قبل أن يقسو قلبه عن الانقياد للحق والاشتغال بالأمور الباطلة.

ثم أشار إلى العلة الأخرى من العلل الغائية لمبادرته بالأدب وهي أن يستقبل بجدّ رأيه قوة فكره ما قد كفاه أهل التجارب بغيته من العلوم وعوفي فيه من علاج التجربة ومعاناتها فأتاه من ذلك العلم التجريبي ما كان أهل التجربة يأتونه ويطلبونه، واستبان له ما ربّما أظلم عليهم منه، وفرّق بين من يأتيه العلم صفواً ويلقى إليه بيتاً واضحاً، وقد كفى فيه مؤونة الاكتساب، وبين من سعى إليه وشقى في تحصيله وخاض إليه غمرات الشكوك وظلمات الشبهات. وكلّ ذلك من الأمور المقنعة له في قبول

٤٣٨ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

الوصية والعمل بما اشتملت عليه من الحكم والآداب لأن أهل التجارب إذا كانوا قد جدّوا في تحصيله مع ما وجدوا فيه من المشقة فلأن يجدّ هو ويقبله خالصاً من الكلفة أولى^(١).

الدنيا في وصية له للحسن بن علي عليه السلام ... إلى أن يقول فيها:

فَتَفْهَمُ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَأَعْلَمُ أَنَّ مَالِكَ أَلْمُوتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ،
وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ
هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِنَسْتَقَرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ
عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمَاءِ، وَالْإِبْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا
لَا تَعْلَمُ^(٢)...^(٣).

الشرح:

المقصود الرابع: أمره بتفهم وصيته، وتبّيه على جملة من صفات الله وأفعاله التي قد يتوهم التضاد والتناهي في إسنادها إلى مبدء واحد، وأشار إلى أنها ليست بتضادة، وأن مبدئها واحد.

فأما الصفات فهو أن القادر على الموت ومن له أن يميت فهو القادر على الحياة وله

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ١٥ - ١٦ / ضمن شرح الوصية رقم ٣١.

(٢) في شرح نهج البلاغة لابن ميثم، ونهج الشيخ محمد عبده: نَعْلَمُ.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٩٥ / ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج العطار: ٥٢٥ - ٥٢٦ / ضمن

الوصية رقم ٣١، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ١٤ / ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج محمد عبده ٢:

٤٤ - ٤٥ / ضمن وصيته للحسن عليه السلام.

أن يحيي باعتبار أن أسباب الموت والحياة ينتهي إليه، وكذلك الخالق هو المميت فإن فاعل الخلق هو مقدر الموت الذي ينتهي إليه أسبابهما، وإلى هذين الاعتبارين الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١) فيحيي ويميت باعتبار أنه الفاعل الأول لهما، وباعتبار أنه الرب المطلق هو المالك الأول لهما، وكذلك المفني هو المعيد والمبتلي هو المعافي باعتبار انتهاء أسباب الفناء والإعادة والابتلاء والمعافة إليه. وقد علمت أن كل هذه الأمور اعتبارات عقلية يلحق معقولية الواجب سبحانه بالقياس إلى مخلوقاته وآثاره كما استقصيناه في الخطبة الأولى، وأما الأفعال فهو أنه تعالى لما خلق الدنيا لم يمكن خلقها واستقرار وجودها إلا على ما خلقها الله عليه من إفاضة ما يعدّ نعمة في حق بعض العبيد من مال وصحة ونحوها. والابتلاء بما يعدّ بلاء من الفقر والمرض ونحوهما، وإن كانت النعماء أيضاً ابتلاء كما قال تعالى: ﴿وَنَبِّئُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢). ثم لزوم الجزاء في المعاد لنفوس المبتلين والمنعم عليهم بحسب طاعتهم ومعصيتهم في النعمة والابتلاء، وكذلك خلقه لها على ما شاء مما لا يعلم وجه الحكمة فيه، واعلم أنه قد ثبت في أصول الحكمة أن المقصود من العناية الإلهية بالذات إنما هو الخير.

وأما الشرور الواقعة في الوجود فكائنة بالعرض من حيث إنه لا يمكن نزع الخير وتجريده عنها. ولما كان الخير أغلب في الوجود، وكانت الشرور أموراً لازمة أقلية لم يمكن ترك الخير الكثير لأجلها لأن الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير في الوجود والحكمة، وذلك معنى قوله عليه السلام: وإن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها

(١) الدخان: ٨.

(٢) الأنبياء: ٣٥.

الله عليه مّا عدّدناه ممّا يعلم كونه خيراً أو شراً أو لا يعلم حاله: أي لم يكن خلقها إلا على ما فيها من خير مراد بالذات وشر مراد بالعرض، ولزوم الجزاء على السيئة وعقاب النفوس في المعاد عليها من الشرور اللازمة لما حصلت عليه من الهيئات البدنية والملكات الرديئة في الدنيا كما يعلم ذلك من موضعه^(١).

الدنيا في وصية له للحسن بن علي عليه السلام ... إلى أن يقول فيها:

يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَأَنْتَقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعَدُّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتَ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُو عَلَيْهَا.
إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا، نَبَأَ بِهِمْ مَنْزِلُ جَدِيدٍ، فَأَقَامُوا مَنْزِلًا خَصِيْبًا وَجَنَابًا مَرِيْعًا، فَأَخْتَمَلُوا وَعِثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفَرَقَ الصَّدِيقِ، وَخُسْنُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ لِيَأْتُوا سَعَةً دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ^(٢) مَغْرَمًا، وَلَا شَيْءَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ...^(٣).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٠ - ٢١ / ضمن شرح الوصية رقم ٣١.

(٢) (فيه): ليست في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده.

(٣) نهج صبحي صالح: ٣٩٦ - ٣٩٧ / ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج العطار: ٥٢٧ - ٥٢٨ / ضمن

الوصية رقم ٣١، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٥ - ٢٦ / ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج محمد عبده

٢: ٤٦ - ٤٧ / ضمن وصيته للإمام للحسن عليه السلام.

شرح الألفاظ الغريبة:

خَبَرَ الدنيا: عرفها كما هي بامتحان أحوالها؛ السَّفر: - بفتح فسكون - المسافرون؛ نَبَا المنزل بأهله: لم يوافقهم المقام فيه لوخامته؛ الجَدِيب: المُقْحَط لا خير فيه؛ أَمَّوا: قصدوا؛ الجَنَاب: الناحية؛ المَرِيع: - بفتح فكسر - كثير العشب؛ وعُثاء السفر: مشقَّته؛ الجُشُوبَة: - بضمّ الجيم - العِلَظ^(١).

الشرح:

أنَّه [عليه السلام] نَبَّه على حالتي الدنيا والآخرة، وذكره بما أخبره به عنهما من ضرورة زوال الدنيا وانتقالها وبقاء الآخرة وما أعدَّ لأهلها فيها من السعادة الباقية التي اشتمل على تعدد أنواعها الكتاب العزيز والسنة الكريمة، وضرب لطالبها مثلين ليكون ممّن أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة.

فالمثل الأوّل: مثل خبر الدنيا وعرف زوالها وانتقالها، وخبر الآخرة وعرف بقائها وما أعدَّ فيها لأهلها، ومثّلهم بقوم مسافرين فارقوا منزلاً جديباً إلى منزل خصيب، ووجه مطابقة هذا المثل أنّ النفوس البشريّة لما كانت في عالم المجرّدات، وكانت الحكمة في هبوطها إلى هذا العالم ومقارنتها لهذه الهياكل الجسمانيّة الكثيفة في دار الغربة ومحلّ الوحشة من عالمها هو أن يحصل بواسطتها الكمالات العقلية التي إنّما تمكّن لها بواسطتها، ثمّ يرجع بعد الاستكمال عنها إلى عالمها الأعلى طاهرة عن علائق هذه الهياكل وهيئاتها الرديئة كما أخذ عليها في العهد القديم كانت كلّ نفس حفظت عهد

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٤.

رَبِّهَا وبقيت على صراطه المستقيم وهي المدّة المضروبة لها ناظرة بعين الاعتبار إلى أنّ الدنيا كالمَنْزِل الجديب خال عن المطاعم الحقيقيّة والمشارب العذبة الهنيئة فهو لذلك غير صالح للاستيطان والإقامة، وأنّ عالم الآخرة كالمَنْزِل الخصب والجناب المريع من وصل إليه مستقيماً على أوامر الله ونواهيه فاز بالمقاصد السنيّة واللذات الباقية فكانت أبداً في طريق السفر في منازل طريق الله والاستعداد للوصول إلى بهجة حضرته الشريفة محتملة لمشقّة ذلك السفر من معاناة الجوع والظماء ومقاساة السهر قصداً إلى سعة الدار ومنزل القرار لا تجد من ذلك ألماً ولا تعدّ ما تنفقه من المال والعمر فيه مغرمّاً ولا شيء أحبّ إليها من وسيلة تقربها إلى ذلك المنزل الذي أمته والجناب الذي قصده فأشبهت في ذلك من وصل إلى منزل جديب.

ثمّ علم أنّ أمامه منزلاً خصباً فاقتضى رأيه الحسن أن يحتمل وعناء السفر ومشقّته إليه ليحصل على الراحة الكبرى.

وأما المثل الثاني: فهو مثل أهل الدنيا الذين قادتهم نفوسهم الأمّارة بالسوء إليها فغفلوا فيها عمّا ورائها ونسوا عهد ربّهم وأعرضوا عمّا ذكروا به من آياته، وشبههم بقوم كانوا في منزل خصب فنبا بهم إلى منزل جديب، فالمَنْزِل الخصب في هذا المثل هو الدنيا لأنّها محلّ سعادة أهلها ونعيمهم، والمَنْزِل الجديب هو الآخرة إذ لم يكونوا قد استعدّوا لدرك السعادة فيها، ووجه تشبيههم بالقوم هو ما ذكره من أنّه ليس شيء أكره إليهم إلى آخره: أي ليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما هم فيه من الدنيا إلى ما يهجمون عليه بغتة من الأهوال، ويصيرون إليه من مقاساة السلاسل والأغلال كما أنّه ليس شيء أكره إلى القوم من مفارقة منزل خصب كانوا

فيه إلى منزل جديب يهجمون عليه، وإلى هذين المثلين أشار الرسول ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر^{(١)(٢)}.

الدنيا في وصية له للحسن بن علي عليه السلام... إلى أن يقول فيها:

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَوُودًا، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنْ
الْمُثْقَلِ، وَالْمُبْطِئُ^(٣) عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ
(مَهْبِطَكَ بِهَا)^(٤) لَا مَحَالَةَ عَلَى^(٥) جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدُّ
لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوُطِئَ^(٦) الْمُنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ
الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ...^(٦).

شرح الألفاظ الغريبة:

كُودًا: صعبة المرتقى؛ الْخِفُّ: - بضم فكسر - الذي خفف حمله؛ الْمُثْقَلُ: هو من
أثقل ظهره بالأوزار؛ ارْتَدَّ: ابعث رائدًا من طيِّبات الأعمال توقفك الثقة به على

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٥٧٦١/٣٦٣.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٦ - ٢٨ / ضمن شرح الوصية رقم ٣١.

(٣) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: وَالْمُبْطِئُ.

(٤) ما بين القوسين في نهج العطار: مهبطها بك.

(٥) في نهج صبحي صالح: إمَّا عَلَى.

(٦) نهج صبحي صالح: ٣٩٨ / ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج العطار: ٥٣٠ / ضمن الوصية رقم ٣١،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٠ / ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج محمد عبده ٢: ٤٨ / ضمن وصيته

للإمام الحسن عليه السلام.

جودة المنزل؛ المُسْتَعْتَب: مصدر ميمي من استعتب، والاستعتاب: الاسترضاء والمراد أن الله لا يسترضي بعد إغضابه إلا باستئناف العمل؛ المُتَصَرَف: مصدر ميمي من انصرف، والمراد لا انصراف إلى الدنيا بعد الموت^(١).

الشرح:

نَبّه [عليه السلام] على شِدّة طريق الآخرة وعلى وجوب الاستعداد لها بالخفّة من حمل الآثام والسرعة فيها قبل انقضاء الأيّام، واستعار لفظ العقبة لما فيها من الصعود والارتقاء في درجات الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل، ووصفها بشدّة الصعود باعتبار ما في ذلك الارتقاء من التعسّر وكثرة الموانع وجذب إلى السعادة بأُمور ثلاثة: أحدها: كون المخفّ فيها أحسن حالاً من المثقل، وهو ظاهر كما قدّمناه.

الثاني: كون المبطئ فيها أقبح حالاً من المسرع وهو أيضاً ظاهر، إذ كان المبطئ فيها واقفاً في أحد طرفي الإفراط والتفريط مشغولاً بما يلهيه ملتفتاً عما يعينه حتّى إذا تصرّم أجله بقي في مهاوي الهلاك أسيراً وعلى ما فاتته من سرعة السير حسيراً.

الثالث: ذكر الغايتين منها وهي الجنّة والنار. وأنّه لا بدّ من تأديتها وهبوطها بسالكها على أحدهما، وهو ظاهر. أيضاً فإنّ خوض الإنسان في أحوال الدنيا والتصرّف فيها إلى غاية انقطاعها ووصول الآخرة إمّا أن يكون على وجه القصد، ولزوم سمت القبلة الحقيقيّة وتجنّب طريق طرفي الإفراط والتفريط وبذلك يكون هجوم تلك الطريق وهبوطها بسالكها على الجنّة، وإمّا أن يكون على وجه الانحراف عن ذلك القصد، والتعريج عنه إلى ما في تلك الطريق من مناهي الله وأبواب محارمه،

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٥.

وبذلك يكون هبوطها بسالكها على النار، ونسبة الهبوط إليها مجاز باعتبار تأديها إلى إحدى الغايتين كالهابط بالشيء ليوصله إلى قراره.

ثم أمره أن يرتاد لنفسه ويطلب ما يكون سبباً لنجاته فيها وحسن حاله قبل نزول أحد المنزلين اللذين هما غايتها ليكون هبوطها به على الجنة، وأن يوطئ المنزل الذي يريد سكناه بالاستعداد له. وروي: يوطن: - بالنون - أي يتخذ وطناً..^(١).

الدنيا في وصية له للحسن بن علي عليه السلام... إلى أن يقول فيها:

وَأَعْلَمُ^(٢) أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ،
وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلٍ^(٣) قُلْعَةٍ، وَدَارٍ بُلْعَةٍ،
وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ
هَارِبُهُ، (وَلَا يَقْوَاهُ طَالِبُهُ)^(٤)، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى
حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ
مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ
نَفْسَكَ^(٥).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٣ - ٣٤ / ضمن شرح الوصية رقم ٣١.

(٢) في نهج صبحي صالح: واعلم يا بني.

(٣) (منزل): ليس في نهج صبحي صالح.

(٤) ما بين القوسين ليس في نهج العطار.

(٥) نهج صبحي صالح: ٤٠٠ / ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج العطار: ٥٣٣ / ضمن الوصية رقم ٣١،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٧ / ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج محمد عبده ٢: ٥٠ / ضمن وصية

الإمام علي إلى الحسن عليه السلام.

شرح الألفاظ الغريبة:

قُلعة: - بضم القاف وسكون اللام، وبضمّتين، وبضم ففتح - يقال منزل قلعة أي لا يُملك لنازله، أو لا يدري متى ينتقل عنه؛ البُلعة: الكفاية وما يتبلّغ به من العيش^(١).

الشرح:

قد نبّه [عليه السلام] في هذا الفصل على أمور: أحدها: أنّ العلة الغائية من خلقه ووجوده هي الآخرة دون الدنيا والموت والفناء دون الحياة والبقاء، وهذه الأمور علل عرضية من وجود الإنسان لكونها من ضرورات وجوده، وأمّا العلة الحقيقية الأولى من وجوده فهي استكمالها ووصوله إلى حضرة ربّه طاهراً من علائق الدنيا، وذكره بهذه الغايات التي يجزم بالوصول إليها ليعمل لها بعد الموت، ويقلّ العرجة على الدنيا وعمارتها ولا يركن إلى البقاء فيها لكونها أموراً عرضية زائلة.

الثاني: نبّه بكون الدنيا منزل قلعة على أنّها منزل عبور لم يخلق للاستيطان والإقامة، وبكونها دار بلغة على أنّها خلقت ليتخذ منها الإنسان بلاغاً للوصول إلى الآخرة وزاداً لكونها طريقاً إليها.

الثالث: نبّه على أنّه طريد الموت، واستعار له لفظ الطريد ملاحظة لشبهه بالصيد يطرده السبع وغيره.

ثمّ وصف الموت بكونه لا ينجو منه هارب ولا بدّ أنّه مدركه تحذيراً منه وجذباً إلى

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٥.

الاستعداد له بطاعته المقاومة لأهواله وشدائده، ولذلك قال: «فكن منه على حذر..» إلى قوله: «نفسك»: أي ببقائك على الحال السيئة تحدث نفسك فيها بالتوبة إلى أن يدركك، ويحول عطف على يدركك، وإذا للمفاجأة^(١).

الدنيا في وصية له للحسن بن علي عليه السلام في ذكر الموت:

يَا بُنَيَّ، أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ وَتُنْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدَتْ لَهُ أَرْزَكَ، وَلَا يَأْتِيكَ بَعْتَةٌ فَيَبْهَرَكَ.
وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَاُلِبُهُمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَأَكَ^(٢) اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا^(٣)، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا^(٤) أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْفَهُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمْ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحٌ عَاهَةٌ بِوَادٍ وَعَثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يَقِيمُهَا، وَلَا مُسَيِّمٌ^(٥) يُسَيِّمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٨ - ٣٩ / ضمن شرح الوصية رقم ٣١.

(٢) في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: نبأ.

(٣) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: وَنَعَتْ هِيَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا.

(٤) في نهج العطار: وَإِنَّمَا.

(٥) في نهج محمد عبده: وَلَا مُقَيِّمٌ.

الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي
حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا
بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

الحذر: - بالكسر - الاحتراز والاحتباس؛ الأزر: - بالفتح - القوة؛ بهر: - كمنع -
غلب، أي يغلبك على أمرك؛ إخلاد أهل الدنيا: سكونهم إليها؛ التكالب: النوائب؛
نعا: أخبر بموته، والدنيا تخبر بجالها عن فنائها؛ ضارية: مولعة بالافتراس؛ يهر: -
بكسر الهاء - يعوي وينبح، وأصلها هريز الكلب، وهو صوته دون حاجة من قلة
صبره على البرد. فقد شبه الإمام أهل الدنيا بالكلاب العاوية؛ النعم: - بالتحريك -
الإبل؛ معقلة: من عقل البعير - بالتشديد - شدّ وظيفه إلى ذراعه؛ أضلت: أضاعت؛
مجهولها: طريقها المجهول لها؛ الشروح: - بالضّم - جمع سرح بفتح فسكون - وهو
المال السارح السائم من إبل ونحوها؛ العاهة: الآفة، فالمراد بقوله: سروح عاهة: أنهم
يسرحون لرعي الآفات؛ الوعث: الرخو يصعب السير فيه؛ مُسيم: من أسام الدابة
يسمها: سرحها إلى المرعى^(٢).

الشرح:

أمره [عليه السلام] بالإكثار من ذكر الموت وما يهجم عليه فإنّ ذلك يستلزم

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٠٠ - ٤٠١ / ضمن الوصية رقم ٣١، منها في ذكر الموت، ونهج

البلاغة للعطار: ٥٣٢ - ٥٣٣ / ضمن الوصية رقم ٣١، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٧ - ٣٨ /

ضمن الوصية رقم ٣١، ونهج محمد عبده ٢: ٥١ - ٥٢.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٥ - ٦٨٦.

العبرة والانزجار والأخذ في الأهبة والاستعداد له ولما بعده، ولذلك قال: «حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرک وشددت له قوتک»: أي بالكمالات التي استعددت بها ولا يأتيك بغتة فيتبعك، وقوله: ولا يأتيك عطف على قوله: حتى يأتيك، والواو في قوله: وقد للحال، وكذلك بغتة حال ويهرك منصوب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النفي.

نهاه أن يغتر باستناد أهل الدنيا إليها وتوابعهم عليها، وتبته على أنه لا ينبغي له ذلك الاعتزاز بقياسات ضمير.

فقوله: «فقد نبأك الله..» إلى قوله: «عنها»: هو صغرى القياس الأول كقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾^(١) في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، وقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٢) الآية وأمثاله. وقوله: «ونعت لك نفسها»: صغرى القياس الثاني، وروي: ونعت بمعنى أن الله وصفها له، ومعنى نعتها لنفسها وصفها بلسان حالها لنفسها، وبيان أنها محلّ الهموم والغموم والأعراض والأمراض ودار كلّ بلاء ومنزل كلّ فتنة.

وقوله: «وإنما أهلها»... إلى آخره: صغرى القياس الثالث، وتقدير الكبرى في القياس الأول: وكلّ من أخبر الله تعالى عنه بذلك فلا ينبغي أن يغترّ به، وتقديرها في الثاني: وكلّ من وصف نفسه كذلك فلا ينبغي أن يغترّ به، وتقديرها في الثالث: وكلّ من كان كذلك فلا ينبغي أن يغترّ بفعله، واعلم أنه أشار في هذين المثليين إلى قسمة أهل الدنيا أولاً بقسمين بحسب اعتبار قواهم الغضبيّة والشهويّة واتّباعهم لها: أي

(١) الأنعام: ٣٢.

(٢) يونس: ٢٤.

فمنهم من اتّبع قوّته الغضبِيّة وأعطاهم مقتضاها، ومنهم من اتّبع قوّته الشهويّة واسترسل في قيادها وغفل عمّا خلق لأجله، وضرب المثل للأوّلين بالكلاب العاوية والسباع الضارية .

وأشار إلى وجه مطابقة المثل بقوله: «يهرّ...» إلى قوله: «صغيرها»: ووصف الهرير مستعار لتنازعهم عليها، وكذلك لفظ الأكل لغلبة بعضهم على بعض، وضرب للآخرين مثل النعم باعتبار غفلتهم عمّا يراد بهم كالبهائم، ثمّ قسّم هؤلاء إلى قسمين: «معقّلة» ومهملة، واستعار لفظ المعقّلة للذين تمسّكوا بظواهر الشريعة والإمام العادل فقيّد بهم بالدين عن الاسترسال في اتّباع الشهوات والانهاك فيها وإن لم يعقلوا أسرار الشريعة فهم كالنعم التي عقلها راعيها، وأشار بالمهملة إلى الذين استرسلوا في اتّباع شهواتهم وخرجوا عن طاعة إمامهم ولم يتعبّدوا بأوامره فهم كالبهائم المرسلّة.

وأشار إلى وجه المشابهة بقوله: «التي أضلّت عقولها..» إلى آخره، ويحتمل أن يريد بعقولها عقلها جمع عقل فأشبع الضمّة وقلّبها واوّاً متابعة لقوله: «مجهولها»، ويحتمل أن يريد به جمع عقل وهو الملجأ: أي أنّها ضيّعت من يلجأ إليه، وهو إمامها، ووجه مطابقة هذا المثل أنّ هؤلاء في عدم انتفاعهم بعقولهم وركوبهم لأهوائهم الفاسدة وشروعهم في مشتهياتهم الدنيويّة مكتسبين للرزائل والعاهات النفسانيّة ليس لهم إمام يقيمهم على طاعة الله في طرق الهدى إلى مكارم الأخلاق قد أشبهوا النعم المهملة التي أضلّت عقلها وركبت المفازة فهي سروح متردّدة متحيّرة بواد وعث ليس لها راع يرعاها ويقيمها إلى المرعى، وروي سروح آفة: أي فهي سارحة عن آفة قد خرجت بها عن الانتفاع.

والرواية الثانية أقرب إلى الصواب. وأراد بطرق العمى طرق الجهل ومسالك

الباطل التي لا يهتدى فيها لشيء كما لا يهتدى الأعمى للطريق، ونسب السلوك بهم إليها باعتبار أنها سبب لغروره وغفلتهم عما ورائهم، وكذلك أخذها بأبصارهم: أي بأبصار عقولهم من منازل الهدى وهي آيات الله ومنازل الطريق إليه، وأشار بتيهمهم في حيرتها إلى ضلالهم عن طريق الحق، واستعار لفظ الغرق باعتبار استيلاء نعيمها على عقولهم وتملكه لها كما يستولي الماء على الغريق، واتخاذهم لها رباً باعتبار خدمتهم لها. فلعبت بهم إذ كانوا عبيداً لها، ولعبوا بها إذ اشتغلوا بها غير منتفعين، وضيعوا ما الأولى بهم فعله، ونسوا ما وراءها مما خلقوا لأجله^(١).

الدنيا في وصية له للحسن بن علي (عليه السلام) في وصايا شتى، منها في الرزق:

وَأَعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ. مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى! (إِنَّمَا لَكَ)^(٢) مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، (وَإِنْ جَزَعْتَ)^(٣) عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ^(٤).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٩ - ٤١ / ضمن شرح وصيته (عليه السلام) رقم ٣١.

(٢) في شرح النهج لابن ميثم: إنَّ لك.

(٣) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: وَإِنْ كُنْتَ جَازِعاً.

(٤) نهج صبحي صالح: ٤٠٤ / ضمن الوصية رقم ٣١ في وصايا شتى، نهج العطار: ٥٣٧ / ضمن

الوصية رقم ٣١ (في وصايا شتى)، شرح النهج لابن ميثم ٥: ٥٧ / ضمن الوصية رقم ٣١، نهج

محمد عبده ٢: ٥٦ - ٥٧.

شرح الألفاظ الغريبة:

مثواك: مقامك، من ثوى يثوي: أقام يقيم، والمراد هنا: منزلتك من الكرامة؛
تفلّت: - بتشديد اللام - أي تملّص من اليد فلم تحفظه^(١).

الشرح:

في الفصل تنبيهات على لطائف من الحكمة ومكارم الأخلاق.
الأولى: أنه قسّم مطلق الرزق إلى قسمين: مطلوب وطالب، وأراد بالرزق المطلوب، ما لم يجر في القضاء الإلهي كونه رزقاً له، وبالمطالب عما علم الله أنه رزقه وأنه لا بدّ من وصوله إليه، وترك بيان أحكام القسمين للعلم به إيجازاً، والتقدير فأما الذي تطلبه فلا تدركه لكون القضاء الإلهي لم يجر به، وكلّ ما لا تدركه فينبغي أن لا تحرص عليه، وأما الذي يطلبك فإنه لا محالة يأتيك وإن لم تأتّه، وهي صغرى ضمير تقدير كبراه: وكلّ ما كان آتيك لا محالة فينبغي أن لا تحرص في طلبه.
الثانية: نّبه على فضيلة عزّة النفس عند الحاجة، وعلى مواصلة الإخوان في الغنى بالتعجّب من قبح ضديهما، وهما الخضوع في الحاجة والجفاء في الغنى للتنفير عنهما؛ إذ كانا رذيلتين، وهي في قوّة ضمير تقديرها: أنّ الذلّة في الحاجة وجفاء الإخوان في الغنى قبيحان جدّاً، وتقدير كبراه: وكلّما كان كذلك وجب اجتنابه.
الثالثة: نّبه على بذل المال في وجوه البرّ والقربات لغاية إصلاح آخرته بقوله: «إنّما لك» إلى قوله: «مثواك»، وأراد بماله من دنياه ما يملك نفعه دائماً ولذلك حصّره «بإنّما» لأنّ القدر المنتفع به على الحقيقة، والذي يبقى ثمرته لاستلزام بذله تحصيل الملكات الفاضلة المستلزمة للثواب الدائم والنعم المقيم في الآخرة، وهو صغرى ضمير

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٧.

تقديرها: ما أصلحت به مثواك من دنياك هو الذي يبقى لك منها، وتقدير الكبرى: وكل ما هو الباقي لك منها فينبغي أن تحضه بعنايتك، ويحتمل أن يكون هذه الكلمة تنبيهاً على ما قبلها من المواصلة في الغنى داخله في إصلاح المثوى بالمال المنبّه عليه هاهنا.

الرابعة: تبه على ترك الأسف والجزع على ما يخرج من يده من المال بقياس استثنائي، وذلك قوله: «فإن جزعت» إلى قوله: «إليك». وبيان الملازمة أن الذي خرج من يده كالذي لم يصل إليه في أنه ليس برزق له وليس ممّا قضى الله له به، وتقدير الاستثناء: لكن الجزع هناك قبيح وغير محقق فينبغي أن لا يحصل الجزع هاهنا^(١).

الدنيا في وصيّة له للحسن بن علي عليه السلام في الدعاء له عليه السلام:

أَسْتَوْدِعُ^(٢) اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي
الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، (إِنْ شَاءَ اللَّهُ)^(٣)،
وَالسَّلَامُ^{(٤) (٥)}.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٥٩ - ٦٠ / ضمن شرح الوصيّة رقم ٣١.

(٢) في نهج صبحي صالح: أَسْتَوْدِعُ، وفي نهج محمد عبده: اِسْتَوْدِعِ.

(٣) ما بين القوسين ليس في نهج صبحي صالح ونهج محمد عبده.

(٤) (والسلام): ليس في نهج العطار وشرح النهج لابن ميثم.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٠٦ / ضمن الوصيّة رقم ٣١، منها في الدعاء، ونهج البلاغة

للعطار: ٥٣٩ / ضمن الوصيّة رقم ٣١، منها في الدعاء، شرح النهج لابن ميثم ٥: ٥٩ / ضمن

الوصيّة رقم ٣١، ونهج محمد عبده ٢: ٥٩.

الشرح:

ختم الوصية بوداعه واستودع الله دينه ودنياه وسؤاله خير القضاء له في عاجلته وآجلته وداريه دنياه وآخرته حسب إرادته تعالى ومشيتته. ولفظ الاستيداع مجاز في طلب الحفظ من الله لما استودعه إياه، وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في وصية له للحسن والحسين عليه السلام، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله:

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ (وَأَنْ لَا) تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتُكُمَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوي عَنْكُمَا، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَأَعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

لا تَبْغِيَا الدنيا وإن بَغْتُكُمَا: لا تطلبها وإن طلبتكما؛ زُوي: أي قُبِض ونُحِي عنكما^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٦٨ / ضمن شرح الوصية رقم ٣١.

(٢) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: وَالْأَ.

(٣) نهج صبحي صالح: ٤٢١ / من وصية له للحسن والحسين عليه السلام رقم ٤٧، نهج العطار: ٥٦٠ / من

وصية له للحسن والحسين عليه السلام رقم ٤٧، شرح النهج لابن ميثم ٥: ١١٩ / من وصية له إلى

الحسن والحسين عليه السلام رقم ٤٦، ونهج محمد عبده ٢: ٧٨ - ٧٩.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٩٥.

الشرح:

قد أوصاهما بأمر:

أولها: تقوى الله التي هي رأس كل خير.

الثاني: الزهد في الدنيا، وأن لا يريداهما وإن أرادتهما: أي أقبلت عليهما بما يعدّ فيها [عنها خل] خيراً، واستعار لفظ البغية لها باعتبار سهولتها عليهما عن توافق أسباب خيرها لهما فهي بذلك الاعتبار كالتالبة لها.

الثالث: أن لا يأسفا على ما قبض وغيب عنهما من خيراتها وهو من لوازم الزهد الحقيقي فيها.

الرابع: أن لا يقولوا إلا الحقّ وهو ما ينبغي قوله من أوامر الله ونواهيه، وأن يعملوا لأجر الآخرة: أي يكون أقوالهما وأعمالها مقصورة على هذين.

الخامس: أن يكونا للظالم خصيماً وللمظلوم عوناً، وذلك من لوازم قول الحقّ والعمل له. إذ من كان على حاقّ العدل لا بدّ أن يجانب الظالم المنحرف إلى طرف الجور ويخاصمه ليردّه إلى فضيلة العدل فيكون حينئذٍ عوناً للمظلوم.

ثمّ عاد مؤكّداً لوصيتهما مع جميع ولده وأهله ومن بلغه كتابه من عباد الله بتقوى الله مكرراً لها ومردفاً بأوامر أخرى^(١).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ١٢١/ في شرح الوصيّة رقم ٤٦.

الدنيا في وصية له عليه السلام وصى بها شريح بن هانئ، لما جعله على مقدمته إلى الشام:

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ (صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ)^(١)، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا
الْعُرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَزِدْ نَفْسَكَ
عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ^(٢) سَمَتَ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ
مِنَ الضَّرَرِ، فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا، وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِظَةِ
وَاقِمًا قَامِعًا^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

سمت: أي ارتفعت؛ الأهواء: - جمع هوى - وهو الميل مع الشهوة حيث مالت؛
النزوة: من نزا ينزو نزواً أي وثب؛ الحفظية: الغضب؛ وقمه فهو واقم: أي قهره؛ قعه:
ردّه وكسره^(٤).

الشرح:

قد أمره بتقوى الله دائماً، ولما كانت يستلزم الأعمال الجميلة أردف ذلك بتفصيلها

(١) ما بين القوسين في نهج العطار: مَسَاءٍ وَصَبَاحٍ.

(٢) في نهج العطار: مكروهه.

(٣) نهج صبحي صالح: ٤٤٧/ من وصية له إلى شريح بن هانئ، رقم ٥٦، نهج العطار: ٥٩٧/ من

وصية له عليه السلام إلى شريح بن هانئ، رقم ٥٦، شرح النهج لابن ميثم ١٩٢: ٥/ من كلام له عليه السلام وصى

به شريح بن هانئ، نهج محمد عبده ١١٧: ٢.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٤.

وهي أن يحذّر على نفسه الدنيا، ونسب الغرور إليها لأنّها سبب مادّيّ له، وأن لا يأمنها على حال لما تستلزم ذلك من الغفلة عن الآخرة.

ثمّ أعلمه أنّه إن لم يردع نفسه الأمّارة بالسوء عن الانهماك في كثير من مشتبهاتها التي يخاف مكروهاها في العاقبة ويقف بها عند حدود الله ويسلك بها صراطه المستقيم لم يزل يسمو به هواها وميوها حتّى تورده موارد الهلكة.

ثمّ أكّد وصيّته بمنعها وقهرها عند نزواتها وتوثّبها في الغضب. وقد عرفت أنّ إهمالها مبدء كلّ شرّ يلحق في الدنيا والآخرة^(١).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ١٩٢ - ١٩٣ / من كتاب له عليه السلام وصّى به شريح بن هانئ، رقم ٥٥.

الفصل الخامس

الدنيا في عهد أمير المؤمنين عليه السلام

الدنيا في عهد له ﷺ إلى بعض عمّاله، وقد بعثه على الصدقة:

وَمَنْ أَسْتَهَانَ بِالأَمَانَةِ^(١)، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهِ نَفْسَهُ
وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ (فِي الدُّنْيَا الذُّلَّ وَالْخِزْيَ)^(٢) وَهُوَ
فِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى.
وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الأَثِمَةِ،
وَالسَّلَامُ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

الْخِزْيُ: - بكسر الخاء وسكون الزاي - أشدّ الذلّ^(٤).

(١) في نهج محمد عبده: في الأمانة.

(٢) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: الذلّ والخزي في الدنيا، وفي نهج محمد عبده: في الدنيا الخزي.

(٣) نهج صبحي صالح: ٣٨٣/ ضمن عهده ﷺ إلى بعض عمّاله، رقم ٢٦، ونهج العطار: ٥٠٨/ ضمن عهده إلى بعض عمّاله، رقم ٢٦، شرح النهج لابن ميثم ٤: ٤١٦/ ضمن عهده، رقم ٢٦، نهج محمد عبده ٢: ٢٧/ ضمن كتاب له إلى بعض عمّاله وقد بعثه على الصدقة.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٠.

الشرح:

قوله: «ومن استهان» إلى قوله: «وأخزى»: يشبه أن يكون كبرى قياس ضمير احتج به في معرض الوعيد والتخويف من الخيانة على لزوم الذل والخزي له في الدارين على تقدير أن لا يوفّهم حقوقهم وتقدير القياس وإن لا يوفّهم حقوقهم تكن مستهيناً بالأمانة راتعاً في الخيانة غير منزّه نفسك ودينك عنها، وكلّ من كان كذلك فقد أحلّ بنفسه في الدنيا الذلّ وهو في الآخرة أذلّ وأخزى، وروي أحلّ بنفسه: أي ترك ما ينبغي لها، وروي أحلّ نفسه: أي أباحها. والذلّ على هاتين الروايتين مبتدأ خبره في الدنيا. والخيانة أعمّ من الغشّ وهي رذيلة التفريط من فضيلة الأمانة. والغشّ رذيلة تقابل فضيلة النصيحة وهما داخلتان تحت رذيلة الفجور.

وقوله: «وإنّ أعظم الخيانة».. إلى آخره: تنبيه على عظم الخيانة هاهنا. إذ كانت خيانة كلّية عامّة الضرر لأكثر المسلمين، ومستلزمة لغشّ الإمام الذي هو أفضل الناس وأولاهم بالنصيحة فإذا كان مطلق الخيانة ولو في حقّ أقلّ الخلق وأحقّ الأشياء منهيّاً عنها ويستحقّ العقاب والخزي عليها فبالأولى مثل هذه الخيانة العظيمة. وكلّ ذلك في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالأمانة. وبالله التوفيق^(١).

الدنيا في عهد له عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر عليه السلام لما قلده مصر:

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَأَبْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ،
وَأَسِرْ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ - إلى أن يقول عليه السلام: - وَأَعْلَمُوا

(١) شرح النهج لابن ميثم ٤: ٤١٩/ ضمن شرح عهده، رقم ٢٦.

عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، (وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ) ^(١) أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ؛ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكَنْتَ، وَأَكَلُوا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلْتَ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِّي بِهِ الْمُتَرَفُّونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ أَنْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ وَالْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَتَيَقَّنُوا أَنََّّهُمْ حَيْرَانُ اللَّهِ غَدًا فِي آخِرَتِهِمْ، لَا تَرُدُّ لَهُمْ دَعْوَةً، وَلَا يُنْقِصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ.

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ أَلَمَوتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرِ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا، أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا! وَمَنْ أَأَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا! وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ أَلَمَوتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ ^(٢)، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ، أَلَمَوتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، وَالدُّنْيَا تُطَوِّى مِنْ خَلْفِكُمْ... ^(٣).

(١) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ.

(٢) في نهج محمد عبده: أُخِذْتُمْ.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٣٨٣ - ٣٨٤ / من عهده عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر، رقم ٢٧، ونهج البلاغة للعطار: ٥٠٩ - ٥١٠ / من عهده عليه السلام رقم ٢٧، وشرح النهج لابن ميثم ٤: ٤١٩ - ٤٢٠ / من عهده عليه السلام، رقم ٢٧، ونهج محمد عبده ٢: ٢٧ - ٢٩ / ضمن عهده عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر.

شرح الألفاظ الغريبة:

آس: أمر من آسى - بمدّ الهمزة - أي سَوَّى، يريد، اجعل بعضهم أُسوةً بعض أي مستويين؛ المترفون: المنعمون؛ النواصي: جمع - ناصية - مُقَدِّم شعر الرأس^(١).

الشرح:

هذا الفصل من العهد ملتقط من كلام طويل ومداره على أمور:

الأول: وصيته محمدًا ﷺ بكارم الأخلاق في حقّ رعيته، وذكر أوامره:

أحدها: أمره بخفض الجناح، قيل: وأصله أن الطائر يمدّ جناحيه ويخفضهما ليجمع فراخه تحتها إيماناً للشفقة عليها، فاستعمل كناية عن التواضع الكائن عن الرحمة والشفقة كما قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) وقد بيّنّا أنّ التواضع ملكة تحت فضيلة العفة.

الثاني: أمره بالآنة جانبه كناية عن الرفق في الأقوال والأفعال وعدم الغلظة عليهم والجفاوة في حقّهم في كلّ الأحوال. وهو قريب من التواضع، ومن لوازمه.

الثالث: أمره أن يبسط لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والطلاقة من غير تقطيب وعبوس. وهو من لوازم التواضع أيضاً.

الرابع: أن يواسي بينهم في النظرة واللحظة وهي أخفّ من النظرة، وهو كناية عن الاستقصاء في العدل بينهم في جليل الأمور وحقيقتها وقليلها وكثيرها.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٨٠.

(٢) الشعراء: ٢١٥.

إلى أن يقول ابن ميثم في شرحه:

إعلامهم [العباد] بما ينبغي لهم من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفية استعمالها الواجب بوصف حال المتقين فيها ليقننوا بحالهم وهي ما أخبر عنه بقوله: «ذهبوا بعاجل الدنيا» إلى قوله: «ولا ينقص لهم نصيب من لذة» وخلاصة حالهم المذكورة أنهم أكثر فائدة من أهل الدنيا إذ حصلوا من اللذة في دنياهم على أفضل ما حصل لأهلها من لذاتهم بها مع زيادة الفوز الأكبر في الآخرة بما وعد فيها المتقون.

واعلم أن الذي يشير إليه من عاجل الدنيا في حق المتقين الذين شاركوا أهلها فيها وحظوا به منها مما حظي به المترفون وأخذة الجبابرة المتكبرون هو ما حصلوا عليه من لذات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم وحاجتهم كما روي عنه في صفتهم بلفظ آخر: «شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم» أباحهم في الدنيا ما كفاهم وبه أغناهم قال الله عز اسمه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ ^(١) الآية، سكنوا من الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوا بأفضل ما أكلت شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون وتزوجوا من أفضل ما يتزوجون وركبوا من أفضل ما يركبون أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا وهم فيها جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون لا يردّ لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيباً من لذة.

فأما وجه كونهم أكلوا على أفضل ما أكلت وسكنوها بأفضل ما سكنت فلائهم استعملوها على الوجه الذي ينبغي لهم وقد أمروا باستعمالها عليه.

(١) الأعراف: ٣٢.

وظاهر أنّ ذلك الوجه أفضل الوجوه.

وأما أنّهم شاركوا أهل الدنيا في طيباتها فظاهر؛ بل نقول: إنّ لذّتهم بما استعملوا منها أتمّ وأكمل، وذلك أنّ كلّ ما استعملوه منها من مأكول ومشروب ومنكوح ومركوب إنّما كان عند الحاجة والضرورة إليه، وقد علمت أنّ الحاجة إلى الشيء كلّما كانت أشدّ وأقوى كانت اللذّة به عند حصوله أتمّ وأعلى وذلك من الأمور الوجدانيّة. فثبت إذن أنّهم حظوا منها بما حظي به المترفون وأخذوا منها أخذة الجبابرة المتكبرين مع ما فضّلوا به من الحصول على آجل الآخرة الذي لم يشاركها أهل الدنيا فيه كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾^(١).

وأما الزاد المبلّغ لهم إلى ساحل العزّة وحضرة الجلال فهو التقوى الذي اتّصفوا به كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٢) وقد علمت معنى كونه زاداً غير مرّة. واستعار للتقوى والطاعة لفظ المتجر باعتبار كون الغاية المقصودة منها استعاضة ثواب الله المشبهة للثمن، ورشّح بذكر المريح: أي المكسب للمريح، وذلك باعتبار زيادة فضل ثواب الله في الآخرة على ما بذله العبد من نفسه من العمل.

وقوله: «أصابوا لذّة زهد الدنيا»: إشارة إلى بعض ما يزوّد به من اللذات في الدنيا وهو لذّة الزهد. إذ كان لهم بطرح الدنيا من أعناق نفوسهم ووصولهم بسببه إلى ما وصلوا إليه من الكمالات العالية ابتهاجات عظيمة أجلّ وأعلى ممّا يعده المترفون والمتكبرون لذّة وخيراً. وهم الذين يحقّ لهم أن يتكبروا على المتكبرين.

(١) الشورى: ٢٠.

(٢) البقرة: ١٩٧.

إذ كان الكمال الذي به تكبر المتكبرون أمراً خالياً ضعيفاً بالقياس إلى الكمال الحق الذي حصل عليه هؤلاء.

وقوله: «وتيقنوا أنهم جيران الله غداً»: أي يوم القيامة، وهو إشارة إلى جهة فرحهم بجوار الله والتذاذهم به المضاف إلى ما أصابوه من لذة زهد الدنيا وتلك الجهة هي ما حصلوا عليه من اليقين بالله والوصول التام إليه بعد مفارقة الأبدان، وذلك معنى جواره.

وقوله: «لا تردّ لهم دعوة»: إشارة إلى بعض فضائلهم التي انفردوا بها أيضاً المتفرعة على كمال نفوسهم وكرامتهم عند الله اللازمة عن لزوم طاعته وهو كونهم مجابي الدعوة مع ما شاركوا غيرهم فيه من تمام اللذة في الدنيا وانفردوا به من تمامها في الآخرة.

تحذيرهم [العباد] من الموت وقربه وتنبيههم على غايته من ذلك التحذير وهو أن يعدّوا له عدّته التي يلقي بها ولا يكون كثير ضرر وقد علمت أنه التقوى والعمل الصالح، وأكّد الأمر بإعداد عدّته بالتنبيه على عظم ما يأتي به من الأمر والمخاطب الجليل، وأشار إلى أن ذلك الأمر قد يكون خيراً خالصاً دائماً وقد يكون شراً خالصاً دائماً لتشتد الرغبة وتقوى في إكمال العدة المستلزمة لتحصيل ذلك الخير ولدفع ذلك الشر.

ثم نبّه على أن ذلك الخير الذي يأتي به الموت هو الجنة وذلك الشر هو النار وأنّ المقرّب إلى كلّ منهما والمستلزم للحصول عليه هو العمل له بقوله: «فمن أقرب» إلى قوله: «عاملها».

ثم نبّه بقوله: «وأنتم» إلى قوله: «خلقكم»، على أن هذا الأمر المستعقب لإحدى هاتين الغايتين العظيمتين وهو الموت لابدّ من لقائه ليتأكّد الأمر عليهن بالاستعداد له.

واستعار لهم لفظ الطرداء ملاحظة لشبههم بما يطرد من صيد ونحوه ولشبهه بالفارس المجّد في طلب الذي لا بدّ من إدراكه الطريدة، وظاهر أنّه ألزم لكلّ امرء من ظلّه. إذ كان ظلّ المرء قد ينفكّ عنه حيث لا ضوء والموت أمر لازم لا بدّ منه.

وقوله: «والموت معقود بنواصيكم»: كناية عن لزومه وكونه لا بدّ منه من اقتضاء: أي مشدود ومربوط بنواصيكم وذلك الربط إشارة إلى حكم القضاء الإلهي به وكونه ضرورياً للحيوان، وإنّما خصّ الناصية لأنها أعزّ ما في الإنسان وأشرف، واللازم لها أملك له وأقدر على ضبطه. ونحوه قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^(١) واستعار لفظ الطي لتقضي أحوال الدنيا وأيامها التي يقطعها الإنسان وقتاً موقّناً ملاحظة لشبه أحوالها بما يطوى من بساط ونحوه، وظاهر أنّ ذلك الطي من خلفهم خلفاً خيالياً بالنسبة إلى ما يستقبلونه من أحوالها بوجوه همهم.

ثمّ لما كرّر ذكر الموت وأكّد لزومه بطي الدنيا رجع إلى التحذير من غايته وهي النار ووصفها بأوصافها ليشتدّ الحذر منها وهي بُعد قعرها^(٢).

الدنيا في عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي، لما ولّاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمّد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن:

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ
الْأَشْتَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ: جَبَايَةَ خَرَايجِهَا،

(١) الرحمن: ٤١.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٤: ٤٢١ - ٤٢٥ / ومن عهده عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر، رقم ٢٧.

وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.

إلى أن يقول عليه السلام:

ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ^(١) عِلَّتَهُ
وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا
يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ
عِنْدَكَ.

فَإَنْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي
أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

تعاهده: تتبعه بالاستكشاف والتعرف؛ افسح له في البذل: أي أوسع له في العطاء
بما يكفيه^(٣).

الشرح:

أمّا أوامره [عليه السلام في القضاء]:

فأحدها: أن يختار من كان بالصفات المذكورة.

(١) في نهج البلاغة للعطار: ما يُزِيلُ.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٢٦ - ٤٣٥ / ضمن كتاب له عليه السلام لمالك الأشتر، رقم ٥٣، نهج
البلاغة للشيخ العطار: ٥٧٩ / ضمن عهده عليه السلام لمالك الأشتر، رقم ٥٣، شرح النهج لابن ميثم ٥:
١٥٣ / ضمن عهده لمالك الأشتر، رقم ٥٢، ونهج محمد عبده ٢: ٩٨ / ضمن عهده عليه السلام لمالك
الأشتر عليه السلام.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٦٩٩.

الثاني: أن يكثر تعاهد قضائه ليقطع طمعه في الانحراف عن الحق لو خطر بباله.

الثالث: أن يفسح له في البذل ما يزيل علته، وهو كناية عما يكفيه ويقلّ معه حاجته إلى الناس فلا يميل إليهم، و- ما - يحتمل أن يكون بدلاً من البذل، وأن يكون مفعولاً لفعل محذوف دلّ عليه البذل كأنه قال: فيبذل له ما يزيل علته، وأن يكون مفعولاً ليفسح: أي يوسع له ما يكفيه من المال، ويحتمل أن يكون في معنى مصدر يفسح: أي يفسح له فسحاً يزيل علته.

الرابع: أن يعطيه من المنزلة عنده ما لا يطمع فيه معها غيره من خاصته ليأمن بذلك اغتيال الأعداء. وتقدير كبرى هذا الضمير: وكلّ ما كان كذلك فواجب بذلك للقاضي^(١).

الدنيا في عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي... إلى أن يقول فيه:

... ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمْ أَسْتِثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةٌ
إِنْصَافٍ (فِي مُعَامَلَةٍ)^(٢)، (فَأَخْسِمُ مَادَّةً)^(٣) أَوْلَيْكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ
تِلْكَ الْأَحْوَالِ، وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً،
وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ١٦٣ - ١٦٤ / ضمن شرح العهد، رقم ٥٢.

(٢) ما بين القوسين: ليس في نهج العطار.

(٣) ما بين القوسين في نهج العطار: فَاخْسِمُ مَوْوَنَةً.

فِي شَرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَوُوتَتَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ،
فَيَكُونُ مَهْنًا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

احسم: أي اقطع مادّة ضرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم، وإنّما يكون بالأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف في شؤون العامة؛ الإقطاع: المنحة من الأرض، والقطيعة الممنوح منها؛ الحامّة: - كالطامة - الخاصة والقرابة؛ الاعتقاد: الامتلاك، والعقدة: - بالضم - الضيعة، واعتقاد الضيعة: اقتناؤها، وإذا اقتنوا ضيعة فربّما أضروا بمن يليها، أي يقرب منها، من الناس؛ الشُّرب: - بالكسر - هو النصيب في الماء؛ مهناً ذلك: منفعته الهنيئة^(٢).

الشرح:

من الأمور المصلحيّة المتعلّقة بخصاصته أن يحسم مؤونتهم عن الرعيّة فقوله: «بقطع أسباب» إلى قوله: «مؤونته»: إرشاد إلى سبب قطعها، وأشار إلى وجه ذلك بذكر ما يفهم من الاستئثار على الرعيّة بالمنافع والتطاول عليهم بالأذى وقلة الإنصاف وهو في قوّة صغرى ضمير تقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فيجب قطع مؤونته عنهم.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٤١/ ضمن عهده عليه السلام لمالك الأشتر، رقم ٥٣، ونهج البلاغة للشيخ العطار: ٥٨٨/ ضمن عهده عليه السلام لمالك الأشتر، رقم ٥٣، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ١٧٣/ ضمن عهده عليه السلام لمالك الأشتر، رقم ٥٢، ونهج محمد عبده ٢: ١٠٨ - ١٠٩/ ضمن عهده عليه السلام لمالك.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٢.

والأحوال التي أمر بقطع أسبابها هي وجوه المؤونة المذكورة من الاستئثار والتناول وقلة الإنصاف.

وقوله: «ولا تقطعن» إلى قوله: «مشارك»: تفصيل لوجوه قطع الأسباب المذكورة فإن اقتطاع أحدهم قطيعة وطمعه في اقتناء ضيعة تضر بمن يليها من الناس في ماء أو عمل مشترك يحمل مؤونته على الناس كعمارة ونحوها هي أسباب الأحوال المذكورة من وجوه المؤونة وقطع تلك الأحوال بقطع أسبابها. ثم نقره عن أسباب المؤونة على الناس بما يلزم تلك الأسباب من المفسدة في حقه وهي كون مهناً ذلك لهم دونه وعيبه عليه في الدنيا والآخرة، وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه: وكل ما كان مهناً للغير وعيبه عليك فلا يجوز فعله^(١).

الدنيا في عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي... إلى أن يقول فيه:

وَلَا تَعْقِدْ عَقْدًا تُجَوِّزُ فِيهِ أَلْعَلَّ^(٢)، وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ^(٣)
بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوَثُّقِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ
اللَّهِ إِلَى طَلَبِ أَنْفِسَاخِهِ^(٤) بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ
أَمْرٍ^(٥) تَرْجُو أَنْفِرَاجَهُ وَفَضَلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَافُ

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ١٨٠ / ضمن شرح عهده عليه السلام لمالك، رقم ٥٢.

(٢) في نهج البلاغة للعطار: العِلُّ، (بالضم).

(٣) في نهج البلاغة للعطار: القَوْل.

(٤) في نهج البلاغة للعطار: انْفِسَاخِهِ.

(٥) (أمر) ليس في نهج العطار.

تَبِعْتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ (بِكَ مِنْ أَلَلِهِ فِيهِ طَلِبَةٌ) ^(١) لَا تَسْتَقِيلَ ^(٢) فِيهَا
دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

العلل: - جمع عِلَّة - وهي في النقد والكلام، بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوّله إلى غير المراد، وذلك يطرأ على الكلام عند إيهامه وعدم صراحته؛ لحن القول: ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض؛ أن تحيط بك من الله فيه طَلِبَةٌ: أي تأخذك بجميع أطرافك مطالبة الله إتيائك بحقه في الوفاء الذي غدرت به ^(٤).

الشرح:

نهاه [عليه السلام] أن يعقد عقداً يجوز فيه العلل: أي الأحداث المفسدة له وهو كناية عن أمره بإحكام ما يعقد من الأمور.
نهاه أن يعتمد على لحن القول في الأيمان والعهود بعد أن يؤكدها ويتوثق من غيره فيها أو يتوثق غيره منه فيها، ومثال لحن القول ما ادّعاه طلحة والزبير من الوليعة والتورية في بيعتهما له عليه السلام: أي لا تعتمد على ذلك من نفسك ولا تلتفت إليه من غير لو ادّعاه.

(١) ما بين القوسين في نهج العطار: بك فيه من الله طلبية.

(٢) في نهج صبحي صالح: لَا تَسْتَقِيلُ، وفي نهج العطار: فَلَا تَسْتَقِيلُ، وفي نهج ابن ميثم ومحمد عبده: فَلَا تَسْتَقِيلُ.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٤٣/ ضمن عهده عليه السلام لمالك الأستر، رقم ٥٣، ونهج الشيخ العطار: ٥٩٠/ ضمن عهده عليه السلام لمالك الأستر، رقم ٥٣، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ١٧٥/ ضمن عهده عليه السلام لمالك الأستر، رقم ٥٢، ونهج محمد عبده ٢: ١١١/ ضمن عهده عليه السلام لمالك الأستر.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٠٣.

نُهاه أن يدعو ضيق أمر لزمه فيه عهد الله إلى أن يطلب إبطاله بغير حقّ، ورغب في الصبر عليه بقوله: «فإنّ صبرك» إلى قوله: «آخرتك»: وهو صغرى ضمير، وأراد بتبعته ما يتبعه من العقوبة، وبالطلبية ما يطالب به يوم القيامة من لزوم العهد، وإحاطتها به كناية عن لزومها له، وبوصف الطلبية بقوله: «لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك»: أراد أنّه لا يكون لك معها دنيا تستقبلها وتنتظر خيرها لعدم الدنيا هناك ولا آخرة تستقبلها إذ لا يستقبل في الآخرة إلاّ الأمور الخيريّة. ومن أحاطت به طلبته من الله فلا خير له في الآخرة يستقبله. وروي تستقبل بالياء: أي لا يكون لك من تلك الطلبية والتبعة إقالة في الدنيا ولا في الآخرة^(١).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ١٨٢ - ١٨٣ / ضمن شرح العهد للمالك الأشتر رقم ٥٢.

الفصل السادس

الدنيا في المختار من حكم
أمير المؤمنين عليه السلام ،
ويدخل في ذلك المختار من أجوبة
مسائله والكلام القصير الخارج
في سائر أغراضه

قال عليه السلام:

إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ^(١).

الشرح:

يريد أنّ الدنيا إذا اقبلت بجاهها وماها على قوم بحسب توافق أسباب السعادة الدنيويّة لهم استلزم ذلك إقبال الناس عليهم وتقربهم إليهم بكلّ ممكن لميلهم إلى الدنيا ومحبتهم لها وحسنوا في أعينهم فاستعاروا لهم الأوصاف الجميلة التي كانت في غيرهم وإن لم يكونوا في نفس الأمر كذلك حتّى يصفوا بالعلم الجاهل، وبالكرم المبدّر، وبالشجاعة المتهور، وبالظرف ولطف الأخلاق الماجن. وربّما كان إقبال الدنيا عليهم أيضاً سبباً لاستعدادهم لتحصيل الكمالات النفسانيّة والملكات الفاضلة التي كانت محاسن لغيرهم قبلهم وإن كانوا قبل ذلك غير أهل لشيء منها. ويحتمل أن يريد بالمحاسن محاسن الدنيا من مركوب وملبوس وأُبهة وحسن إيالة وتصرف، وذلك ظاهر. وكونه عارية باعتبار عدم دوامه. وكذلك إذا أدبرت عنهم بحسب توافق أسباب الشقاوة فيها قبحوا في أعين الناس حتّى يكون أحدهم ذا فضيلة في نفسه

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٧٠/حكمة رقم ٩، ونهج البلاغة للعطار: ٦٢٨/حكمة رقم ٥، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٤٣/حكمة رقم ٤، ونهج البلاغة لمحمد عبده ٢: ١٤٥.

فيجدها الناس ويصفونه بضدها فإن زهد في الدنيا نسبوه إلى الرياء والسمعة، وإن حسنت أخلاقه نسبوه إلى الخلاعة والمجون، وإن نسبوه إلى التهور والجنون وهو معنى سلبيها لمحاسن أنفسهم، وربما استعدّ ذو الفضيلة منهم بذلك لتركها وإهمالها والتخلّص بضدها حتّى تسلب عنه الفضيلة بالكلية^(١).

وسئل عن الإيمان، فقال [عليه السلام]:

الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعٍ دَعَائِمٍ: عَلَى الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ،
وَالْجِهَادِ :

فَالصَّبْرُ: عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ: عَلَى الشَّوْقِ، وَالشَّفَقِ، وَالزُّهْدِ،
وَالتَّرَقُّبِ...

إلى أن يقول عليه السلام: وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

الشَّفَقُ: - بالتحريك - الخوف^(٣).

الشرح:

شعب الصبر الذي هو عبارة عن ملكة العفة:

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٢٤٣ - ٢٤٤ / في شرح الحكمة رقم ٤.

(٢) نهج البلاغة لصبيح صالح: ٤٧٣ / ضمن الحكمة رقم ٣١، ونهج الشيخ العطار: ٦٣١ / ضمن

الحكمة رقم ٢٧، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٥٢ / ضمن الحكمة رقم ٢٦، ونهج محمد عبده ٢:

١٤٨.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١١.

فأحدها: الشوق إلى الجنة ومحبة الخيرات الباقية.

الثاني: الشفق: وهو الخوف من النار وما يؤدي إليها.

الثالث: الزهد في الدنيا وهو الإعراض بالقلب عن متاعها وطيباتها.

الرابع: ترقب الموت وهذه الأربع فضائل منبعثة عن ملكة العقّة لأنّ كلّاً منها يستلزمها... إلى أن يقول ابن ميثم في شرح نهجه:

أمّا ثمرات هذه الفضائل فأشار إليها للترغيب في مثمراتها:

فثمرات شعب العقّة أربع:

أحدها: ثمرة الشوق إلى الجنة وهو السلو عن الشهوات وظاهر كونه ثمرة له. إذ السالك إلى الله ما لم يشفق إلى ما وعد المتّقون لم يكن له صارف عن الشهوات المحاضرة مع توقّر الدواعي إليها فلم يسئل عنها.

الثانية: ثمرة الخوف من النار وهو اجتناب المحرّمات.

الثالث: ثمرة الزهد وهي الاستهانة بالمصيبات لأنّ غالبها وعامّها إنّما يلحق بسبب فقد محبوب من الأمور الدنيويّة فمن أعرض عنها بقلبه كانت المصيبة بها هيّنة عنده.

الرابعة: ثمرة ترقب الموت وهي المسارعة في الخيرات والعمل له ولما بعده^(١).

[وقال عليه السلام]:

... وَالشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمَارِي، وَالْهَوْلِ، وَالتَّرَدُّدِ،
وَالْإِسْتِسْلَامِ:

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٥٥ - ٢٥٧ / في شرح الحكمة رقم ٢٦.

إلى أن يقول عليه السلام: وَمَنْ أَسْتَسَلَّمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

التماري: التجادل لإظهار قوة الجدل لا لإحقاق الحق؛ الهول: - بفتح فسكون - مخافتك من الأمر لا تدري ما هجم عليك منه فتدهش؛ التردد: انتقاض العزيمة وانفساخها ثم عودها، ثم انفساخها؛ الاستسلام: إلقاء النفس في تيار الأحداث^(٢).

الشرح:

أما الشك فعبارة عن التردد في اعتقاد أحد طرفي النقيض ويقابل اليقين كما سبق، وذكر له أربع شعب:

أحدها: التماري وظاهر أن مبدء المراء الشك ونفّر من اتّخذه ملكه وعادة بكونه لا يصبح ليله، وذلك كناية عن عدم وضوح الحق له من ظلمة ليل الشك والجهل. الثاني: الهول لأنّ الشك في الأمور يستلزم عدم العلم بما فيها من صلاح أو فساد، وذلك يستلزم الفرع والخوف من الإقدام عليها، وثمرتها النكوص والرجوع على الأعقاب.

الثالث: التردد في الشك: أي الانتقال من حالة إلى حالة ومن شك في أمر إلى شك في آخر من غير ثقة بشيء. وذلك دأب من تعود التشكك في الأمور. ونفّر عن ذلك

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٧٤/ ضمن الحكمة رقم ٣١، ونهج الشيخ العطار: ٦٣٣/ ضمن الحكمة رقم ٢٧، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٥٣ - ٢٥٤/ ضمن الحكمة رقم ٢٦، ونهج محمد عبده ٢: ١٥٠ - ١٥١.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١١ - ٧١٢.

بما يلزمه مما كفى عنه بوطئ سنايك الشياطين وهو ملك الوهم والخيال لأرض قلبه حتى يكون سلطان العقل بمعزل عن الجزم بما من شأنه الجزم به.

الرابعة: الاستسلام لهلكة الدنيا والآخرة. ولزومه عن الشك لأن الشاك في الأمور الدنيوية والأخروية المتعود لذلك غير عامل لشيء منها ولا مهتم بأسبابها وبحسب ذلك يكون استسلامه لما يرد منها عليه، ولزوم هلاكه فيها لاستسلامه ظاهر. وبالله التوفيق^(١).

وقال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار، فترجلوا له واشتدوا بين يديه، فقال:

مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فَقَالُوا: خُلِقْنَا مِنْ نِعْمَتِكَ بِهِ أَمْرَاءَنَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أَمْرَاؤُكُمْ! وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ (فِي دُنْيَاكُمْ)^(٢)، وَتَشُقُّونَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، وَمَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَاةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

الدهاقين: - جمع دهقان - وهو زعيم الفلاحين في العجم، والأنبار في بلاد العراق؛

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٥٩/ في شرح الحكمة رقم ٢٦.

(٢) ما بين القوسين ليس في نهج العطار.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٧٥/ حكمة رقم ٣٧، ونهج الشيخ العطار: ٦٣٣ - ٦٣٤/ حكمة

رقم ٣٣، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٦٠ - ٢٦١/ حكمة رقم ٣٢، ونهج الشيخ محمد عبده ٢:

٤٨٢ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

تَرَجَّلُوا: أي نزلوا عن خيولهم مُشَاءً؛ اشتدَّوا: أسرعوا؛ تَشُقُّونَ: - بضمَّ الشين وتشديد القاف - من المشقَّة؛ تَشُقُّونَ: - بسكون الشين - من الشقاوة^(١).

الشرح:

اشتدَّوا: عدوا بين يديه والشقاء في الآخرة بذلك لأنَّه تعظيم لغير الله، وحاصله تنفيرهم عمَّا اعتمدوه معه بضمير صغراه قوله: «والله» إلى قوله: «آخرتكم». ونبَّه على الكبرى بقوله: «وما أخسر المشقَّة ورائها العقاب» وتقديرها: وكلِّما كان مشقَّة على النفس ويتبعها العقاب في الآخرة فهو أشدَّ الخسارة. وجذبهم إلى ترك ذلك بما يلزمه من الدعة والراحة في الدنيا مع الأمان من النار. فكأنَّه قال: فينبغي أن يتركوا ذلك التكلُّف فإنَّه دعة وراحة مع الأمان من النار وكلِّما كان كذلك فهو أعظم الأرباح. وإنَّما يلزمهم الشقاء بذلك في الآخرة لكونه تعظيماً لغير الله بما لا ينبغي إلاَّ لله^(٢).

وقال عليه السلام:

لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا
أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا عَلَى الْمُتَافِقِ أَنْ يُحِبَّنِي
مَا أَحَبَّنِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَأَنْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٢.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٦١/ في شرح الحكمة رقم ٣٢.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (يَا عَلِيُّ) ^(١) لَا يُبْغِضُكَ
مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ ^(٢) ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

الحَيْشُوم: أصل الأنف؛ الجَمَّات: - جمع جَمَّة بفتح الجيم - وهو من السفينة مجتمع الماء المترشَّح من ألواحها، والمراد لو كفأت عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها ^(٤).

الشرح:

لَمَّا كَانَ الْإِيمَانُ الْحَقُّ يُوْجِبُ الْإِتِّحَادَ وَصَدَقَ الْمَحَبَّةُ فِي اللَّهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا جَرَمَ لَمْ
يَجْتَمِعَ مَعَهَا الْبَغْضُ.

وَلَمَّا كَانَ النِّفَاقُ مُنَافِيًّا لِلْإِيمَانِ كَانَ مُنَافِيًّا لَمَّا يُلْزَمُهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ فَلَا يَجْتَمِعُ مَعَهُ
وَلَوْ بِيْذَلٍ أَجْزَلَ مَالٍ لِلْمُنَافِقِ.

وَاسْتِعَارَ لَفْظَ الْجَمَّاتِ لِمَجَامِعِ أَمْوَالِ الدُّنْيَا مَلَا حِظَةً لِمَشَابِهُتِهِ الْمَعْقُولَةِ، نَعَمْ قَدْ يَحْصُلُ
بِسَبَبِ مَحَبَّةٍ عَرْضِيَّةٍ فَانِيَةٍ بَفَنَاءِ مَا دَتَهَا مِنْ بَذْلِ الْمَالِ وَنُحُوهِ وَلَيْسَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ النَّوْعِ
مِنَ الْمَحَبَّةِ. وَذَلِكَ سِرُّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «لَا يُبْغِضُكَ» إِلَى آخِرِهِ. وَأَحَالِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا قَضَى
فَانْقَضَى: أَيِ قَدَّرَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ^(٥).

(١) ما بين القوسين ليس في نهج العطار.

(٢) انظر بحار الأنوار ٣٩: ٢٨٧.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٧٧/حكمة رقم ٤٥، ونهج الشيخ العطار: ٦٣٦/حكمة رقم ٤٠،
وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٦٦/حكمة رقم ٣٨، ونهج محمد عبده ٢: ١٥٤ - ١٥٥.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٣.

(٥) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٦٦/في شرح الحكمة رقم ٣٨.

وقال عليه السلام:

أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكَبٍ يُسَارُّ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ^(١).

الشرح:

وجه الشبه قوله: «يسار بهم وهم نيام»: وذلك أنَّ الدنيا لأهلها طريق هم فيها سائرون إلى الآخرة حال ما هم في غفلة عن غايتهم والعمل لها حتى يوافوها. فأشبهوا الركب الذين يسرون وهم نيام حتى يوافوا منزلهم^(٢).

ومن خبر (ضرار بن ضمرة الضَّبَّائِي)^(٣) عند دخوله على معاوية ومسألتِهِ له عن أمير المؤمنين، وقال: فأشهد لقد رأيته في بعض

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٧٩/حكمة رقم ٦٤، ونهج الشيخ العطار: ٦٣٨/حكمة رقم ٥٨،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٧٢/حكمة رقم ٥٦، ونهج محمد عبده ٢: ١٥٦.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٧٢/في شرح الحكمة رقم ٥٦.

(٣) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح وشرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده: ضرار بن حمزة الضبائي. والمثبت من نهج الشيخ العطار وتنقيح المقال في علم الرجال: الرجل من خُلَص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، حسن الحال، فصيح المقال، وقد أمره معاوية بأن يصف له علياً، فاستغفاه، فلم يعفه، فقال: ما أصف منه؟ كان والله شديد القوى، بعيد المدى، يتفجر العلم من أنحائه، والحكمة من أرجائه، حسن المعاشرة، سهل المباشرة، خشن المأكل، قصير الملبس، غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئ إذا سكتنا، ونحن مع تقريبه لنا أشد ما يكون صاحب لصاحب هيبة، لا نبتدئه الكلام لعظمته، يحب المساكين، ويقرب أهل الدين، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه... الحديث، تنقيح المقال ٣٦: ١١٢٦٨/١٨٠.

مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على
لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول:

يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكَ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتُ؟ أُمِّ إِلَيَّ تَشَوَّقْتُ؟ لَا
حَانَ حِينُكَ! هَيْهَاتَ غُرِّي غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ، قَدْ طَلَّقْتُكَ
ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي^(١) فِيهَا، فَعَيْشُكَ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكَ يَسِيرٌ،
وَأَمْلُكَ حَقِيرٌ...^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

أَرْخَى سُدُولُهُ: جمع سَدِيل، وهو ما أسدل على الهودج، والمراد حجب ظلامه؛
يَتَمَلَّمَلُ: لا يستقرُّ من المرض كأنه على ملّة، وهي الرماد الحارّ؛ السليم: المددوغ من
حيّة ونحوها؛ يَعْرضُ به: - كَتَعَرَّضَهُ - أي تصدّى له وطلبه؛ لا حَانَ حِينُكَ: لا جاء
وقت وصولك لقلبي وتمكّن حبّك منه^(٣).

الشرح:

يقول ابن ميثم في شرحه: كان هذا الرجل - يعني ضرار بن حمزة الضبابي -
من أصحابه عليه السلام فدخل على معاوية بعد موته [عليه السلام] فقال: صف لي عليّاً؟
فقال: أو تعفيني عن ذلك، فقال: والله لتفعلن! فتكلّم بهذا الفصل، فبكى معاوية
حتّى اخضلت لحيته.

(١) (لي) ليس في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٨٠ - ٤٨١ / حكمة رقم ٧٧، ونهج الشيخ العطار: ٦٣٩ - ٦٤٠ /

حكمة رقم ٧١، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٧٦ / حكمة رقم ٦٩، ونهج محمد عبده ٢: ١٥٨.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٣.

وقد نظر عليه السلام إلى الدنيا بصورة امرأة تزينت وتعرضت لوصوله إليها مع كونها مكروهة إليه، فخاطبها بهذا الخطاب. وإليك: من أسماء الأفعال: أي تنحّي، وعني متعلّق بما فيه من معنى الفعل، واستفهامه عن تعرّضها به وتشوّقها إليه استفهام استنكار لذلك منها واستحقار لها واستبعاد لموافقتها إيّاها على ما تريد. «ولا حان حينك»: أي لا قرب وقتك: أي وقت انخداعي لك وغرورك لي. وقوله: «هيهات»: أي بعد ما تطالبين منّي. ثمّ أمرها بغرور غيره وهو كناية عن أنّه لا طمع لها في ذلك منه إلّا أنّه أراد منها غرور غيره وهذا كمن يقول لمن يخدعه وقد اطلع على ذلك منه: اخدعي غيري، أي أنّ خداعك لا يدخل عليّ.

ثمّ خاطبها خطاب الزوجة المكرهة منافراً لها فأخبرها بعدم حاجته إليها. ثمّ أنشأ طلاقها ثلاثاً لتحصل البينة بها مؤكّداً لذلك بقوله: «لا رجعة فيها» وهو كناية عن غاية كراهيتها، وأكّد طلاقها لميله عليه السلام إلى ضررتها التي هي مظنة الحسن والبهاء. ثمّ أشار إلى المعائب التي لأجلها كرهها وطلقها وهي قصر العيش: أي مدّة الحياة فيها، «ويسير الخطر»: أي قلّة قدرها ومحلّها في نظره، ثمّ حقارة ما يؤمّل منها^(١)

وسئل عليه السلام عن الخير ما هو؟ فقال:

لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَلَدُكَ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ
عِلْمُكَ، وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ
أَحْسَنْتَ حَمِدَتَ اللَّهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ.

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٧٦ - ٢٧٧ / في شرح الحكمة رقم ٦٩.

وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا
بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ^(١).

الشرح:

يقول ابن ميثم في شرحه: الخير في العرف العامي هو كثرة المال والقينات الدنيوية وفي عرف السالكين إلى الله هو السعادة الأخروية وما يكون وسيلة إليها من الكمالات النفسانية، وربما فسره قوم بما هو أعم من ذلك، وقد نفى عليه السلام أن يكون الأول خيراً وذلك لفناءه ومفارقته ولما عساه أن يلحق بسببه من الشر في الآخرة، وفسره بالثاني وعد فيه كمال القوى الإنسانية فكثرة العلم كمال القوى النظرية للنفس العاقلة، وعظم الحلم من كمال القوة العملية وهو فضيلة القوة الغضبية، ومباهاة الناس بعبادة ربه: أي المفاخرة بها بالكثرة والإخلاص وحمد الله على توفيقه للحسنة واستغفاره للسيئة وذلك من فضائل القوة الشهوية وكمال القوة العملية.

ثم حصر خير الدنيا في أمرين، وذلك أن الإنسان إما أن يشتغل بمحو السيئات وإعدامها ويتدارك فارتطبه ذنوبه فيعد نفسه بذلك لاكتساب الحسنات أو يشتغل بإيجاد الحسنات فيها، ولا واسطة من الخير المكتسب بين هذين الأمرين. ثم حكم بعدم قلة العمل المقرون بتقوى الله منبهاً بذلك على أن تدارك الذنوب بمحوها والمصارعة في الخيرات مستلزم للتقوى، وإما كان غير قليل لأنه مقبول عند الله والمقبول عنده مستلزم لثوابه العظيم. وذلك ترغيب في الأمرين المذكورين^(٢).

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٨٤/حكمة رقم ٩٤، ونهج العطار: ٦٤٥/حكمة رقم ٨٨، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٨٧ - ٢٨٨/حكمة رقم ٨٦، ونهج محمد عبده ٢: ١٦٢ - ١٦٣.
(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٨٨/في شرح الحكمة رقم ٨٦.

وقال عليه السلام:

إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَقَاوَتَانِ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا شِ بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ^(١)!

الشرح:

استعار لفظ العدو لهما باعتبار ما بينهما من البعد لطالبيهما، وظاهر كونها سبيلين مختلفين. ومن لوازم ما بينهما من العداوة والاختلاف كون المحب لإحدهما مبغضاً للآخرى. ثم شبههما بالشرق والمغرب ووجه الشبه تباينهما واختلاف جهتيهما، وشبه الطالب لهما بالماشي بينهما ووجه الشبه قوله: «كلما قرب» إلى آخره، فإن الطالب للدنيا بقدر توجهه في طلبها يكون غفلته على الآخرة وانقطاعه عنها وكلما أمعن في تحصيلها ازداد غفلةً وبُعداً عن الآخرة وبالعكس كالماشي إلى حدّ جهتي المشرق والمغرب. ثم شبههما بعد ذلك بالضّرتين ووجه الشبه أيضاً أنّ القرب من إحداهما يستلزم البعد عن الآخر كالزوج ذي الضّرتين^(٢).

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٨٦ / حكمة رقم ١٠٣، ونهج الشيخ العطار: ٦٤٨ / حكمة رقم

٩٧، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٩٢ / حكمة رقم ٩٥، ونهج محمد عبده ٢: ١٦٥.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٩٢ - ٢٩٣ / في شرح الحكمة رقم ٩٥.

وعن نوف البكالي، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة، وقد خرج من فراشه، فنظر في النجوم فقال لي:

يَا نَوْفُ! أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ؟

فَقُلْتُ: بَلْ رَامِقٌ (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) ^(١).

قَالَ ^(٢) [عليه السلام]: يَا نَوْفُ، طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا
الرَّاعِبِينَ فِي الْآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا،
وَتَرَابَهَا فِرَاشًا، وَمَاءَهَا طَبِيًّا، وَالْقُرْآنَ شِعَارًا، وَالدُّعَاءَ دِثَارًا،
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

شعاراً: يقرؤونه سرّاً للاعتبار بمواعظه والتفكير في دقائقه، وأصل الشعار: ما يلي
البدن من الثياب؛ دثاراً: أصل الدثار ما يعلو البدن من الثياب، والمراد من اتخاذهم
الدعاء دثاراً جهرهم به إظهاراً للذلة والخضوع لله؛ قَرَضُوا الدنيا: مزقوها كما يمزق
الثوب المَفْرَاضُ؛ على منهج المسيح: طريقه في الزهادة ^(٤).

(١) ما بين القوسين أثبتناه من نهج العطار.

(٢) في نهج العطار: فقال.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٨٦/حكمة رقم ١٠٤، ونهج الشيخ العطار: ٦٤٨/حكمة رقم

٩٨، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٩٣/حكمة رقم ٩٦، ونهج محمد عبده ٢: ١٦٥.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٤.

الشرح:

يقول ابن ميثم في شرحه: البكالي: - بكسر الباء - منسوب إلى بكالة قرية من اليمن. والرامق: لناظر.

كان خروجه عليه السلام في ذلك الوقت لما نقله عن داود عليه السلام ولأنه محلّ الفراغ للاعتبار والفكر في خلق السماوات وزينتها. ثم عرّف الزاهدين في الدنيا بسنة أوصاف لغرض الاقتداء بهم:

أحدها: اتّخاذهم الأرض بساطاً.

الثاني: وتراها فراشاً.

الثالث: وماءها طيباً، وذلك من لوازم زهده في متاعها وتركها عن طيب نفس بذلك.

الرابع: اتّخاذهم للقرآن شعاراً.

الخامس: والدعاء دثاراً، واستعار لفظ الشعار للقرآن باعتبار ملازمتهم لدرسه وتفهم مقاصده كالشعار الملازم للجسد. ولفظ الدثار للدعاء باعتبار احتراسهم به من عذاب الله والشدائد النازلة بهم كالاكتراس بالذثار عن البرد ونحوه.

السادس: قرضهم للدنيا: أي قطعها عنهم بأيسر ما يدفع ضرورتهم منها كما فعله المسيح عليه السلام من هذه الأوصاف، وكان قيامه عليه السلام في النصف الأخير من الليل وإنما كان مظنة الإجابة لخلو النفس فيه عن الاشتغال بشواغل النهار المحسوسة وتوفرها بعد النوم على الالتفات إلى حضرة الملاء الأعلى واستعدادها لقبول السوانح الإلهية. وإنما استثنى المذكورين لملازمتهم المعصية التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمة الله تعالى^(١).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٩٣ - ٢٩٤ / في شرح الحكمة رقم ٩٦.

وقال عليه السلام:

لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ^(١).

الشرح:

لما كانت مطالب الناس في الدنيا إذا فتح باب الطلب لها غير متناهية لكون كل مطلوب يحصل معداً لطلب الزيادة فيه والاستكثار منه وتحصيل شرائطه ولوازمه وكان بعد الإنسان عن الله بقدر قربته من الدنيا وبعد أمله فيها كان كل أمر استصلحت به الدنيا لأنّها دنيا معدة لفتح باب من أبواب طلبها وإصلاحها وهو أضر من الأول لكونه أشدّ إيغالاً وإبعاداً عن الله^(٢).

وقال عليه السلام:

مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا
يَهْوِي إِلَيْهَا الْغَرُّ الْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ^(٣)!

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٨٧/حكمة رقم ١٠٦، ونهج الشيخ العطار: ٦٤٩/حكمة رقم

١٠٠، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٩٥/حكمة رقم ٩٨، ونهج محمد عبده ٢: ١٦٦.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٩٥/في شرح الحكمة رقم ٩٨.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٨٩/حكمة رقم ١١٩، ونهج الشيخ العطار: ٦٥٢/حكمة رقم

١١٣، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٠٤/حكمة رقم ١١٠، ونهج محمد عبده ٢: ١٧٠.

الشرح:

مثل الدنيا بالحياة، ووجه التمثيل قوله: «لئن مسّها» إلى آخره، وذلك أنّ الدنيا لذیذة المتناول سهلة في عين الناظر مع أنّ فيها يشتهيه منها ويتناولها الشقاوة الأخروية والعذاب الأليم. فيهوي إليها الجاهل بما فيها من سوء العاقبة ويحذرّها العاقل العارف بها كما أنّ الحياة لئن مسّها حسن منظرها يحسبها الجاهل سواراً من ذهب أو فضة يهوي إليها لغرته بما فيها من سمّ ويحذرّها من يعرفه^(١).

وقال عليه السلام:

عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَقُوتُهُ الْغِنَى
الَّذِي إِتَاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيَحَاسِبُ فِي
الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ، وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ
نُطْفَةً وَيَكُونُ غَدًا جِيفَةً، وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى
خَلْقَ اللَّهِ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَ،
وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخِرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى،
وَعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ!^(٢)

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٠٤ - ٣٠٥ / في شرح حكمة رقم ١١٠.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٩١ / حكمة رقم ١٢٦، ونهج الشيخ العطار: ٦٥٤ / حكمة رقم

١١٩، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٠٩ / حكمة رقم ١١٦، ونهج محمد عبده ٢: ١٧٢.

شرح الألفاظ الغريبة:

البخيل يستعجل الفقر: يريد أنه يهرب من الفقر بجمع المال، وتكون له الحاجة فلا يقضيها ويكون عليه الحق فلا يؤدّيه^(١).

الشرح:

تعجب علياً من ستة هم محلّ العجب والغرض التنفر عن رذائلهم:

الأول: البخيل وجعل محلّ التعجب منه ثلاثة أمور:

أحدها: أنه إنما يبخل خوف الفقر في العاقبة لو أنفق المال، وتقديره وعدم انتفاعه به في الحال صورة فقر حاضر فكان بذلك مستعجلاً للفقر الذي هرب منه إلى البخل. الثاني: أنه طالب الغنى يبخله وبخله أبداً سبب لفقره الحاضر المنافي لغناه والمفوّت له فيما يعتقده سبب الغنى هو المفوّت للغنى.

الثالث: أنه يعيش في الدنيا عيش الفقراء لعدم انتفاعه بماله، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء لمشاركته إياه في جمع المال ومحبة اللذين هما مبدأ الحساب فكان منهم بهذا الاعتبار.

الثاني: المتكبر ونبه على وجه العجب منه بذكر مبدء كونه وهو كونه نطفة في غاية الحقارة والسخف المنافي للكبر، وغايته وهو كونه جيفة في نهاية القذارة، مجمعه بين هذين الأمرين وبين التكبر من العجب العجيب.

الثالث: الشاك في الله وهو يرى خلقه وذلك جمع بين الشك في وجوده وبين رؤيته ظاهراً في وجود مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وهو محلّ العجب.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٦.

الرابع: الناسي لموته مع رؤيته من يموت. وظاهر أن نسيان الموت مع رؤيته دائماً محلّ التعجب.

الخامس: منكر النشأة الأخرى وإعادة الأبدان بعد عدمها. وظاهر أن إنكاره لذلك مع اعترافه بالنشأة الأولى وهي الوجود الأول للخلق من عدم لصرف محلّ التعجب لأن الأخرى أهون كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(١).

السادس: عامر الدنيا مع كونها فانية زائلة مع تركه لعمارة الآخرة الباقية والباقي ما فيها محلّ التعجب.

وغرض التعجب من هؤلاء والإشارة إلى وجوهه تنفير الخلق من الأمور المذكورة^(٢).

وقال عليه السلام: وقد سمع رجلاً يذم الدنيا:

أَيُّهَا الدَّامُ لِلدُّنْيَا أَلْمُعْتَرُّ بِغُرُورِهَا (أَلْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا! أَتَعْتَرُّ
بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمَّهَا)^(٣)؟ أَنْتَ^(٤) أَلْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا، أَمْ هِيَ أَلْمُتَجَرِّمَةُ
عَلَيْكَ؟ مَتَى أَسْتَهْوَتْكَ، أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ؟ أَيْمَصَّارِعِ آبَائِكَ مِنْ
أَلْبَلَى أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفِّكَ،
وَكَمْ مَرَّضْتَ بِبَيْدِكَ! تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ

(١) الروم: ٢٧.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٠٩ - ٣١٠ / في شرح الحكمة رقم ١١٦.

(٣) ما بين القوسين في نهج الشيخ العطار: بِمِ تَذُمَّهَا.

(٤) في نهج العطار: أَنْتَ.

الْأَطْبَاءِ، (غَدَاةٌ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، وَلَا يُجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَاءُكَ) ^(١). لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاؤُكَ، وَلَمْ تُسَعِفْ فِيهِ بِطَلْبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! ^(٢) قَدْ مَثَّلْتَ لَكَ بِهَ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وَبِمَضْرَعِهِ مَضْرَعَكَ. إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا ^(٣)، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا. مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. أَكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنْتَ بَيْنِيهَا، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا. فَمَثَّلْتَ لَهُمْ بِبَلَائِهَا أَلْبَاءَ، وَشَوَقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى الشُّرُورِ؟! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ وَأَبْتَكَّرَتْ بِفَجِيعَةٍ، (تَرْغِيبًا وَتَرْهِيبًا) ^(٤)، وَتَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا، فَذَمَّهَا رِجَالُ غَدَاةِ النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَكَرَتْهُمْ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا، وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَّظَتْهُمْ فَأَتَّعَظُوا ^(٥).

(١) ما بين القوسين ليس في نهج العطار ونهج محمد عبده.

(٢) (الواو) ليست في نهج العطار.

(٣) في نهج العطار: صَدَّقَهَا.

(٤) ما بين القوسين في شرح النهج لابن ميثم: تَرْهِيبًا وَتَرْغِيبًا.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٩٢/حكمة رقم ١٣١، ونهج الشيخ العطار: ٦٥٥-٦٥٧/حكمة

رقم ١٢٤، وشرح النهج لابن ميثم: ٥/٣١٣/حكمة رقم ١٢١، ونهج محمد عبده: ١٧٣-

شرح الألفاظ الغريبة:

تَجَرَّمَ عليه: ادّعى عليه الجُرم - بالضم - أي الذنب؛ استهواه: ذهب بعقله وأذله فحيره؛ المصارع: - جمع المَصْرَع - وهو مكان الانصراع، أي السقوط أي مكان سقوط آبائك من الفناء؛ البلى: - بكسر الباء - الفناء بالتحلل؛ الثرى: التراب؛ علل المريض: خدمه في علته كمرّضه: خدمه في مرضه؛ استوصف الطبيب: طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص الداء؛ إشفاكك: خوفك؛ الطلبة: - بالكسر وبفتح فكسر - المطلوب، وأسعفه بمطلوبه، أعطاه إيّاه على ضرورة إليه؛ مثّلت لك به الدنيا نفْسَكَ: أي أنّ الدنيا جعلت الهالك قبلك مثلاً لنفسك تقيسها عليه؛ تَرَوَّدَ: أي أخذ منها زاده للآخرة؛ آذنت: - بمدّ الهمزة - أي أعلمت؛ بيّنها: أي بعدها وزوالها عنهم؛ نَعاه: إذا أخبر بفقده؛ راح إليه: وافاه وقت العشي، أي أنّها تمشي بعافية؛ تَبْتَكِرُ: أي تصبح؛ فَجِيعَة: أي مصيبة فاجعة^(١).

الشرح:

قوله: «أيها الذام» إلى قوله: «غرّتك»: توبيخ له على الاغترار بها وذمّها مع ذلك وكذب دعواه أنّها هي ذات الجريمة عليه باستفهامه عن وقت استهوائها له استفهام منكر لذلك وموبّخ عليه وأكد ذلك باستفهام أنّ ذلك الغرور له منها بأيّ شيء كان أمن مصارع الآباء أم بمضاجع الأمّهات، وذلك على وجه الاستهزاء منه والتنبيه له على ما يوجب النفرة منها وعدم الاغترار بها من سوء صنيعها بأهلها حتّى كأنّها قاصدة لذلك التنبيه والتنفير عنها.

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٦ - ٧١٧.

وقوله: «كم علّلت» إلى قوله: «مصرعك»: صغرى ضمير دلّ به على ما ادّعاء لها من كونها منبّهة من الغفلة وليس قصدها الغرور وتقديرها: قد صوّرت لك الدنيا نفسك بمن أكثرت تعليله وتمريضه من أهلك طالباً له الشفاء ومستوصفاً له الأطباء فلم ينفعه ذلك منك، ومثّلت بمصرعه مصرعك. وتقدير الكبرى: وكلّ من مثّل لك ذلك وصوّره لك فليس من أهل التلبيس عليك والغرور لك بل من نصحاءك ومنبّهيك من غفلتك. ثمّ لما نفى عنها الذمّ أخذ في مدحها وذكر لها أوصافاً ثمانية: أحدها: أنّها دار صدق لمن صدقها: أي فيما أخبر به بلسان حالها من فنائها وزوالها. وتصديقه لها اعترافه بذلك منها والعمل به.

الثاني: ودار عافية لمن فهم عنها ما أخبرت عنها من عظاتها حتّى احترز من آفاتها وعوفي من عذاب الله بها.

الثالث: ودار غنى لمن اتّخذ فيها التقوى زاداً لسفره إلى الله. وظاهر أنّ التقوى وثمرتها في الآخرة أعظم غنى للمتّقين.

الرابع: ودار موعظة لمن اعتبر بها فعلم وصفها وغايتها.

الخامس: كونها مسجد أحبّاء الله من رسله وأوليائه.

السادس: كونها مصلّى ملائكة الله الأرضيّة الذين سجدوا لآدم عليه السلام.

السابع: كونها مهبط وحي الله.

الثامن: كونها متجر أولياء الله الذين اكتسبوا بعبادتهم فيها رحمته وربحوا جنته.

ثمّ استفهم بعد هذه المادح عمّن يذمّها منكرّاً عليه ومبيّناً لأحوال أخرى لها ينافي ذمّها أي فمن ذا يذمّها ولها الصفات المذكورة وهي على هذه الأحوال؟ وذكر منها ستّة:

إحديها: كونها «آذنت أهلها» وأعلمهم بفراقها. والواو في قوله: «وقد» للحال.

الثاني: ونادت بفراقها.

الثالث: «ونعت نفسها»: كل ذلك بلسان حالها من التغيّر والانتقال المؤذن بالزوال.

الرابع: كونها «مثّلت لهم ببلائها البلاء» في الآخرة.

الخامس: «وشوّقتهم بسرورها إلى السرور» في الجنة: وإنّما كان ذلك لأنّ كلّ ما في هذا العالم فهو صورة ومثال لما في عالم الغيب ونسخة منه يعتبر به ويقاس إليه ولولا ذلك لانسدّ طريق الترقّي إلى الحضرة الإلهيّة وتعدّر الوقوف على شيء من أسرارها، فالسالكون إلى الله لما شاهدوا بلاء الآخرة من بلاء الدنيا عملوا للخلاص منه وشاهدوا سرورها من سرور الدنيا وعلموا أنّ بينهما فرقاً عظيماً وأنّ الأشرف لا يحصل إلّا برفض الأخسّ فاقتضت آراؤهم الصالحة بيع سرور الفاني بالباقي.

السادس: «رواحها بعافية وابتكارها بفجيعة»: وهو كناية عن سرعة انتقال أحوالها وتبدّل أطوارها من رخاء إلى شدّة ومن صحّة إلى سقم ونسب هذه الأفعال إليها لأنّ لها سببيّة ما في ذلك، ولما نسب إليها الأفعال الاختياريّة جعل لها منها غايات وهي ترغيب الناس إلى الله وترهيبهم منها، ثمّ أشار إلى سبب ذمّها ممّن ذمّها وهو ندامة المفرّطين في اتّخاذ زاد التقوى إلى الآخرة منها فنسبوا ذلك التفریط إلى غرورها لهم وهو باطل كما بيّنه، ثمّ إلى سبب مدحها ممّن مدحها وهو ثلاثة: أحدها: تذكّرها لهم بزوالها أنّ ورائها غاية باقية يجب العمل لها فتذكّروا ما ذكّرتهم وعملوا.

الثاني: حديثها لهم بذلك حتّى صدّقوا.

الثالث: وعظها لهم بعبرها حتّى اتّعظوا^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٣١٤ - ٣١٦ في شرح الحكمة رقم ١٢١.

وقال عليه السلام:

الدُّنْيَا دَارٌ مَمَرٌ إِلَى^(١) دَارٍ مَقَرٍّ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ: رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا، وَرَجُلٌ ابْتَنَعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

أَوْبَقَهَا: أهلكها؛ ابْتَنَعَ نفسه: اشتراها وخلصها من أسر الشهوات^(٣).

الشرح:

كون الدنيا دار ممر باعتبار أنها طريق إلى الآخرة التي هي دار المقر. واستعار لفظ البيع لبائع نفسه باعتبار تسليمه لها إلى الهلاك الأخرى واعتياضه عنها ما أصابه من اللذة الدنيوية، وكذلك لفظ الابتناع لمشتري نفسه باعتبار إنقاذها من ذلك الهلاك ببذل ما قدر عليه من حاضر اللذات والإعراض عنه. وحصر المكلفين في الرجلين المذكورين ظاهر^(٤).

الدنيا في كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي:

لَا تَخْلُوا الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا، وَإِمَّا

(١) (إلى) في نهج صبحي صالح: لا.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٩٣ / حكمة رقم ١٣٣، ونهج العطار: ٦٥٧ / حكمة رقم ١٢٦،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣١٦ / حكمة رقم ١٢٣، ونهج محمد عبده ٢: ١٧٥.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٧.

(٤) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣١٦ / في شرح الحكمة رقم ١٢٣.

خَائِفًا مَغْمُورًا، لَيْثًا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ، وَكُمُ ذَا وَأَيْنَ
أُولَيْكَ؟ أُولَيْكَ - وَاللَّهِ - الْأَقْلُونَ عَدَدًا وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ
قَدْرًا. (بِهِمْ يَحْفَظُ اللَّهُ)^(١) حُجَجُهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا
نُظْرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ. هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى
حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ
الْمُتَرْفُونَ، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا
الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى، أُولَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ
فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ^(٢)...

شرح الألفاظ الغريبة:

مغموراً: غمره الظلم حتى غطاه فهو لا يظهر؛ استلأنوا: عدّوا الشيء لنا؛
استوعره: عدّه وغراً خشناً؛ المترفون: أهل الترف والنعيم^(٣).

الشرح:

عدم خلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً أو مستتراً مغموراً في الناس.
وأراد بالظاهر من عساه يتمكن من إظهار العلم والعمل به من أولياء الله وخلفاء
أوليائه في موضع من الأرض، وبالحائف المغمور إلى من لم يتمكن من ذلك.

(١) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح ونهج محمد عبده: يحفظ الله بهم.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٩٧/ ضمن كتاب له لكييل بن زياد، رقم ١٤٧، ونهج العطار:

٦٦١/ ضمن كلام له لكييل، رقم ١٣٧، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٢٢/ ضمن كتاب له

لكييل، رقم ١٣٤، ونهج محمد عبده ٢: ١٨٠/ ضمن كتاب له لكييل بن زياد.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٨.

قالت الشيعة: هذا تصريح منه عليه السلام بوجوب الإمامة بين الناس في كلّ زمان مادام التكليف باقياً وأنّ الإمام قائم بحجة الله على خلقه ويجب بمقتضى حكمته، وهو إمّا أن يكون ظاهراً معروفاً كالذين سبقوا إلى الإحسان ووصلوا إلى المحلّ الأعلى من ولده الأحد عشر، وإمّا أن يكون خائفاً مستوراً لكثرة أعدائه وقلة المخلص من أوليائه كالحجة المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وقوله: «وكم ذا»: استبطاء لمدة غيبة صاحب الأمر وتبرّم من امتداد دولة أعدائه. وقوله: «أين هم»: استقلال لعدد أئمة الدين. ولذلك نبّه بقوله: أولئك والله الأقلون عدداً. وذكر في معرض مدحهم أوصافاً: أحدها: الأقلون عدداً الأعظمون قدراً عند الله.

الثاني: أنّ «بهم يحفظ حججه وبيّناته» المشتغل عليها دينه حتّى يودعها أمثالهم ويزرعوها في قلوب أشباههم بعدهم.

الثالث: كونهم: «يهجم بهم العلم على حقيقة البصيرة»: أي فاجأهم ودخل على عقولهم دفعة لأنّ علومهم لدنيّة حدسيّة، وقيل: ذلك على المقلوب: أي هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم.

الرابع: «وباشروا روح اليقين»: أي وجدوا لذّته.

الخامس: «واستلنا ما استوعر منه المترفون»: من الأمور الشاقّة كجشوبة المطعم وخشونة المضجع والملبس ومصايرة الصيام والسهر. وذلك في جنب ما وجدوه من لذّة اليقين وحلاوة العرفان هيّن لئّن عندهم.

السادس: «وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون»: وهو الأحوال التي ألفوها ممّا ذكرنا فإنّ الجاهل لجهله بثمرتها ينفر منها ويستوحش من أهلها.

السابع: «وصحبوا الدنيا بأبدان أرواح معلقة بالمحل الأعلى» عاشقة لما شاهده من جمال حضرة الربوبية وصحبة الملائكة، ولما ميزهم بالأوصاف المذكورة أشار في معرض مدحهم أيضاً إلى أنّ هؤلاء لما اهتموا عليه من هذه الأوصاف هم خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه^(١).

الدنيا في كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي:

يَا كُمَيْلُ، هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا، إِنَّ هَهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا - وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ - لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً! بَلَى أَصَبْتُ لِقْنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا وَمُسْتَظْهِرًا بِنَعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ...^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

الحَمَلَة: - بالتحريك - جمع حامل؛ وأصبت: بمعنى وجدت، أي لو وجدت له حاملين لأبرزته وبشّته؛ اللَّقْنُ: - بفتح فكسر - من يفهم بسرعة^(٣).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٢٦ - ٣٢٧/ ضمن شرح من كلام له لكميل بن زياد، رقم ١٣٤.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٩٦/ ضمن كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي، رقم ١٤٧، ونهج

الخطّار: ٦٦٠/ ضمن كلام له لكميل، رقم ١٣٧، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٢١/ ضمن

وقال عليه السلام لكميل، رقم ١٣٤، ونهج محمد عبده ٢: ١٧٩ ضمن كلام له لكميل.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٧.

الشرح:

من أفضلية [العلم] على المال كون خزان المال هالكين في الآخرة محكوم عليهم بذلك في الدنيا وإن صدق عليهم أنهم أحياء كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾^(١) الآية، وأمّا العلماء فباقون أبداً، وإن فقدت أعيانهم من الدنيا فصورهم في القلوب مشاهدة موجودة.

أشار بعد تقرير كمال هذه الفضيلة إلى أنّ في صدره منها شيئاً كثيراً، وإنما يمنعه عن إظهاره عدم وجدان من يحمله عنه. و- ها - للتنبيه. وجواب - لو - محذوف تقديره لأظهرته.

استثبت من يجده ونّبّه على عدم صلاحيتهم لحمل ما عنده من العلم، وأشار إلى أربعة أصناف منهم، ووجه القسمة أنّ غير أهل العلم من الناس، إمّا طالبون له أو غير طالبين، والطالبون: إمّا قادرون على القيام بالحجة أو غير قادرين، وغير الطالبين له: هم المشغولون بغيره عنه، فاشتغلهم إمّا بالانهماك في لذاتهم وسهولة الانقياد لشهواتهم، وإمّا بمحبّة جمع المال وادّخاره:

فالأوّل: هو الخبيث الموصوف برذيلة الجريزة، وأشار إليه بقوله: «بلى أصيب لقنّا» إلى قوله: «على أوليائه».

وأشار إلى وجوه عدم صلاحيته لحمله:

أحدها: كونه غير مأمون عليه: أي هو مظنّة أن يذيعه إلى غير أهله [أن يديعه خل] ويضعه في غير موضعه، والضمير في قوله: عليه. للعلم.

(١) التوبة: ٣٤.

الثاني: كونه مستعملاً لآلة الدين وهو العلم في الدنيا واستعماله فيها كالتكسب به، ومستظهِراً بنعم الله وهي العلم على عباده كالفرح عليهم ومغالبتهم واستعمال حجة الله وما علمه منها في مقابلة أوليائه وتلبيس الحق بالباطل^(١).

وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَيُرْجَى التَّوْبَةُ بِطُولِ
الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ
الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ...^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

يُرْجَى التوبة: - بالتشديد - أي يؤخّر التوبة^(٣).

الشرح:

حاصل الفصل نهى طالب الموعظة عن أربع وثلاثين رذيلة:

نذكر منها ما أورده من كلام الإمام عليه السلام:

أحدها: رجاء الآخرة وثوابها بغير عمل فإنّ ذلك منى على الله، وقد علمت أنّ

المنى بضائع النوكى.

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٢٤ - ٣٢٥ / ضمن وقال عليه السلام لكميل، رقم ١٣٤.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٤٩٧ / حكمة رقم ١٥٠، ونهج العطار: ٦٦٢ / حكمة رقم ٤٠،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٢٨ / حكمة رقم ١٣٧، ونهج محمد عبده ٢: ١٨١.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٨.

الثانية: ترجّيه التوبة أو إزجاؤها بطول الأمل فإنّ ذلك يستلزم البقاء على المعصية والعذاب بها في الآخرة.

الثالثة: أن يجمع بين قول الزاهدين في الدنيا وعمل الراغبين فيها، وهو خداع الله، وعمله فيها عمل الراغبين يستلزم أن يصيبه ما أصابهم من عذاب الآخرة بها.

الرابعة: أن لا يشبع ممّا يعطى منها، وذلك رذيلة الشره والحرص.

الخامسة: أن لا يقنع إن منع، وذلك رذيلة التفريط من فضيلة القناعة^(١).

وقال عليه السلام:

إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، وَنَهْبٌ تُبَادِرُهُ
الْمَصَائِبُ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكَلَةٍ غَصَصٌ، وَلَا
يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا
بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ...^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

الغَرَضُ: - بالتحريك - ما يُنْصَبُ ليصيبه الرامي؛ تَنْتَضِلُ فيه: أي تصيبه وتثبت فيه؛ الْمَنَايَا: - جمع مَنِيَّة - وهي الموت؛ التَّهَبُ: - بفتح فسكون - ما يُنْهَبُ؛ الشَّرَقُ: - بالتحريك - وقوف الماء في الحلق، أي مع كلِّ لَذَّةٍ أَلْمَ^(٣).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٢٩/ في شرح الحكمة رقم ١٣٧.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٠٣/ حكمة رقم ١٩١، ونهج العطار: ٦٦٧/ حكمة رقم ١٧٩،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٤٢/ حكمة رقم ١٧٧، ونهج محمد عبده ٢: ١٨٧.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٩.

الشرح:

هذا الفصل لطيف من الموعظة وقد اشتمل على ثمان كلمات من الموعظة ، نذكر منها ضمن ما أوردناه من كلام الإمام عليه السلام:

إحديها: استعار لفظ الغرض للإنسان باعتبار رمية بمقدمات المنايا وأسبابها من الأمراض والأعراض المهلكة . ووصف الانتضال لذلك الرمي كأنّ المنايا هي الرامية . الثانية: استعار لفظ النهب المنهوب باعتبار سرعة المصائب إلى أخذه .

الثالثة: كنى عن تنغيص لذات الدنيا بما يشوبها ويخالطها من الأعراض والأمراض بقوله: «مع كلّ جرعة» إلى قوله: «غصص» .

الرابعة: كون العبد لا ينال نعمة إلّا بفراق أخرى . إذ النعمة الحقة هي اللذة وما يكون وسيلة إليها نعمة بواسطتها . وظاهر أنّ النفس في الدنيا لا يمكن أن يحصل على لذتين دفعة بل ما لم ينتقل عن لذة أولى ويتوجّه نحو اللذة الحادثة لا يحصل لها الالتذاذ بها .

الخامسة: ولا يستقبل يوماً من عمره إلّا بفراق آخر من أجله لأنّ طبيعة الزمان التقضي والسيلان^(١) .

وقال عليه السلام:

لَتُعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شَمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَيَّ وَلَدِهَا .

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥ : ٣٤٢ - ٣٤٣ / في شرح الحكمة رقم ١٧٧ .

وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي
الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي
الْأَرْضِ﴾ (١). (٢)

شرح الألفاظ الغريبة:

الشَّامْسُ: - بالكسر - متاع ظهر الفرس من الركوب؛ الضُّروس: - بفتح فضم -
الناقة السيئة الخلق تعضّ حالبها، أي إنّ الدنيا ستنقاد لنا بعد جُحُوحها وتلين بعد
خشونتها، كما تعطف الناقة على ولدها، وإن أُبْتُ على الحالب (٣).

الشرح:

استعار لفظ الشماس للدنيا باعتبار إعدادها لمنعه ^{لِلْإِشْلَاحِ} منها ملاحظة لشبهها بالفرس
الذي يمنع ظهره أن يركب. وشبه عطفها بعد ذلك عليهم وإعدادها لتمكّنهم من الحكم
فيها بعطف الضروس على ولدها، ووجه الشبه شدة العطف والاستشهاد بالآية
ظاهر (٤).

(١) القصص: ٥ - ٦.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٠٦/حكمة رقم ٢٠٩، ونهج العطار: ٦٧٠/حكمة رقم ١٩٧،
وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٤٩/حكمة رقم ١٩٤، ونهج محمد عبده ٢: ١٩١، والآية فيها إلى
قوله: ﴿ونجعلهم الوارثين﴾.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧١٩.

(٤) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٤٩/في شرح الحكمة رقم ١٩٤.

وقال عليه السلام:

مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ سَاخِطًا^(١).

الشرح:

أشار إلى خمس خصال نفر عن كل منها بما يلزمه من الشر، نذكر منها ما أوردناه من الحكمة.

إحديها: الحزن على فائت الدنيا. ويلزمه سخط العبد لقضاء الله لأن فوت ذلك كان بقضاء منه وسخط قضائه كفر^(٢).

وقال عليه السلام:

وَمَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا أَلْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ: هُمْ لَا يُغْبَهُ، وَحِرْصٍ لَا يَتْرُكُهُ، وَأَمَلٍ لَا يُدْرِكُهُ^(٣).

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٠٨/حكمة رقم ٢٢٨، ونهج العطار: ٦٧٢ - ٦٧٣/حكمة رقم ٢١٦، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٥٦/حكمة رقم ٢١٣، ونهج محمد عبده ٢: ١٩٥.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٥٦ - ٣٥٧/في شرح الحكمة رقم ٢١٣.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٠٨/ضمن الحكمة رقم ٢٢٨، ونهج العطار: ٦٧٣/ضمن الحكمة رقم ٢١٦، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٥٦/ضمن الحكمة رقم ٢١٣، ونهج محمد عبده ٢: ١٩٥.

شرح الألفاظ الغريبة:

التَّاطُ: التَّصَقَّ (١).

الشرح:

من لهج قلبه بحبِّ الدنيا التَّاطُ: أي لصق واختلط منها بثلاثة. ووجه لزوم الثلاثة للحرص والولوع بها أنَّ حبَّها يستلزم الجدَّ في طلبها وجمعها، ولما كان حصولها مشروطاً بأسباب مقدورة للعباد وأسباب غير مقدورة والمقدورة منها قد لا يكون مقدورة للطالب وإن كانت لكتِّها تكون متعسرة منه لتوقفها على أسباب كثيرة أو عسيرة لا جرم يلزمه الحزن غالباً في تحصيلها والهمَّ الذي لا يغيبه أي لا يأتيه غيباً وهو يوم لا ويوم نعم، ثمَّ في حفظها وخوف فوتها والحرص على استخراجها من وجوهها وطول الأمل في وجوه مكاسبها وأرباحها وتجاراتها وعماراتها. ونبّه على طوله بقوله: «لا يدركه». ونفّر عنه بذلك (٢).

وقال عليه السلام:

وَاللَّهِ لَدُنِّيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقٍ خِنْزِيرٍ فِي يَدٍ
مَجْدُومٍ (٣).

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٠.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٥٧ - ٣٥٨ / في شرح الحكمة رقم ٢١٣.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥١٠ / حكمة رقم ٢٣٦، ونهج العطار: ٦٧٥ / حكمة رقم ٢٢٥،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٦٠ / حكمة رقم ٢٢٢، ونهج محمد عبده ٢: ١٩٧.

شرح الألفاظ الغريبة:

العراق: - بكسر العين - هو من الحشا ما فوق السرة مُعْتَرِضاً البطن؛ المجدوم: المصاب بمرض الجدّام^(١).

الشرح:

عراق: جمع عرق وهو جمع غريب كتوأم وتوأم وهو العظم الذي يسحت عنه اللحم، وذلك مبالغة في هون الدنيا وحقارتها في عينه ونفرته عنها لأن العرق لا خير فيه فإذا تأكد بكونه من خنزير ثم بكونه في يد مجذوم بلغت النفرة منه الغاية^(٢).

وقال عليه السلام:

مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةٌ الْآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ^(٣).

الشرح:

أي مستلزمة لها. واستعار لفظي الحلاوة والمرارة للذة والألم، وظاهر أن آلام الدنيا اللازمة عن ترك لذاتها وعدم الالتذاذ بها طلباً للآخرة وشوقاً إلى ثوابها مستلزمة لحلاوة الآخرة ولذاتها، وكذلك الابتهاج للذات الدنيا يستلزم الغفلة عن الآخرة وترك العمل لها وذلك مستلزم لعذابها ومستعقب لشقاوتها^(٤).

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٠.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٦٠/ في شرح الحكمة رقم ٢٢٢.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥١٢/ حكمة رقم ٢٥١، ونهج العطار: ٦٧٦/ حكمة رقم ٢٤٠،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٦٥/ حكمة رقم ٢٣٧، ونهج محمد عبده ٢: ١٩٩.

(٤) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٦٥/ في شرح حكمة رقم ٢٣٧.

الفصل السابع

نذكر فيه شيئاً من اختيار
غريب كلامه المحتاج إلى تفسير

قال ﷺ:

النَّاسُ (فِي الدُّنْيَا) ^(١) عَامِلَانِ : عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا ، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُقُهُ ^(٢) الْفَقْرَ ، وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَيُقْنِي عُمُرَهُ فِي مَنَفَعَةٍ غَيْرِهِ .
وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ، فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعًا ، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَصْبَحَ وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ ، لَا يَسْأَلُ اللَّهُ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ ^(٣) .

شرح الألفاظ الغريبة :

وَجِيهًا: أي ذا منزلة عليّة من القرب إليه سبحانه ^(٤) .

الشرح :

لَمَّا كَانَ الْعَمَلُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا يَبْدُ مِنْهُ فَعَمَلُ الْعَاقِلِ إِمَّا لَهَا أَوْ لِغَيْرِهَا هُوَ الْآخِرَةُ ،

(١) ما بين القوسين في نهج العطار: للدنيا .

(٢) في نهج الشيخ العطار: يُخْلَفُ .

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٢٢ / حكمة رقم ٢٦٩ ، ونهج العطار: ٦٨٦ / حكمة رقم ٢٥٨ ،

وشرح النهج لابن ميثم ٥ : ٣٨٠ / حكمة رقم ٢٥٣ ، ونهج محمد عبده ٢ : ٢٠٩ .

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٢ .

فإذن الناس عاملان: وأشار إلى الأوّل في معرض ذمّه بقوله: «قد شغلته دنياه» إلى قوله: «غيره»: ومعنى ذلك أنّه يشتغل بتحصيل الدنيا خوف الفقر على ولده من بعده فيفني عمره في منفعة يتخيّلها لغيره ولا يخشى الفقر الأكبر في الآخرة من الخيرات الباقية على نفسه، وذلك ضلال مبين.

وأشار إلى الثاني في معرض مدحه بقوله: «وعامل» إلى قوله: «فجاءه الذي له من الدنيا»: أي المكتوب له في اللوح المحفوظ من رزق ونحوه.

وقوله: «غير عمل»: أي للدنيا لأنّ العمل بقدر الضرورة من الدنيا ليس من العمل لها بل للآخرة وهو مقصود من الدنيا بالعرض، وبذلك يحرز حظّه من الدنيا والآخرة، ويكون في الدنيا ملكاً بقناعاته وفي الآخرة بثمرة أعماله ووجاهته عند الله، وعلوّ منزلته في استعداداته بطاعته المستلزم لقبول دعوته وإجابتها فيما سأل^(١).

وقال عليه السلام:

كَانَ لِي فِيْمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ^(٢) فِي عَيْنِي صَغَرُ
الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا
يَجِدُ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً، فَإِنْ قَالَ بَدَّ^(٣)

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٨٠ - ٣٨١ / في شرح الحكمة رقم ٢٥٣.

(٢) في نهج الشيخ العطار: يُعْظِمُهُ.

(٣) في نهج صبحي صالح ونهج العطار: بَدَّ. وما جاء في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمّد عبده وشرح الألفاظ الغريبة بالبدال المهملة كما هو المثبت في المتن.

أَلْقَائِلِينَ، وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ، وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً! فَإِنْ
جَاءَ آلَجْدُ فَهُوَ لَيْثٌ غَابٍ وَصِلٌ وَادٍ، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ
قَاضِياً...^(١).

شرح الألفاظ الغريبة:

بَدَّهْم: أي كَفَّهْم عن القول ومنعهم؛ نَقَعَ الغليل: أزال العطش؛ الليث: الأسد؛
الغاب: جمع غابة، وهي الشجر الكثير الملتف يَسْتَوَكِرُ فيه الأسد؛ الصِّل: - بالكسر -
الحية؛ أدلى بمجته: أَحْضَرَهَا^(٢).

الشرح:

يقول ابن ميثم في شرحه، ذكر هذا الفصل ابن المقفع في أدبه، ونسبه إلى الحسن
ابن عليٍّ عليه السلام، والمشار إليه قيل: هو أبودرّ الغفاري، وقيل: هو عثمان بن مظعون، وقد
وصفه باثنتي عشرة فضيلة، نذكر منها ما هو مربوط بما أخذناه من الحكمة:
إحديها: أنه كان يستصغر الدنيا وينظر إليها بعين الاحتقار، وظاهر أن ذلك
يستلزم عظمه في عيون أهل الله.

الثانية: أنه كان خارجاً عن سلطان بطنه وهو كناية عن خروجه من أسر شهوته
وخلاصه من رذيلة الفجور إلى فضيلة العقّة. فكفّ شهوته عما لا يجد يستلزم عدم
رذيلة الحرص والحسد ونحوهما، وعدم إكثاره مما يجد يستلزم نزاهته عن رذيلة
الشرة والفهم ونحوهما.

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٢٦/حكمة رقم ٢٧٨، ونهج العطار: ٦٩٠/حكمة رقم ٢٧٨،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٨٩/حكمة رقم ٢٧٣، ونهج محمد عبده ٢: ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٣.

الثالثة: فضيلة العدل في الكلام والسكوت: أي أنه ينطق بالحكمة في موضعها. وأما غلبة السكوت عليه فلقوة عقله كما قال عليه السلام فيما قبل: إذا تمّ العقل نقص الكلام^(١).
الرابعة: أنه كان ضعيفاً مستضعفاً: أي فقيراً منظوراً إليه بعين الذلّة والفقر وذلك من لوازم فضيلة التواضع.

الخامسة: فضيلة الشجاعة عند الجدّ في الحرب والغضب لله، وكفى عن ذلك بقوله: «إذا جاء الجدّ» إلى قوله: (وَادٍ). واستعار لفظ «الليث» باعتبار سطوته وعدوانه ولفظ «الصلّ» باعتبار بأسه ونكايته في العدو، والمثل يضرب بحجة الوادي في الشجاعة ونكاية السمّ.

السادسة: «أنه لا يدلي بحجته حتى يجد قاضياً»، وهو من فضيلة العدل في وضع الأشياء مواضعها^(٢).

وقال عليه السلام:

النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلَا يَلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ^(٣).

الشرح:

وهو توبيخ للناس على حبّ الدنيا. ولفظ الأبناء مستعار لهم باعتبار تولّدهم منها وميلهم إليها بالطبع.

(١) الحكم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ١: ٨٥ / حكمة رقم ٨٠٩.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٨٩ - ٣٩٠ / في شرح الحكمة رقم ٢٧٣.

(٣) نهج البلاغة لصبيح صالح: ٥٢٩ / حكمة رقم ٣٠٣، ونهج الطّار: ٦٩٣ / حكمة رقم ٢٩٢.

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٩٦ / حكمة رقم ٢٨٧، ونهج محمد عبده ٢: ٢١٨.

وقوله: «ولا يلام» إلى آخره: لوم لهم. وهذا كما تقول لمن توبّخه مثلاً على اللؤم: إن طبيعتك اللؤم ولا لوم عليك فيما جبّلت عليه^(١).

وقال ﷺ:

مَعَاشِرَ النَّاسِ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ، وَبَانٍ مَا لَا يَسْكُنُهُ، وَجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَامًا، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ، آسِفًا لَا هِفَاً قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٢﴾. (٣)

الشرح:

أمرهم بتقوى الله ونفّر عن تقبيح الأمل جذباً إلى التقوى بذكر كثرة من يؤمّل ما لا يبلغه ويبني ما لا يسكن ويجمع ما لا بدّ من تركه مع احتمال أن يكون من باطل جمعه ومن حقّ منعه أهله فأصابه حراماً وحمل ثقل وزره وقدم به على ربّه حزيناً متحسّراً على ما فرّط في جنبه قد خسر الدنيا بموته والآخرة بتفريطه في اكتساب خيرها وذلك هو الخسران المبين^(٤).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٣٩٦/ في شرح الحكمة رقم ٢٨٧.

(٢) الحجّ: ١١.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٣٥/ حكمة رقم ٣٤٤، ونهج العطار: ٦٩٩/ ضمن الحكمة رقم ٣٣٠، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤١٠/ ضمن الحكمة رقم ٣٢٥، ونهج محمّد عبده ٢: ٢٢٦.

(٤) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤١١/ في شرح الحكمة رقم ٣٢٥.

وقال عليه السلام:

وَمِنْ أَكْثَرِ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيُسِيرِ...^(١).

الشرح:

«ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير»: لأنَّ الغرض من طلب الكثير منها الاستمتاع والالتذاذ به، وذكر الموت كاسر لذلك الالتذاذ ومبغض له^(٢).

وقال عليه السلام:

يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا، فَإِنَّ الْمَعْرَجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ
مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَثْيَابِ الْحِدْثَانِ...^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

أَسْرَى: جمع أسير؛ الرغبة: الطمع؛ أَقْصِرُوا: كُفُّوا؛ الْمَعْرَج: المائل إلى الشيء
والمعول عليه؛ يَرُوعُهُ: يَفْزَعُهُ؛ الصَّرِيف: صوت الأسنان ونحوها ضد الاصطكاك؛
الحِدْثَان: - بالكسر - النواذب^(٤).

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٣٦/ضمن الحكمة رقم ٣٤٩، ونهج العطار: ٧٠٠/ضمن الحكمة رقم ٣٣٥، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤١٢/ضمن الحكمة رقم ٣٣٠، ونهج محمد عبده ٢: ٢٢٧.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤١٤/في شرح الحكمة رقم ٣٣٠.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٣٧ - ٥٣٨/حكمة رقم ٣٥٩، ونهج العطار: ٧٠٢/حكمة رقم ٣٤٥، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤١٧/حكمة رقم ٣٤٠، ونهج محمد عبده ٢: ٢٢٩.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٤ - ٧٢٥.

الشرح:

استعار لفظ الأسرى لمن ملكته رغبته في الدنيا وحبّه لها. وأمرهم بالاعتصار عن الإفراط في طلبها ونفّر عن التعريج والإنعطاف عليها بقوله: «فإنّ المعرج» إلى قوله: «والحدثان»، واستعار لفظ الصريف والأنياب ملاحظة لشبهة الموت عند قومه بالبعير الهائج^(١).

وقال ﷺ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ^(٢)!
قُلْعَتُهَا أَحْطَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا، وَبُلْغَتُهَا أَزْكَى مِنْ ثَرَوَتِهَا^(٣)....

شرح الألفاظ الغريبة:

الحُطَامُ: - كغُرَاب - ما تكسر من يبس النبات؛ مُوبِئٌ: أي ذو وِبَاءٍ مُهْلِكٍ؛ مَرْعَاهُ: محلّ رَعِيهِ والتناول منه؛ الْقُلْعَةُ: - بالضم - عدم سكونك للتوطن؛ أَحْطَى: أي أسعد؛ طُمَأْنِينَتُهَا: سُكونها وهدوءها؛ الْبُلْغَةُ: - بالضم - مقدار ما يُبَلِّغُ به من القوت؛ أَزْكَى: هنا أَمْنٌ وأكثر^(٤).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤١٨/ في شرح الحكمة رقم ٣٤٠.

(٢) في نهج العطار: مَرْعَاءٌ.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٣٩/ حكمة رقم ٣٦٧، ونهج العطار: ٧٠٤/ حكمة رقم ٣٥٣،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٢١/ حكمة رقم ٣٤٨، ونهج محمد عبده ٢: ٢٣١.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٥.

الشرح:

في الفصل فائدتان:

إحديهما: نقر عن الدنيا بأمر:

أحدهما: أنَّ حطامها موبئ: أي مهلك، واستعار لفظ الحطام لمتاعها باعتبار سرعة زواله وقلة الانتفاع به كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾^(١) الآية. وكونه موبئاً استلزم اقتنائه والاعتناء بجمعه للهلاك في الآخرة ولذلك أمر بتجنّب مرعاه: أي رعيه أو محلّ رعيه وهو الدنيا.

الثاني: قلعتها وعدم القرار بها أنفع من الطمأنينة إليها لما يستلزمه من الشقاوة في الآخرة بمحبّتها والسكون إليها.

الثالث: أنّ الاقتصار على البلغة من العيش فيها أذكى من الثروة بها لما تستلزمه من الثروة بها من الشقاء الأخرويّ، فالاعتصار على القدر الضروريّ منها أظهر وأسلم من غوائلها^(٢).

وقال عليه السلام:

وَأِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْأَعْتِبَارِ، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الْأَضْطِرَارِ، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَالْإِبْغَاضِ، إِنْ قِيلَ

(١) يونس: ٢٤.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٢٢/ في شرح الحكمة رقم ٣٤٨.

أَثَرِي قِيلَ أَكْدَى! وَإِنْ فُرحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ^(١) بِالْفَنَاءِ! هَذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمَ فِيهِ يُبْلِسُونَ^(٢).

شرح الألفاظ الغريبة:

الاعتبار: أخذ العبرة والعظة؛ يَفْتَتَات: يأخذ من القوت؛ بطن الاضطراب: ما يكفي بطن المضطر، وهو ما يُزيل الضرورة؛ المَقْتُ: الكُره والسخط؛ فلان أثنى: أي اشتغنى؛ أَكْدَى: أي افْتَقَرَ؛ أَبْلَسَ: يَسَّسَ وتحير، ويوم الحيرة: يوم القيامة^(٣).

الشرح:

الفائدة الثانية: أنه أرشد إلى صفات المؤمن في صحبة الدنيا: أحديها: أنه إنما ينظر إليها بعين الاعتبار ليحصل منها عبرة، وذلك هو الذي خلق لأجله. الثانية: ويقتات منها ببطن الاضطراب، وكفى به عن كونه لا يتناول منها إلا بلغته ومقدار ضرورته. الثالثة: ويسمع فيها بأذن المقت والإبغاض، وكفى به عن بغضه لها فهو لا يسمع ما تمدح به؛ بل معايبها. وقوله: «إن قيل أثنى» إلى قوله: «الفناء»: أراد أن الإنسان فيها منغص اللذة

(١) في شرح نهج البلاغة لابن ميثم: عليه.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٣٩/ ضمن الحكمة رقم ٣٦٧، ونهج العطار: ٧٠٤-٧٠٥/ ضمن الحكمة رقم ٣٥٣، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٢١/ ضمن الحكمة رقم ٣٤٨، ونهج محمد عبده ٢: ٢٣٢.

(٣) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٦.

٥٢٢ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

مكدّر العيشة بينا هو مثر إذ لحقه الإكداء والفقر، وفرح ببقاء حبيب إذ لحقه الحزن عليه. وهذا الكلام لاحق بالفائدة الأولى في وصف حال الإنسان في الدنيا ومن تمامه، ووصف المؤمن هنا اعتراض.

وقوله: «هذا ولم يأت» أي هذا البلاء ولم يأت الناس يوم القيامة الذي لشدة هوله يأسون فيه من الرحمة^(١).

وروي أنه عليه السلام قلما اعتدل به المنبر إلا قال أمام الخطبة^(٢):

أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَمَا خُلِقَ أَمْرٌ عَبَثًا فَيُلْهُو، وَلَا تُرِكَ
سُدًى فَيُلْغَوُ! وَمَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلْفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي
قَبَحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ، وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفَرَ مِنَ الدُّنْيَا
بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالْآخِرِ الَّذِي ظَفَرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

لَهَا: تَلَهَّى بِلَذَاتِهِ؛ لَعَا: أَتَى بِاللَّغْوِ، وهو ما لا فائدة فيه؛ خَلَفَ: - بفتح اللام - ما
يَخْلُفُ الشَّيْءَ، وَيَأْتِي بَعْدَهُ؛ السُّهْمَةُ: - بالضم - النَصِيبُ^(٤).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٢٣/ في شرح الحكمة رقم ٣٤٨.

(٢) في نهج الشيخ العطار: خطبته.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٤٠/ حكمة رقم ٣٧٠، ونهج العطار: ٧٠٥ - ٧٠٦/ حكمة رقم

٣٥٦، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٢٤/ حكمة رقم ٣٥١، ونهج محمد عبده ٢: ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٦.

الشرح:

لَمَّا كَانَ تَقْوَى اللَّهِ وَالتَّزَوُّدُ بِهَا إِلَيْهِ هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ لَا جَرَمَ صَدَّرَ ﷺ بِالْأَمْرِ بِهَا عَامَّةَ خُطْبِهِ، وَنَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ وَأَنَّ الْغَايَةَ هُوَ الْآخِرَةُ مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَتْ الدُّنْيَا وَإِنْ تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلْفٍ مِنْ غَايَتِهِ وَإِنْ قَبَّحَتْهُ سَوْءُ نَظَرِهِ لَهَا وَمَعْرِفَتِهِ بِهَا، وَعَلَى أَنَّهُ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَ مَنْ ظَفَرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى مَطَالِبِهِ مِنْهَا وَبَيْنَ مَنْ ظَفَرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى نَصِيبٍ لَشَرَفِ مَتَاعِ الْآخِرَةِ فَكَيْفَ مِنْ يَظْهَرُ مِنْهَا بِأَعْلَى قِسْطٍ، وَنَقَرَ طَالِبِ الدُّنْيَا وَالْمَدْعَى لِلظَّفَرِ بِهَا بِكَوْنِهِ مَغْرُورًا. والفصل ظاهر^(١).

وقال ﷺ لجابر بن عبد الله الأنصاري:

يَا جَابِرُ، (قَوَامُ الدُّنْيَا)^(٢) بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ^(٣)، وَجَاهِلٍ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٍ لَا يَبْخُلُ بِمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا^(٤)، فَإِذَا ضَيَّعَ أَلْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَإِذَا بَخِلَ أَلْغَنَى بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا^(٤).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٢٤ - ٤٢٥ / في شرح الحكمة رقم ٣٥١.

(٢) ما بين القوسين في نهج صبحي صالح: قَوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

(٣) في نهج العطار: لِعِلْمِهِ.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٤١ / حكمة رقم ٣٧٢، ونهج العطار: ٧٠٦ / حكمة رقم ٣٥٨.

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٢٦ / حكمة رقم ٣٥٣، ونهج محمد عبده ٢: ٢٣٣.

شرح الألفاظ الغريبة:

اسْتَنَكَفَ: رَفَضَ وَأَبَى^(١).

الشرح:

الدنيا إنما يقوم بالمال، ثمّ بالعلم لوضعه في مواضعه ومعرفة وجوه اكتسابه التي ينبغي أو لا ينبغي من حلال وحرام وهو علم الفقه وأصول وتفسير كتاب الله وسنة رسوله اللذين منها تعلّم الأحكام، ثمّ ما يلزم ذلك من علم العربيّة ونحوه. ولما كان العلم لا بدّ له من حال والمال لا بدّ له من قان وجب أن يكون من شرط الأوّل أن يعمل بعمله، ومن شرط الثاني أن يستعمل ماله في مصارفه التي ينبغي وإلا لم يكن لها فائدة ولا قامت بهما أحوال الخلق التي هي الدنيا، ولما كان الموت ضرورياً للعلماء وغيرهم ووجب قيام الدنيا وبقاء نظامها أن يدوم العلم في قرن من الناس بعد قرن وجب أن يكون هناك جهّال لا يستنكفون عن تعلّمه، ولما كانت حاجة البعض إلى البعض في قوام الدنيا ضرورية ولم تجر في نظامها أن يستغني كلّ عن كلّ لأسباب معلومة وغير معلومة وجب أن يكون هناك من لا مال له ليحصل الانتفاع به فيما هو بصدد ومرتّب له من الأعمال الضرورية بالجود عليه. فإذن قوام الدنيا لا يحصل بدون الأربعة، وإنما شرط في الفقير أن لا يبيع آخرته بدنياه لأنّ بايع آخرته بدنياه ظالم خارج عن العدل فلا يقوم به الدنيا ولا يصلح لعبارتها. ثمّ لما بيّن ما به قوام الدنيا أشار إلى ما يلزم ضدّ ذلك من الفساد تنفيراً عنه بقوله: «فإذا ضيّع» إلى قوله: «بدنياه» فلأنّ تضييع العلم يستلزم عدم الانتفاع به

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٦.

الفصل السابع: الدنيا في غريب كلامه ﷺ المحتاج إلى تفسير..... ٥٢٥

والاستنكاف الجاهل عن تعلّمه لسوء اعتقاده في العلم وأهله لما يراه من تضييعهم له وعدم عملهم على وفقه فيبقى على الجهل بمنفعته، وبخل الغني بمعروفه مستلزم لعدم المنفعة بالمال، ويلزم من ذلك شدة حاجة الفقير وبيع آخرته بدنياه فيلزمه الفساد المنافي لمصلحة المعاش والمعاد^(١).

وقال عليه السلام^(٢):

الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تَعَايَنُ مِنْهَا جَهْلٌ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ
الْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ، وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ
قَبْلَ الْأَخْتِبَارِ لَهُ عَجْزٌ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

تُعَايَنُ: أي ترى بعينك من الدنيا تقلباً وتحوّلاً، لا ينقطع ولا يختصّ بخير ولا شرّير؛ الغَبْنُ: - بالفتح - الخسارة الفاحشة^(٤).

الشرح:

إحديها: «الركون إلى الدنيا مع ما تعايين منها جهل»: أي بما ينبغي أن يركن إليه ممّا لا ينبغي.

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٢٧/ في شرح الحكمة رقم ٣٥٣.

(٢) في شرح نهج ابن ميثم، زيادة: ثلاث كلمات.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٤٤/ حكمة رقم ٣٨٤، ونهج الطّار: ٧١٠/ حكمة رقم ٣٧٠،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٣٤/ حكمة رقم ٣٦٥، ونهج محمّد عبده ٢: ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٧.

٥٢٦ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

الثانية: «والتقصير في حسن العمل إذا أوثقت بالثواب عليه غبن»: أي مستلزم للغبن وهو ترك ما يوفق به من الثواب الكثير في مقابلة العمل اليسير له، وفيه إيماء إلى أن مبدء التقصير في حسن العمل عدم الوثوق بالثواب الموعود في الآخرة.

الثالثة: «والطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز»: أي عن البحث عمّن ينبغي السكون إليه وعن وضعه موضعه. ونفّر عن الركون إلى الدنيا بما يلزمه من الجهل، وعن التقصير في حسن العمل بما يلزمه من الغبن، ومن الطمأنينة إلى كل أحد بما يلزمها من العجز^(١).

وقال عليه السلام:

مَنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يَنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا^(٢).

الشرح:

نفّر عن الدنيا بذكر هوانها على الله من الوجهين المذكورين^(٣).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٣٥/ في شرح الحكمة رقم ٣٦٥.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٤٤/ حكمة رقم ٣٨٥، ونهج العطار: ٧١٠/ حكمة رقم ٣٧١،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٣٥/ حكمة رقم ٣٦٦، ونهج محمد عبده ٢: ٢٣٨.

(٣) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٣٥/ في شرح الحكمة رقم ٣٦٦.

وقال ﷺ:

أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا يُبْصِرُكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا، وَلَا تَغْفُلُ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ
عَنْكَ^(١)!

الشرح:

لما كانت محبة الدنيا مستلزمة لاستتار عيوبها عن إدراك محبيها كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم. كان بغضها والزهد فيها رافعاً لذلك الستر كاشفاً لما تحته من عيوبها وعوراتها فأمر بالزهد فيها لهذه الغاية المنقّرة عنها. ثم نقر عن الغفلة فيها عمّا وراءها بضمير صغراه قوله: «فلمست بمغفول عنك»، وتقدير الكبرى: وكلّ منها ليس بمغفول فلا ينبغي أن يغفل عمّا يراد به^(٢).

وقال ﷺ:

خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ
فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ^(٣).

(١) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٤٥ / حكمة رقم ٣٩١، ونهج العطار: ٧١٢ / حكمة رقم ٣٧٦، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٣٧ / حكمة رقم ٣٧١، ونهج محمد عبده ٢: ٢٣٩.
(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٣٧ / في شرح الحكمة رقم ٣٧١.
(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٤٥ / حكمة رقم ٣٩٣، ونهج العطار: ٧١٢ / حكمة رقم ٣٧٨، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٣٧ / حكمة رقم ٣٧٣، ونهج محمد عبده ٢: ٢٣٩.

شرح الألفاظ الغريبة:

أَجْمَلُ في الطلب: أي ليكن طلبك جميلاً واقفاً بك عند الحق^(١).

الشرح:

أمر بالقناعة أولاً بما تيسر في الدنيا لمن تمكن منها وقوي عليها، وبالإجمال في الطلب لمن لم يتمكن منها. والإجمال في طلب الدنيا طلبها برفق من الوجه الذي ينبغي، وعلى الوجه الذي ينبغي^(٢).

وقال **عليه السلام** لعَمَّار بن ياسر^(٣) وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة

كلاماً:

دَعُهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا (قَارَبَهُ مِنْ
الدُّنْيَا)^(٤)، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَسَ^(٥) عَلَى نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ
عَازِراً لِسَقَطَاتِهِ^(٦).

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٧.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٣٧ - ٤٣٨ / في شرح الحكمة ٣٧٣.

(٣) في نهج العطار زيادة: رَجَمَهُ اللَّهُ.

(٤) ما بين القوسين في نهج العطار: قَارَبَتْهُ الدُّنْيَا.

(٥) في نهج صبحي صالح: لَبَسَ.

(٦) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٤٧ / حكمة رقم ٤٠٥، ونهج العطار: ٧١٣ / حكمة رقم ٣٨٦،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٤٠ / حكمة رقم ٣٨١، ونهج محمد عبده ٢: ٢٤١.

شرح الألفاظ الغريبة:

على عمد: متعلق بلبس، أي أوقع نفسه في اللبس وهو الشبهة عامداً لتكون الشبهة عذراً له في زلاته^(١).

الشرح:

أراد أنه لا يعمل من الدين إلا بما يستلزم دنيا ويقرب به منها كعدل أو صدق يستلزم منفعة دنيوية دون ما ليس كذلك، وهو صغرى ضمير نقر به عن مخاطبته، تقدير كبراه: وكل ما كان كذلك فينبغي أن يعرض عن مراجعته ومكالمته^(٢).

وقال ﷺ في صفة الدنيا:

تَعْرُ^(٣) وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَا عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ، وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ بَيْنَنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ^(٤) سَائِقُهُمْ فَأَرْتَحَلُوا^(٥).

شرح الألفاظ الغريبة:

صاح بهم سائقهم فارتحلوا: أي بينا هم قد حلوا فاجأهم صائح الأجل

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٧.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٤٠/ في شرح الحكمة رقم ٣٨١.

(٣) في نهج العطار: الدُّنْيَا تَعْرُ.

(٤) (بهم): ليس في شرح النهج لابن ميثم ونهج محمد عبده.

(٥) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٤٨/ حكمة رقم ٤١٥، ونهج العطار: ٧١٤/ حكمة رقم ٣٩٦.

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٤٢ - ٤٤٣/ حكمة رقم ٣٩٠، ونهج محمد عبده ٢: ٢٤٢.

وهو سائقهم بالرحيل فارتحلوا^(١).

الشرح:

نُفِرَ عنها بثلاثة ضمائر:

أحدها: الدنيا تضرّ: أي بمحنها، وتقرّ: أي بزينتها، وتمرّ: أي بفراقها. إذ من طبيعتها ذلك. واستعار لها وصف الإمرار باعتبار ما يستلزمه فراقها من ألم المجرع والحزن كالمرة. وروي: وتمرّ - بفتح التاء - أي تذهب.

الثاني: قوله: «إِنَّ اللَّهَ» إلى قوله: «لأعدائه»: إذ لو رضيها كذلك لأعطاه أولياءه وحرّمها أعداءه.

الثالث: قوله: «وإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا» إلى آخره، فقوله: «بيناهم» إلى آخره. في تقدير صفة الركب: أي كركب من شأنه كذا، ووجه الشبه بالركب الذي شأنه ذلك سرعة ارتحاله إلى الآخرة كسرعة ارتحال الركب، وتقدير الكبرى في الضميرين الأولين، وكلّما كان كذلك فينبغي أن يحتنب ولا يحرص على طلبه، وتقديرها في الثالث: وكلّما كان كذلك فينبغي أن يستعدّ فيه للرحيل والسفر^(٢).

وقال لابنه الحسن عليه السلام:

لَا تُخَلِّفَنَّ^(٣) وَرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ:

(١) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٨.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٤٢ - ٤٤٣ / في شرح الحكمة رقم ٣٩٠.

(٣) في نهج العطار: يَا بُنَيَّ لَا تُخَلِّفَنَّ.

إِمَّا رَجُلٌ^(١) عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ
عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ^(٢) بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى
مَعْصِيَتِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ حَقِيقًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ^(٣).

الشرح:

أدبه ﷺ بالنهي عن إدّخار المال، ونفّره عن ذلك بضمير صغراه قوله: «فإنّك» إلى
آخره.

وقوله: «بما شقيت به»: أي شقاء الدنيا بجمعه، وشقاء الآخرة بادّخاره لقوله
تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤)
الآية.

وتقدير الكبرى وكلّ من يخلف مالا لأحد هذين وليس أحدهما حقيقاً بأن يؤثره
على نفسه فلا يجوز أن يخلفه.

قال الرضي [رحمه الله] ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو:
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ
بَعْدَكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ

(١) في نهج صحي صالح: رجل، وكذا في الموضع الآتي.

(٢) كلمة (فَشَقِيَ) ليست في شرح نهج ابن ميثم ونهج محمد عبده.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٤٩/حكمة [أو وصيّة] رقم ٤١٦، ونهج العطار: ٧١٥/حكمة
أو وصيّة رقم ٣٩٧، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٤٣/حكمة رقم ٣٩١، ونهج محمد عبده ٢:
٢٤٢.

(٤) التوبة: ٣٤.

بِمَا شَقِيتَ بِهِ، أَوْ: رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ، فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ.

يقول السيّد عليه السلام: في هذه الرواية تنفير عن الدنيا بضميرين: أحدهما: «قوله: «فإنّ الذي في يدك» إلى قوله: «بعدك»، وتقدير كبراه: وكلّما كان كذلك فليس لك أن تحبّه وتعتمد عليه. الثاني: قوله: «وإنّما أنت» إلى قوله: «ظهرك»، وكبراه ما مرّ في الرواية الأولى، واستعار لفظ الحمل لاكتساب آثام جمع المال، ورشّح بذكر الظهر. ثمّ أُرشدته إلى ما هو خير من المال لمن مضى وهو رجاء رحمة الله، ولمن بقي وهو رجاء رزق الله الموعود لكلّ حيٍّ^(١).

وقال عليه السلام:

مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ^(٢) أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ^(٣).

الشرح:

صلاح باطن الإنسان وسرّه بالأخلاق الفاضلة معدّ لإفاضة الله عليه صلاح

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٤٣ - ٤٤٤ / حكمة، أو وصيّة رقم ٣٩١.

(٢) لفظ الجلالة، ليس في نهج محمّد عبده.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٥١ / حكمة رقم ٤٢٣، ونهج العطار: ٧١٧ - ٧١٨ / حكمة رقم

٤٠٤، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٤٧ / حكمة رقم ٤٩٨، ونهج محمّد عبده ٢: ٢٤٥.

أقواله وأفعاله الظاهرة لأنها كالثمرات للباطن، وكذلك عمل الإنسان لدينه وإقامته لحدود الله معدّ لصلاح حاله في معاشه ومهيئ لعواطف الخلق عليه لاشتغاله بالله عن مجاذبتهم للدنيا. وفي معناه الكلمة الثالثة فإن إخلاص العبودية لله وإصلاح معاملته قاطع عن محبة الدنيا والحرص عليها الذي هو سبب الفساد بين الناس فكان معداً لرفع الفساد ودفعه^(١).

وقال ﷺ:

إِنَّ أَحْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وَأَخْيَبَهُمْ سَعِيًّا، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ^(٢)، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ أَلْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحُسْرَتِهِ، وَقَدِمَ عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

الصفقة: أي البيعة، أي أخسرهم بيعاً وأشدّهم خيبة في سعيه؛ أخلق بدنه: أي أبلاه ونهكه في طلب المال ولم يحصل له؛ التبعة: - بفتح فكسر - حق الله وحق الناس عنده يطالب به^(٤).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٤٧ - ٤٤٨ / في شرح الحكمة رقم ٣٩٨.

(٢) في نهج العطار: آماله.

(٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٥٢ / حكمة رقم ٤٣٠، ونهج العطار: ٧١٩ / حكمة رقم ٤١١،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٥٠ / حكمة رقم ٤٠٥، ونهج محمد عبده ٢: ٢٤٦.

(٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٨.

الشرح:

استعار وصف الأخسر صفقة لمن ذكر باعتبار استعاضته للدنيا عن الآخرة ومع عدم موافقة القدر له في حصول آماله الدنيوية. وظاهر أنه أخسر من التجر، وتبعته ما يلحقه من عقوبات الآلام المكتسبة له من سعيه^(١).

وقال عليه السلام:

الرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ
الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا
حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا^(٢).

الشرح:

استعار للرزق وصف الطالب باعتبار أنه لا بد من وصوله فهو كالتالِب لصاحبه، ونفّر عن طلب الدنيا بما يلزمها من الغاية المقدّرة وهي الموت فكأنّه طالب للمرء لغاية إخراجهِ من الدنيا بسبب طلبه لها، ورغّب في طلب الآخرة بما يلزمه من طلب الدنيا وأهلها لمن انقطع عنها حتّى يصل إليه رزقه منها وهو محمود. وقد بيّنا فيما سلف وجه إقبال الناس على من ينقطع عنهم^(٣).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٥٠/ في شرح الحكمة رقم ٤٠٥.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٥٢/ حكمة رقم ٤٣١، ونهج العطار: ٧١٩/ حكمة رقم ٤١٢،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٥٠/ حكمة رقم ٤٠٦، ونهج محمد عبده ٢: ٢٤٦.

(٣) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٥٠/ في شرح الحكمة رقم ٤٠٦.

وقال ﷺ:

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَاسْتَعْلَوْا بِأَجْلِهَا إِذَا اسْتَعَلَ^(١) النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَتَرَكَوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّه سَيُتْرَكُهُمْ، وَرَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا، وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتًا، أَعْدَاءُ مَا سَأَلَ النَّاسُ، وَسَلَّمُ^(٢) مَا عَادَى النَّاسُ! بِهِمْ عِلْمَ الْكِتَابِ وَبِهِ عِلْمُوا، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا، لَا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَلَا مَخُوفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ^(٣).

شرح الألفاظ الغريبة:

إضافة «الآجل» إلى «الدنيا» لأنه يأتي بعدها، أو لأنه عاقبة الأعمال فيها، والمراد منه ما بعد الموت؛ أماتوا فيها ما خشوا أن يميتهم: أي أماتوا قوّة الشهوة والغضب التي يخشون أن تمت فضائلهم؛ سلّم: مصدر بمعنى الصفة، أي مُسالِم^(٤).

الشرح:

قال ابن ميثم في شرحه: مَيِّز [أمير المؤمنين ﷺ] أولياء الله بصفات عشر:

-
- (١) في نهج محمد عبده: إذا اسْتَعْلَوْا.
 - (٢) في نهج صبحي صالح: وَسَلَّمُ، وفي شرح النهج لابن ميثم: سَلِمُ (بالكسر والفتح).
 - (٣) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٥٢/ حكمة رقم ٤٣٢، ونهج العطار: ٧١٩/ حكمة رقم ٤١٣، وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٥٠ - ٤٥١/ حكمة رقم ٤٠٧، ونهج محمد عبده ٢: ٢٤٦ - ٢٤٧.
 - (٤) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٨.

إحديها: أنهم «نظروا إلى باطن الدنيا»: أي حقيقتها، وغرض الحكمة الإلهية من وجودها فعملوا فيها على حساب علمهم إذا نظر الناس إلى ظاهرها من زينتها وقيناتها.

الثانية: «واشتغلوا بآجلها» وهو ما جعله الله نصب أعينهم غرضاً مقصوداً منها ثمرة للاستعداد بها وهو ثواب الله ورضوانه إذ اشتغل الناس بعاجلها وحاضر لذاتها. الثالثة: «فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم»، وهو نفوسهم الأمارة بالسوء التي يخشى من غلبتها واستيلائها على العقل موته وهلاكه في الآخرة، ويحتمل أن يريد بما أماتوه منها قيناتها استعاراً. فكأنهم لما رفضوها ولم يلتفتوا إليها قد أماتوا ولم يبق لها حياة عندهم.

الرابعة: «وتركوا منها ما علموا أنه ستركهم»، وهو زينتها وقيناتها التاركة لهم بالموت عنها، و - من - في الموضوعين لبيان الجنس.

الخامسة: «ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً»، ودركها لها فوتاً: أي استقلالاً من الخير الباقي وفوتاً له إذ كان دركها والاستكثار بها سبباً لذلك.

السادسة: «أعداء ما سالم الناس وهي الدنيا، وسلم ما عادى الناس» وهي الآخرة.

السابعة: «بهم على الكتاب»، لحفظهم إياه وتفقههم له وإفادتهم به، وبه علموا لاشتغالهم به عند الناس.

الثامنة: «وبهم قام الكتاب»: أي صارت أحكامه قائمة في الخلق معمولاً بها، «وبه قاموا»: أي بأوامره ونواهيه وبما ينبغي له، ويحتمل أن يريد أن قيامهم في معاشهم ومعادهم ببركته.

الفصل السابع: الدنيا في غريب كلامه ﷺ المحتاج إلى تفسير. ٥٣٧

التاسعة: «لا يرون مرجوًّا فوق ما يرجون»: من ثواب الله، ولا يخافون مخوفاً فوق ما يخافون من عذاب الله والحجب عنه، وذلك لعلمهم بالمرجوِّ والمخوف هناك^(١).

وقال ﷺ:

الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا^(٢).

الشرح:

أراد أنها خلقت للاستعداد فيها وبها لدرك ثواب الله في الآخرة لا ليلتذّبها الجاهلون^(٣).

وقال ﷺ:

مَنْهُوَ مَنْ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبٌ عِلْمٍ وَطَالِبٌ دُنْيَا^(٤).

شرح الألفاظ الغريبة:

المثْهُوم: المُفْطَر في الشهوة، وأصله في شهوة الطعام^(٥).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٥١ - ٤٥٢ / في شرح الحكمة رقم ٤٠٧.

(٢) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٥٧ / حكمة رقم ٤٦٣، ونهج العطار: ٧٢٥ / حكمة رقم ٤٤٢،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٦١ / حكمة رقم ٤٣٥، ونهج محمد عبده ٢: ٢٥٢.

(٣) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٦١ / في شرح الحكمة رقم ٤٣٥.

(٤) نهج البلاغة لصبحي صالح: ٥٥٦ / حكمة رقم ٤٥٧، ونهج العطار: ٧٢٣ / حكمة رقم ٤٣٦،

وشرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٦٦ / حكمة رقم ٤٤٦، ونهج محمد عبده ٢: ٢٥١.

(٥) شرح الألفاظ الغريبة: ٧٢٩.

الشرح:

النهم: - بالفتح - إفراط الشهوة في الطعام، ولفظه مستعار لشدة طلب المتعلم وحرصه على العلم وطلب صاحب الدنيا، وكذلك وصف عدم الشبع بهما. والكلمة مروية عن رسول الله ﷺ: منهومان لا يشبعان: منهوم بالمال، ومنهوم بالعلم^(١).

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٤٦/ في شرح الحكمة رقم ٤٤٦.

تمّ بحمد الله كتابة كتاب «الدنيا في نهج الإمام عليّ عليه السلام» وما ورد فيه من شروح بعون الله تعالى في ليل الثامن والعشرين من شهر محرّم الحرام من عام ألف وأربعمائة وواحد وأربعون للهجرة النبويّة المشرفة ، وتمّت مراجعة الكتاب في مساء الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من العام الهجري نفسه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على نبينا المصطفى محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين .

الفهرس الفذئفء

- فهرس الآفاء القرآففة
- فهرس مصادر الكءاب
- فهرس موضوعاء الكءاب

فهرس الآيات القرآنيّة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
□ سورة البقرة (٢)		
﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ...﴾	٤٩ - ٥٠	٢٤٣
﴿لِنَعْلَمَ مِنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾	١٤٣	٢٢٦
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾	١٥٢	٣٣١
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ...﴾	١٥٥	١٣٤
﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	١٥٦	١٣٠
﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾	١٥٨	١٢٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾	١٧٨	٣٩٦
﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾	١٩٧	٤١، ١٦١، ٤٦٦
﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾	١٩٨	٣٣١
﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾	٢٠٠	٣٣١
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾	٢٤٥	٣١٣
﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾	٢٥١	٢٤٤

الآية	رقمها	رقم الصفحة
□ سورة آل عمران (٣)		
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾	٣٠	١٦٢، ٣١٠، ٣٥٩
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾	٣١	١٧١
﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾	١٠٣	٤٣٣
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾	١٣٣	١٦١
﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾	١٤٠	٤١٣
﴿إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزِدَادُوا إِثْمًا﴾	١٧٨	١٤٩
﴿اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	١٨٢	١٩٢
□ سورة النساء (٤)		
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ...﴾	٣٥	٣٩٢
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ...﴾	٤١	٨٨
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾	٤٨	١٥٥
﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	٥٩	٣٩١
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾	٩٣	١٥٦
﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾	١٠٤	٣٦٤
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾	١٤٥	١٥٦، ٣٢٢
﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ...﴾	١٧٢	٣٨

الآية	رقمها	رقم الصفحة
□ سورة المائدة (٥)		
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ... ﴾	٣	٧١
﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ... ﴾	٢١	٢٩
﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ... ﴾	٢٢	٢٩
﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾	٣٣	١٥٦
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾	٦٧	٢٦٥
□ سورة الأنعام (٦)		
﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾	٣٢	٤٤٩
﴿ وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾	٧٠ و ١٣٠	٣٣٦
﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ ... ﴾	١٢٢	١٩٨
﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾	١٥٩	٢٠٢
□ سورة الأعراف (٧)		
﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾	١٢	٢٢٧
﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾	١٨	٢٢٨
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ... ﴾	٣٢	٤٦٥، ٣١٨
﴿ وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾	٥١	٣٣٦
﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾	٨٧	٣٩٥

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	١٥٦	٣٧
﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾	١٧٢	١٠٤
□ سورة الأنفال (٨)		
﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٤٥	٤٣٢
﴿اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	٥١	١٩٢
□ سورة التوبة (٩)		
﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾	٣٤	١٢٨، ٣٠٢، ٣٤٤
		٥٣١، ٥٠٣
﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	٣٨	١٥
﴿كَالَّذِي حَاضُوا﴾	٦٩	٢٥٦
□ سورة يونس (١٠)		
﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾	٢٤	٤٤٩، ٥٢٠
﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَشْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ...﴾	٣٠	٢٦٩
□ سورة هود (١١)		
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٤٩	٢٩٤
﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾	٨٠	٩٥

الآية	رقمها	رقم الصفحة
□ سورة يوسف (١٢)		
﴿ لَا تَيَاسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ ... ﴾	٨٧	٣٧
□ سورة الرعد (١٣)		
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾	١١	١٩٤
□ سورة إبراهيم (١٤)		
﴿ وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾	٧	١٢٣
﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾	٢٦	٥٨
﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَّصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾	٣٠	١٨
﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾	٣٤	٢٠٣
﴿ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ... ﴾	٣٧	٢٤١
﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾	٤٥	٤٢٦
□ سورة الحجر (١٥)		
﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾	٢١	١٣
﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ ... ﴾	٣٣	٢٢٧
□ سورة النحل (١٦)		
﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ﴾	٤٠	١٣

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوُونَ﴾	٥٣	٩٥، ٣٧
﴿وَلْتَسْأَلْنِ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٩٣	١٦٢
﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾	١٠٦	١٩٨
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	١٢٨	٢٥٠

□ سورة الإسراء (١٧)

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾	٥	٢٤٦
﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾	٧	٢٤٦
﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا...﴾	١٦	١٤٩
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ...﴾	١٨	٤٠
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾	٣١	٢٤٩
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾	٤٤	٣٨
﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾	٦١	٢٢٧
﴿وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُ﴾	٦٧	٩٥

□ سورة الكهف (١٨)

﴿لَنَعْلَمَ آيُ الْحَزِينِينَ﴾	١٢	٢٢٦
﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا...﴾	٤٥	١١١
﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ...﴾	٤٥	١٠٥

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ الْمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	٤٦	١٤
﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾	٤٦	١٥
﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ ... ﴾	١٠٣	١٣٢
□ سورة طه (٢٠)		
﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾	١٢٧	٣٧٩
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ... ﴾	١٣١	٢٩٢
□ سورة الأنبياء (٢١)		
﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾	١٩	٣٨
﴿ وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾	٣٥	٤٩، ١٢٤، ٤٣٩
﴿ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ ﴾	٥٠	٣٣٠
﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعُدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾	١٠٤	١٠٨
□ سورة الحج (٢٢)		
﴿ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾	١٠	١٩٢
﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾	١١	٥١٧
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ ... ﴾	٤٦	١٤٢
﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾	٤٧	٢٢٩

الآية	رقمها	رقم الصفحة
□ سورة المؤمنون (٢٣)		
﴿ هِيَئَاتَ هِيَئَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾	٣٦	٢٢١
﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾	٩٩ - ١٠٠	٢٢١، ٢١٠، ٥٤
□ سورة النور (٢٤)		
﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ ... ﴾	٢٤	١٦٣
﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	٣٧	٣٢٩
□ سورة الفرقان (٢٥)		
﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾	١٢	٢١٤
□ سورة الشعراء (٢٦)		
﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢١٥	٤٦٤
□ سورة النمل (٢٧)		
﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾	١٨	٧٤
﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	٧٥	٤٩
□ سورة القصص (٢٨)		
﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٥ - ٦	٥٠٧

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا... ﴾	٨٣	١١، ٩
□ سورة الروم (٣٠)		
﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾	٢٧	٤٩٤
﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾	٥٤	٨٥
□ سورة السجدة (٣٢)		
﴿ مِقدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾	٥	٢٣٠
□ سورة الأحزاب (٣٣)		
﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ... ﴾	١٩	٣٠
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	٢١	١٦٩
﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾	٤١	٣٣١
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾	٥٦	٩٣
□ سورة سبأ (٣٤)		
﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾	١٣	٣٢٣
﴿ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾	٣٥	٢٤١

الآية	رقمها	رقم الصفحة
□ سورة يس (٣٦)		
﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً﴾	٢٩ و ٥٣	١٦٠
□ سورة ص (٣٨)		
﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَّلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾	٣	٢١٦، ٢٢١
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾	٢٤	٣٢٢
﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ...﴾	٧٤ - ٧١	٢٢٣، ٢٢٦
﴿فَفَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	٧٢	٢٢٦
﴿إِلَّا إِلِيلَسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	٧٤	٢٣٣
﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٨٥	٢٢٨
□ سورة الزمر (٣٩)		
﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا...﴾	٥٣	٣٨
﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٦٣	١٤٠
﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾	٦٨	١٦٤
﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾	٧٣	٢١٢
□ سورة غافر (٤٠)		
﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾	٣٩	٢٧٧

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾	٦٧	١١٥
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾	٨١	٤٣٤
□ سورة فصلت (٤١)		
﴿مَنْ أَشَدُّ مِتًّا قُوَّةً﴾	١٥	١٠٧
﴿وَقَالُوا لِيُجْلِدَهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾	٢١	١٦٣
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	٤٦	١٩٤
□ سورة الشورى (٤٢)		
﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا...﴾	٢٠	٤٦٦
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾	٢٣	١٥٢
□ سورة الزخرف (٤٣)		
﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾	٣٢	٢٥٥
□ سورة الدخان (٤٤)		
﴿يُخَيِّي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾	٨	٤٣٩
﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾	٢٩	٤٢٣، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢١٧

الآية	رقمها	رقم الصفحة
□ سورة محمد ﷺ (٤٧)		
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾	١٠	٤٣٤
□ سورة الفتح (٤٨)		
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	٨	٨٨
﴿وَكُنَّا أَهَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾	٢٦	٢١٢
□ سورة الذاريات (٥١)		
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢١	٦١
﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾	٥٠	١٦١
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٣٧
□ سورة القمر (٥٤)		
﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾	٥٥	٤٠
□ سورة الرحمن (٥٥)		
﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾	٤١	٤٦٨
□ سورة الحديد (٥٧)		
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾	١١	٣١٣

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾	١٦	٤٥
﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ... ﴾	٢٢	٤٩
☐ سورة المنافقون (٦٣)		
﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِّقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾	١	٣٢٢
☐ سورة التغابن (٦٤)		
﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾	١٥	٢٩١، ٢٢٠، ٢١٩
☐ سورة الطلاق (٦٥)		
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾	٢	٣٠٣
☐ سورة الملك (٦٧)		
﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٢	٣٩٩
﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ... ﴾	٨ - ٧	٢١٤
﴿ فَاْمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾	١٥	٣٩٦
☐ سورة المعارج (٧٠)		
﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾	٤	٢٣٠، ٢٢٩
☐ سورة المزمل (٧٣)		
﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾	١٧	١٦٢

الآية	رقمها	رقم الصفحة
□ سورة الإنسان (٧٦)		
﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	١٢	٢٥٨
□ سورة النازعات (٧٩)		
﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ...﴾	٣٧ - ٤١	٢٨٤، ٣٢
□ سورة التكويد (٨١)		
﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾	٨ و ٩	٢٤٨
□ سورة الانفطار (٨٢)		
﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾	٦	٣٣٤
□ سورة الانشقاق (٨٤)		
﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾	١٩	٤٠
□ سورة الزلزلة (٩٩)		
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾	١	١٦٢
□ سورة التكاثر (١٠٢)		
﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾	١ - ٢	٣٢٤

فهرس مصادر الكتاب

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - اختيار معرفة الرجال : لشيخ الطائفة محمد بن الحسن بن عليّ الطوسيّ ، المتوفّى سنة ٤٦٠هـ، تصحيح وتعليق حسن المصطفويّ .
- ٣ - أمالي السيّد المرتضى : للشريف أبي القاسم عليّ بن الطاهر أبي الحسين ، المتوفّى سنة ٤٣٦هـ، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفيّ في قم ، طبع سنة ١٤٠٣هـ.
- ٤ - أوائل المقالات : لمحمد بن محمد بن النعمان العكبريّ البغداديّ ، الملقّب بالشيخ المفيد ، المتوفّى سنة ٤١٣هـ، تحقيق شيخ إبراهيم الأنصاريّ ، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ، ناشر دارالمفيد للطباعة والنشر بيروت .
- ٥ - بحار الأنوار : للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسيّ ، المتوفّى سنة ١١١١هـ، نشر دار إحياء التراث العربيّ بيروت ، طبع سنة ١٤٠٣هـ.
- ٦ - تنقيح المقال في علم الرجال : للشيخ عبد الله المقامقاني ، المتوفّى سنة ١٣٥١هـ، تحقيق واستدراك الشيخ محي الدين ، ونجمله الشيخ محمد رضا المامقاني ، نشر : مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث ، الطبعة الأولى .

٧ - تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، المتوفى سنة ٣٧٠هـ، تحقيق الدكتور رياض زكي قاسم، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ في دار المعارف بيروت.

٨ - الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: إعداد قسم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية في مشهد المقدسة، بإشراف الأستاذ المرحوم كاظم مدير شانجي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ.

٩ - حلية الأولياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، طبع سنة ١٤٠٧هـ في دار الكتاب العربي بيروت.

١٠ - الدعوات: للمولى أبي الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي، المتوفى سنة ٥٧٣هـ، تحقيق مدرسة الإمام المهدي في قم.

١١ - زبدة البيان من أحكام القرآن: محمد بن أحد المحقق الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣هـ، تحقيق محمد باقر البهودي، نشر المكتبة المرتضوية للآثار الجعفرية.

١٢ - الزهد: للحسين بن سعيد الأهوازي، وفاته في القرن الثالث - تحقيق الشيخ غلام رضا عرفانيان، طبع المطبعة العلمية في قم سنة ١٤٠٢هـ.

١٣ - سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد القزويني، المتوفى سنة ٢٧٣هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٤ - شرح أصول الكافي: للمولى محمد صالح المازندراني، المتوفى سنة ١١٢٠هـ، تحقيق مرزا أبو الحسن الشعراني، تصحيح السيد علي عاشور، الطبعة الأولى.

١٥ - شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ، طبع مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع بالأوفسيت في مكتبة المرعشي النجفي في قم سنة ١٤٠٤هـ.

١٦ - شرح نهج البلاغة: لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، المتوفى سنة ٦٧٩هـ، الطبعة الأولى في المطبعة الحيدري سنة ١٣٧٩هـ، والطبعة الثانية سنة ١٤٠٤هـ.

١٧ - علل الشرايع: للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المتوفى سنة ٣٨١هـ، تحقيق وتقديم السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية في النجف طبع سنة ١٣٨٥هـ.

١٨ - عوالي اللآلي العزيزية: للشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي، المعروف بابن أبي الجمهور، المتوفى سنة ٨٨٠هـ، تحقيق مجتبى العراقي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ في مطبعة سيد الشهداء في قم.

١٩ - عيون أخبار الرضا عليه السلام: للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المتوفى سنة ٣٨١هـ، تصحيح السيد مهدي الحسيني اللاجوري، ناشر رضا مشهدي.

٢٠ - غرر الحكم ودرر الكلم: لعبد الواحد آمدي، من أعلام القرن الخامس، الطبعة الحجرية في طهران.

٢١ - فتاوى السبكي: لتقي الدين السبكي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، طبع دار المعرفة في بيروت.

٥٦٠ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

٢٢ - فقه الإمام الرضا عليه السلام: المنسوب للإمام الرضا عليه السلام، المستشهد سنة ٢٠٣هـ، تحقيق مؤسسة أهل البيت عليه السلام، نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام سنة ١٤٠٦هـ.

٢٣ - كتاب البخلاء: للجاحظ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ، تحقيق عباس عبد الساتر، طبع سنة ٢٠٠٤م في دار ومكتبة الهلال بيروت.

٢٤ - كتاب المعارف: لابن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩م في دار المعارف في مصر.

٢٥ - كليله ودمنة: لروزبه پور دادويه (عبد الله بن المقفع) قصة مترجمة من العربية إلى الفارسية.

٢٦ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥هـ، تصحيح الشيخ صفوة السقا وضبط الغريب الشيخ بكري حياني، نشر مؤسسة الرسالة، طبع سنة ١٤٠٩هـ.

٢٧ - لسان العرب: للعلامة ابن منظور، المتوفى سنة ٧١١هـ، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيري، طبع في دار إحياء التراث العربي في بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٨ - المجازات النبوية: لمحمد بن حسين الشريف الرضي، المتوفى سنة ٤٠٦هـ، تصحيح مهدي هوشمند، طبع في قم دار الحديث سنة ١٤٢٢هـ.

٢٩ - مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، المتوفى سنة ٥١٨هـ، تقديم وتعليق حسن زررور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت.

٣٠ - مجمع البيان لعلوم القرآن: لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ، المتوفى سنة ٥٤٨هـ، نشر رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، طبع في مطبعة مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع سنة الطبع ١٤١٧هـ.

٣١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين أبي الحسن عليّ بن أبي بكر الهيثمي المصريّ الشافعيّ، المتوفى سنة ٨٠٧هـ، طبع دار الكتب العلميّة في بيروت، الطبعة سنة ١٤٠٨هـ.

٣٢ - المحاسن: لأحمد بن محمد بن خالد البرقيّ المتوفى سنة ٢٧٤هـ أو سنة ٢٨٠هـ تحقيق جلال الدين المحدث، طبع دار الكتب الإسلامية في قم سنة ١٣٧١هـ.

٣٣ - مستدرک الوسائل: للشيخ النوريّ الطبرسيّ، المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، طبع مؤسسة آل البيت عليه السلام في قم، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ.

٣٤ - المسند: لأحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ المروزيّ، المتوفى سنة ٢٤١هـ، طبع في دار صادر في بيروت.

٣٥ - المعجم الأوسط: للحافظ سليمان بن أحمد الطبرانيّ، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، نشر دار الحرمين في القاهرة سنة ١٤١٥هـ، بتحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٣٦ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، طبع في دار إحياء التراث العربي في بيروت.

٣٧ - مناقب آل أبي طالب: لابن شهر آشوب السرويّ المازندرانيّ، المتوفى سنة ٥٨٨هـ، نشر مؤسسة انتشارات علامة في قم طبع في المطبعة العلميّة في قم.

٥٦٢ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

٣٨ - من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المتوفى سنة ٣٨١هـ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين في قم، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤هـ.

٣٩ - ميزان الحكمة: للشيخ محمد ري شهري، طبع مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، دفتر تبليغات إسلامي الحوزة العلمية في قم، طبع سنة ١٤٠٣هـ.

٤٠ - نهج البلاغة: ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق وضبط نصّه على أربع نسخ خطية الشيخ قيس بهجت العطار، نشر مؤسسة الرافد للمطبوعات، الطبعة الأولى سنة ١٤٣١هـ.

٤١ - نهج البلاغة: ما جمعه السيد الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام، شرح الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقاً، طبع بالمطبعة الرحمانية.

٤٢ - نهج البلاغة: ما اختاره الشرف الرضي من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وضبط نصّه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي صالح، طبع في بيروت سنة ١٣٨٧هـ بالأوفسيت في إيران سنة ١٣٩٥هـ.

٤٣ - نهج الحق وكشف الصدق: للحسن بن يوسف بن مطهر الحلبي، المتوفى سنة ٧٣٦هـ، تعليق عين الله الحسيني الأرموي وتقديم السيد رضا الصدر، من منشورات دار الهجرة في إيران قم.

٤٤ - الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤هـ، الطبعة الثانية، باعتناء هلموت ريتز طبع سنة ١٤٠١هـ.

٤٥ - وسائل الشيعة: للمحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤هـ، طبع مؤسسة آل البيت عليه السلام في قم الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ.

فهرس موضوعات الكتاب

المقدمة..... ٥

الفصل الأول

الدنيا في خطب أمير المؤمنين عليه السلام

٧ - ٢٧٨

- ٩ الدنيا في خطبة له عليه السلام المعروفة بالشفقة والمقصصة..... ٩
- ١٢ الدنيا في خطبة له عليه السلام تشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة... ١٢
- الدنيا في خطبة له عليه السلام وهو فصل من الخطبة التي أولها «الحمد لله غير مقنوط من رحمته» ١٦
- ٢٠ الدنيا في خطبة له عليه السلام، أولها: «الحمد لله غير مقنوط من رحمته»..... ٢٠
- الدنيا في خطبة له عليه السلام وفيها يصف زمانه بالجور، ويقسم الناس فيه خمسة أصناف، ثم يزهد في الدنيا..... ٢٢
- ٢٦ الدنيا في خطبة له عليه السلام في التزهّد في الدنيا..... ٢٦
- الدنيا في خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج، وفيها يتأفف بالناس وينصح لهم بطريق السداد..... ٢٨

٥٦٤ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

- ٣١ الدنيا في خطبة له عليه السلام وفيها يحذّر من اتّباع الهوى وطول الأمل في الدنيا
- ٣٦ الدنيا في خطبة له عليه السلام وفيها يحمّد الله ويذمّ الدنيا
- ٤١ الدنيا في خطبة له عليه السلام في التزهيد في الدنيا
- ٤٦ الدنيا في خطبة له عليه السلام في الترهّد في الدنيا
- ٤٨ الدنيا في خطبة له عليه السلام يحذّر من فتنة الدنيا
- ٥١ الدنيا في خطبة له عليه السلام في المبادرة إلى صالح الأعمال
- ٥٤ الدنيا في خطبة له عليه السلام وتسمّى بالغراء
- ٥٩ الدنيا في خطبة له عليه السلام وتسمّى بالغراء
- ٦٤ الدنيا في خطبة له عليه السلام في بيان صفات المتّقين ... وظنّ الخاطيء بالدنيا
- ٦٦ الدنيا في خطبة له عليه السلام في وصف الدنيا قبل بعثة الرسول الأكرم ﷺ
- ٧١ الدنيا في خطبة له عليه السلام وفيها ينّبّه على فضله وعلمه ويبين فتنة بني أميّة
- ٧٦ الدنيا في خطبة له عليه السلام وفيها ينّبّه على فضله وعلمه ويبين فتنة بني أميّة
- ٧٨ الدنيا في خطبة له عليه السلام في التزهيد من الدنيا
- ٨٣ الدنيا في خطبة له عليه السلام في التزهيد في الدنيا أيضاً
- ٨٦ الدنيا في خطبة له عليه السلام في صفات الرسول الكريم ﷺ
- ٩٢ الدنيا في خطبة له عليه السلام في بيان قدرة الله
- ٩٦ الدنيا في خطبة له عليه السلام يبين فيها عصيان الخلق
- ١٠٣ الدنيا في خطبة له عليه السلام في ذكر زهد النبي ﷺ
- ١٠٥ الدنيا في خطبة له عليه السلام في ذمّ الدنيا
- ١١٥ الدنيا في خطبة له عليه السلام في ذمّ الدنيا

فهرس موضوعات الكتاب..... ٥٦٥

١٢٠ الدنيا في خطبة له وفيها مواظ للناس

١٢٩ الدنيا في خطبة له عليه في ذكر المكايل والموازين

١٣٥ الدنيا في خطبة له عليه يعظ فيها ويزهد في الدنيا، ومنها في عظة الناس

١٣٩ الدنيا في خطبة له عليه في عظمة الله تعالى

١٤١ الدنيا في خطبة له عليه في وصف الدنيا بمتهى بصر الأعمى والبصير

١٤٤ الدنيا في خطبة له عليه في فناء الدنيا

١٤٧ الدنيا في خطبة له عليه يومي فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال

١٥٤ الدنيا في خطبة له عليه في عظة الناس

١٥٨ الدنيا في خطبة له عليه يحث بها الناس على التقوى

١٦٤ الدنيا في خطبة له عليه في كيف يكون الرجاء

١٦٩ الدنيا في خطبة له عليه في رسول الله ﷺ

١٧٠ الدنيا في خطبة له عليه في الرسول الأعظم ﷺ

١٧٣ الدنيا في خطبة له عليه في الرسول الأعظم ﷺ

١٧٥ الدنيا في خطبة له عليه في الرسول الأعظم ﷺ

الدنيا في خطبة له عليه في صفة النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم، وأتباع دينه والنصح

بالتقوى ١٧٩

١٨٢ الدنيا في خطبة له عليه يذكر فيها عجيب خلق الطاووس، ومنها في صفة الجنة

الدنيا في خطبة له عليه عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة، ومنها في التنفير من

خصومه ١٨٥

١٨٧ الدنيا في خطبة له عليه في وصف رسول الله ﷺ، ومنها في هوان الدنيا

٥٦٦ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

- ١٨٩ الدنيا في خطبة له عليه السلام في عظة الناس
- الدنيا في خطبة له عليه السلام في الشهادة والتقوى، وقيل: إنه خطبها بعد مقتل عثمان في أول خلافته، يقول في الله ورسوله ١٩١
- الدنيا في خطبة له عليه السلام خطبها في الكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف، وكان جبينه ثفنة بغير ١٩٥
- الدنيا في خطبة له عليه السلام في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى ٢٠٠
- الدنيا في خطبة له عليه السلام في التوحيد ٢٠٣
- الدنيا في خطبة له عليه السلام في الوصية بأمور، ومنها في الموت ٢٠٨
- الدنيا في خطبة له عليه السلام يحمد الله فيها ويشني على نبيه ويعظ بالتقوى، ومنها في العظة بالتقوى ٢١١
- الدنيا في خطبة له عليه السلام يحمد الله فيها ويشني على نبيه ويوصي بالزهد والتقوى، ومنها يوصي عليه السلام بالزهد والتقوى ٢١٦
- الدنيا في خطبة له عليه السلام تسمى بالقاصعة، ومنها في رأس العصيان ٢٢٣
- الدنيا في خطبة له عليه السلام تسمى بالقاصعة، ومنها في طلب العبرة ٢٢٨
- الدنيا في خطبة له عليه السلام تسمى بالقاصعة، ومنها في التحذير من الشيطان ٢٣٤
- الدنيا في خطبة له عليه السلام تسمى بالقاصعة، ومنها في الكعبة المقدسة ٢٣٩
- الدنيا في خطبة له عليه السلام تسمى بالقاصعة، ومنها في عصبية المال ٢٤١
- الدنيا في خطبة له عليه السلام تسمى بالقاصعة، ومنها في الاعتبار بالأُمم ٢٤٤
- الدنيا في خطبة له عليه السلام يصف فيها المتقين ٢٥٠

فهرس موضوعات الكتاب..... ٥٦٧

- ٢٦٠ الدنيا في خطبة له عليه السلام يعظ فيها بالزهد
- ٢٦٣ الأعظم عليه السلام الدنيا في خطبة له عليه السلام كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه ... ٢٦٦
- ٢٦٨ الدنيا في خطبة له عليه السلام في التنفير من الدنيا
- ٢٧٢ الدنيا في خطبة له عليه السلام في مقاصد أخرى، منها: في فضل الجدّ
- ٢٧٥ الدنيا في خطبة له عليه السلام في مقاصد أخرى، ومنها: في صفة الزهاد

الفصل الثاني

الدنيا في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

٢٧٩ - ٣٥٠

- ٢٨١ الدنيا في كلام له عليه السلام وفيه يصف بيعته بالخلافة ثم قتاله أهل الشام
- ٢٨٣ الدنيا في كلام له عليه السلام وفيه يحذّر من اتّباع الهوى وطول الأمل في الدنيا
- ٢٨٨ الدنيا في كلام له عليه السلام في صفة الدنيا
- ٢٩٢ الدنيا في كلام له عليه السلام يشير فيه إلى ظلم بني أميّة
- ٢٩٤ الدنيا في كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء
- ٢٩٧ الدنيا في كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة
- ٣٠٠ الدنيا في كلام له عليه السلام لأبي ذرّ رضي الله عنه لما أخرج إلى الربرة
- ٣٠٤ الدنيا في كلام له عليه السلام في المعروف في غير أهله ومواضع المعروف

٥٦٨ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

- الدنيا في كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم ٣٠٧
- الدنيا في كلام له عليه السلام في التزهّد من الدنيا والترغيب في الآخرة ٣١٠
- الدنيا في كلام له عليه السلام كان كثيراً ما ينادي به أصحابه ٣١٣
- الدنيا في كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي - وهو من أصحابه -
يعوده، فلما رأى سعة داره قال: ٣١٦
- الدنيا في كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، ومنها في المنافقون ٣٢٠
- الدنيا في كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿ ٣٢٤
- الدنيا في كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ
اللَّهِ﴾ ٣٢٩
- الدنيا في كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ .. ٣٣٤
- الدنيا في كلام له عليه السلام وفيه يتبرأ من الظلم ٣٣٩
- الدنيا في كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي ٣٤٣
- الدنيا في كلام له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي ٣٤٥
- الدنيا في كلام له عليه السلام قاله لرجل سأله أن يعظه ٣٤٨

الفصل الثالث

الدنيا في كتب أمير المؤمنين عليه السلام

٣٥١ - ٤١٦

- الدنيا في كتاب له عليه السلام كتبه لشريح بن الحارث قاضيه ٣٥٣
- الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً ٣٥٦

فهرس موضوعات الكتاب..... ٥٦٩

- ٣٦١ الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية ، جواباً عن كتاب منه إليه.
- الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى ، وكان عبد الله يقول :
ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله ﷺ كانتفاعي بهذا الكلام ٣٦٥
- ٣٦٨ الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية .
- ٣٧٢ الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى قُتَم بن العباس ، وهو عامله على مَكَّة .
- ٣٧٥ الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص .
- الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هُبيرة الشيباني ، وهو عامله على أردشير
خُرَّة ٣٧٩
- الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة ، وقد بلغه أنه
دُعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها ، فمضى إليها ٣٨١
- ٣٨٥ الدنيا في هذا الكتاب ، وهو آخره .
- ٣٩٠ الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية .
- ٣٩٣ الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً .
- ٣٩٤ الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى معاوية .
- ٣٩٨ الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قُطبة صاحب جند حلوان .
- الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنه وقد تقدّم ذكره بخلاف هذه
الرواية ٤٠٠
- ٤٠٢ الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قبل أيام خلافته .
- ٤٠٤ الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني .
- إلى أن يقول في كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني ٤٠٦

٥٧٠ الدنيا في نهج الإمام علي عليه السلام

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة، في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية..... ٤٠٧

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي، وقد خان في بعض ما ولاء من أعماله..... ٤٠٩

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس..... ٤١٢

الدنيا في كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين، ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب «المغازي»..... ٤١٣

الفصل الرابع

الدنيا في وصايا أمير المؤمنين عليه السلام

٤١٧ - ٤٥٨

الدنيا في خطبة له عليه السلام في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه وفيها النصح بالتقوى .. ٤١٩

الدنيا في خطبة له عليه السلام في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى..... ٤٢٠

الدنيا في خطبة له عليه السلام في الوصية بأمور، منها في الموت..... ٤٢١

الدنيا في خطبة له عليه السلام يحمد الله ويشني على نبيه ويوصي بالزهد والتقوى..... ٤٢٢

الدنيا في خطبة له عليه السلام يوصي بالعظة بالزهد..... ٤٢٣

الدنيا في وصية له للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين..... ٤٢٤

الدنيا في وصية له للحسن بن علي عليه السلام ... إلى أن يقول فيها..... ٤٢٨

الدنيا في وصية له للحسن بن علي عليه السلام ... إلى أن يقول فيها..... ٤٣١

فهرس موضوعات الكتاب..... ٥٧١

- ٤٣٥ الدنيا في وصية له للحسن بن عليّ عليه السلام ... إلى أن يقول فيها
- ٤٣٨ الدنيا في وصية له للحسن بن عليّ عليه السلام ... إلى أن يقول فيها
- ٤٤٠ الدنيا في وصية له للحسن بن عليّ عليه السلام ... إلى أن يقول فيها
- ٤٤٣ الدنيا في وصية له للحسن بن عليّ عليه السلام ... إلى أن يقول فيها
- ٤٤٥ الدنيا في وصية له للحسن بن عليّ عليه السلام ... إلى أن يقول فيها
- ٤٤٧ الدنيا في وصية له للحسن بن عليّ عليه السلام في ذكر الموت.....
- ٤٥١ الدنيا في وصية له للحسن بن عليّ عليه السلام في وصايا شتى، منها في الرزق.....
- ٤٥٣ الدنيا في وصية له للحسن بن عليّ عليه السلام في الدعاء له عليه السلام.....
- ٤٥٤ الدنيا في وصية له للحسن والحسين عليهما السلام، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله.....
- ٤٥٦ الدنيا في وصية له عليه السلام وصى بها شريح بن هانئ، لما جعله على مقدمته إلى الشام.

الفصل الخامس

الدنيا في عهد أمير المؤمنين عليه السلام

٤٥٩ - ٤٧٤

- ٤٦١ الدنيا في عهد له عليه السلام إلى بعض عمّاله، وقد بعثه على الصدقة.....
- ٤٦٢ الدنيا في عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه لما قلده مصر.....
- الدنيا في عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي، لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن..... ٤٦٨
- ٤٧٠ الدنيا في عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي... إلى أن يقول فيه.....
- ٤٧٢ الدنيا في عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي... إلى أن يقول فيه.....

الفصل السادس

الدنيا في المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، ويدخل في ذلك
المختار من أجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه

٤٧٥ - ٥١٠

- قال عليه السلام: إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره ٤٧٧
- سئل عليه السلام عن الإيمان، فقال: الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل،
والجهد؛ فالصبر: على أربع شعب: على الشوق، والشفق، والزهد، والترقب... إلى أن
يقول عليه السلام: ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ٤٧٨
- وقال عليه السلام: ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما ٤٧٩
- وقال عليه السلام، وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار، فترجلوا له واشتدوا بين يديه،
فقال: ما هذا الذي صنعتموه؟ ٤٨١
- وقال عليه السلام: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ٤٨٢
- وقال عليه السلام: أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ٤٨٤
- من خبر ضرار بن ضمرة الضبابي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين،
وقال: فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض
على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا يا دنيا إليك
عتي ٤٨٤
- وسئل عليه السلام عن الخير ما هو؟ فقال: ليس الخير أن يكثر مالك... ٤٨٦
- وقال عليه السلام: إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان ٤٨٨

فهرس موضوعات الكتاب..... ٥٧٢

- عن نوف البكالي، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة، وقد خرج من فراشه، فنظر في
النجوم فقال لي: يا نوف، أراقد أنت أم راقق؟ فقلت: بل راقق يا أمير المؤمنين، فقال: يا
نوف طوبى للزاهدين في الدنيا... ٤٨٩
- وقال عليه السلام: لا تترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم..... ٤٩١
- وقال عليه السلام: مثل الدنيا كمثل الحية..... ٤٩١
- وقال عليه السلام: عجبت للبخیل يستعجل الفقر الذي منه هرب..... ٤٩٢
- وقال عليه السلام، وقد سمع رجلاً يذم الدنيا: أيها الدائم للدنيا..... ٤٩٤
- وقال عليه السلام: الدنيا دار ممرٍ إلى دار مقرّ..... ٤٩٩
- الدنيا في كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي: يا كميل، هلك حزان الأموال وهم
أحياء..... ٥٠٢
- الدنيا في كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي: لا تخلو الأرض من قائم بحجةٍ إمّا ظاهراً
مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً..... ٥٠٢
- وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه: لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل..... ٥٠٤
- وقال عليه السلام: إنّما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا..... ٥٠٥
- وقال عليه السلام: لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها..... ٥٠٦
- وقال عليه السلام: من أصبح على الدنيا حزينا..... ٥٠٨
- وقال عليه السلام: من لهج قلبه بحبّ الدنيا..... ٥٠٨
- وقال عليه السلام: والله لدنياكم هذه..... ٥٠٩
- وقال عليه السلام: مرارة الدنيا حلاوة الآخرة..... ٥١٠

الفصل السابع

نذكر فيه شيئاً من اختيار غريب كلامه المحتاج إلى تفسير

٥١١ - ٥٤٠

- قال عليه السلام: الناس في الدنيا عاملان: عامل عمل في الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه... ٥١٣
- وقال عليه السلام: كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه..... ٥١٤
- وقال عليه السلام: الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه..... ٥١٦
- وقال عليه السلام: معاشر الناس، اتقوا الله..... ٥١٧
- وقال عليه السلام: من أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير..... ٥١٨
- وقال عليه السلام: يا أسرى الرغبة أقصروا، فإن المعرج على الدنيا..... ٥١٨
- وقال عليه السلام: أيها الناس، متاع الدنيا حطام موبئ فتجنبوا مرعاه..... ٥١٩
- وقال عليه السلام: إنما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار..... ٥٢٠
- وروي أنه عليه السلام قلما اعتدل به المنبر إلا قال أَمَامَ الخطبة: أيها الناس، اتقوا الله... ٥٢٢
- وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر قوام الدنيا بأربعة..... ٥٢٣
- وقال عليه السلام: الركون إلى الدنيا مع ما تعين منها جهل..... ٥٢٥
- وقال عليه السلام: من هوان الدنيا على الله أنه لا يُعَصَى..... ٥٢٦
- وقال عليه السلام: ازهد في الدنيا يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِهَا..... ٥٢٧
- وقال عليه السلام: خذ من الدنيا ما أتاك..... ٥٢٧
- وقال عليه السلام لعمار بن ياسر وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً: دَعُهُ يا عَمَّار فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ من الدين..... ٥٢٨

فهرس موضوعات الكتاب.....	٥٧٥
وقال ﷺ في صفة الدنيا : تعرّ وتضرّ وتمرّ.....	٥٢٩
وقال لابنه الحسن ﷺ : لا تُخَلِّقَنَّ وراءك شيئاً من الدنيا.....	٥٣٠
وقال ﷺ : من أصلح سريره أصلح الله علانيته.....	٥٣٢
وقال ﷺ : إنّ أخسر الناس صفقة ، وأخيبهم سعيّاً.....	٥٣٣
وقال ﷺ : الرزق رزقان : طالب ، ومطلوب ، فمن طلب الدنيا.....	٥٣٤
وقال ﷺ : إنّ أولياء الله هم الذين نظّروا إلى باطن الدنيا.....	٥٣٥
وقال ﷺ : الدنيا خُلِقَتْ لغيرها ولم تُخَلَقْ لنفسها.....	٥٣٧
وقال ﷺ : منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا.....	٥٣٧

الفهارس الفنيّة

فهرس الآيات القرآنيّة.....	٥٤٣
فهرس مصادر الكتاب.....	٥٥٧
فهرس موضوعات الكتاب.....	٥٦٣